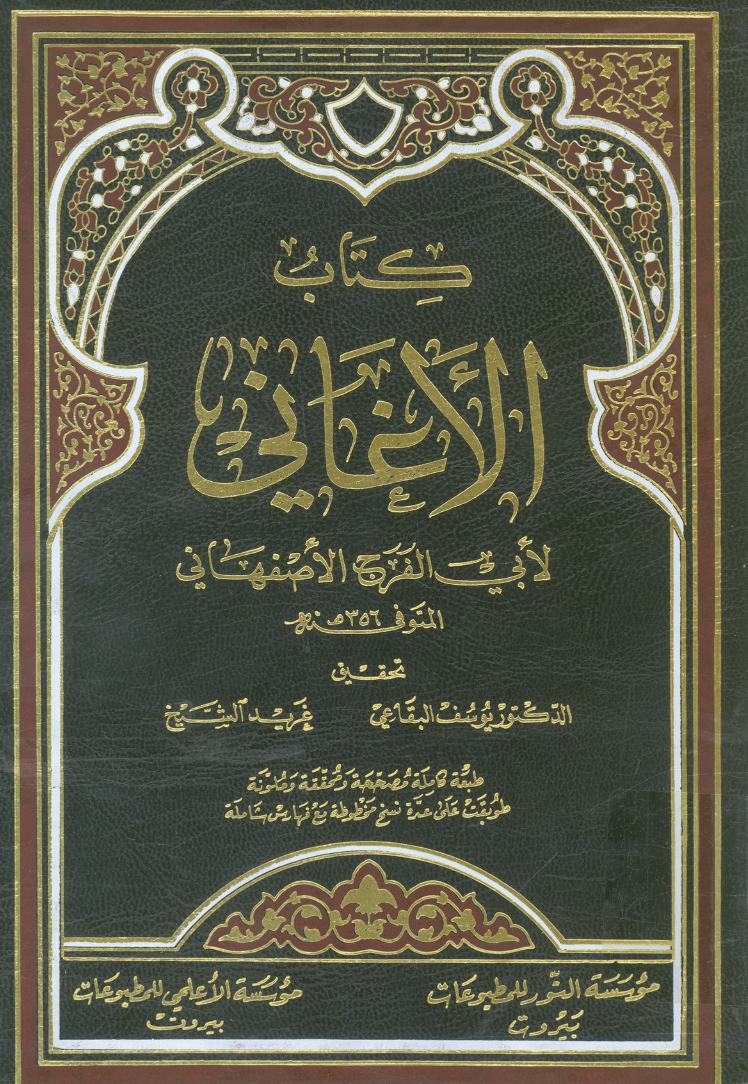


كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت

كتاب

الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي   غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الثالث عشر

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة .
ملك الاعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار أبي الطّمَحان القَينِيّ

[توفي نحو ٣٠ هـ/ نحو ٦٥٠ م]

[نسب أبي الطّمحان]

أبو الطّمحان اسمه حَنْظَلةُ بن الشَّرْقِيّ، أحد بني القَيْن بن جَسْر بن شَيْعِ اللَّه، من قُضاعةَ. وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم.

وكان أبو الطّمحان شاعراً فارساً خارباً[١] صُعلوكاً، وهو من المُخَضْرَمين، أدرك الجاهلية والإسلام، فكان خبيث الدِّين فيهما كما يُذكر. وكان تِرْباً للزُّبَير بن عبد المطَّلب في الجاهلية ونديماً له، أخبرنا بذلك أبو الحسن الأسَديّ عن الرِّيَاشيّ عن أبي عُبَيدة.

[أبو الطّمحان يساهم في إنقاذ قيسبة السّكوني من الأَسر]

ومما يَدُلُّ على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكَلْبيّ عن أبيه قال: خرج قَيْسَبة بن كُلْثوم السَّكُونيّ، وكان مَلِكاً، يريد الحجَّ ـ وكانت العرب تحجّ في الجاهلية فلا يعرِضُ بعضُها لبعض ـ فمرّ ببني عامر بن عُقَيل، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه، وألقَوْه في القِدِّ[٢]، فمكثَ فيه ثلاثَ سنينَ، وشاع باليمن أنَّ الجنَّ استطارتْه[٣]. فبينا هو في يوم شديد البرد في بيتِ عجوزٍ منهم إذ

(١) الخارب: اللّص أو السّارق.

(٢) القِدّ: السّير يُقَدُّ من جلدٍ ويقيّد به الأسير، السّوْط.

(٣) استطارته: حملته وذهبت به بسرعة.

قال لها: أَتَأْذَنين لي أن آتِيَ الأَكَمَةَ(١) فَأَتَشرَّقَ(٢) عليها فقد أَضَرَّ بي القُرّ(٣)! فقالت له: نعم. وكانت عليه جُبَّةٌ من حِبَرَةٍ(٤) لم يتْرَكْ عليه غيرُها، فتمَشَّى في أغلاله وقيوده حتى صَعِدَ الأكمةَ، ثم أقبلَ يضرب ببصره نحوَ اليمن، وتَغْشاه عَبْرةٌ فبكى، ثم رفع طَرْفَهُ إلى السّماء وقال: اللّهم سَاكِنَ السّماء فَرِّجْ لي مما أصبحْتُ فيه. فبينا هو كذلك إذ عرضَ له راكبٌ يسير، فأشار إليه أنْ أقْبِلْ، فأقبل الرَّاكبُ، فلمّا وقف عليه قال له: ما حاجتك يا هذا؟ قال: أين تريد؟ قال: أريد اليمنَ. قال: ومن أنت؟ قال: أنا أبو الطَّمَحان القَيْنيّ، فاستعبرَ باكياً. فقال له أبو الطَّمحان: مَنْ أنت؟ فإنّي أرى عليك سِيما الخير ولباسَ الملوك، وأنت بِدَارٍ ليس فيها ملك. قال: أنا قَيْسَبة بن كُلْثوم السَّكُونيّ، خرجْتُ عام كذا وكذا أريد الحجّ، فوثَبَ عليَّ هذا الحيُّ فصنعوا بي ما تَرى، وكشف عن أغلاله وقيوده؛ فاستعبر أبو الطَّمحان، فقال له قيسبة: هل لك في مائة ناقة حمراء؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك! قال: فأَنِخْ، فأناخ. ثم قال له: أمعكَ سِكّينٌ؟ قال: نعم. قال: ارفع لي عن رَحْلِكَ، فرفعَ له عن رَحْلِه حتى بَدَتْ خشبةُ مُؤَخَّرِه، فكتب عليها قيسبةُ بِالمُسْنَدِ(٥)، وليس يكتب به غيرُ أهلِ اليمن: [الخفيف]

بَلِّغَا كِنْدَةَ المُلوكَ جَمِيعاً ... حَيْثُ سَارَتْ بِالأَكْرَمِينَ الجِمَالُ(٦)
أَنْ رِدُوا العَيْنَ بِالخَمِيسِ عِجَالاً ... واصْدُروا عنه والرَّوَايَا ثِقَالُ(٧)
هَزِئَتْ جَارَتِي وقَالَتْ عَجِيباً ... إذ رَأَتْنِي فِي جِيدِيَ الأَغْلالُ
إِنْ تَرَيْنِي عَارِي العِظَامِ أَسِيراً ... قَدْ بَرَانِي تَضَعْضُعٌ واخْتِلالُ
فَلَقَدْ أَقْدُمُ الكَتِيبَةَ بِالسَّيـ ... ـفِ عَلَيَّ السِّلاحُ والسِّرْبالُ

وكتب تحت الشّعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطَّمَحان مائة ناقةٍ، ثمّ قال له: أَقْرِىءْ هذا قومي؛ فإنَّهم سيعطونك مائةَ ناقةٍ حمراء. فخرج تسير به ناقته، حتى أتى

---

(١) الأكمة: التلّ.
(٢) أتشرّق: أجلس في الشمس لأستدفىء وقت شروقها.
(٣) القُرّ: البرد.
(٤) الحِبَرَة: ضرب من برود اليمن.
(٥) المُسْنَد: خطّ لبني حِمْير كانوا يكتبون به.
(٦) يخاطب كِندة لأن قيسبة من قبيلة السّكون، والسّكون إحدى بطون كِندة.
(٧) الخميس: الجيش المؤلّف من خمس فرق: المقدمة والميمنة والميسرة والقلب والساقة. والرّوايا: جمع الرّاوية: الإبل التي تحمل الماء.

حَضْرَمَوْت، فتشاغل بما وردَ له ونَسِيَ أمرَ قَيْسبة حتى فرَغَ من حوائجه. ثم سمعَ نسوةً من عجائز اليمن يتذاكرْنَ قيسبة ويبكينَ، فذكر أمره، فأتى أخاه الجَوْن بن كُلْثوم، وهو أخوه لأبيه وأمه، فقال له: يا هذا، إني أدلُّكَ على قيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل. قال له: فهي لكَ. فكشَفَ عن الرَّحْلِ، فلما قرأه الجَوْنُ أمر له بمائة ناقةٍ، ثم أتى قَيْسَ بن مَعْدِيكَرِب الكِنْديّ أبا الأشْعَثِ بن قيس، فقال له: يا هذا، إنَّ أخي في بني عُقَيل أسيرٌ، فَسِرْ معي بِقومكَ، فقال له: أتسيرُ تحتَ لِوائي حتى أطلب ثأرَكَ وأُنجِدَكَ، وإلاّ فامضِ راشداً. فقال له الجَوْن: مَسُّ السَّماءِ أيسرُ من ذلك وأهونُ عَلَيَّ مما خُيِّرْتُهُ. وضَجَّتِ السَّكُونُ ثم فاءُوا ورجَعوا وقالوا له: وما عليكَ من هذا! هو ابن عَمِّكَ ويطلبُ لكَ بثأرِكَ. فأنْعَمَ له بذلك[1]. وسار قيسٌ وسار الجَوْنُ معه تحت لوائه، وكِنْدَةُ والسَّكُونُ معه؛ فهو أوّل يوم اجتمعتْ فيه السَّكُون وكِنْدة لِقَيْس، وبه أدركَ الشَّرَفَ. فسار حَتَّى أوقعَ بعامر بن عُقَيل فقتل منهم مقتلةً عظيمة واستنقذَ قَيْسَبةَ. وقال في ذلك سلامَةُ بن صُبَيح الكِنْديّ: [السريع]

لا تَشْتِمُونا إذْ جَلَبْنا لَكُمْ ... أَلْفَيْ كُمَيْتٍ كُلُّها سَلْهَبَهْ[2]
نَحْنُ أَبَلْنا الخَيْلَ في أرْضِكُمْ ... حَتَّى ثَأَرْنا مِنْكُمُ قَيْسَبَهْ[3]
واعْتَرَضَتْ مِنْ دُونِهِمْ مَذْحِجٌ ... فَصادَفوا مِنْ خَيْلِنا مَشْغَبَهْ[4]

[بعض أخباره ومغامراته]

حَدَّثنا إبراهيم بن محمد بن أيُّوب قال: حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم قال: بلغني أَنَّ أبا الطَّمَحان القَيْنيّ قِيلَ له، وكان فاسقاً خارِباً: ما أدْنَى ذنوبِكَ؟ قال: ليلة الدَّيْر. قيل له: وما ليلة الدَّير؟ قال: نَزَلْتُ بِدَيْرَانِيَّةٍ[5] فأكلْتُ عندها طَفَيْشَلاً[6] بلحم خنزير، وشَرِبْتُ من خمرها، وَزَنَيْتُ بها، وسرقتُ كساءها، ثم انصرفتُ عنها.

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثني محمّد بن عبد الله الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو

---

(١) أَنْعَمَ: قال له: نعم.
(٢) الكميت من الخيل: الذي بين الأسود والأحمر. والسَّلهبة: الطويلة الجسيمة.
(٣) أبلنا: أوقفناها لِتبولَ.
(٤) مذحج: هو مالك بن أُدَد. المشغبة: من الشَّغْب: هيجاء القِتال.
(٥) الدّيرانية: صاحبة الدَّير.
(٦) الطَّفَيْشَل: نوع من المرق.

الشَّيْبانيّ عن أبيه قال: جَنَى أبو الطَّمَحانِ القَيْنيّ جِنايةً وطلبه السّلطان، فهربَ من بلاده ولجأ إلى بني فَزارة فنزل على رجل منهم يقال له مالك بن سعد أحد بني شَمْخ؛ فآواه وأجاره وضرب عليه بيتاً وخَلَطه بنفسه. فأقام مدَّةً، ثم تشوَّقَ يوماً إلى أهلِه وقد شرِبَ شراباً ثَمِلَ منه، فقال لمالك: لولا أنّ يدي تَقْصُرُ عن دِيَةِ جنايتي لَعُدْتُ إلى أهلي. فقال له: هذه إبلي فخذ منها دِيَة جِنايتِك وازْدُدْ ما شِئتَ. فلمّا أصبح نَدِمَ على ما قاله وَكَرِه مفارقة موضعِهِ ولم يأمنْ على نفسه، فأتى مالِكاً فأنشده: [الوافر]

سَأَمْدَحُ مَالِكاً في كُلِّ رَكْبٍ ... لَقِيتُهُمُ وأَتْرُكُ كُلَّ رَذْلِ
فَمَا أَنَا والبَكَارَةُ أو مَخاضٌ ... عِظَامٌ جِلَّةٌ سُدُسٌ وبُزْلِ[١]
وقد عَرَفَتْ كِلابُكُمُ ثِيَابِي ... كَأَنّي مِنْكُمُ ونَسِيتُ أَهْلي
نَمَتْ بِكَ مِن بَنِي شَمْخٍ زِنَادٌ ... لها ما شِئتَ مِنْ فَرْعٍ وأَصْلِ

قال: فقال مالك: مرحباً! فإنك حبيبٌ ازداد حُبّاً، إنّما اشتقْتَ إلى أهلكَ وذكرتَ أنه يحبِسُكَ عنهم ما تُطالَب بِهِ من عَقْلٍ[٢] أو دِيَةٍ، فبذلتُ لك ما بذلتُ، وهو لك على كلّ حال، فأقِمْ في الرُّحْبِ والسَّعَة. فلم يَزَلْ مقيماً عندهم حتى هلَك في دارهم.

[أبو الطمحان يردّ على زوجته للومها إيّاه على ركوب الأخطار]

قال أبو عمرو في هذه الرِّواية: وأخبرني أيضاً بمثله محمد بن جعفر النَّحْوي صِهْرُ المبرّد، قال: حَدَّثنا ثَعْلَب عن ابن الأعرابي قال: عاتَبتْ أبا الطَّمَحان القَيْنيّ امرأتُه في غاراتِه ومُخاطرته بنفسه، وكان لِصّاً خارِباً خبيثاً، واكثرتْ لومَه على ركوب الأهوالِ ومخاطرتِه بنفسه في مَذاهبه، فقال لها: [الطويل]

لَو كُنْتُ في رَيْمَانَ تَحْرُسُ بَابَهُ ... أَرَاجِيلُ أُحْبُوشٌ وأَغْضَفُ آلِفُ[٣]

---

(١) البِكارة: ولد الناقة والفتيّ منها. وجِلَّةُ الإبل: مَسَانُّها. والسُّدُس: جمع السّديس: الناقة أو الشاة التي أتت عليها السنة السادسة. والبُزْل: جمع البازل: الناقة أو البعير الذي دخل في سنته التاسعة وبزل نابه أي انشقّ.

(٢) العَقْل: دية القتيل

(٣) رَيْمان: هو مِخلاف باليمن، أو هو حصن باليمن. (معجم البلدان ٣/ ١١٤). والأراجيل: جمع الرّاجل. والأحبوش: جماعة الحَبَش. والأغضف: المسترخي الأذن من الكلاب. والآلِف: المستأنس بمن يحرسهم.

إذاً لأَتَتْنِي حَيثُ كُنتُ مَنِيَّتِي يَخُبُّ بها هَادٍ بِأَمْرِيَ قَائِفُ(١)
فَمِنْ رَهْبَةٍ آتِي المَتَالِفَ سَادِراً وأَيَّةُ أَرْضٍ لَيْسَ فيها مَتَالِفُ(٢)

فأمّا البيت الذي ذكرْتُ من شعره أنّ فيه لِغَرِيبَ صنعةً وهو: [الطويل]

أَضَاءَتْ لهمْ أَحْسَابُهُمْ ووجُوهُهُمْ

فإنه من قصيدة له مدح بها بُجَيْرَ بن أَوْس بن حارِثة بن لأَمِ الطّائيّ، وكان أسيراً في يده، فلمّا مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجَزَّ ناصيته، فمدحه بعد هذا بعدّة قصائد، وأوّل هذه الأبيات: [الطويل]

إذا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَبِيلَةً وأَصْبَرُ يَوْماً لا تُوَارَى كَوَاكِبُهْ(٣)
فَإِنَّ بَنِي لأَمِ بْنِ عَمْرٍو أُرُومَةٌ عَلَتْ فوقَ صَعْبٍ لا تُنَالُ مَرَاقِبُهْ(٤)
أَضَاءَتْ لهمْ أَحْسَابُهُمْ ووُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الجِزْعَ ثاقِبُهْ(٥)
لهم مَجْلِسٌ لا يَحْصَرونَ عَنِ النَّدَى إذا مَطْلَبُ المعروفِ أَجْدَبَ رَاكِبُهْ(٦)

[أبو الطمحانُ يُؤسَرُ في حرب بين جديلة والغوث]

وأمّا خبر أسره والوقعة التي أُسِرَ فيها فإنَّ عليَّ بن سليمان الأَخْفَش أخبرني بها عن أحمد بن يحيى ثَعْلَب عن ابن الأعرابيّ قال: كان أبو الطَّمَحان القَيْنِيُّ مجاوراً في جَدِيلةَ من طَيِّىء، وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحربَ التي يقال لها «حرب الفَساد» وتَحَزَّبَتْ حِزبين: حزبَ جَدِيلةَ وحزبَ الغَوْث، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام، ثلاثة منها للغوث ويومٌ لجديلة. فأمّا اليوم الذي كان لجديلة فهو «يوم ناصِفة». وأما الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنّها «يوم قارات حُوق»(٧) و«يوم البَيْضة» و«يوم عِرْنان» وهو آخرُها وأَشَدُّها وكان لِلغَوْثِ، فانهزمت

(١) يخبُّ: يسير خَبَباً، والخَبَب: ضربٌ من العدو السريع. الهادي: العارف والمهتدي، والقائف: الذي يتتبع الآثار

(٢) المتالف: المهالك. والسّادر: المتحيّر.

(٣) لا توارى كواكبه: لا تستر.

(٤) الأرومه: الأصل. والمَرَاقب: جمع المَرْقبة: الموضع المشرف الذي يُرَاقَبُ منه.

(٥) الجِزْع: ضربٌ من الخرز المُقَطَّع بألوان مختلفة.

(٦) حَصِرَ الرجلُ عن الندى: بخل.

(٧) حُوق: اسم موضع (معجم البلدان ٢/ ٣٢٢). والبيضة: عين لبني دارم أو هو ماء لبني يربوع بن حنظلة (معجم البلدان ١/ ٥٣٢). وعِرنان: جبل بين تيماء وجبلي طيّىء (معجم البلدان ٤/ ١١١).

جَدِيلةُ هزيمةً قبيحةً، وهربَتْ فلحقت بِكَلْب وحالَفَتْهم وأقامت فيهم عشرين سنة. وأُسِرَ أبو الطَّمَحان في هذه الحرب؛ أسره رجلان من طَيِّىء واشتركا فيه، فاشتراه منهما بُجَير بن أَوْس بن حارِثة لمّا بلغه قوله: [الطويل]

أَرِقْتُ وآبَتْني الهُمُومُ الطَّوارِقُ ... ولم يَلْقَ مَا لاقَيْتُ قَبْلِيَ عَاشِقُ
إلَيكُمْ بَنِي لأمٍ تَخُبُّ هِجَانُها ... بِكُلِّ طَرِيقٍ صَادَفَتْهُ شَبارِقُ[1]
لَكُمْ نَائِلٌ غَمْرٌ وأَحْلامُ سَادَةٍ ... وأَلْسِنَةٌ يَوْمَ الخِطَابِ مَسالِقُ[2]
ولم يَدْعُ دَاعٍ مِثْلَكُمْ لِعَظِيمَةٍ ... إذا وَزَمَتْ بِالسَّاعِدَيْنِ السَّوارِقُ[3]

السّوارق: الجوامع[4]، واحدتها سارقة.

قال: فابتاعه بُجَير من الطّائيَّيْن بحكمهما، فجزّ ناصيته وأعتقه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا أبو أيّوب المَديني قال: حَدّثني مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيري قال: كان أبو الطَّمَحان القَيْنيُّ مجاوراً لبطن من طيِّىء يقال لهم بنو جَدِيلة، فنطح تَيْسٌ له غلاماً منهم فقتله، فتعلَّقوا أبا الطّمحان وأسروه حتى يؤدِّي دِيَتَهُ مائةً من الإبل. وجاءهم نَزِيلُه، وكان يدعى هشاماً، ليدفع عنه فلم يقبلوا قولَه؛ فقال له أبو الطمحان: [الطويل]

أَتَانِي هِشَامٌ يَدْفَعُ الضَّيْمَ جَاهِداً ... يَقُولُ أَلاَ مَاذَا تَرَى وتَقُولُ
فقلتُ له: قُمْ يا لَكَ الخَيْرُ أَدّهَا ... مُذَلَّلَةً إنَّ العَزِيزَ ذَلِيلُ
فإنْ يَكُ دُونَ القَيْنِ أَغْبَرُ شَامِخٌ ... فليسَ إلى القَيْنِ الغَدَاةَ سَبِيلُ[5]

[شعره يُرْوى في مجالس الخلفاء]

أخبرني عَمِّي قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني محمد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق قال: دخلتُ يوماً على المأمون فوجدته حائراً متفكِّراً غير

---

(١) الهِجان: كرام الإبل.
والشبارق: جمع الشِّبْرِق: شجر منبته نجد وتهامة، وثمرته صغيرة الحجم حمراء.
(٢) المسالق: الحادّة.
(٣) وزمت: عَضَّتْ.
(٤) الجوامع: جمع الجامعة: طوقٌ أو قيدٌ من حديد يشدّ اليدين إلى العنق.
(٥) القَيْن: قبيلة أبي الطمحان، منسوبة إلى جَدّه القين بن جسر.

نَشيط، فأخذتُ أُحَدِّثُه بِمُلَحِ الأحاديثِ وطُرَفِها، أَسْتَمِيله لأن يضحك أو يَنْشَطَ، فلم يفعل. وخطر ببالي بيتان فأنشدتُه إيّاهما، وهما: [الطويل]

ألاَ عَلِّلانِي قَبْلَ نَوْحِ النَّوَائِحِ وقَبْلَ نُشوزِ النَّفْسِ بينَ الجَوانِحِ(١)
وقَبْلَ غَدٍ، يا لَهْفَ نَفْسِي على غَدٍ إذا رَاحَ أَصْحَابِي ولَسْتُ بِرَائِحِ

فتنبّه كالمُتَفَزِّع ثم قال: مَنْ يقول هذا ويحكَ؟ قلت: أبو الطَّمَحان القَيْنِيُّ يا أمير المؤمنين. قال: صدَقَ واللَّه، أعِدْهما عليّ، فأعدتهما عليه حتى حفظهما. ثم دعا بالطعام فأكل، ودعا بالشَّراب فشرب، وأمر لي بعشرين ألفَ درهم.

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قال: حَدَّثني أحمد بن الحارث الخرّاز قال: حَدّثني المَدائنيّ قال: عاتب عبد الملك بن مَرْوان الحسنَ بن الحسن عليهما السَّلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إيّاه إلى الخروج معهم على عبد الملك، فجعل يعتذر إليه ويحلف له. فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: يا أمير المؤمنين، ألاَ تقبلُ عُذْرَ ابْنِ عَمِّكَ وتُزِيلُ عن قلبك ما قد أَشْرَبْتَه إيَّاه؟ أمَا سمعْتَ قول أبي الطَّمَحان القَيْنيّ: [الطويل]

إذا كان في صَدْرِ ابْنِ عَمِّكَ إحْنَةٌ فلا تَسْتَثِرْهَا سَوْفَ يَبْدو دَفِينُها(٢)
وإنّ حَمْأَةَ المَعْرُوفِ أَعْطَاكَ صَفْوَها فَخُذْ عَفْوَه لا يَلْتَبِسْ بِكَ طِينُها(٣)

قال المدائنيّ: ونزل أبو الطَّمحان على الزُّبَير بن عبد المطَّلب بن هاشم، وكانت العرب تنزل عليه، فطال مُقامه لَدَيه، واستأذنه في الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقاً إليهم، فلم يأذنْ له. وسأله المُقام، فأقام عنده مدّة، ثم أتاه فقال له:

[الطويل]

ألاَ حَنَّتِ المِرْقَالُ واتْـتَبَّ رَبُّها تَذَكَّرُ أَوْطَاناً وأَذْكُرُ مَعْشَرِي(٤)
ولو عَرَفَتْ صَرْفَ البُيُوعِ لَسَرَّهَا بِمَكَّةَ أَنْ تَبْتاعَ حَمْضاً بِإذْخِرِ(٥)

---

(١) الجوانح: ضلوع الصدر.
(٢) الإحنة: الحقد.
(٣) الحَمْأة: الطين الأسود الفاسد الرائحة، وهنا يريد: عين الماء وفيها الصفو والكدر.
(٤) المرقال: الناقة التي تسرع في سيرها، والإرقال: ضرب من السير فوق الخَبَب. واتتبَّ: تهيّأ للذهاب وتجهّز.
(٥) الحمض: كلّ نبت مالح أو حامض. والإذخر: حشيش طيّب الرائحة.

أَسَرَّكِ لَوْ أَنَّا بِجَنْبَيْ عُنَيْزَةٍ وحَمْضٍ وضُمرَانِ الجنَابِ وصَعْتَرِ[١]
إذا شَاءَ رَاعِيها اسْتَقَى مِنْ وَقِيعَةٍ كَعَيْنِ الغُرَابِ صَفْوُها لم يُكَدَّرِ[٢]

فلمّا أنشده إيّاها أَذِنَ له فانصرف، وكان نديماً له.

صوت

[المنسرح]

لا يَغْتَرِي شَرْبَنا اللِّحَاءُ وقَدْ تُوهَبُ فِينا القِيَانُ والحِلَلُ[٣]
وفِتْيَةٍ كَالسُّيُوفِ نَادَمْتُهُمْ لا حَصَرٌ فيهِمُ ولا بَخَلُ[٤]

الشعر للأَسْوَدِ بن يَعْفُرَ، والغِناء لسُلَيم، خفيفُ ثَقِيلٍ أوّلَ بالبِنْصَر.

(١) عُنَيْزة: من أودية اليمامة قرب سُوَاج (معجم البلدان ٤/ ١٦٣). وحمض: وادي قريب من اليمامة. وضُمران: وادٍ بنجد. وصَعتر: اسم موضع.

(٢) الوقيعة: نُقرة في جبل أو سهل يستنقع فيها الماء.

(٣) الشَّرْب: القوم المجتمعون على الشراب. واللِّحاء: النزاع.

(٤) الحَصَر: البخل.

أخبار الأسود ونسبه

[نسبه وطبقته في الشعراء والتمثّل بشعره]

الأَسْوَدُ بن يَعْفُرَ ـ ويقال يُعْفُر بضم الياء ـ ابن عبد الأسود بن جَنْدَل بن نَهْشَل ابن دارِم بن مالك بن حَنْظَلة بن مالك بن زَيْدِ مَناة بن تَميم. وأمُ الأسود بن يعْفُر رُهْم بنت العَبّاب، من بني سَهْم بن عِجْل. شاعر متقدِّم فصيح، من شعراء الجاهلية، ليس بالمُكثر، وجعله محمد بن سَلاّم في الطبقة الثامنة مع خِداشِ بن زُهَير، والمخَبَّل السعديّ، والنَّمِرِ بن تَوْلبٍ العُكْلي. وهو من العُشْي ـ ويقال العُشْوُ بالواو ـ المعدودين في الشعراء، وقصيدته الدالية المشهورة: [الكامل]

نَـامَ الـخَـلِـيُّ ومَـا أُحِـسُّ رُقَـادِي ... والـهَـمُّ مُـحـتَـضِـرٌ لَـدَيَّ وِسَـادِي

معدودةٌ من مختار أشعار العرب وحِكَمها، مُفَضَّليةٌ مأثورةٌ.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ وأبو الحسن أحمدُ بن محمد الأسَدِيُّ قالا: حَدَّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: تَقدَّم رجلٌ من أهل البصرة من بني دارِم إلى سَوَّار بن عبد الله لِيُقيمَ عنده شهادةً، فصادفه يتمثَّل قولَ الأسود بن يَعْفُر:

[الكامل]

ولقد عَلِمْتُ، لَوَ انَّ عِلْمِيَ نَافِعِي، ... أَنَّ الـسَّـبِـيـلَ سَـبِـيـلُ ذِي الأَعْـوَادِ[1]

إنَّ الـمَـنِـيَّـةَ والـحُـتُـوفَ كِـلاَهُـمَـا ... يُـوفِـي الـمَـخَـارِمَ يَـرْمِـيَـانِ سَـوَادِي[2]

مَـــاذَا أُؤَمِّـــلُ بَـــعْـــدَ آلِ مُـــحَـــرِّقٍ ... تَـرَكُـوا مَـنـازِلَـهُـمْ، وبَـعْـدَ إِيَـادِ[3]؟

---

(١) ذو الأعواد: من أجداد أكثم بن صيفي حكيم تميم، وسُمِّيَ بذلك لسرير كانوا يحملونه عليه عندما أسنّ.

(٢) المخارم: جمع المَخْرِم: الطريق في الجبل أو الرمل. والسَّوَاد: الشخص.

(٣) مُحَرِّق: هو الحارث بن عمرو بن عديّ.

أَهْلِ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبَارِقٍ والقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ[١]
نَزَلُوا بِأَنْقِرَةٍ يَفِيضُ عَلَيْهِمُ مَاءُ الفُرَاتِ يَفِيضُ مِنْ أَطْوَادِ[٢]
جَرَتِ الرِّيَاحُ على مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا على مِيعَادِ

ثم أقبل على الدّارِميّ فقال له: أتروي هذا الشعر؟ قال: لا. قال: أفتعرِفُ مَنْ يقولُه؟ قال: لا. قال: رجلٌ من قَوْمِك له هذه النّباهةُ وقد قال مثلَ هذه الحكمةِ لا تَرويها ولا تَعرِفُه! يا مُزاحم، أثْبِتْ شهادتَه عندك، فإني متوقِّفٌ عن قبوله حتى أسألَ عنه، فإني أظنّه ضعيفاً.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ عن الرِّيَاشيّ عن أبي عُبيدة بمثله.

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثني الحَكَم بن موسى السَّلُوليّ قال: حَدَّثني أبي قال: بينا نحن بِالرَّافِقة[٣] على باب الرَّشيد وقوفٌ، وما أَفقِدُ أحداً من وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق، إذ خرج وَصِيفٌ كأنه دُرَّةٌ فقال: يا مَعشَرَ الصّحابة، إنّ أميرَ المؤمنين يقرأ عليكم السلامَ ويقول لكم: مَنْ كان منكم يَروي قصيدة الأسْوَد بن يَعْفُرَ: [الكامل]

نَامَ الخَلِيُّ ومَا أُحِسُّ رُقَادِي والهَمُّ مُحْتَضِرٌ لَدَيَّ وِسَادِي

فليدخلْ فليُنْشِدْها أمير المؤمنين وله عشرةُ آلاف درهم. فنظر بعضُنا إلى بعضٍ، ولم يكنْ فينا أحدٌ يَرْويها. قال: فكأنما سقطَتْ واللّه البَدْرةُ[٤] عن قَرَبُوسي[٥]. قال الحكم: فأمرني أبي فَرَوَيْتُ شِعرَ الأسودِ بن يَعْفُرَ من أجل هذا الحديث.

أخبرني محمدُ بن القاسم الأنبارِيُّ قال: حَدَّثني أبي قال: حَدَّثني عبدُ الله بن

---

(١) في المعارف ص (٦٤٧): «أرضِ الخورنقِ والسدير». والخورنق: قصر من قصور الحيرة (معجم البلدان ٢/ ٤٠١). والسَّدير: قصر كان ما بين نهر الحير إلى النجف (معجم البلدان ٣/ ٢٠١). وبارق: ماء بالعراق وهو من أعمال الكوفة (معجم البلدان ١/ ٣١٩). وسِنداد: هو أسفل سواد الكوفة وراء نجران (معجم البلدان ٣/ ٢٢٦).
(٢) أَنْقِرة موضع بنواحي الحيرة (معجم البلدان ١/ ٢٧٢). والأطواد: جمع الطَّوْد: الجبل العظيم المرتفع.
(٣) الرافقة: بلد متّصل البناء بالرقة. (معجم البلدان ٣/ ١٥).
(٤) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار.
(٥) القربوس: حنْو السَّرْج.

عبد الرحمٰن المَدائنيُّ قال: حَدَّثنا أبو أميّةَ بن عمرو بن هشام الحرّانيُّ قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ يزيد بن سِنان قال: حَدَّثني جَدِّي سِنانُ بن يزيد قال: كنتُ مع مولاي جَرِيرِ بن سَهْمٍ التّميميّ وهو يسير أمامَ عليِّ بن أبي طالب عليه السلام ويقول: [الرجز]

يـا فَـرَسِـي سِـيـرِي وأُمِّـي الـشَّـامَـا وخَـلِّـفِـي الأَخْـوَالَ والأَعْـمَـامَـا
وقَـطِّـعِـي الأَجْـوَازَ والأَعْـلاَمَـا وقَـاتِـلِـي مَـنْ خَـالَـفَ الإمَـامَـا[1]
إنِّـي لأَرْجُـو إنْ لَـقِـيـنَـا الـعَـامَـا جَـمْـعَ بَـنِـي أُمَـيَّـةَ الـطَّـغَـامَـا[2]
أَنْ نَـقْـتُـلَ الـعَـاصِـيَ والـهُـمَـامَـا وأَنْ نُـزِيـلَ مِـنْ رِجَـالٍ هَـامَـا[3]

فلمَّا انتهى إلى مَدائن كِسرَى وقف عليٌّ عليه السلام ووقفنا، فتمثَّل مولاي قولَ الأسودِ بن يَعْفُرَ: [الكامل]

جَـرَتِ الـرِّيَـاحُ عـلـى مَـكَـانِ دِيَـارِهِـمْ فَـكَـأَنَّـمـا كَـانُـوا عـلـى مِـيـعَـادِ

فقال له عليٌّ عليه السلام: فلِمَ لَمْ تقلْ كما قالَ اللّه جلَّ وعزَّ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وعُيُون. وزُرُوع ومَقَام كَرِيم، ونَعْمةٍ كانوا فيها فاكِهين. كذلِك وأَورَثْناها قَوْماً آخَرِين﴾[4]. ثم قال: يابنَ أخي، إن هؤلاء كفروا النعمة، فحلّتْ بهم النِّقْمَةُ، فإيّاكم وكُفْرَ النِّعمةِ فتحلَّ بكم النقمةُ.

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال: حَدَّثنا محمد بن موسى قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: مَرَّ عمر بن عبد العزيز ومعه مُزاحِمٌ، مولاه يوماً بقَصْرٍ من قصور آل جَفْنة، وقد خَرِبَ، فتمثَّل مُزاحمٌ بقول الأسودِ بن يَعْفُرَ: [الكامل]

جَـرَتِ الـرِّيَـاحُ عـلـى مَـحـلِّ دِيـارِهِـمْ فَـكَـأَنَّـمـا كَـانُـوا عـلـى مِـيـعَـادِ
ولـقـد غَـنُـوا فـيـهـا بِـأَنْـعَـم عِـيشَـةٍ فـي ظِـلِّ مُـلْـكٍ ثَـابِـتِ الأَوْتَـادِ[5]
فـإذا الـنَّـعِـيـمُ وكُـلُّ مـا يُـلْـهَـى بـه يَـوْمـاً يَـصِـيـرُ إلـى بِـلـىً ونَـفَـادِ[6]

---

(١) الأجواز: جمع جوز: الجهات. والأعلام: الجبال.
(٢) الطَّغام: الأوغاد.
(٣) الهُمَام: السيّد الشجاع. والهام: أعلى الرأس.
(٤) سورة الدخان: الآيات ٢٥ ـ ٢٨.
(٥) غنوا: أقاموا.
(٦) البِلى: الخراب. والنفاد: الفناء.

فقال له عمر: هَلاّ قرأتَ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وعُيُونٍ﴾، إلى قوله جلّ وعزّ: ﴿كذَلِكَ وأَوْرَثْناها قَوماً آخَرين﴾.

[بعض أخباره ومناسبات شعره]

نسختُ من كتاب محمد بن حَبيب عن ابن الأعرابيِّ عن المُفَضَّلِ قال: كان الأسود بن يَعْفُرَ مُجاوِراً في بني قَيْس بن ثَعْلَبةَ ثم في بَنِي مُرَّة بن عُبَادٍ بالقاعة[١]، فقامَرَهم فقَمَروه، حتى حَصَلَ عليه تسعةَ عشرَ بَكْراً، فقالت لهم أمّه وهي رُهْم بنت العَبَاب: يا قوم، أتَسْلُبون ابنَ أخيكم مالَه؟ قالوا: فماذا نصنعُ؟ قالت: احبسوا قِدَاحه[٢]. فلمَّا راحَ القومُ قالوا له: أَمْسِكْ. فدخل لِيُقامِرَهم فردّوا قِداحَه. فقال: لا أقيمُ بين قوم لا أضرب فيهم بِقدح؛ فاحتَمَل قبل دخول الأشهُر الحُرُم، فأخذت إبلَه طائفةٌ من بَكْر بن وائل؛ فاستسعى الأسودُ بني مُرّة بن عُباد وذكّرهم الجِوَار وقال لهم: [الطويل]

يَـالَ عُـبَـادٍ دَعْـوَةً بَـعْـدَ هَـجْـمَـةٍ ... فَـهَـلْ فِـيـكُـمُ مِـنْ قُـوَّةٍ وزَمَـاعِ[٣]

فـتَـسْـعَـوْا لِـجَـارٍ حَـلَّ وَسْـطَ بُـيوتِـكُـمْ ... غَـرِيـبٍ وجَـارَاتٍ تُـرِكْـنَ جِـيَـاعِ

وهي قصيدةٌ طويلةٌ، فلم يصنعوا شيئاً، فادَّعى جِوارَ بني مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبانَ، فقال: [الرجز]

قُـلْ لِـبَـنِـي مُـحَـلِّـم يَـسِـيـرُوا ... بِـذِمَّـةٍ يَـسْـعَـى بـهـا خَـفِـيـرُ[٤]

لا قَـدْحَ بـعـدَ الـيَـوْمِ حَـتَّـى تُـورُوا[٥]

ويُروى «إن لم تُورُوا». فسعَوْا معه حتى استنقذوا إبلَه، فمدحهم بقصيدته التي أوّلها: [الطويل]

أَجَـارَتَـنـا غُـضِّـي مِـنَ السَّـيْـرِ أَو قِـفِـي ... وإنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ بِالبَيْنِ فاصْرِفِي[٦]

---

(١) القاعة: من بلاد سعد بن زيد مناة بن تميم (معجم البلدان ٤/٢٩٨).
(٢) القِداح: جمع القِدْح: سهام الميسر التي كانوا يتقامرون بها.
(٣) الزَّماع: المضاء في الأمر.
(٤) الخفير: المجير المانع.
(٥) قَدَح العود: حاول إخراج النار منه. وحتى تُوروا: حتى تستخرجوا النار.
(٦) البَيْن: البعاد، واصرفي: اعدلي.

أُسَائِلُكِ أو أُخْبِرْكِ عَنْ ذِي لُبَانَةٍ سَقِيمِ الفُؤادِ بِالحِسَانِ مُكَلَّفِ(١)

يقول فيها:

تَدَارَكَنِي أَسْبَابُ آلِ مُحَلِّمٍ وقد كِدْتُ أَهْوِي بينَ نِيقَيْنِ نَفْنَفِ(٢)
هُمُ القَوْمُ يُمْسِي جَارُهُمْ في غَضَارَةٍ سَوِيّاً سَلِيمَ اللَّحْمِ لم يُتَحَوَّفِ(٣)

فلمّا بلغتهم أبياتُه ساقُوا إليه مثلَ إبِله التي استنقذوها من أموالهم.

قال المفضَّلُ: كان رجلٌ من بني سعدِ بن عَوْفِ بنِ مالِك بن حَنْظَلَة، يقال له طَلْحةُ، جاراً لبني رَبيعةَ بن عِجْل بن لُجَيْم، فأكلوا(٤) إبله، فسأَلَ في قومِه حتّى أتى الأسودَ بنَ يَعْفُرَ يسألُه أن يُعطِيَه ويَسْعَى له في إبله. فقال له الأسودُ: لستُ جامِعَها لكَ، ولكن اخْتَرْ أيَّهما شِئتَ. قال: اختارُ أنْ تسعَى لي بإبلي. فقال الأسودُ لأخواله من بني عِجْل: [الطويل]

يا جَارَ طَلْحَةَ هَلْ تَرُدُّ لَبُونَهُ فتَكُونَ أَدْنَى لِلْوَفَاءِ وأَكْرَمَا
تَاللَّهِ لو جَاوَزْتُمُوهُ بِأَرْضِهِ حَتَّى يُفَارِقَكُمْ إذاً ما أَجْرَمَا

وهي قصيدةٌ طويلةٌ. فبعثَ أخوالُه من بني عِجْل بإبلِ طلحةَ إلى الأسودِ بنِ يَعْفُرَ فقالوا: أمّا إذْ كنتَ شَفِيعَه فخُذْها، وتولَّ رَدَّهَا لِتُحرِزَ المَكْرُمةَ عنده دون غيرك.

وقال ابنُ الأعرابِيّ: قَتلَ رجلان من بني سَعْد بنِ عِجْلٍ يُقال لهما وَائِلٌ وسَلِيطٌ ابنا عبدِ اللّه، عَمّاً لخالدِ بنِ مالك بن ربعيٍّ النَّهْشَلِيِّ يقال له عامرُ بن رِبعِيّ، وكان خالدُ بن مالكٍ عند النُّعمان حينئذٍ ومعه الأسودُ بنُ يَعْفُرَ، فالتفت النعمانُ يوماً إلى خالدِ بن مالكٍ فقال له: أيَّ فارسَيْنِ في العرب تَعرِفُ هما أثْقَلُ على الأقْرانِ وأَخَفُّ على مُتُونِ الخَيْلِ؟ فقال له: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! أنتَ أعلم. فقال: خَالاَ ابنِ عمِّك الأَسْوَدِ بن يَعْفُرَ وقَاتِلاَ عمِّك عامرِ بنِ رِبْعيّ (يعني العِجْلِيَّين وائلاً وسَليطاً). فتغيَّر لونُ خالدِ بن مالكٍ، وإنّما أراد النُّعمانُ أن يَحُثَّهُ على الطَّلَبِ بثأرِ عَمِّه. فوثبَ الأسْودُ فقال: أَبَيْتَ اللعنَ! عَضَّ بِهَنِ(٥) أُمّه مَنْ رأى حقَّ أخواله فوقَ حقِّ أعمامِه.

(١) اللُّبَانة: الحاجة. ومكلَّف: مولَع.
(٢) النِّيق: حرف من حروف الجبل. والنَّفْنَف: المهواة بين جبلين.
(٣) الغضارة: السَّعَة في العيش. ولم يتحوّف: لم يتنقّص.
(٤) أكلوا إبله: أخذوها.
(٥) الهَنُ: الفرج.

ثم التفت إلى خالد بن مالكٍ فقال: يابنَ عمٍّ، الخمرُ عليَّ حرامٌ حتى أثأر لكَ بعَمِّكَ. قال: وعَلَيَّ مثل ذلك. ونهضا يطلُبان القومَ، فجمعَا جَمْعاً من بني نَهْشَلِ ابنِ دارِمٍ فأغارا بهم على كاظِمَةَ[1]، وأرْسلا رجلاً من بني زيد بنِ نَهْشَلِ بنِ دارِمٍ يقال له عُبَيْد يَتَجَسَّسُ لهم الخبَر، فرجع إليهم فقال: جَوْفُ كاظمَةَ ملآن من حُجّاجٍ وتِجارٍ، وفيهم وائلٌ وسليطٌ مُتساندان في جيش. فركِبَتْ بنو نَهْشَلٍ حتى أتَوْهم، فنادَوا: مَنْ كان حَاجّاً فليَمْضِ لِحَجِّهِ، ومَنْ كان تاجراً فليمض لتجارته. فلمّا خَلَصَ لهم وائلٌ وسَليطٌ في جيشهما اقتتلوا، فقُتِلَ وائل وسليطٌ، قتَلهما هِزّانُ بن زُهير بنِ جَنْدَل بن نَهْشَل، عادَى بينهما[2]. وادَّعى الأسودُ بنُ يَعْفُرَ أنه قَتَل وائلاً. ثم عاد إلى النّعمان فلمَّا رآه تبسّمَ وقال: وفى نَذْرُكَ يا أسود؟ قال: نَعَمْ أبَيْتَ اللّعنَ! ثم أقام عنده مدّةً يُنادمه ويؤاكله، ثم مَرِضَ مرضاً شديداً، فَبعث النعمانُ إليه رسولاً يسأله عن خَبَره وهَوْل ما به؛ فقال: [البسيط]

نَفْعٌ قَلِيلٌ إذا نَادَى الصَّدَى أُصُلاً ... وحَانَ مِنْهُ لِبَرْدِ المَاءِ تَغْرِيدُ[3]
ووَدَّعُونِي فَقَالُوا سَاعَةَ انطَلَقُوا ... أوْدَى فَأَوْدَى النَّدَى والحَزْمُ والجُودُ
فَمَا أُبَالِي إذا مَا مُتُّ مَا صَنَعُوا ... كُلُّ امْرِىءٍ بِسَبِيلِ المَوْتِ مَرْصُودُ

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمْرو الشَّيبانيّ يأثِرُه عن أبيه، قال: كان أبو جُعلٍ أخو عمرو بنِ حنظلةَ من البَراجِم قد جمع جَمْعاً من شُذّاذِ أسَدٍ وتَميمٍ وغيرهم، فغزوا بني الحارث بنِ تَيْم اللّه بن ثَعْلَبة، فنذِروا[4] بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى فَضُّوا جمعهم، فلحِقَ رجلٌ من بني الحارثِ بن تَيْم اللّه بن ثعلبةَ جماعةً من بني نهشلٍ فيهم جَرّاحُ بن الأسودِ بن يَعْفُر، والحُرُّ بن شَمِر بن هِزّانَ بن زُهير بن جَنْدلٍ، ورافعُ بن صُهَيْب بن حارثة بن جَنْدَل، وعمرٌو والحارث ابنا حُرَير بن سَلْمَى ابن جندل، فقال لهم الحارثي: هَلُمَّ إليَّ طُلَقاءَ[5]؛ فقد أعجبني قِتالُكم سائرَ اليوم، وأنا خيرٌ لكم من العَطَشِ. قالوا: نَعَمْ. فنزل لِيجُزَّ نواصيَهم. فنظر الجرّاحُ بن الأسودِ إلى فَرَسٍ من خيلهم فإذا هي أجودُ فرسٍ في الأرض، فوثَبَ فركِبها

---

(١) كاظمة: منطقة على شاطىء البحر في دولة الكويت.
(٢) عادي بينهما: طعنهما طعنتين متواليتين.
(٣) الصَّدَى: هو الطائر الذي يخرج من رأس القتيل إذا بَلِيَ. والأُصُل: جمع الأصيل: العشيّ.
(٤) نذروا بهم: علموا وحذروا.
(٥) طُلَقاء: جمع الطليق: هو الأسير الذي أُطْلِقَ.

وَرَكَضها ونجا عليها. فقال الحارثيُّ للذين بَقُوا معه: أتعرِفونَ هذا؟ قالوا: نعم نحن لكَ عَلَيه خُفَرَاءُ. فلمَّا أتى جرَاحٌ أباه أمرَه فهربَ بها في بني سعْد فابْتَطنَها ثلاثةَ أبْطُنٍ[1]، وكان يُقال لها: العَضْماء. فلما رجع النَّفَرُ النَّهْشَليُّون إلى قومهم قالوا إنّاَ خُفَرَاءُ فارِسِ العصماءِ، فواللَّه لنأخذنَّها، فأوْعَدُوه. وقال حُرَيْرٌ ورافع: نحنُ الخفيرَان بها. وكان بنو جَرْوَلٍ حُلَفاءَ بني سَلْمَى بن جَنْدَل عَلَى بني حارثَةَ بن جندل، فأعانه على ذلك التَّيحان بن بَلْج بن جَرْوَل بن نهشل، فقال الأسود بن يَعْفُرَ يَهْجُوه: [الطويل]

أَتَـانِـي ولَـمْ أَخْـشَ الَّـذي ابْـتُـعِـثـا بِـهِ ... خَـفِـيـرَا بَـنِـي سَـلْـمَـى حُـرَيْـرٌ ورَافِـعُ
هُـمُ خَـيَّـبُـونِـي يَـوْمَ كُـلِّ غَـنِـيـمَـةٍ ... وأَهْـلَـكْـتُـهُـمْ لَـوْ أَنَّ ذلـكَ نَـافِـعُ
فـلا أَنَـا مُـعْـطِـيـهِـمْ عَـلَـيَّ ظُـلاَمَـةً ... ولا الـحَـقَّ مَـعْـرُوفـاً لـهـمْ أَنَـا مـانِـعُ
وإنِّـي لأَقْـرِي الـضَّـيْـفَ وَصَّـى بـه أَبِـي ... وجَـارُ أَبِـي الـتَّـيْـحـانِ ظَـمْـآنُ جَـائِـعُ
فَـقُـولاَ لِـتَـيْـحـانَ ابْـنِ عَـاقِـرة اسْـتِـهـا ... أَمُـجْـرٍ فَـلاقِـي الـغَـيِّ أَمْ أَنْـتَ نَـازِعُ؟[2]
ولَـوْ أَنَّ تَـيْـحَـانَ بْـنَ بَـلْـجٍ أَطَـاعَـنِـي ... لأَرْشَـدْتُـهُ ولِـلأمـورِ مَـطَـالِـعُ
وإنْ يَـكُ مَـدْلُـولاً عَـلَـيَّ فَـإِنَّـنِـي ... أَخُـو الـحَـرْبِ لا قَـحْـمٌ ولا مُـتَـجَـاذِعُ[3]
ولـكِـنَّ تَـيْـحَـانَ ابـنَ عَـاقِـرةِ اسْـتِـهـا ... لـه ذَنَـبٌ مِـنْ أَمْـرِه وتَـوَابِـعُ[4]

قال: فلمّا رأى الأسودُ أنهم لا يُقْلِعون عن الفرس أو يردّوها، أحلَفهم عليها فحلَفوا أنهم خُفَرَاءُ لها، فردَّ الفرسَ عليهم وأمسك أمْهارَها، فردّوا الفرسَ إلى صاحبها. ثم أظهرَ الأمْهارَ بعد ذلك، فأوْعَدُوه فيها أن يأخُذوها. فقال الأسود:

[الطويل]

أَحَـقّـاً بَـنِـي أَبْـنَـاءِ سَـلْـمَـى بـنِ جَـنْـدَلٍ ... وَعِـيـدُكُـمْ إِيَّـايَ وَسْـطَ الـمَـجَـالِـسِ
فَـهَـلاَّ جَـعَـلْـتُـمْ نَـحْـوَهُ مِـنْ وَعِـيـدِكُـمْ ... على رَهْطِ قَعْقاع ورَهْطِ ابنِ حَابِسِ؟
هُـمُ مَـنَـعُـوا مِـنْـكُـمْ تُـرَاثَ أَبِـيـكُـمُ ... فَـصَـارَ الـتُّـرَاثُ لِـلْـكِـرَامِ الأَكَـايِـسِ[5]

---

(١) ابتطنها ثلاث أبطن: نتجها ثلاث مرّات.
(٢) مجرٍ: قاصد إلى الشرّ. والنازع: الذي يكفّ عن الشيء وينتهي عنه.
(٣) القَحْم: الكبير السّنّ الضعيف. والمتجاذع: الذي يبدو أنّه صغير السّنّ.
(٤) ذَنَبُ الأمر: عواقبه.
(٥) التراث: الميراث.

هُمُ أَوْرَدوكُمْ ضَفَّةَ البَحْرِ طَامِياً ... وهُمْ تَرَكُوكُمْ بَيْنَ خَازٍ ونَاكِسِ[١]

[شعره في رثاء مسروق النهشلي]

وقال أبو عمروٍ: كان مَسْروقُ بنُ المُنْذر بن سَلْمَى بن جَنْدلِ بن نَهْشَل سَيِّداً جواداً، وكان مُؤْثِراً للأسود بن يَعْفُر، كثيرَ الرِّفْدِ[٢] له والبِرِّ به. فمات مسروق واقتسمَ أهلُه مالَه، وبَانَ فقدُه على الأَسْوَدِ بن يَعْفُرَ فقال يَرثيه: [البسيط]

أَقُولُ لَمَّا أَتَانِي هُلْكُ سَيِّدِنَا ... لا يُبْعِدِ اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ مَسْرُوقَا

مَنْ لا يُشَيِّعُهُ عَجْزٌ ولا بَخَلٌ ... ولا يَبِيتُ لَدَيْهِ اللَّحْمُ مَوْشُوقَا[٣]

مِرْدَى حُروبٍ إذا ما الخَيْلُ ضَرَّجَها ... نَضْخُ الدِّمَاءِ وقد كَانَتْ أَفارِيقا[٤]

والطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ تَحْسَبُها ... شَنّاً هَزِيماً يَمُجُّ المَاءَ مَخْرُوقَا[٥]

وجَفْنَةٍ كَنَضِيحِ البِئْرِ مُتْأَقَةٍ ... تَرَى جَوَانِبَهَا بِاللَّحْمِ مَفْتُوقَا[٦]

يَسُرُّتَهَا لِيَتَامَى أو لأَرْمَلَةٍ ... وكُنْتَ بِالبَائِسِ المَتْرُوكِ مَحْقُوقَا[٧]

يا لَهْفَ أُمِّيَ إذْ أَوْدَى وفَارَقَنِي ... أَوْدَى ابْنُ سَلْمَى نَقِيُّ العِرْضِ مَرْمُوقا

[رَدُّه على ابنته لمّا عاتبته]

وقال أبو عمرو: عاتَبتْ سَلْمى بنتُ الأسودِ بن يَعْفُرَ أباها على إضاعتِه مالَه فيما يَنوبُ قومَه من حَمالَةٍ[٨] وما يمنَحُه فُقَراءَهم ويُعين به مُسْتمنِحَهم، فقال لها:

[الوافر]

وقَالَتْ لا أَرَاكَ تُلِيقُ شَيْئاً ... أَتُهْلِكُ مَا جَمَعْتَ وتَسْتَفِيدُ[٩]؟

---

(١) الخازي: الذليل. والناكِس: المطأطىء الرأس.

(٢) الرِّفد: العطاء.

(٣) الموشوق: المقدَّد. والمراد أنه لكرمِه وجوده لا يبقى لديه لحم فيقَدِّده.

(٤) مِردى حروبٍ: الشجاع الصبور على الحرب. والأفاريق: جمع أفراق، وأفراق جمع فِرقة: الطائفة والجماعة.

(٥) الطعنة النجلاء: الواسعة. والشَّنّ: القربة الصغيرة. والهزيم: اليابس المتكسّر.

(٦) الجفنة: الوعاء. ونضيح البئر: حوضها. والمُتْأَقَة: الممتلئة. والمفتوق: المشقوق.

(٧) المحقوق: الخليق.

(٨) الحَمالة: ما يحمله عنهم من المغارم.

(٩) تُلِيقُ: تُمسِكُ.

فَقُلْتُ بِحَسْبِهَا يَسَرٌ وعَارٍ ... ومُرْتَحِلٌ إذا رَحَلَ الوُفُودُ[١]
فَلُومِي إنْ بَدَا لَكِ أو أَفِيقِي ... فَقَبْلَكِ فَاتَنِي وهو الحَمِيدُ
أَبُو العَوْرَاءِ لَمْ أَكْمَدْ عَلَيْهِ ... وقَيْسٌ فَاتَنِي وأَخِي يَزِيدُ[٢]
مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وبَقِيتُ وَحْدِي ... وقَدْ يُغْنِي رَبَاعَتَهُ الوَحِيدُ[٣]
فَلَوْلا الشَّامِتُونَ أَخَذْتُ حَقِّي ... وإنْ كَانَتْ بِمَطْلَبِهِ كَؤُودُ[٤]

ويُرْوَى:

وإنْ كانت له عِنْدِي كَؤُودُ

[شعره في ابنه جَرَّاح]

قال أبو عمرو: وكان الجرّاح بن الأسْوَد في صِباه ضئيلاً ضعيفاً، فنظر إليه الأسود وهو يُصارع صبيّاً من الحيّ ـ وقد صَرَعه الصبيُّ ـ والصبيان يَهْزَأُون منه، فقال: [الطويل]

سَيَجْرَحُ جَرَّاحٌ وأَعْقِلُ ضَيْمَهُ ... إذا كَانَ مَخْشِيّاً مِنَ الضَّلَعِ المُنْدِي[٥]
فَآبَاءُ جَرَّاحٍ ذُؤَابَةُ دَارِمٍ ... وأَخْوَالُ جَرَّاحٍ سَرَاةُ بَنِي نَهْدِ[٦]

قال: وكانت أُمّ الجرّاح أَخِيذَةً، أخذها الأسودُ من بني نَهْد في غارةٍ أغارها عليهم.

وقال أبو عمرو: لمّا أسنَّ الأسودُ بنُ يَعْفُر كُفَّ بَصَرُه، فكان يُقادُ إذا أراد مذهباً، وقال في ذلك: [البسيط]

قد كُنْتُ أَهْدِي ولا أُهْدَى فَعَلَّمَنِي ... حُسْنُ المَقَادَةِ أَنِّي أَفْقِدُ البَصَرَا
أَمْشِي وأَتْبَعُ جُنَّاباً لِيَهْدِيَنِي ... إنَّ الجَنِيبَةَ مِمَّا تَجْشَمُ الغَدَرَا

---

(١) اليَسَر: القوم المجتمعون على الميسر. والعاري: الذي يعرو القوم يلتمس معروفهم. والمرتحل: الذي يرتحل البعيرَ.
(٢) لم أكمد: من الكمد، شدّة الحزن.
(٣) الرِّباعة: القبيلة، وهي الشأن والأمر.
(٤) الكؤود: صفة لموصوف محذوف وأصله: عقبةٌ كؤود: أي صعبة المرتقى.
(٥) سَيَجْرَح: سيقوى. عنه: وأَعْقِلُ؛ أحمل عنه. والضَّلَع: الاعوجاج خلقةً. والمندي: المخزي.
(٦) ذؤابة القوم: المقدَّم فيهم. والسَّراة: السّادة.

الجُنّاب: الرجل الذي يقوده كما تُقادُ الجَنِيبة[١]. الحَشْمُ: المَشْي ببطء. والغَدَرُ: مكانٌ ليس مستوياً.

وذكر محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، عن المفضَّل، أن الأسود كان له أخٌ، يقال له حُطَائط بن يَعْفُرَ، شاعر، وأن ابنه الجرّاح كان شاعراً أيضاً. قال: وأخوه حُطائط الذي قال لأمِّهما رُهْم بنت العَبّاب، وعاتبته على جوده فقال [الطويل]

تَقُولُ ابْنَةُ العَبَّابِ رُهْمٌ حَرَبْتَنِي ... حُطَائِطُ لم تَتْرُكْ لِنَفْسِكَ مَقْعَدا[٢]
إذا ما جَمَعْنا صِرْمَةً بَعْدَ هَجْمَةٍ ... تكونُ عَلَيْنَا كَابْنِ أُمِّكَ أَسْوَدا[٣]
فقُلْتُ ولم أَعْيَ الجَوَابَ: تَأَمَّلي ... أَكَانَ هُزَالاً حَتْفُ زَيْدٍ وأَرْبَدَا[٤]؟
أَرِيني جَوَاداً مَاتَ هُزْلاً لَعَلَّنِي ... أَرَى مَا تَرَيْنَ أو بَخِيلاً مُخَلَّدا[٥]
ذَرِينِي أَكُنْ لِلمَالِ رَبّاً ولا يَكُنْ ... لِيَ المَالُ رَبّاً تَحْمَدِي غِبَّهُ غَدَا[٦]
ذَرِينِي فَلا أَعْيَا بِمَا حَلَّ سَاحَتِي ... أَسُودُ فَأُكْفَى أو أُطِيعُ المُسَوَّدا
ذَرِيني يَكُنْ مَالِي لِعِرْضِي وِقَايَةً ... يَقِي المَالُ عِرْضِي قَبلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
أَجَارةَ أَهْلِي بِالقَصِيمَةِ لا يَكُنْ ... عَلَيَّ - ولم أَظْلِمْ - لِسَانُكِ مِبْرَدا[٧]

صوت

[الوافر]

أَعَاذِلَتِي أَلاَ تَعْذُلِينَا ... أَقِلِّي اللَّوْمَ إنْ لَمْ تَنْفَعِينَا
فقدْ أَكْثَرْتِ لو أَغْنَيْتِ شَيْئاً ... ولَسْتُ بِقَابِلٍ مَا تَأْمُرِينَا

الشّعرُ لأرْطاةَ بن سُهَيَّة، والغناءُ لمحمد بن الأشْعَث، خفيفُ رَملٍ بالبِنْصَر، من نسخة عمرو بن بانَةَ.

---

(١) الجنيبة: الدّابّة التي تُقاد.

(٢) حَربْتنا: سلبْتنا مالنا. والمقعد: المكان الذي يمكن الإقامة فيه والقعود به.

(٣) الصِّرْمة: من العشرة إلى الأربعين من الإبل، والهجمة: من الأربعين إلى ما زادت.

(٤) لم أَعْيَ الجوابَ: لم أعجز عنه. وتأمّلي: تبصّري.

(٥) الهُزْل: الضعف والهزال.

(٦) غِبُّهُ: عاقبته.

(٧) القصيمة: الرملة التي تنبت الغضا (معجم البلدان ٤/ ٣٦٧).

أخبار أَرطاة ونسبُه

[توفي بعد ٦٥ هـ]

[نسبه وحقيقة انتمائه إلى ضرار بن الأزور]

هو أَرْطاةُ بنُ زُفَرَ بن عبد الله بن مالك بن شدّاد بن عُقْفان بن أبي حارثة بن مُرّة بن نُشْبة بن غَيْظ بن مُرَّةَ بن عَوْف بن سعد بن ذُبيانَ. وقد تقدَّمَ هذا النسبُ في عدّة مواضِعَ من هذا الكتاب. وسُهَيّةُ أمُّه؛ وهي بنتُ زامِل بن مَرْوانَ بن زُهَير بن ثَعْلبة بن حُدَيْج بن أبي جُشَم بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف، سَبِيَّة من كلب، وكانت لِضرارِ بن الأَزْوَر ثم صارت إلى زُفَرَ وهي حاملٌ فجاءت بِأَرْطاة من ضِرَارٍ على فِرَاش زُفَر؛ فلمّا ترعرعَ أرطاة جاء ضِرَارٌ إلى الحارث بن عوف فقال له:

[الرجز]

يـا حَـارِثُ افـكُـكْ لِـيْ بُـنَـيَّ مِـن زُفَـرْ

ـ ويروى: «يا حارِ أَطْلِقْ لِي» ـ

فـي بَـعْـضِ مَـنْ تُـطْـلِـقُ مِـن أَسْـرَى مُـضَـرْ

إنَّ أَبَـــاهُ امْـــرُؤُ سَـــوْءٍ إن كَـــفَـــرْ[1]

فأعطاه الحارثُ إيّاه وقال: انطلِقْ بابْنِك، فأدركه نَهْشَلُ بن حَرِّيّ بن غَطَفان فانتزعه منه ورَدَّه إلى زُفَرَ. وفي تَصْداق ذلك يقول أَرطاةُ لبعضِ أَوْلادِ زُفَرَ:

[الكامل]

فـإذا خَـمِـصْـتُـمْ قُـلْـتُـمُ يَـا عَـمَّـنـا وإذا بَـطِـنْـتُـمْ قُـلْـتُـمُ ابْـنَ الأَزْوَرِ[2]

---

(١) كفرَ: جحدَ.

(٢) خمصتم: جعتم. وبطنتم: شبعتم.

قال: ولهذا غلبتْ أُمّه سُهَيَّةُ على نَسبه فنُسِبَ إليها. وضِرارُ بن الأزْوَرِ هذا قاتِلُ مالك بن نُوَيْرَة الذي يقول فيه أخوه مُتَمِّم: [الكامل]

نِعْمَ الـقَـتِـيـلُ إذَا الـرِّيَـاحُ تَـنـاوَحَـتْ   تَـحْـتَ الـبـيـوتِ، قَـتَـلْـتَ يـابْـنَ الأزْوَرِ

[منزلته بين الشعراء وشرفه في قومه وبعض أخباره]

وأرطاةُ شاعر فصيح، معدودٌ في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أمَيّة لم يَسْبِقْها ولم يتأخَّرْ عنها، وكان امرأ صِدْقٍ شريفاً في قومه جَوَاداً.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حَدَّثنا أبو غَسّان رُفَيع بن سَلَمَةَ الملقَّب بدَماذ، قال: حَدّثنا أبو عُبَيْدة قال: دخل أرطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان، فاستنشده شيئاً مما كان يناقض به شَبِيبَ بن البَرْصاء، فأنشده: [الكامل]

أبِي كـان خَـيْـراً مـن أبِـيـكَ ولـم يَـزَلْ   جَـنِـيـبـاً لآبَـائِـي وأنْـتَ جَـنِـيـبُ[1]

فقال له عبد الملك بن مروان: كَذَبْتَ، شبيبٌ خيرٌ منك أباً. ثم أنشده:

وما زلتُ خَيْراً مِنْكَ مُذْ عَضَّ كَارِهاً   بِـرَأْسِـكَ عَـادِيُّ الـنِّـجَـادِ رَسُـوبُ[2]

فقال له عبد الملك: صدقْتَ، أنت في نفسك خيرٌ من شبيب. فعجب من عبد الملك مَنْ حضرَ ومِنْ معرفته مقاديرَ النَّاس على بُعْدِهم منه في بواديهم، وكان الأمر على ما قال: كان شبيب أشرفَ أباً من أرطاة، وكان أرطاة أشرف فِعلاً ونَفْساً من شَبيب.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيُّ قال: حَدَّثنا عمرو بن بحرٍ الجاحظُ ودَماذُ أبو غَسّان، قالا جميعاً: قال أبو عبيدة: دخل أرطاة بن سُهَيَّةَ على عبد الملك بن مَرْوان، فقال له: كيف حالُك يا أرطاة؟ - وقد كان أسنّ - فقال: ضَعُفَتْ أوصالي، وضاعَ مالي، وقَلَّ منّي ما كنتُ أُحِبُّ كَثْرَتَه، وكَثُرَ مِنّي ما كنتُ أُحِبُّ قِلَّتَهُ. قال: فكيف أنتَ في شِعرك؟ فقال: واللَّه يا أمير المؤمنين، ما أَطْرَبُ ولا أَغْضَبُ ولا أرغبُ ولا أرهبُ، وما يكون الشِّعر إلا من نتائج

(١) الجنيب: الطائع المنقاد.

(٢) العاديّ: القديم، والنِّجاد: حمائل السيف. والرَّسوب: الذي يغيب في الضريبة ويرسب.

هذه الأربع، وعلى أنّي القائل: [الوافر]

رَأَيْتُ الْمَرْءَ تَأْكُلُه اللَّيَالِي كَأَكْلِ الأَرضِ سَاقِطَةَ الحَدِيدِ
ومَا تَبْغي المَنِيَّةُ حِينَ تَأْتِي علَى نَفْسِ ابْنِ آدَمَ مِنْ مَزِيدِ[١]
وأَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَكُرُّ حَتَّى تُوَفِّي نَذْرَهَا بِأَبِي الوَلِيدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال: بل تُوَفِّي نَذْرَها بك وَيْلَك! ما لي ولك؟ فقال: لا تُرَعْ يا أمير المؤمنين، فإنّما عَنَيْتُ نفسي ـ وكان أرطاة يُكْنَى أبا الوليد فَسَكَنَ عبد الملك، ثم استعبرَ باكياً وقال: أمَا واللّهِ على ذلك لتلُمَّنَّ بي[٢].

أخبرني به حبيب بن نَصْر المُهَلَّبيّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يُحِيلُ[٣] معنى.

[مدحه لمروان بن الحكم حين اجتمع له أمر الخلافة]

أخبرني عبد الملك بن مَسْلَمة القُرَشيّ الهشاميّ بِأَنطاكِية قال: أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سُهَيَّة دخل على مَرْوان بن الحَكَم لمّا اجتمع له أمرُ الخلافة، وفرغ من الحروب التي كان بها متشاغلاً، وصَمَد[٤] لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزُّبَير لمحاربته، فهنَّأَهُ وكان خاصّاً به وبأخيه يحيى بن الحكم، ثم أنشده: [المتقارب]

تَشَكَّى قَلُوصِي إِلَيَّ الوَجَى تَجُرُّ السَّرِيحَ وتُبْلِي الخِدَامَا[٥]
تَزُورُ كَرِيماً لَه عِنْدَهَا يَدٌ لا تُعَدُّ وتُهْدِي السَّلامَا
وقَلَّ ثَوَاباً لَه أَنَّها تُجِيدُ القَوافِيَ عَاماً فعَامَا
وسَادَتْ مَعَدّاً علَى رَغْمِها قُرَيشٌ وسُدْتَ قُرَيْشاً غُلاَمَا
جُعِلْتَ علَى الأَمْرِ فيه صَغاً فما زالَ غَمْزُك حَتَّى اسْتَقاما[٦]

(١) في الشعر والشعراء ١: ٤٢٧ (وما تُبقي).
(٢) تلمّ: تنزل.
(٣) لا يُحيل: لا يُغَيِّر.
(٤) صمد: قصدَ.
(٥) القَلوص: الناقة الشابة، والوَجي: الحفا، والسَّريح: الذي تُشَدُّ به الخَزَمَة فوق الرسغ. والخِدام: جمع خَدَمة: هي السَّير الذي يُشَدُّ من رسغ البعير إلى سرائح النعل.
(٦) الصَّغا: المَيْل. الغمز: العرج.

لَقِيتَ الزُّحُوفَ فَقَاتَلْتَها ... فجَرَّدْتَ فِيهِنَّ عَضْباً حُسَامَا[١]
تَشُقُّ القَوَانِسَ حَتَّى تَنَا ... لَ ما تَحْتَها ثُمَّ تَبرِي العِظَاما[٢]
نَزَعْتَ على مَهَلٍ سَابِقاً ... فما زَادَكَ النَّزْعُ إلاَّ تَمَاما[٣]
فزَادَ لَكَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ ... وزَادَ لكَ الخَيْرَ مِنْه فَدَامَا

فكساه مَرْوانُ وأمر له بثلاثين ناقةً وأوقرهنَّ[٤] له بُرّاً وزَبِيباً وشعيراً.

[أرطاة يهجو شبيب بن البرصاء في مجلس يحيى بن الحكم]

قال: وكان أرطاة يُهاجي شَبيب بن البَرْصاء، ولكلٍّ واحدٍ منهما في صاحبه هِجاءٌ كثير، وكان كلُّ واحدٍ منهما ينفي صاحبَه عن عشيرته في أشعاره، فأصلحَ بينهما يحيى بن الحَكَم، وكانت بنو مُرّةَ تألفه وتَنْتَجِعُه لِصهره فيهم. فلما افترقا سَبَعه[٥] شبيبٌ عند يحيى بن الحكم؛ فقال أرطاةُ له: [الطويل]

رَمَتْكَ فلم تُشْوِ الفُؤادَ جَنُوبُ ... ومَا كُلُّ مَنْ يَرْمِي الفُؤَادَ يُصِيبُ[٦]
ومَا زَوَّدَتْنا غَيْرَ أَنْ خَلَطَتْ لنا ... أحَادِيثَ مِنْهَا صَادِقٌ وكَذُوبُ
ألاَ مُبْلِغٌ فِتْيَانَ قَوْمِيَ أنَّنِي ... هَجَانِي ابنُ بَرْصَاءِ اليَدَيْنِ شَبِيبُ
وفي آلِ عَوْفٍ مِنْ يَهُودَ قَبِيلَةٌ ... تَشَابَهَ مِنْهَا نَاشِئُونَ وشِيبُ
أَبِي كَانَ خَيْراً مِنْ أَبِيكَ ولَمْ يَزَلْ ... جَنِيباً لآبَائِي وأنْتَ جَنِيبُ
وما زِلْتُ خَيْراً مِنْكَ مُذْ عَضَّ كَارِهاً ... بِرَأسِكَ عَادِيُّ النِّجَادِ رَسُوبُ
فَمَا ذَنْبُنا إنْ أُمُّ حَمْزَةَ جَاوَرَتْ ... بِيَثْرِبَ أَتْيَاساً لَهُنَّ نَبِيبُ[٧]
وإنَّ رِجَالاً بَيْنَ سَلْعٍ وَوَاقِمٍ ... لأَيْرِ أَبِيهِمْ في أَبِيكَ نَصِيبُ[٨]

---

(١) العَضْب: السيف القاطع. والحسام: السيف القاطع أيضاً.

(٢) القوانس: جمع القَوْنَس: أعلى خوذة الحديد.

(٣) نزعت: جريتَ.

(٤) أوقر الدابّة: حَمَّلها حِمْلاً ثقيلاً.

(٥) سبعه: شتمه وقال فيه قولاً قبيحاً.

(٦) لم تُشْوِ: لم تصبْ الشَّوَى، والشَّوَى: اليدان والرجلان أي ما كان من الأعضاء غير مقتل. وجنوب: اسم امرأة.

(٧) النَّبيب: صياح التيوس عند هياجها.

(٨) سَلْع: جبل بسوق المدينة (معجم البلدان ٣/ ٢٣٦). وواقم: أطم من آطامها تنسب إليه حرّة واقم (معجم البلدان ٥/ ٣٥٤).

فلو كُنْتَ عَوْفيّاً عَمِيتَ وأَسْهَلَتْ كُدَاكَ ولَكِنَّ المُرِيبَ مرِيبُ[١]

فأخبرني عَمِّي قال: حدّثنا الكراني قال: حَدَّثنا العُمَرِيّ عن العُتْبِيّ قال: لمّا قال هذا الشعر أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كلُّ شيخ من بني عَوْفٍ يتمنَّى أن يَعْمَى - وكان العَمَى شائعاً في بني عوف كلّما أسنَّ منهم رجل عَمِيَ - فعُمِّرَ أرطاة ولم يَعْمَ، فكان شبيبٌ يُعَيِّره بذلك. ثم مات أرطاة وعَمي شبيب، فكان يقول بعد ذلك: ليتَ أرطاةَ عاشَ حتى يراني أعْمَى فيعلَمَ أنّي عَوْفيّ.

ونسخت من كتاب ابن الأعرابيّ في شعر أرطاة قال: كان شبيب بنُ البرصاء يقول: وددتُ أنّي جمعني وابنَ الأَمَة أرطاةَ بنَ سُهَيَّةَ يومُ قتال فأشفي منه غيظي، فبلغ ذلك أرطاة فقال له: [البسيط]

إنْ تَلْقَني لا تَرَى غَيْرِي بِنَاظِرَةٍ تَنْسَ السِّلاحَ وتَعْرِفْ جَبْهَةَ الأَسَدِ[٢]
ماذا تَظُنُّكَ تُغْنِي في أخِي رَصَدٍ مِنْ أُسْدِ خَفَّانَ جَابِي العَيْنِ ذِي لَبَدِ[٣]

- جابي العين وجائب العين: شديد النظر -

أَبِي ضَرَاغِمَةٍ غُبْرٍ يُعَوِّدُها أَكْلَ الرِّجَالِ مَتَى يَبْدأْ لها يَعُدِ
يَا أيُّها المُتَمَنِّي أنْ يُلاَقِيَنِي إنْ تَنْأَ آتِكَ أو إنْ تَبْغِنِي تَجِدِ
تَقْضِ اللُّبَانَةَ مِنْ مُرٍّ شَرَائِعُهُ صَعْبِ المَقادةِ تَخْشَاهُ فلا تَعُدِ[٤]
متى تَرِدْنِيَ لا تَصْدُرْ لِمَصْدَرةٍ فِيها نَجَاةٌ وإنْ أَصْدِرْكَ لا تَرِدِ
لا تَحْسَبَنِّي كَفَقْعِ القَاعِ يَنْقُرُهُ جَانٍ بِإِصْبَعِهِ أو بَيْضَةِ البَلَدِ[٥]
أَنَا ابْنُ عُقْفَانَ مَعْرُوفٌ لهُ نَسَبِي إلاَّ بِمَا شَارَكَتْ أُمٌّ عَلَى وَلَدِ
لاَقَى المُلوكَ فَأَثْأَى في دِمَائِهِمُ ثُمَّ اسْتَقَرَّ بِلاَ عَقْلٍ ولا قَوَدِ[٦]
مِنْ عُصْبَةٍ يَطْعَنُونَ الخَيْلَ ضَاحِيَةً حَتَّى تَبَدَّدَ كالمَزْؤُودَةِ الشُّرُدِ[٧]

---

(١) الكُدَى: جمع الكُدية: الأرض الغليظة الصلبة.
(٢) الناظرة: العين.
(٣) خَفّان: موضع قرب الكوفة وهو مأسدة. (معجم البلدان ٢/ ٣٧٩).
(٤) اللُّبانة: الحاجة. والشرائع: جمع الشريعة: المورد.
(٥) فقع القاع: الكمأة. وفي المَثَل: «أذلُّ من فَقْعٍ بقاع» (ثمار القلوب ٢: ٨٥٠). وبيضة البلد: من أمثال العرب فيضعونها مرّةً في موضع المدح ومرّة في موضع الذمّ، ويراد منها هنا الذل والانفراد والضياع (ثمار القلوب ص ٧٢٠).
(٦) أثأى: جرح وطعن. والعَقْل: الدِّية والقَوَد: قتل القاتل بالقتيل.
(٧) ضاحية: بارزة. والمزؤودة: الفَزِعة. والشُّرُد: جمع الشّرود: النافر.

ويَمنعونَ نِسَاءَ الحَيِّ إنْ عَلِمَتْ ... ويَكشِفونَ قَتَامَ الغَارَةِ العُمُدِ[١]
أنَا ابنُ صِرْمَةَ إنْ تَسأَلْ خِيارَهُمُ ... أَضْرِبْ بِرِجْلِي في سَادَاتِهِمْ ويَدِي
وفي بَنِي مَالِكٍ أُمٌّ وزَافِرَةٌ ... لا يَدْفَعُ المَجْدُ مِنْ قَيْسٍ إلى أَحَدِ[٢]
ضَرَبْتُ فيهِمْ بِأَعْرَاقِي كَمَا ضَرَبَتْ ... عُرُوقُ نَاعِمَةٍ في أَبطَحٍ ثَئِدِ[٣]
جَدِّي قُضَاعَةُ مَعْرُوفٌ ويَعْرِفُني ... جَبَا رفيدةَ أَهْلِ السَّرْوِ والعَدَدِ[٤]

[لقاؤه لحبيبته القديمة وجزة بعد طول الفراق]

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا محمد بن عبد الله الحَزَنْبل عن عمرو بن أبي عمرو الشّيبانيّ عن أبيه قال: كان أرطاة بن سُهَيَّة يتحدّث إلى امرأة من غَنِيّ[٥] يقال لها وَجْزَة، وكان يهواها ثمَّ افترقا وحالَ الزَّمانُ بينهما وكبر أرطاة، ثم اجتمعت غَنِيّ وبنو مُرّة في دار، فمرَّ أرطاة بِوَجْزة وقد هَرِمَتْ وتغيَّرَتْ محاسنُها وافتقرت، فجلس إليها وتحدَّثَ معها وهي تشكو إليه أمرها، فلمّا أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بِفنائها وانصرف وقال: [الطويل]

مَرَرْتُ على حِدْثِي بِرَمَّانَ بَعْدَمَا ... تَقَطَّعَ أَقْرَانُ الصِّبَا والوَسَائِلُ[٦]
فَكُنْتُ كَظَبْيٍ مُفْلِتٍ ثُمَّ لم يَزَلْ ... به الحَيْنُ حَتَّى أُعْلِقَتْهُ الحَبَائِلُ[٧]

قال أبو الفرج الأصبهانيّ: وقد ذكر أرطاةُ بنُ سهيّة وجزة هذه، ونسبَ بها في مواضع من شعره، فقال في قصيدة: [الطويل]

ودَاوِيَّةٍ نَازَعْتُهَا اللَّيْلَ زَائِراً ... لِوَجْزَةَ تَهْدِيني النُّجُومُ الطَّوَامِسُ[٨]

---

(١) القتام: الغبار.
(٢) زافرة الرجل: عشيرته وأنصاره.
(٣) الأعراق: الأصول. والناعمة: النبتة الحسنة الغذاء والرّيّ. والأبطح والبطحاء: مكان مُتّسع يسيل فيه الماء فيخلّف فيه التراب والحصى الصغار. والثّئِد: النّدِيّ.
(٤) قضاعة: جده لأمّه وهي سهيّة الكلبية. والجبا: الحوض وما حوله ويريد به جماعة القبيلة. ورفيدة بن ثور: هو الجدّ الأعلى لقبائل كلب الذين تنسب إليهم أمّ الشاعر. والسّرو: السخاء والكرم في مروءة.
(٥) غني: هو غَنِيّ بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان.
(٦) الحِدْث: المحدّث والمسامر. ورَمّان: جبل في بلاد طيّىء (معجم البلدان ٣/ ٦٧). والأقران: جمع القَرَن، وهو حبل يُقرن به البعيران.
(٧) الحَيْن: الهلاك. والحبائل: جمع حِبالة: المصيدة.
(٨) الداوّية: الفلاة الواسعة.

أَعُوجُ بِأَصْحَابِي عَنِ القَصْدِ تَعْتَلِي ... بِنَا عُرِضَ كِسْرَيْها المَطِيُّ العَرَامِسُ[١]

فقد تَرَكْتنِي لا أُعِيجُ بِمَشْرَبٍ ... فَأَرْوَى ولا أَلْهو إلى مَنْ أُجَالِسُ[٢]

ومِنْ عَجَبِ الأَيَّامِ أَنْ كُلَّ منزلٍ ... لِوَجْزَةَ مِنْ أكنافِ رَمَّانَ دَارِسُ[٣]

وقد جَاوَرَتْ قَصْرَ العُذَيْبِ فَمَا يُرَى ... بِرَمَّانَ إلاَّ سَاخِطُ العَيْشِ بَائِسُ[٤]

طِلاَبٌ بَعِيدٌ واخْتِلافٌ مِنَ النَّوَى ... إذا ما أَتَى مِنْ دُونِ وَجْزَةَ قَادِسُ[٥]

لَئِنْ أَنْجَحَ الوَاشُونَ بيني وبينَها ... وطَالَ التَّنَائِي والنُّفُوسُ النَوافِسُ[٦]

لَقَدْ طَالَما عِشْنَا جَمِيعاً وَوُدُّنَا ... جَمِيعٌ إذا ما يَبْتَغِي الأُنْسَ آنِسُ

كذلكَ صَرْفُ الدَّهْرِ لَيسَ بِتَارِكٍ ... حَبِيباً ويَبْقَى عُمْرُهُ المُتَقَاعِسُ[٧]

[مهاجاته مع بعض الشعراء]

وقال ابن الأعرابيّ: كانت بين أرطاةَ بن سُهَيَّةَ وبين رجلٍ من بني أسدٍ يقال له حيّان مهاجاة، فاعترض بينهما حُبَاشةُ الأسديّ فهجا أرطاةَ فقال فيه أرطاةُ: [البسيط]

أَبْلِغْ حُبَاشَةَ أَنِّي غَيْرُ تَارِكِهِ ... حَتَّى أُذَلِّلَهُ إِذْ كَانَ ما كَانَا

البَاعِثَ القَوْلِ يُسْدِيهِ ويُلْحِمُهُ ... كَالمُجْتَدِي الثُّكْلَ إِذْ حَاوَرْتُ حَيَّانا

إِنْ تَدْعُ خِنْدِفَ بَغْياً أو مُكَاثَرَةً ... أَدْعُ القَبَائِلَ مِنْ قَيْسِ بنِ عَيْلانا

قَد نَخْبِسُ الحَقَّ حَتَّى ما يُجَاوِزُنا ... والحَقُّ يَخْبِسُنا في حَيْثُ يَلْقَانا

نَبْنِي لآخِرِنَا مَجْداً نُشَيِّدُهُ ... إِنَّا كَذَاكَ وَرِثْنا المَجْدَ أُولاَنا

وقال ابنُ الأعرابيّ: وفدَ أرطاةُ بنُ سُهَيَّةَ إلى الشأم زائراً لعبد الملك بن

(١) أعوج: أميل. الكِسْر: الناحية. والعرامس: جمع عِرْمِس: الناقة الصلبة الشديدة.
(٢) لا أعيج بمشرب: لا أكترث به.
(٣) الأكناف: جمع الكَنَف: الناحية والجانب. والدارس من الرسوم: الذي أمّحى.
(٤) العُذَيب: هو ماء بين القادسية والمغيثة أو هو موضع بالبصرة (معجم البلدان ٤/ ٩٢). وقاص العذيب: هو القصر الذي أشرف منه سعد بن أبي وقاص على جيش المسلمين في قتاله مع جيش الفرس في وقعة القادسية.
(٥) النّوى: النيّة والقصد إلى بلد غير الذي يقيم فيه. وقادس: القادسية.
(٦) النوافس: جمع النافس: الحاسد.
(٧) صرف الدهر: مصائبه.

مروانَ عامَ الجماعة[1]، وقد هنَّأهُ بالظَّفَر، ومدحه فأطال المُقَامَ عنده، وأرجفَ[2] أعداؤه بموته، فلمّا قدم ـ وقدْ ملأ يدَيْه ـ بَلَغَهُ ما كان منهم، فقال فيهم: [الطويل]

إذا مَا طَلَعْنا مِنْ ثَنِيَّةِ لَفْلَفٍ ... فَخَبِّرْ رِجَالاً يَكْرهُونَ إِيَابي[3]
وخَبِّرْهُمُ أنّي رَجَعْتُ بِغِبْطَةٍ ... أُحَدِّدُ أظْفَارِي ويَصْرُفُ نَابِي[4]
وإنّي ابنُ حَرْبٍ لا تَزَالُ تَهِرُّنِي ... كِلاَبُ عَدُوِّي أو تَهِرُّ كِلابي[5]

وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: وقع بينَ زُمَيلٍ قاتلِ ابن دارةَ وبين أرطاةَ بن سُهَيَّةَ لِحاءٌ[6]؛ فتوعّده زُمَيْلٌ، وقال: إنّي لأَحْسَبُكَ سَتَجْرَعُ مِثْلَ كأس ابن دارة. فقال له أرطأة: [الكامل]

يا زُمْلُ، إنّي إنْ أكُنْ لكَ سَائِقاً ... تَرْكُضْ بِرِجْلَيْكَ النَّجَاةَ والْحَقِ
لا تَحْسَبَنّي كَأمْرِىءٍ صَادَفْتَهُ ... بِمَضِيعَةٍ فَخَدَشْتَهُ بِالمِزْمَقِ[7]
إنّي امْرُؤٌ أوفِي إذا قَارَعْتُكُمْ ... قَصَبَ الرِّهَانِ وما أشَأْ أتَعَرَّقِ[8]

فقال له زُمَيْل: [الكامل]

يَا أرْطَ، إنْ تَكُ فَاعِلاً مَا قُلْتَهُ ... والمَرْءُ يَسْتَحْيِي إذا لم يَصْدُقِ
فَافْعَلْ كَمَا فَعَلَ ابْنُ دَارَةَ سَالِمٌ ... ثُمَّ امْشِ هَوْنَكَ سَادِراً لا تَتَّقِ[9]
وإذا جَعَلْتُكَ بَيْنَ لَحْيَيْ شَابِكِ الـ ... أنْيَابِ فَارْعُدْ مَا بَدَا لكَ وابْرُقِ

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حَدَّثنا الرِّيَاشيّ، قال: حَدَّثنا الأصمعيُّ

---

(١) عام الجماعة: هو عام ٤١ هـ حين تهادن الحسن عليه السلام مع معاوية إبقاء على دماء المسلمين وهنا عام الجماعة هو العام الذي فرغ فيه عبد الملك بن مروان من قتال الزبيريين والخوارج.
(٢) أرجف: خاض في الأخبار السيئة وذكر الفتن.
(٣) لفلف: جبل بين تيماء وجبلي طيّىء (معجم البلدان ٥/ ٢٠).
(٤) الغِبطة: حُسن الحال والمسرّة. وصريف الأنياب: صوتُها.
(٥) هَرّ الكلبُ: صات دون نباح.
(٦) اللِّحاء: الشَّتم واللَّوم.
(٧) المَضِيعة: أرض الضَّيَاع. والمِزمَق: العين.
(٨) قارع: غالب في القرعة. وقَصَب الرِّهان: يقال أحرز قصب الرهان أو السَّبْق: أي كان الغالب المبرّز، وأصله أنهم كانوا ينصبون في ميدان السباق قصبةً ثم يتسابقون على قلعها فمن استبق اقتلعها وأخذها لِيُعلَم أنه السابق. وأتعرّق: أذهب.
(٩) هونك: على مهلك. والسّادر: الذي لا يهتمّ بما يفعل.

قال: قال أرطاةُ بنُ سُهَيَّةَ للربيع بن قَعْنَب: [البسيط]

لَـقَـدْ رَأَيـتُـكَ عُـرْيـانـاً ومُـؤْتَـزِراً فَـمَـا عَـرَفْـتُ أَأُنْـثـى أَنْـتَ أَمْ ذَكَـرُ؟

فقال له الربيعُ: لكن سُهَيَّةُ قد عرفَتْني. فغلبه وانقطع أرْطاةُ.

أخبرني عَمّي، قال: حَدَّثنا الحسنُ بن عُلَيْل العنزيّ قال: حَدَّثنا قَعْنبُ بنُ المحْرز عن الهَيْثم بن الربيع عن عمرو بن جَبلةَ الباهِليّ قال: تزوّج عبد الرحمٰن بنُ سُهَيْل بن عمرو أمّ هشام بنتَ عبدِ الله بنِ عمر بن الخطاب، وكانت مِنْ أجمل نساء قُرَيْش، وكان يجِدُ بها وَجْداً شديداً، فمرِضَ مَرْضَتَهُ التي هَلَكَ فيها، فجعل يُدِيمُ النظرَ إليها وهي عندَ رأسِه، فقالت له: إنَّكَ لتَنْظُرُ إليّ نظر رَجلٍ له حاجة قال: أي واللّه إنَّ لي إليك حاجةً لو ظفرْتُ بها لَهانَ عليَّ ما أنا فيه. قالت: وما هي؟ قال: أخاف أنْ تَتَزَوّجي بَعْدي. قالت: فما يُرْضِيكَ مِن ذَلك؟ قال: أن تُوثِّقي لي بالأيمانِ المُغَلَّظَةِ، فحلفَتْ له بكُلِّ يَمينٍ سكنَتْ إليها نفسُه ثم هَلَك. فلمَّا قَضتْ عِدَّتَها خطبها عمرُ بنُ عبد العزيز وهو ـ أميرُ المدينة ـ فأرسَلَتْ إليه: ما أراكَ إلاّ وقد بلغتكَ يميني. فأرسَلَ إليها: لكِ مكانَ كُلِّ عبدٍ وأَمَةٍ عبدان وأَمَتانِ، ومكان كُلِّ عِلْقٍ[١] عِلْقانِ، ومكانَ كلِّ شيء ضِعْفُهُ. فتَزَوَّجَتْهُ، فدخلَ عليها بطالٌ بالمدينة، وقيل: بل كان رجلاً من مشيخةِ قريشٍ مُغَفَّلاً، فلمّا رآها مع عمرَ جالسة قال: [الطويل]

تَـبَـدَّلْـتِ بَـعْـدَ الـخَـيْـزُرَانِ جَـرِيـدَةً وبَـعْـدَ ثِـيَـابِ الـخَـزِّ أَحْـلامَ نَـائِـمِ[٢]

فقال له عمر: جعلتني ويلكَ جريدة وأحلام نائم! فقالت أمّ هشام: ليس كما قلت، ولكن كما قال أرطاة بن سهيّة: [الطويل]

وكَـائِـنْ تَـرَى مِـنْ ذَاتِ بَـثٍّ وعَـوْلَـةٍ بَكَتْ شَجْوَها بَعْدَ الحَنِينِ المُرَجَّعِ
فكَـانَـتْ كَـذَاتِ الـبَـوِّ لـمَّـا تَـعَـطَّـفَـتْ عَـلَـى قِـطَـعٍ مِـنْ شِـلْـوِهِ الـمُـتَـمَـزِّعِ[٣]
مَـتـى لا تَـجِـدْهُ تَـنْـصَـرِفْ لِـطِـيَـاتِـهـا مِـنَ الأَرْضِ أَو تَـعْـمِـدْ لإِلْـفٍ فَـتَـرْبَـعِ[٤]
عَـنِ الـدَّهْـرِ فـاصْـفَـحْ إِنَّـهُ غَـيْـرُ مُـعْـتِـبٍ وفي غَيْرِ مَنْ قد وَارَتِ الأَرْضُ فاطْمَعِ

---

(١) العِلْق: النفيس من كلّ شيء.

(٢) الجريدة: قضيب النّخل المجرّد من ورقه.

(٣) البَوُّ: جلد الحوار يحشى تبناً فيقرّب من أمّ الفصيل لتعطف عليه فتدرّ. والشِّلْوُ: العضو أو القطعة من اللّحم.

(٤) الطِّيَّة: الجهة أو البُغية، وخفّفت الشدة لضرورة الشعر.

وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ يرثي بها أرطاةُ ابنه عمراً.

[رثاؤه لابنه]

أخبرني مُحَمَّدُ بنُ عِمْرانَ الصَّيْرَفِيُّ، قال: حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيْلٍ، قال: حدّثنا قَعْنَبُ بنُ المحرز عن أبي عبيدة، قال: كان لأرطاةَ بن سُهَيَّةَ ابنٌ يُقال له: عمرو، فمات، فجزعَ عليه أرطاةُ حتى كاد عقلُه يذهبُ، فأقامَ على قبره، وضرَب بيتَه عنده لا يفارقه حولاً. ثم إنَّ الحَيَّ أراد الرَّحيلَ بعد حول لِنُجْعَةٍ[1] بَغوْها، فغدا على قبره، فجلسَ عندَه حتى إذا حان الرّواحُ ناداه: رُحْ يابنَ سَلْمَى مَعَنا! فقال له قومُه: نَنْشُدُكَ اللَّهَ في نفسِكَ وعقلِكَ ودينك، كيفَ يروحُ معك من ماتَ مُذْ حَوْلٍ؟ فقال: أنْظِروني اللَّيلة إلى الغد. فأقاموا عليه، فَلمَّا أصبحَ ناداه: أُغدُ يابنَ سلمى معنا، فلم يَزَلْ النَّاسُ يُذَكِّرُونه اللَّه ويُنَاشِدُونه، فانتضى سَيْفَهُ وعَقَرَ راحِلتَه على قبره، وقال: واللَّه لا أَتْبَعُكُمْ فامضُوا إن شئتم أو أَقيمُوا. فَرَقُّوا له ورحِمُوه، فأقاموا عامهم ذلك، وصبرُوا على منزلِهِمْ. وقال أرطاةُ يومئذٍ في ابنه عمرو يرثيه:

[الطويل]

وَقَفْتُ على قَبْرِ ابْنِ سَلْمَى فلم يَكُنْ ... وُقُوفِي عَلَيْهِ غَيْرَ مَبْكًى ومَجْزَعِ
هَلَ أَنْتَ ابْنَ سَلْمَى إنْ نَظَرْتُكَ رَائِحٌ ... مَعَ الرَّكْبِ أو غَادٍ غَدَاةَ غَدٍ مَعِي
أَأَنْسَى ابْنَ سَلْمَى وَهْوَ لَمْ يَأْتِ دُونَهُ ... مِنَ الدَّهْرِ إلاَّ بَعْضُ صَيْفٍ ومَرْبَعِ
وَقَفْتُ على جُثْمَانِ عَمْرٍو فَلَمْ أَجِدْ ... سِوَى جَدَثٍ عَافٍ بِبَيْدَاءَ بَلْقَعِ[2]
ضَرَبْتُ عَمُودَيْ بَانَةٍ سَمَوَا مَعاً ... فَخَرَّتْ ولم أُتْبِعْ قَلُوصِي بِدَعْدَعِ[3]
ولَوْ أَنَّها حَادَتْ عَنِ الرَّمْسِ نِلْتُها ... بِبَادِرَةٍ مِنْ سَيْفِ أَشْهَبَ مُوْقَعِ[4]
تَرَكْتُكِ إنْ تَحْيَيْ تَكُوسِي وإنْ تَنُوْ ... على الجُهْدِ تَخْذُلْها تَوَالٍ فَتُضْرَعِ[5]
فَدَعْ ذِكْرَ مَنْ قد حَالَتِ الأَرْضُ دُونَهُ ... وفي غَيْرِ مَنْ قَدْ وَارَتِ الأَرْضُ فاطْمَعِ

(١) النُّجعة: طلب العشب في مواضعه.
(٢) عافٍ: دارس ممحوّ. والبَلقع: الأرض الخالية التي لا شيء فيها.
(٣) البانة: نوع من الشجر يسمو ويرتفع في استواء. والقلوص: الناقة الشَّابّة الفتيّة. ودعدع: كلمة يُدعى بها للعاثر بمعنى: قم وانتعش واسلم.
(٤) الأشهب: الذي لونه أبيض يخالطه سواد. والمُوقَع: السيف الذي شُحِذَ بالحجر.
(٥) تكوسين: تمشين على ثلاث قوائم. تنوء: تنهض مثقلةً.

وقد أخبرني بهذا الخبرِ محمدُ بن الحسنِ بن دُرَيْدٍ عن أبي حاتم عن أبي عبيدةَ، فذكَرَ أن أرطاةَ كان يجيءُ إلى قبرِ ابنهِ عَشِيّاً فيقول: هل أنت رائحٌ معي يابن سَلمى؟ ثم ينصرفُ فيغدو عليه ويقولُ له مثلَ ذلك حَوْلاً، ثم تَمثَّلَ قولَ لبيد:

[الطويل]

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما ... ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ

أخبرني حبيبُ بن نصر المُهَلبيّ، قال: حدّثنا عمرُ بن شبّة قال: حدّثنا المدائني قال: قال أرطاةُ بنَ سُهَيَّة يوماً للربيع بن قَعْنَب كالعابث به: [البسيط]

لَقَدْ رَأَيْتُكَ عُرْيَاناً ومُؤْتَزِراً ... فَمَا دَرَيْتُ أَأُنْثَى أَنْتَ أَمْ ذَكَرُ؟

فقال لَه الربيعُ: [البسيط]

لَكِنْ سُهَيَّةُ تَدْرِي إذْ أَتَيْتُكُمُ ... عَلَى عُرَيْجَاءَ لَمَّا انحَلَّتِ الأُزُرُ[1]

فغلبَهُ الربيعُ، ولَجَّ الهجاءُ بينهما، فقال الربيعُ بنُ قَعْنب يهجو أرطاةَ: [الوافر]

ومَا عَاشَتْ بَنُو عُقْفَانَ إلاَّ ... بِأَحْلامٍ كَأَحْلامِ الجَوَارِي

ومَا عُقْفَانُ مِنْ غَطَفَانَ إلاَّ ... تَلَمُّسُ مُظْلِمٍ بِاللَّيْلِ سَارِي

إذا نَحَرَتْ بَنُو غَيْظٍ جَزُوراً ... دَعَوْهُمْ بِالمَرَاجِلِ والشِّفَارِ[2]

طُهَاةُ اللَّحْمِ حَتَّى يُنْضِجُوهُ ... وطَاهِي اللَّحْمِ فِي شُغْلٍ وعَارِ

فقال أرطاةُ يُجيبه ويعيِّره بأن أمَّه من عبد القيس: [الوافر]

وهَذَا الفَسْوُ قَدْ شَارَكْتَ فِيهِ ... فَمَنْ شَارَكْتَ في أَيْرِ الحِمَارِ[3]

وأَيُّ النَّاسِ أَخْبَثُ مِنْ هِبَلٍّ ... فَزَارِيٍّ وأَخْبَثُ رِيحَ دَارِ[4]

[يهجو مسرف بن عقبة ويمدح عمارة]

أخبرني عبدُ اللّه بنُ محمدٍ اليزيديّ، قال: حدّثنا أحمدُ بنُ الحارثِ الخَرَّازُ، قال: حدّثنا المدائنيُّ عن أبي بكرٍ الهُذَلي، قال: قدم مُسْرفُ بنُ عقبةَ المريّ

---

(١) عُريجاء: اسم موضع (معجم البلدان ٤/ ١١٣).

(٢) المراجل: جمع المِرْجَل: القِدْر. والشِّفار: جمع الشَّفرة: السكين العظيمة العريضة.

(٣) الفَسْو: عرف به حَيٌّ من عبد القيس يقال لهم الفساة.

(٤) الهِبلّ: الكبير المسنّ من الناس والإبل.

المدينة، وأوقعَ بأهلِ الحرّة، فأتاه قومُه مِن بني مُرّةَ وفيهم أرطاة فهنّأوه بالظفر واسْتَرْفَدُوهُ[١] فطردهم ونَهَرَهُم، وقام أرطاةُ بن سُهَيَّةَ ليمدحه فتجَهَّمَهُ بأقبح قولٍ وطردَه. وكان في جيشِ مُسْرِفٍ رجلٌ من أهل الشّام من عُذْرةَ، يقال له عُمَارةُ، قد كان رَأى أرطاةَ عند معاويةَ بن أبي سفيانَ، وسمع شعرهَ، وعرفَ إقبالَ مُعاويةَ عليه، ورفده له، فأومأ إلى أرطاةَ فأتاه، فقال له: لا يغرُرْكَ ما بدا لك من الأمير، فإنه عليلٌ ضَجِرٌ، ولو قَدْ صَحَّ واستقامتِ الأمورُ لزال عمّا رأيتَ من قوله وفعله، وأنا بكَ عارف، وقد رأيتُكَ عند أميرِ المؤمنين ـ يعني مُعاوية ـ ولن تعدمَ مني ما تُحِبُّ. وَوَصَلَهُ وكساه وحمَلَه على ناقةٍ، فقال أرطاةُ يمدحُه ويهجو مُسْرِفاً: [الطويل]

لَحَا اللَّهُ فَوْدَي مُسْرِفٍ وابْنِ عَمِّهِ ... وآثَارَ نَعْلَيْ مُسْرِفٍ حَيْثُ أثَّرَا[٢]

مَرَرْتُ عَلَى رَبْعَيْهِمَا فَكَأنَّنِي ... مَرَرْتُ بِجَبَّارَيْن مِنْ سَرْوِ حِمْيَرَا[٣]

ـ ويروى: «تَضَيَّفْتُ جَبَّارَيْن» ـ

على أنَّ ذَا العَلْيَا عُمَارةَ لم أجِدْ ... على البُعْدِ حُسْنَ العَهْدِ مِنْهُ تَغَيَّرا

حَبَانِي بِبُرْدَيْهِ وعَنْسٍ كَأنَّمَا ... بَنَى فَوقَ مَتْنَيْها الوَلِيدَانِ قَهْقَرا[٤]

وقال أبو عمرٍو الشّيبانيُّ: خاصمَتْ امرأةٌ من بني مُرة سُهيّة أمَّ أرطاةَ بن سهية، وكانت من غيرهِم أخيذة أخذها أبوه، فاستطالت عليها المرأة وسبَّتْها، فخرج أرطاة إليها فسبَّها وضربَها، فجاء قومُه، ولاموه، وقالوا له: مَا لَكَ تُدْخلُ نفسَكَ في خُصُوماتِ النّساءِ! فقال لهم: [الطويل]

يُعَيِّرُنِي قَومِي المَجَاهِلَ وَالْخَنَا ... عَلَيْهِمْ وقَالُوا أنْتَ غَيْرُ حَلِيمِ

هَلِ الجَهْلُ فِيكُمْ أنْ أعَاقِبَ بَعْدَما ... تُجُوِّزَ سَبِّي واسْتُحِلَّ حَرِيمِي

إذا أنَا لَم أمْنَعْ عَجُوزِيَ مِنكُمُ ... فكَانَتْ كَأُخْرَى في النِّسَاءِ عَقِيم

وقد عَلِمَتْ أفْنَاءُ مُرَّةَ أنَّنَا ... إذا ما اجْتَدَانَا الشَّرَّ كُلُّ حَمِيمِ[٥]

حُمَاةٌ لأحْسَابِ العَشِيرَةِ كُلِّها ... إذا ذُمَّ يَوْمَ الرَّوْعِ كُلُّ مُلِيمِ[٦]

---

(١) استرفدوه: طلبوا رفده أي عطاءه.

(٢) الفَوْد: جانب الرأس مما يلي الأذنين إلى الأمام.

(٣) سَرْوُ حِمْيَر: منازلهم بأرض اليمن.

(٤) الوليد: العبد أو الغلام. والقهقر: جمع القهقرة: الصخرة العظيمة.

(٥) الأفناء: الأخلاط.

(٦) المُليم: مَنْ يأتي ذنباً يلام عليه.

وتمامُ الأبيات التي فيها الغِناءُ، المذكورةِ قبل أخبارِ أرطاةَ بن سُهَيَّة، وذكرت في قوله في قتلى من قومه قُتِلُوا يوم بناتِ قينٍ ـ هو: [الوافر]

فَلاَ وأَبِيكَ لا نَنْفَكُّ نَبْكِي ... على قَتْلى هُنَالك ما بَقِينَا
على قَتْلَى هنالك أَوْجَعَتْنَا ... وأَنْسَتْنا رِجَالاً آخَرِينَا
سَنَبْكِي بالرِّمَاحِ إذا الْتَقَيْنَا ... على إِخْوَانِنَا وعلى بَنِينَا
بِطَعْنٍ تَرْعُدُ الأَحْشَاءُ مِنْهُ ... يَرُدُّ البِيضَ والأَبْدَانَ جُونَا[١]
كَأَنَّ الخَيْلَ إِذْ آنَسْنَ كَلْباً ... يَرَيْنَ وَرَاءَهُمْ ما يَبْتَغِينَا[٢]

صوت

[الطويل]

عَجِبْتُ لِمَسْرَاها وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ ... إِلَيَّ وبَابُ السِّجْنِ بِالقُفْلِ مُغْلَقُ
أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ ثم قَامَتْ فَوَدَّعَتْ ... فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ

الشعرُ لجعفرَ بن علبةَ الحارثيّ، والغناءُ لمعبدٍ ثَقيل أوّلَ بالسبّابَة في مَجْرَى البِنْصر عن إسحاقَ. وذكر عمرُو بنُ بانة أن فيه خفيفاً ثقيلاً أوّلَ بالوسْطى لابن سُرَيج، وذكر حمادُ بنُ إسحاقَ أنَّ فيه خفيفَ الثقيل للهذَلي.

---

(١) البيض: السيوف. والأبدان: الدروع القصيرة. والجون: الحمر من كثرة الدّم السائل من الجراح.

(٢) كلب: اسم قبيلة.

أخبار جعفر بن عُلْبَة الحارثيّ ونسبه

[توفي ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م]

[نسبه وبعض أخباره]

هو جَعْفَرُ بنُ علبةَ بن ربيعةَ بن عبدِ يغوثَ الشّاعرِ، أسيرِ يومِ الكُلاَب، ابن مُعاوية بن صلاءةَ بن المُعَقَّل بن كعبِ بن الحارِث بن كعبٍ، ويكْنَى أبا عَارِمٍ، وعارمٌ ابنٌ له قد ذكَره في شعره. وهو من مُخَضْرَمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعرٌ مُقِلٌّ غَزِلٌ فارسٌ مَذْكورٌ في قومه، وكان أبوه علبةُ بن ربيعةَ شاعراً أيضاً، وكان جعفرٌ قَتَلَ رجلاً من بني عقيل، قيل إنَّه قتلَهُ في شأنِ أَمَةٍ كانا يزورانها فتغايرا عليها. وقيل: بل في غارةٍ أغارها عليهِم، وقيل: بل كان يُحَدّث نساءهم فنهَوْه فلم يَنْتَهِ، فَرَصدُوه في طريقه إليهن فقاتلوه فَقَتَلَ منهم رَجُلاً فاستَعْدَوْا عليه السُّلطان فأقادَ منه[1]. وأخبارُه في هذه الجهاتِ كلُّها تُذْكر وتُنْسَبُ إلى مَنْ رَوَاها.

أخبرني محمدُ بنُ القاسمِ الأنباريّ، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثني الحسنُ ابنُ عبد الرحمٰن الرّبعيّ، قال: حدّثنا أبو مالكٍ اليمانيّ، قال: شَرِبَ جعفرُ بنُ عُلْبَةَ الحارثيّ حتى سَكِرَ فأخذه السُّلطانُ فحبسَه، فأنشأ يَقولُ في حبسه: [الطويل]

لـقـد زَعَـمُـوا أنّـي سَـكِـرْتُ ورُبَّـمـا ... يَـكُـونُ الـفَـتَـى سَـكْـرَانَ وهْـوَ حَـلِـيـمُ
لَعَمْرُكَ ما بِالسُّكْرِ عَارٌ على الفَتَى ... ولَـكِـنَّ عَـاراً أَنْ يُـقَـالَ لَـئِـيـمُ
وإنَّ فَـتَـى دَامَـتْ مَـواثِـيـقُ عَـهْـدِهِ ... عـلـى دُونِ مَـا لاَقَـيْـتُـهُ لَـكَـرِيـمُ

قال: ثمّ حُبِسَ معه رجل من قومه من بني الحارث بن كعب في ذلك

(١) أقاد منه: قتله به.

الحبس، وكان يقال له دَوْرانَ[١]، فقال جعفر: [الطويل]

إذا بَـابُ دَوْرانٍ تَـرَنَّـمَ فـي الـدُّجَـى ... وشُـدَّ بِـأَغْـلاَقٍ عَـلَـيْـنَـا وأَقْـفَـالِ
وأَظْـلَـمَ لَـيْـلٌ قَـامَ عِـلْـجٌ بِـجُـلْـجُـلٍ ... يَـدُورُ بـه حَـتَّـى الـصَّـبَـاحِ بِـإِعْـمَـالِ[٢]
وحُـرَّاسُ سَـوْءٍ مـا يَـنَـامُـونَ حَـوْلَـهُ ... فكَـيـفَ لِـمَـظْـلـومٍ بِـحِـيـلَـةِ مُـحْـتَـالِ؟
ويَـصْـبِـرُ فـيـه ذُو الـشَّـجَـاعَـةِ والـنَّـدَى ... على الـذُّلِّ لِـلْـمَـأْمُـورِ والـعِـلْـجِ والـوَالِـي

[مقتله]

فأما ما ذُكِرَ أن السبب في أخذ جعفرٍ وقتله في غارةٍ أغارها على بني عُقيل، فإنّي نسختُ خبَرَه في ذلك من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشّيبانيّ يأثُره عن أبيه، قال: خرج جعفرُ بنُ علبةَ وعليُّ بن جُعْدَبٍ الحارثيّ القنانيّ والنضر بن مُضارب المُعَاويّ، فأغاروا على بني عُقيل، وإن بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق ووضعوا عليهم الأرصادَ على المَضَايق، فكانوا كلما أفلتوا من عصبةٍ لقيتهم أُخرى، حتى انتَهوْا إلى بلادِ بني نهدٍ فرجعتْ عنهم بنو عُقيل، وقد كانوا قَتَلُوا فيهم، ففي ذلك يقول جعفر: [الطويل]

أَلاَ لا أُبَـالِـي بَـعْـدَ يَـوْمٍ بِـسَـحْـبَـلٍ ... إذا لَـمْ أُعَـذَّبْ أَنْ يَـجِـيءَ حِـمَـامِـيـا[٣]
تَـرَكْـتُ بِـأَعْـلَـى سَـحْـبَـلٍ ومَـضِـيـقِـهِ ... مُـرَاقَ دَمٍ لا يَـبْـرَحُ الـدَّهْـرَ ثَـاوِيـا
شَـفَـيْـتُ بِـهِ غَـيْـظِـي وجُـرِّبَ مَـوْطِـنِـي ... وكـانَ سَـنَـاءَ آخِـرَ الـدَّهْـرِ بَـاقِـيـا[٤]
أرادوا لِـيَـثْـنُـونـي فَـقُـلْـتُ تَـجَـنَّـبـوا ... طَـرِيـقـي فَـمَـا لـي حَـاجَـةٌ مِـنْ وَرَائِـيَـا
فِـدًى لِـبَـنِـي عَـمٍّ أَجَـابُـوا لِـدَعْـوَتـي ... شَـفَـوْا مِـنْ بَـنِـي الـقَـرْعَـاءِ عَـمِّـي وخَـالِـيـا
كَـأَنَّ بَـنِـي الـقَـرْعَـاءِ يَـومَ لَـقِـيـتُـهُـمْ ... فِـرَاخُ الـقَـطَـا لاَقَـيْـنَ صَـقْـراً يَـمَـانِـيَـا
تَـرَكْـنَـاهُـمُ صَـرْعـى كَـأَنَّ ضَـجِـيـجَـهُـمْ ... ضَـجِـيـجُ دَبَـارَى الـنِّـيْـبِ لاَقَـتْ مُـدَاوِيـا[٥]
أَقُـولُ وَقَـدْ أَجْـلَـتْ مِـنَ الـيَـوْمِ عَـرْكَـةٌ ... لِـيَـبْـكِ الـعُـقَـيْـلِـيِّـيـنَ مَـنْ كَـانَ بَـاكِـيـا[٦]

---

(١) دوران لا يوجد هذا الاسم في معاجم البلدان ولكن يوجد مكان اسمه (دوّار) ذُكِرَ في معجم ما استعجم وهو اسم سجن باليمامة.

(٢) العِلج: الرجل الشديد الغليظ. والجُلجل: الجرس الصغير.

(٣) سَحْبَل: موضع في ديار بني الحارث بن كعب (معجم البلدان ٣/ ١٩٤).

(٤) موطني: موقفي.

(٥) دبارى النيب: التي أصابها الدبر، والنِّيب: جمع الناب: الناقة المسنّة.

(٦) العركة: الواحدة من العراك.

فَإِنْ بِقُرَّى سَحْبَلٍ لأَمَارَةً ... ونَضْحَ دِمَاءٍ مِنْهُمُ ومَحَابِيَا[1]

ـ المَحابي: آثارهُم، حَبَوْا من الضعف للجراح التي بهم ـ

ولم أَتْرِكْ لي رِيبَةً غَيْرَ أَنَّنِي ... وَدِدْتُ مُعَاذاً كانَ فِيمَنْ أَتَانِيَا

ـ أراد: وددت أنَّ مُعاذاً كان أتاني معهم فأَقْتُلَه ـ

شَفَيْتُ غَلِيلِي مِنْ خُشَيْنَةَ بَعْدَ مَا ... كَسَوْتُ الهُذَيْلَ المَشْرَفِيَّ اليَمَانِيا[2]

أَحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَائِيَا ... صَحَارِيَّ نَجْدٍ والرِّيَاحَ الذَّوَارِيا

ولا زَائِراً شُمَّ العَرَانِينِ أَنْتَمِي ... إلى عَامِرٍ يَحْلُلْنَ رَمْلاً مُعَالِيا

إذا مَا أَتَيْتَ الحَارِثِيَّاتِ فَانْعَنِي ... لَهُنَّ وخَبِّرْهُنَّ أَنْ لا تَلاَقِيَا

وَقَوِّدْ قَلُوصِي بَيْنَهُنَّ فَإِنَّهَا ... سَتُبْرِدُ أَكْبَاداً وتُبْكِي بَوَاكِيَا[3]

أُوَصِّيكُمُ، إنْ مِتُّ يَوماً، بِعَارِمٍ ... لِيُغْنِيَ شَيْئاً أو يَكُونَ مَكَانِيَا[4]

ويروى:

وعَطِّلْ قَلُوصِي في الرِّكَابِ فَإِنَّهَا ... سَتُبْرِدُ أَكبَاداً وتُبْكِي بَوَاكِيَا

وهذا البيت بعينه يُرْوى لمالِك بنِ الرَّيْبِ في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه، وقال في ذلك جعفرٌ أيضاً: [الطويل]

وسَائِلَةٍ عَنَّا بِغَيْبٍ وسَائِلٍ ... بِمَصْدَقِنا في الحَرْبِ كَيفَ نُحَاوِلُ

عَشِيَّةَ قُرَّى سَحْبَلٍ إذْ تَعَطَّفَتْ ... عَلَيْنَا السَّرَايَا والعَدُوُّ المُبَاسِلُ[5]

فَفَرَّجَ عَنَّا اللَّهُ مَرْحَى عَدُوِّنَا ... وضَرْبٌ بِبِيضِ المَشْرَفِيَّةِ خَابِلُ[6]

إذا مَا قَرى هَامَ الرُّؤُوسِ اعْتِرَامُهَا ... تَعَاوَرَهَا مِنْهُمْ أَكُفٌّ وكَاهِلُ

إذا ما رُصِدْنَا مَرْصَداً فَرَّجَتْ لَنَا ... بِأَيْمَانِنَا بِيضٌ جَلَتْها الصَّيَاقِلُ[7]

ولَمَّا أَبَوا إلاَّ المُضِيَّ وقَدْ رَأَوْا ... بِأَنْ لَيْسَ مِنَّا خشيةَ المَوْتِ ناكِلُ

---

(١) قُرّى: موضع في بلاد بني الحارث بن كعب.

(٢) خُشينة والهذيل: خشينة شخص قتله جعفر ثم عرقب الهُذَيل أي ضربه في عرقوبه.

(٣) قَوِّد قلوصي: أكثِرْ قِيادَها.

(٤) عارم: هو ابن جعفر بن علبة.

(٥) السرايا: جمع السريّة: الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة رجل. والمباسل: من البسالة.

(٦) مرحى: المكان الذي تدور عليه رحىٰ الحرب. والخابل: المفسِد المهلِك.

(٧) رواية الشطر الأول في ديوان الحماسة «إذا ما ابتدرنا مَأْزِقاً فَرَّجَتْ لنا» والصَّياقل: المصقولة.

حَلَفْتُ يَمِيناً بَرَّةً لم أُرِدْ بِها ... مَقَالَةَ تَسْمِيعٍ ولا قَوْلَ بَاطِلِ
لَيَخْتَضِمَنَّ الهُنْدُوانِيُّ مِنْهُمُ ... مَعَاقِدَ يَخْشَاها الطَّبِيبُ المُزَاوِلُ[1]
وقَالُوا لنا ثِنْتَانِ لا بُدَّ مِنهما ... صُدورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أو سَلاسِلُ[2]
فقُلْنَا لَهُمْ تِلْكُمْ إذاً بعدَ كَرَّةٍ ... تُغَادِرُ صَرْعَى نَهْضُهَا مُتَخَاذِلُ[3]
وقَتْلَى نُفُوسٍ في الحَيَاةِ زَهِيدَةٍ ... إذا اشْتَجَرَ الخَطِّيُّ والمَوْتُ نَازِلُ[4]
نُرَاجِعُهُمْ في قَالَةٍ بَدَأوا بِهَا ... كما رَاجَعَ الخَصْمَ البَذِيَّ المُنَاقِلُ[5]
لهمْ صَدْرُ سَيفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ ... ولي مِنْهُ ما ضُمَّتْ عليه الأَنَامِلُ

قال: فاسْتَعْدَت عليهم بنو عُقيلٍ السَّريَّ بنَ عبدِ اللّه الهاشميّ عامِلَ مكة لأبي جعفر؛ فأرسل إلى أبيه عُلْبَةَ بن ربيعَةَ فأخذه بهم، وحبسه حتى دفعهُمْ وسائر من كان معهم إليه، فأما النضرُ فاستُقِيدَ منه بجراحة[6]، وأمّا عليُّ بنُ جُعْدُبٍ فأفلتَ من الحبسِ، وأما جعفرُ بنُ علبةَ فأقامت عليه بنو عقيل قسامةً[7] أنه قَتَلَ صاحبَهم فَقُتِلَ به. وهذه رواية أبي عمرو.

وذكر ابنُ الكلبيّ أن الذي هاجَ الحربَ بين جعفر بنِ علبةَ وبني عقيلٍ أن إياسَ بنَ يزيدَ الحارثيَّ وإسماعيلَ بن أحمرَ العقيليَّ اجتَمَعا عند أَمَةٍ لشعيب ابن صامت الحارثيّ، وهي في إبلٍ لمولاها في موضع يُقال له صَمْعَرُ[8] من بلاد بَلْحارثِ، فتحدّثا عندها فمالت إلى العقيليّ، فداخلتهما مؤاسفةٌ حتى تخانقا بالعمائم، فانقطعت عمامةُ الحارثيّ وخنقه العقيليّ حتّى صرعه، ثم تفرّقا. وجاء العُقَيْليّون إلى الحارثيّين فحكَّموهم فَوَهَبوا لهم، ثم بلغهُم بيتٌ قِيلَ، وهو:

[الطويل]

أَلم تَسْأَلِ العَبْدَ الزِّيَادِيَّ مَا رَأَى ... بِصَمْعرَ والعَبْدُ الزِّيَادِيُّ قَائِمُ

فغضب إياسٌ من ذلك فَلَقِيَ هو وابن عمّه النضرُ بنُ مضاربٍ ذلك العقيليَّ، وهو

---

(١) الاختضام: القَطع.
(٢) كنى عن الأسر بالسلاسل. وأُشرعت: هُيِّئَتْ للطّعن.
(٣) في ديوان الحماسة «تغادر صرعى نَوْؤها». والنّوء: النهوض.
(٤) اشتجر القوم: تخالفوا وتباعدوا.
(٥) المناقل: الذي يتحدّث مع غيره ويراجعه.
(٦) استقيد منه: اقتصّ منه ـ والجراحة: الضربة أو الطعنة.
(٧) القسامة: الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون.
(٨) صَمْعَر موضع (معجم البلدان ٣/ ٤٢٤).

إسماعيلُ بنُ أحمرَ، فشَجَّهُ شَجَّتَيْنِ وخنقه؛ فصار الحارثيّون إلى العقيليّين فحكموهم فوهبوا لهم. ثم لَقِيَ العقيليون جعفَرَ بن عليةَ الحارثيّ فأخذُوهُ فَضَرَبوه وخنقُوه وربطوه وقادُوه طويلاً ثم أطلقوه. وبلغ ذلك إياسَ بنَ يزيدَ فقال يتوجع لجعفر: [الطويل]

أَبَا عَارِمٍ، كيفَ اغْتَرَرْتَ ولم تَكُنْ ... تُغَرُّ إذا مَا كَانَ أَمْرٌ تُحَاذِرُهْ؟
فلا صُلْحَ حَتَّى يَخْفِقَ السَّيْفُ خَفْقَةً ... بِكَفِّ فَتىً جُرَّتْ عليه جَرَائِرُهْ

ثمّ إن جعفر بن علبَة تبعهم ومعه ابنُ أخيه جُعدُبٍ، والنضرُ بنُ مضاربٍ، وإياسُ بنُ يزيدَ، فلقوا المهديَّ بن عاصم وكعبَ بن محمد بِجِبرٍ[١] ـ وهو موضع بالقاعة ـ فضربوهما ضرباً مُبَرِّحاً، ثم انصرفوا فَضَلُّوا عن الطريق. فوجدوا العقيليّين وهم تسعةٌ، فاقتتلوا قِتالاً شديداً حتى خلّى لهم العقيليون الطريقَ ثم مَضَوْا حتى وجدوا من عقيل جمعاً آخرَ بسَحْبَل فاقتتلوا قتالاً شديداً، فَقَتَلَ جعفرُ بن علبةَ رجلاً من عقيل يقال له خشينةُ، فاستعدى العقيليّون إبراهيمَ بن هشامِ المخزوميَّ عاملَ مكة، فرفع الحارثيين[٢] الأربعة من نجران حتى حَبَسَهم بمكّة، ثم أفلت منه رجلٌ فخرج هارباً، فأحضرت عقيلٌ قَسَامَةً حلفوا أنَّ جعفر قَتَلَ صاحبَهُم. فأقاده إبراهيمُ ابن هشام. قال: وقال جعفرُ بن علبةَ قبل أن يُقْتَل وهو محبوس: [الطويل]

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وأنَّى تَخَلَّصَتْ ... إِلَيَّ وبَابُ السِّجْنِ بِالقُفْلِ مُغْلَقُ[٣]
أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ ثم قَامَتْ فَوَدَّعَتْ ... فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ[٤]
فلا تَحْسَبِي أنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ ... لِشَيءٍ ولا أَنِّي مِنَ المَوْتِ أَفْرَقُ[٥]
وكيفَ وفِي كَفِّي حُسَامٌ مُذَلَّقٌ ... يَعضُّ بِهاماتِ الرِّجَال ويَعْلَقُ؟[٦]
ولا أَنَّ قَلْبِي يَزْدَهِيهِ وَعِيدُهُمْ ... ولا أَنَّنِي بِالمَشْيِ في القَيْدِ أَخْرَقُ[٧]
ولَكِنْ عَرَتْنِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٌ ... كَما كُنْتُ أَلْقَى مِنْكِ إذْ أَنَا مُطْلَقُ

---

(١) جِبْر: جبلان في ديار سُلَيم (معجم البلدان ٢/ ٢١٢).
(٢) رفعهم: أرسلهم إلى الوالي.
(٣) في ديوان الحماسة «دوني مُغْلَقُ». وهو يتكلّم عن الخيال.
(٤) في ديوان الحماسة: «أتتنا فحيّتْ». والإلمام: الزيارة الخفيفة. وتزهق: تهلك.
(٥) انتقل من صيغة الإخبار إلى المخاطبة. وتخشّعتُ: تكلّفت الخشوع، والخشوع في البصر كالخضوع في البدن. والفَرَق: الخوف.
(٦) المذلّق: المُحَدَّد.
(٧) الشطر الأول في ديوان الحماسة: «ولا أنّ نفسي يزدهيها وعيدُكُم» الوعيد: التهدّد. والزهو: الاستخفاف. والأخرق: القليل الرفق بالشيء.

فَـأَمَّـا الـهَـوَى والـوُدُّ مِـنّـي فَـطَـامِـحٌ   إلَـيْـكِ وجُـثْـمَـانِـي بِـمَـكَّـةَ مُـوثَـقُ

وقال جعفرُ بنُ علبة لأخيه ماعز يحرّضه: [الطويل]

وقُـلْ لأَبِـي عَـوْنٍ إذا ا لَـقِـيـتَـهُ   ومِـنْ دُونِـهِ عَـرْضُ الـفَـلاَةِ يَـحُـولُ

ـ في نسخة ابن الأعرابي:

. . . . إذا مـا لـقـيـتـه   ودونـه مـن عـرض الـفَـلاَة مُـحـولُ

بالميم، وبشمِّ الهاء في «دونه» بالرفع وتخفيفها، وهي لغتُهم خاصة ـ

تَـعَـلَّـمْ وَعَـدِّ الـشَّـكَّ أَنّـي يَـشُـفُّـنِـي   ثَـلاثَـةُ أَحْـرَاسٍ مَـعـاً وكُـبُـولُ[1]

إذا رُمْـتُ مَـشْـياً أو تَـبَـوَّأْتُ مَـضْـجَـعاً   يَـبِـيـتُ لـهـا فَـوقَ الكِـعَـابِ صَـلِـيلُ

وَلَـوْ بِـكَ كَـانَـتْ لابْـتَـعَـثْـتُ مَـطِـيَّـتِـي   يَـعُـودُ الـحَـفَـا أَخْـفَـافَـهـا وتَـجُـولُ

إلى الـعَـدْلِ حَـتَّـى يَـصْـدُرَ الأَمْـرُ مَـصْـدَراً   وتَـبْـرَأَ مِـنْـكُـمْ قَـالَـةٌ وعُـدُولُ

ونسختُ أيضاً خبرَهُ من كتاب للنضر بنِ حديدٍ، فخالف هاتيْنِ الرّوايتين، وقال فيه: كان جَعفرُ بن علبَة يزور نساءً مِنْ عقيلِ بنِ كعبٍ، وكانوا مُتجاوِرِينَ هم وبنو الحارثِ بنِ كعبٍ، فأَخَذَتْه عُقيلٌ، فكشفوا دُبُر قميصِه، وربطوه إلى جُمَّتِهِ، وضربوه بالسّياط، وكَتَّفوه، ثم أقبَلوا به وأَدْبَروا على النِّسوة اللاَّتي كان يتحدّث إليهنَّ على تلكَ الحال ليغيظوهنَّ، ويفضحوه عندهُنَّ، فقال لهم: يا قومِ، لا تَفْعَلُوا، فإنَّ هذا الفعلَ مُثْلَةٌ[2]، وأنا أحلفُ لكم بما يُثْلِجُ صدورَكُم ألاَّ أزورَ بيوتَكم أبداً، ولا أَلِجَهَا. فلم يقبلوا منه. فقال لهم: فإن لم تفعلوا ذلك فحسبُكُم ما قَد مضى، ومُنُّوا عليّ بِالكَفِّ عنّي فإنّي أَعدُّهُ نعمةً لكم ويداً لا أكفُرُهَا أبداً، أو فاقتلوني وأَريحُوني، فأكُونَ رجلاً آذى قوماً في دارهم فقتلوه. فلم يَفْعلوا، وجعلوا يكشفون عورَتَهُ بين أيدي النساءِ، ويضربونه، ويُغْرُونَ به سفهاءَهم حتى شفَوْا أنفسهم منه، ثم خلّوا سبيلَه. فلم تمض إلاَّ أيامٌ قليلة حتى عاد جعفرٌ ومعه صاحبان له، فدفع راحلتَه حتى أولَجَها البُيوت، ثم مضى. فلما كان في نُقْرَةٍ من الرمل أناخ هو وصاحباه، وكانت عقيلٌ أَقْفى خلقِ اللّه لأثر، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه، والعقيْليّون مُغْتَرّون ليس مع أحدٍ منهم عصاً ولا سلاح، فوثب عليهم

---

(١) يشفّني: يهزلني. والكبول: جمع الكَبْل: القيد.

(٢) المُثْلَة: العقوبة والتنكيل.

جعفرُ بنُ عُلبةَ وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وافترقوا، فاستعدَتْ عليهم عُقَيْلُ السريَّ بنَ عبد الله الهاشميَّ عاملَ المنصور على مكّةَ، فأحضرهم وحبسَهُم، فأقادَ من الجارح، ودافع عن جعفر بنِ علبة - وكان يُحِبُّ أن يدرأ عنه الحدَّ لخؤولةِ أبي العباس السفاح في بني الحارث، ولأنَّ أختَ جعفرٍ كانت تحتَ السّريّ بنِ عبد الله، وكانت حظيةً عنده - إلى أن أقاموا عليه قَسَامَةً أنه قتلَ صاحبهم. وتوعّدوه بالخروج إلى أبي جعفر والتظلُّم إليه، فحينئذٍ دعا بجعفرٍ فأقاد منه، وأفلت عليُّ بنُ جُعدُب من السجن فهربَ. قال وهو ابنُ أخي جعفرَ بن علبة، فلما أُخرِجَ جعفرٌ لِلْقَوَد قال له غلامٌ من قومه: أسقيك شربةً من ماء بارد؟ فقال له: اسكتْ لا أُمَّ لك، إني إذا لَمِهْيَافٌ[1]. وانقطع شِسْعُ نعله فوقف فأصلَحه، فقال له رجلٌ: أما يَشْغَلُكَ عن هذا ما أنت فيه؟ فقال: [الوافر]

أَشُدُّ قِبَالَ نَعْلِيَ أَنْ يَرَانِي ... عَدُوِّي لِلحَوادِثِ مُسْتَكِينَا

قال: وكان الَّذي ضَرَبَ عنُقَ جعفرِ بن علبةَ نَحْبَةُ بنُ كليبٍ أخو المجنونِ، وهو أحدُ بني عامرِ بنِ عُقَيلٍ، فقال في ذلك: [الطويل]

شَفَى النَّفْسَ ما قَالَ ابْنُ عُلْبَةَ جَعْفَرُ ... وقَوْلِي له اصْبِرْ لَيْسَ يَنْفَعُكَ الصَّبْرُ

هَوَى رَأْسُهُ مِنْ حَيْثُ كان كما هَوَى ... عُقَابٌ تَدَلَّى طَالِباً جَانِبَ الوَكْرِ[2]

أَبَا عَارِمٍ، فِينَا عُرَامٌ وشِدَّةٌ ... وبَسْطَةُ أَيْمَانٍ سَوَاعِدُهَا شُعْرُ[3]

هُمُ ضَرَبُوا بالسَّيْفِ هَامَةَ جَعْفَرٍ ... ولم يُنْجِهِ بَرٌّ عَرِيضٌ ولا بَحْرُ

وقُدْنَاهُ قَوْدَ البَكْرِ قَسْراً وَعَنْوَةً ... إلى القَبْرِ حَتَّى ضَمَّ أَثْوَابَهُ القَبْرُ

وقال علبةُ يرثي ابنَه جعفراً: [الطويل]

لَعَمْرُكَ إنّي يَوْمَ أَسْلَمْتُ جَعْفَراً ... وأَصْحَابَهُ لِلْمَوتِ لَمَّا أُقَاتِلِ

لَمُجْتَنِبٌ حُبَّ المَنَايا وإنَّما ... يَهِيجُ المَنَايا كُلُّ حَقٍّ وبَاطِلِ

فَرَاحَ بِهِمْ قَوْمٌ ولا قَوْمَ عِنْدَهُمْ ... مُغَلَّلَةٌ أَيْدِيهُمُ فِي السَّلاسِلِ

ورُبَّ أَخٍ لي غَابَ لو كانَ شَاهِداً ... رَآه التَّبالِيُّونَ لي غَيْرَ خَاذِلِ[4]

---

(١) المهياف: الذي لا يصبر على العطش.

(٢) العُقَاب: طائر من الجوارح قويّ المخالب أعقف المنقار حادّ البصر. وفي البيت إقواء.

(٣) العُرَام: الشدّة والقوة.

(٤) التباليون: المنسوبون إلى تَبالة وهي ببلاد اليمن (معجم البلدان ٢/ ٩).

وقال علبةُ أيضاً لامرأته أمّ جعفرَ قبل أن يُقْتَل جعفر: [الطويل]

لَعَمْرُكِ إنَّ اللَّيلَ يا أُمَّ جَعْفَرٍ ... عَلَيَّ وإنْ عَلَّلْتِنِي لَطَوِيلُ
أُحَاذِرُ أَخْبَاراً مِنَ القَوْمِ قَدْ دَنَتْ ... ورَجْعَةَ أَنْقَاضٍ لَهُنَّ دَلِيلُ(١)

فأجابته فقالت: [الطويل]

أَبَا جَعْفَرٍ أَسْلَمْتَ لِلقَوْمِ جَعْفَراً ... فَمُتْ كَمَداً أو عِشْ وأَنْتَ ذَلِيلُ

[رثاء بنت يحيى بن زياد له]

قال أبو عَمْرو في روايته: وذكر شدّادُ بن إبراهيمَ أن بنتاً ليحيى بن زيادِ بن عُبَيْد اللَّه الحارثيّ حضرت المَوسمَ في ذلك العام لما قُتِلَ فكفَّنَتْهُ واستجادت له الكفنَ، وبَكَتْه وجميعُ مَنْ كان معها من جَوَاريها، وجعلنَ يَنْدُبْنَه بأبياتِه التي قالها قبل قَتْله: [الطويل]

أَحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَائِياً ... صَحَارِيَّ نَجْدٍ والرِّيَاحَ الذَّوَارِيا

وقد تقدّمت في صدرِ أخباره، وفي هذه القصيدة يقولُ جعفر:

وَدِدْتُ مُعَاذاً كَانَ فِيمَنْ أَتَانِيا

فقال مُعاذٌ يُجيبُه عنها بعد قتله، ويخاطبُ أباه، ويُعَرِّضُ له أنه قُتِلَ ظُلْماً لأنهم أقامُوا قَسامة كاذبة عليه حين قُتِل، ولم يكونوا عرفوا القاتلَ من الثلاثة بعينه، إلاَّ أن غيظَهُم على جعفرٍ حملهُمْ على أن ادَّعوا القتل عليه: [الطويل]

أَبَا جَعْفَرٍ سَلِّبْ بِنَجْرَانَ واحْتَسِبْ ... أَبَا عَارِمٍ والمُسْمَنَاتِ العَوَالِيا(٢)
وَقَوِّدْ قَلُوصاً أَتْلَفَ السَّيْفُ رَبَّها ... بِغَيْرِ دَمٍ في القَوْمِ إلاَّ تَمَارِيا(٣)
إذا ذَكَرَتْهُ مُعْصِرٌ حَارِثِيَّةٌ ... جَرَى دَمْعُ عَيْنَيْها على الخَدِّ صَافِيا(٤)
فلا تَحْسَبَنَّ الدَّيْنَ يا عُلْبَ مُنْسَأً ... ولا الثَّائِرَ الحَرَّانَ يَنْسَى التَّقَاضِيَا(٥)
سَنَقْتُلُ مِنْكُمْ بِالقَتِيلِ ثَلاثَةً ... ونُغْلِي وإنْ كَانَتْ دِمَاءً غَوَالِيا
تَمَنَّيْتَ أَنْ تَلْقَى مُعَاذاً سَفَاهَةً ... سَتَلْقَى مُعَاذاً والقَضِيبَ اليَمَانِيا

---

(١) الأنقاض: جمع النِّقْض: المهزول من الإبل والخيل.
(٢) سَلِّبْ: البسْ ثياب الحداد السوداء. والمسمنات: ذوات السمنة.
(٣) قَوِّد قلوصاً: اجعلها تقاد ولا تُركَب. التماري: الكذب.
(٤) المعصر: الجارية الشابة التي بلغت عصر الشباب.
(٥) المنسأ: المؤجّل.

وَوَجَدْتُ الأبياتَ القافيَّةَ التي فيها الغناءُ في نسخةِ النّضرِ بنِ حديدٍ أَتَمَّ مما ذكره أبو عمرو الشيبانيّ، وأوّلُها: [الطويل]

أَلاَ هَلْ إلى فِتْيَانِ لَهْوٍ ولَذَّةٍ سَبِيلٌ وتَهْتَافِ الحَمَامِ المُطَوَّقِ؟
وشربةِ مَاءٍ مِنْ خَدُوراءَ بَارِدٍ جَرَى تَحْتَ أَظْلاَلِ الأَرَاكِ المُسَوَّقِ[١]
وسَيْرِي مَعَ الفِتيانِ كُلَّ عَشِيَّةٍ أُبارِي مَطَايَاهُمْ بِصَهْبَاء سَيْلَقِ[٢]
إذا كَلَّحَتْ عَنْ نَابِهَا مَجَّ شِدْقُهَا لُغَاماً كَمُحِّ البَيْضَةِ المُتَرَقْرِقِ[٣]
وأَصْهَبَ جَوْنِيٍّ كَأَنَّ بُغَامَهُ تَبَغُّمُ مَطْرودٍ مِنَ الوَحْشِ مُرْهَقِ[٤]
بَرَى لَحْمَ دَفَّيْهِ وأَدْمَى أَظَلَّه اجْتِيابِي الفَيَافِي سَمْلَقاً بَعْدَ سَمْلقِ[٥]

وذكر بعده الأبياتَ الماضيةَ، وهذا وهمٌ من النضر، لأن تلك الأبياتَ مرفوعة القافيةِ وهذه مخفوضةٌ، فأتيتُ بكلّ واحدةٍ منهما منفردةً ولم أخلطهما لذلك.

أخبرني الحسينُ بنُ يحيى المِرداسِيُّ عن حمادِ بن إسحاقَ عن أبيه عن أبي عبيدةَ قال: لما قُتلَ جعفرُ بنُ علبة قام نساءُ الحيّ يبكين عليه، وقامَ أبوه إلى كلّ ناقةٍ وشاةٍ فنحر أولادَها، وألقاها بين أيديها وقال: ابْكينَ مَعَنَا على جعفر! فما زالت النّوقُ ترغو والشّاءُ تَثْغُو والنّساءُ يَصِحْنَ ويبكينَ وهو يبكي معهُنّ؛ فما رُئِيَ يومٌ كان أوجعَ وأحرقَ مأتماً في العربِ من يَوْمئِذٍ.

صوت

[الرمل]

عَلِّلانِي إنَّمَا الدُّنْيَا عَلَلْ واسْقِيَانِي عَلَلاً بَعْدَ نَهَلْ[٦]
أَصْحَبُ الصَّاحِبَ ما صَاحَبَنِي وأَكُفُّ اللَّوْمَ عَنْهُ والعَذَلْ

الشّعر لِلعُجيرِ السّلولي، والغناءُ لابنِ سُرَيْج ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن حُبَيْشٍ، وذكر الهشاميُّ أنه من منحول يحيى المَكِّيِّ.

---

(١) خدُوراء: موضع في بلاد بني الحارث بن كعب (معجم البلدان ٢/ ٣٤٨).
(٢) الصَّهباء: التي يخالط بياضها حمرة. والسَّيلق: الماضية في سيرها.
(٣) كلحت: كشّرت. واللُّغام: زَبَد أفواه البعير.
(٤) الجوني: الأسود المشرب حمرةً. والتبغّم: من البغام: وهو الصوت.
(٥) الدَّفان: الجانبان. والأظلّ: باطن المنسم أو باطن الاصبع. والسملق: الأرض المستوية الجرداء لا نبات فيها.
(٦) العَلَل: الشرب بعد الشرب تباعاً. والنَّهَل: أول الشُّرْب.

أخبار العُجَير السَّلُوليّ ونسبُه

[توفي نحو ٩٠ هـ/ نحو ٧٠٨ م]

[نسبه وطبقته]

هو ـ فيما ذَكر محمدُ بن سلاّم ـ العُجَيْرُ بنُ عبد الله بن عَبِيدة بن كعب بن عائشةَ بن الربيع بن ضُبَيْط بن جابرَ بن عبد الله بن سَلُولٍ. ونسختُ نسَبهُ من نسخَة عبيدِ اللّهِ بن محمدِ اليزيديّ عن ابن حبيبٍ قال: هو العجيرُ بنُ عبيدِ اللّه بن كعبِ بن عبيدةَ بن جابر بن عمرو بن سلولَ بن مرةَ بن صعصعةَ، أخي عامرِ بن صعصعة. شاعرٌ مُقِلٌّ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأمويّة. وجعله محمدُ بنُ سلامٍ في طبقةِ أبي زبيدٍ الطّائيّ؛ وهي الخامسةُ من طبقاتِ شعراءِ الإسلام.

[العجير يدلّ عبد الملك على ماء انتقاماً من أهله]

أخبرني أبو خليفة في كتابهِ إليّ قال: حَدَّثنا محمد بنُ سلاّمٍ الجُمَحِيُّ، قال: حَدَّثنا أبو الغَرّافِ قال: كان العجيرُ السَّلُولِيُّ دلَّ عبدَ الملك بنَ مروانَ على ماءٍ يقال له مطلوبٌ[1]، وكان لناسٍ من خَثْعَم، فأنشأ يقول: [البسيط]

لا نَـوْمَ إلاَّ غِـرَارُ الـعَـيْـنِ سَـاهِـرَةً ... إنْ لَـمْ أُرَوِّعْ بِـغَـيْـظٍ أَهْـل مَـطْـلـوبِ[2]

إنْ تَـشْـتُـمُـوني فَـقَـدْ بَـدَّلْـتُ أَيْـكَـتَـكُـمْ ... ذَرْقَ الـدَّجَـاجِ بِـحَـفَّـانِ الـيَـعَـاقِـيـبِ[3]

وكُـنْـتُ أُخْـبِـرُكُـمْ أَنْ سَـوْفَ يَـعْـمُـرُهـا ... بَـنُـو أُمَـيَّـةَ وَعْـداً غَـيْـرَ مَـكْـذُوبِ

---

(١) مطلوب: اسم بئر بين المدينة والشام (معجم البلدان ٥/ ١٥٠).

(٢) غِرار العين: قلّة نومها.

(٣) الأيكة: الشّجر الملتفّ الكثير، والغيضة تُنبتُ السِّدْر والأراك. وذرق الطائر: وسخه. والحَفّان: فراخ النّعام، وربّما سمّوا صغار الإبل حَفّاناً. واليعاقيب: جمع يعقوب: ذكر الحجل.

قال: فركبَ رجلٌ من خثعم يقال له أميّةُ إلى عبد الملك حتّى دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، إنّما أراد العجير أن يصلَ إليك وهو شويعر سآلٌ. وحَرَّبه[١] عليه. فكتب إلى عامله بأن يشدّ يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد. فبلغ العجيرَ الخبرُ فركب في اللّيل حتّى أتى عبدَ الملك فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا عندك فاحتبِسْني وابعثْ من يبصر الأرَضين والضّياع، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حِلٌّ وبِلٌّ[٢]، فبعث فاتخذ ذلك الماء، فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية.

[هربه عند إقامة الحدّ عليه]

نسخت من كتاب عبيد الله بنِ مُحمّدٍ اليزيديّ عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: هجا العجير قوماً من بني حنيفة وشتمهم، فأقاموا عليه البيّنة عند نافعِ بنِ علقمة الكنانيّ، فأمرهم بطلبه وإحضارِهِ ليقيمَ عليه الحدَّ وقال لهم: إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحدّ وليكن ذلك في ملأ يشهدون به لئلا يَدّعي عليكم تجاوزَ الحقّ. فهرب العجيرُ منهم ليلاً حتى أتى نافعَ بنَ علقمة، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد، ثم تعلّق بثوبه وقال: [الطويل]

إليك سَبَقْنا السَّوْطَ والسِّجْنَ، تَحْتَنا ... حِيَالٌ يُسَامِينَ الظِّلالَ ولُقَّحُ[٣]
إلى نَافِعٍ لا نَرْتَجِي ما أَصَابَنا ... تَحُومُ عَلَيْنَا السَّانِحَاتُ وتَبْرَحُ
فَإنْ أَكُ مَجْلُوداً فَكُنْ أَنْتَ جَالِدِي ... وإنْ أَكُ مَذْبُوحاً فَكُنْ أَنْتَ تَذْبَحُ

فسأله عن المطر وكيف كان أثرهُ، فقال له: [الرجز]

يا نَافِعٌ، يَا أَكْرَمَ البَرِيَّهْ ... واللّهِ لا أَكْذِبُكَ العَشِيَّهْ
إنّا لَقِينا سَنَةً قَسِيَّهْ ... ثُمَّ مُطِرْنا مَطْرَةً رَوِيَّهْ
فَنَبَتَ البَقْلُ ولا رَعِيَّهْ

ـ يعني أن المواشي هلكت قبل نباتِ البَقل ـ فقال له: انجُ بنفسك فإنّي

---

(١) حَرَّبه عليه: حَرَّضه.

(٢) الحِلّ: الحلال. والبِلّ: المباح المطلَق.

(٣) حيال: جمع حائل: الناقة التي ضربها الفحل ولم تحمل. ولُقّح: جمع لاقح: الناقة الحامل. ويسامين الظلال: يبارينها.

سأرضي خصومَكَ، ثمّ بعث إليهم فسألهم الصَّفْحَ عن حقّهم وضمن لهم أن لا يعاودَ هجاءهم.

[رثاؤه لابن عَمّه]

أخبرني الحرميُّ بنُ أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزبيرُ بنُ بكّار قال: حَدَّثني عُمَرُ ابنُ إبراهيم السعديّ عن عباس بن عبد الصمد السعديّ قال: قال هشام بن عبد الملك للعجير السلوليّ: أصدقت فيما قلته لابن عمّك[1]؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلاّ أني قلت: [الطويل]

فَتَى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لا مُتَضَائِلٌ ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وبَآدِلُهْ[2]

ـ هذا البيت يُروى لأخت يزيد بنِ الطَّثْرِيّة ترثيه به ـ.

جَمِيلٌ إذا اسْتَقْبَلْتَهُ مِنْ أَمَامِه وإنْ هُوَ ولّى أَشْعَثُ الرَّأسِ جَافِلهْ[3]

طَوِيلٌ سَطِيُّ السَّاعِدَيْنِ عَذَوَّرٌ عَلَى الحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَراجِلُهْ[4]

تَرَى جَازِرَيْهِ يُرْعَدَانِ، ونَارُهُ عَليها عَدَامِيلُ الهَشِيم وصَامِلُهْ[5]

يَجُرَّانِ ثِنْياً خَيْرُها عَظْمُ جَارِه على عَيْنِهِ لم تَعْدُ عَنْهَا مَشَاغِلُهْ[6]

تَرَكْنَا أَبَا الأَضْيَافِ في كُلِّ شَتْوةٍ بِمَرٍّ ومِرْدَى كُلِّ خَصْمٍ يُجَادِلُهْ[7]

---

(١) ابن عَمّه: هو جابر بن زيد وكان كريماً مفضالاً فمات بمكان يقال له مَرّ فرثاه العجير السلولي.

(٢) اللَّبّة: موضع القلادة من الصدر. والبآدل: جمع بأدلة: اللحمة التي بين العنق والترقوة. والبيت في ديوان الحماسة لزينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد.

(٣) الأبيات ما عدا الخامس في ديوان الحماسة لزينب بنت الطثرية. ورواية هذا البيت:

كريمٌ إذا لا قيتَهُ متبسِّماً وإمَّا تولّى أشعثُ الرأسِ حافلُهْ

وجافله: من قولهم جفل الشعر جفولاً شعثَ واغبرّ فهو جافلٌ.

(٤) برواية الشطر الأول في ديوان الحماسة: «إذا نزل الأضيافُ كان عَذَوّراً». سطيّ الساعدين: ذو بطش. والعَذَوّر: السّيىء الخُلُق. والمِرجل: القِدر العظيمة.

(٥) الجازر: الناحر. والعداميل: جمع العُدْمُل: القديم. والصامل: اليابس. والهشيم: اليابس المهشوم.

(٦) الشطر الثاني في ديوان الحماسة: «بصيراً بها لم تَعْدُ عنها مشاغِلُهْ». والثِّنْيُ من النوق: ما ولدت بطنين. وخيرها عظم جاره: يريد أن خير عظم فيها يهديه إلى جاره.

(٧) مَرّ: اسم ماء لبني أسد (معجم البلدان ١٠٤/٥). ورواية البيت:

تركنا أبا الأضياف في ليلة الدُّجى بِمَرٍّ ومِرْدَى كلّ خصم يناضِلُهْ

والمِردى: صخرة يُكْسَر بها النوى، يقال: فلان مِردى الحروب أو الخصوم: أي يرمونهم به فيكسرهم.

مُقِيماً سَلَبْنَاهُ دَرِيسَيْ مُفَاضَةٍ ... وأَبْيَضَ هِنْدِيّاً طِوالاً حَمَائِلُهْ[١]

فقال هشام: هلك واللّه الرجل

[ندمه لأنه لم يتوجّه إلى الحسن بن الحسن بن علي]

ونسختُ من كتاب ابنِ حبيبٍ قال ابن الأعرابي: اصطحب العجيرُ وشاعرٌ من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعيُّ الحسنَ بنَ الحسنِ بن عليّ ﷺ، وقصد العجيرُ رجلاً من بني عامرِ بنِ صعصعة كان قد نال سلطاناً، فأعطى الحسنُ بنُ الحسن الخزاعيَّ وكساه ولم يعطِ العامريُّ العجيرَ شيئاً، فقال العجير: [البسيط]

يَا لَيْتَنِي يَوْمَ حَزَّمْتُ القَلُوصَ لَهُ ... يَمَّمْتُها هَاشِمِيّاً غَيْرَ مَمْذُوقِ[٢]

مَحْضَ النِّجَارِ مِنَ البَيْتِ الَّذِي جُعِلَتْ ... فِيهِ النُّبُوَّةُ يَجْرِي غَيْرَ مَسْبُوقِ[٣]

لا يُمْسِكُ الخَيْرَ إلاَّ رَيْثَ يُسْأَلُهُ ... ولا يُلاطِمُ عِنْدَ اللَّحْمِ في السُّوقِ[٤]

فبلغت أبياتُه الحسنَ، فبعث إليه بصلة إلى مَحَلّة قومه وقال له: قد أتاك حظّك وإن لم تتصدَّ له.

[شرب الخمر وانتشى وأمر أن ينحر جمله]

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد اللّه بن عمارٍ قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ الحسن بن دينار الأحولُ قال: حَدَّثني بعض الرّواة أنَّ العجير بنَ عبد الله السّلولي مرَّ بقوم يشرَبون فسَقَوه فلما انتشى قال: انْحَروا جملي وأطعمونا منه. فنحروه وجعلوا يُطْعمونه ويسقونه ويغنُّونه بشعر قاله يومئذٍ، وهو: [الرمل]

عَلِّلانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَلْ ... واسْقِيَانِي عَلَلاً بَعْدَ نَهَلْ

وانْشُلاَ مَا اغْبَرَّ مِنْ قِدْرَيْكُمَا ... واصْبِحَانِي أَبْعَدَ اللَّهُ الجَمَلْ[٥]

---

(١) رواية الشطر الأول في ديوان الحماسة: «مضى وورثناه دريسَ مُفَاضةٍ». و«طويلاً» بدل طوالاً. والدّريس: الدرع البالي. والمفاضة: الواسعة. وأبيض: يعني سيفاً مجلوّاً.

(٢) القلوص، من الإبل: الشّابّة. الممذوق: المخلوط. ويقصد هنا أنه صريح النسب خالصه.

(٣) المحض: الصافي الخالص. والنّجار: الأصل والحسب.

(٤) إلاّ ريث: إلاّ حين. والملاطمة: من اللّطم، وهو ضرب الجسد بالكفّ مفتوحةً.

(٥) ما اغبرّ: ما بقيَ. واصبحاني: اسقياني الصبوح وهو كلّ ما أُكِلَ أو شُرِبَ في الصباح.

أَصْحَبُ الصَّاحِبَ ما صَاحَبَنِي ... وأَكُفُّ اللَّوْمَ عَنْهُ والعَذَلْ
وإذا أَتْلَفَ شَيْئاً لَمْ أَقُلْ ... أَبَداً يا صَاحِ مَا كَانَ فَعَلْ

قال: فلمّا صحا سأل عن جمله فقيل له: نحرته البارحة. فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم وهبوا له بعيراً فارتحله[1] وانصرف إلى أهله.

[شعره لزوجته في الحجّ]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حَدَّثنا محمدُ بن يزيد قال: حَجَّ العُجَيرُ السلوليّ فنظر إلى امرأته وكان قد حَجَّ بها معه وهي تلحظ فَتًى من بُعدٍ وتكلّمه فقال فيها: [الطويل]

أَيَا رَبِّ، لا تَغْفِرْ لِعَثْمَةَ ذَنْبَهَا ... وإنْ لَمْ يُعَاقِبْهَا العُجَيْرُ فَعَاقِبِ
أَشَارَتْ وعَقْدُ اللَّهِ بَيني وبَيْنَها ... إلى رَاكِبٍ مِنْ دُونِهِ أَلْفُ رَاكِبِ
حَرَامٌ عَلَيْكِ الحَجُّ لا تَقْرَبِنَّهُ ... إذا حَانَ حَجُّ المُسْلِمَاتِ التَّوائِبِ

[العجير يطلق ابنته بعد أن يكل زواجها لخالها]

وقال ابن الأعرابيّ: غابَ العجيرُ غيبة إلى الشّأم، وجعل أمرَ ابنته إلى خالها، وأمره أن يزوّجها بكفء. فخطبها مولى لبني هلال كان ذا مال، فرغبت أُمُّها فيه وأمرَتْ خالَ الصَّبيّة الموصى إليه بأمرها أن يزوّجها منه ففعل. فلاذت الجارية بأخيها الفرزدقِ بنِ العجيرِ، وبرجالٍ من قومها، وبابنِ عَمٍّ لها يقال له قيل، فمنعوا جميعاً منها سوى ابن عَمِّها القيل فإنّه ساعدَ أمّها على ما أرادت، ومنع منها الفرزدق. فلمّا قدمَ العجير أُخبِرَ بما جَرَى ففسخَ النِّكاح وخَلَع ابنته من المولى وقال: [الطويل]

أَلاَ هَلْ لِبَغْجَانَ الهِلاَلِيِّ زَاجِرٌ ... وبَغْجَانُ مَأْدُومُ الطَّعَام سَمِينُ
أَلَيْسَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ ابْنَ عَمِّهَا ... وبِالجِنْوِ آسَادٌ لَهَا وعَرِينُ؟[2]
وَعَاذَتْ بِحَقْوَيْ عَامِرٍ وابْنِ عَامرٍ ... ولِلَّهِ قَدْ بَتَّتْ عَلَيَّ يَمِينُ[3]

---

(١) ارتحله: وضع عليه الرَّحْلَ.
(٢) الجِنو: جِنْوُ ذي قارة موضع قرب الكوفة (معجم البلدان ٢/ ٣١٢).
(٣) الحَقْو: معقد الإزار، ويقال: لاذ بحقوه: أي التجأ إليه.

تَنَالُونَها أو يَخْضِبَ الأَرْضَ مِنْكُمُ ... دَمٌ خَرَّ عَنْهُ حَاجِبٌ وجَبِينُ[(١)]

وقال أيضاً في ذلك: [الطويل]

إذا مَا أَتَيْتَ الخَاضِبَاتِ أَكُفُّها ... عَلَيْهِنَّ مَقْصُورُ الحِجَالِ المُرَوَّقُ[(٢)]
فَلا تَدْعُوَنَّ القَيْلَ إلاَّ لِمشْرَبِ ... رَوَاءٍ ولَكِنَّ الشُّجَاعَ الفَرَزْدَقُ[(٣)]
هُوَ ابْنُ لِبَيْضَاءِ الجَبِينِ نَجِيبَةٍ ... تَلَقَّتْ بِطُهْرٍ لم يَجِيءْ وَهْوَ أَحْمَقُ
تَدَاعَى إِلَيْهِ أَكْرَمُ الحَيِّ نِسْوَةً ... أَطَفْنَ بِكَسْرَيْ بَيْتِها حِينَ تُطْلَقُ[(٤)]
فَجَاءَتْ بِعُرْيَانِ اليَدَيْنِ كَأَنَّهُ ... مِنَ الطَّيرِ بَازٍ يَنْفُضُ الطَّلَّ أَزْرَقُ

[شعره في رفيقه أصبح]

وقال ابن الأعرابيّ: كان للعجير رفيقٌ يقال له أصبحُ، وكانا يصِيبان الطريق، وفيه يقول العجير: [الطويل]

ومُنْخَرِقٍ عَنْ مَنْكِبَيْهِ قَمِيصُهُ ... وعَنْ سَاعِدَيْهِ، لِلأَخِلاَّءِ وَاصِلِ
إذا طَالَ بِالقَوْمِ المَطَا في تَنُوفَةٍ ... وطُولُ السُّرَى أَلْفَيْتَهُ غَيْرَ نَاكِلِ[(٥)]
دَعَوْتُ وقَدْ دَبَّ الكَرَى في عِظَامِهِ ... وفي رَأْسِهِ حَتَّى جَرَى في المَفَاصِلِ
كما دَبَّ صَافِي الخَمْرِ في مُخِّ شَارِبٍ ... يَمِيلُ بِعِطْفَيْهِ، عَنِ اللُّبِّ ذَاهِلِ
فَلَبَّى لِيَثْنِينِي بِثِنْيَيْ لِسَانِهِ ... ثقيلينِ مِنْ نَوْمِ غلوبِ الغَيَاطِلِ[(٦)]
فقُلْتُ لَهُ قُمْ فَارْتَحِلْ لَيْسَ هاهنا ... سِوَى وقفَةِ السَّارِي مُنَاخٌ لِنَازِلِ
فقَامَ اهْتِزَازَ الرُّمْحِ يَسْرُو قَمِيصَهُ ... ويَحْسِرُ عن عَارِي الذِّرَاعَيْنِ نَاحِلِ[(٧)]

وقال ابن الأعرابيّ: كان للعجير امرأة يقال لها أمُّ خالد، فأسرع في ماله فأتلفه وكان جواداً، ثم جعل يَدَّانُ حتى أُثقِلَ بالدَّيْن ومدَّ يده إلى مالها، فمنعته منه

---

(١) تنالونها: أي لا تنالونها، وحذف لا النافية.
(٢) المروّق: ذو الستور.
(٣) القَيْل: ابن عمّ الفتاة.
(٤) الكسر: جانب البيت أو الشقّة السفلى. وتُطْلَق: يصيبها وجع الولادة.
(٥) المطا: السير الممتدّ. والتَّنوفة: الأرض الواسعة البعيدة الأطراف. والسُّرى: السير ليلاً، وغير ناكل: غير جبان.
(٦) الغياطل: جمع الغَيطلة: غلبة النعاس.
(٧) يسرو قميصه: يلقيه عنه.

وعاتبته على فعله، فقال في ذلك: [الطويل]

تَـقُـولُ، وقَـد غَـالَـبْـتُـهـا، أُمُّ خَـالِـدِ ... عـلـى مَـالِـهـا أُغْـرِقْـتَ دَيْـنـاً فَـأَقْـصِـرِ
أَبَى الْقَـصْرَ مَنْ يأوي إذا اللَّيْلُ جَنَّني ... إلـى ضَـوْءِ نَـارِي مِـنْ فَـقِـيـرٍ ومُـقْـتِـرِ
أَيَا مُـوقِـدَيْ نَـارِي ارْفَـعَـاهَـا لَـعَـلَّـهـا ... تُـشَـبُّ لِـمُـقْـوٍ آخِـرَ الـلَّـيْـلِ مُـقْـفِـرِ[1]
أَمِـنْ رَاكِـبٍ أَمْـسَـى بِـظَـهْـرِ تَـنُـوفَـةٍ ... أُوَارِيـكِ أَمْ مِـنْ جَـارِيَ الْـمُـتَـنَـظِّـرِ
ولا قِـدْرَ دُونَ الـجَـارِ إلاَّ ذَمِـيـمَـةٌ ... وهَـذا الـمُـقَـاسِـي لَـيْـلَـةً ذَاتَ مـنـكـرِ
تـكـادُ الـصَّـبَـا تَـبْـتَـزُّهُ مِـنْ ثِـيَـابِـهِ ... على الرَّحْلِ إلاَّ من قَمِيصٍ ومِئْزَرِ[2]
ومَـاذَا عَـلـيـنـا أَنْ يُـخَـالِـسَ ضَـوْءَهـا ... كَـرِيـمٌ نَـشَـاهُ شَـاحِـبُ الـمُـتَـحَـسَّـرِ[3]

ـ المُتَحَسَّر: ما انكشفَ وتجرَّدَ من جسمه ـ

فـيُـخْـبِـرُنَـا عَـمَّـا قَـلِـيـلٍ ولَـوْ خَـلَـتْ ... لـه الـقِـدْرُ لَـمْ نَـعْـجَـبْ ولـم نَـتَـخَـبَّـرِ

صوت

[الطويل]

سَلِـي الـطَّـارِقَ الـمُـعْـتَـرَّ يَـا أُمَّ مَـالِـكٍ ... إذا مـا أَتَـانِـي بَـيْـنَ قِـدْرِي ومَـجْـزِرِي[4]
أَأَبْـسُـطُ وَجْـهِـي أَنَّـهُ أَوَّلُ الـقِـرَى ... وأَبْـذُلُ مَـعْـرُوفِـي لـه دُونَ مُـنْـكَـرِي
فلا قَصْرَ حَتّى يَفْرُجَ الغَيْثُ مَنْ أَوَى ... إلـى جَـنْـبِ رَحْـلِـي كُـلّ أَشْـعَـثَ أغـبـرِ
أَقِي العِرْضَ بِالمَالِ التِّلاَدِ ومَا عَسَى ... أَخُوكَ إذا ما ضَيَّعَ العِرْضَ يَشْتَرِي[5]
يُـؤَدِّي إلَـيَّ الـنَّـيْـلُ قُـنْـيَـانَ مَـاجِـدٍ ... كَـرِيـم ومَـالِـي سَـارِحـاً مَـالُ مُـقـتـرِ

ـ القنيان: ما اقتنى من المال. يقول: إنه لِبَذْله القِرَى كأنه موسر، وإذا سرح مالُه علم أنه مُقتر ـ

إذا مُـتُّ يَـوْمـاً فَـاحْـضُـرِي أُمَّ خَـالِـدِ ... تُـرَاثَـكِ مِـنْ طِـرْفٍ وسَـيْـفٍ وأَقْـدَرِ[6]

---

(١) المقوي: الذي نفدَ طعامه.
(٢) الصَّبا: ريح مَهبُّها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. وتبتزّه: تجرّده.
(٣) نشاه: أخبر عنه.
(٤) الطارق: الآتي ليلاً. والمُعْتَرّ: الذي يطيف حول الآخر فيسأل أو يسكت عن السؤال. والمجزر: موضع الجَزر.
(٥) التّلاد: القديم الأصلي.
(٦) التراث: الإرث. والطِّرْف: الكريم من الخيل. والأقدر: فرسٌ إذا سار وقعتْ رجلاه مواقعَ يديه، أو الذي يضع رجليه حيث ينبغي.

قال ابن حبيب: من الناس من يروي هذه الأبياتَ الأخيرةَ التي أوَّلُها:

سلِي الطَّارقَ المعترَّ يا أُمّ مالك

لعروة بنِ الوردِ، وهي للعُجَيْر.

[شعره بين يدي عبد الملك بعد طول انتظار]

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال: حَدَّثنا عبدُ اللَّه بنُ أبي سعد قال: حَدَّثنا علي بنُ الصَّبَّاح عن هشام بنِ محمدٍ قال: وفد العجيرُ السَّلُوليُّ ـ وسلولُ بنو مرّةَ بن صعصعة ـ على عبد الملك بن مروانَ، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه لشغلٍ عَرَضَ لعبد الملك، ثم وصل إليه فلمّا مثَلَ بين يديه أنشد: [الطويل]

أَلاَ تِـلْـكَ أُمُّ الـهِـبْـرِزِيِّ تَـبَـيَّـنَـتْ ... عِـظَـامـي ومِـنْـهَـا نَـاحِـلٌ وكَـسِـيـرُ[١]

وقَـالَـتْ تَـضَـاءَلْـتَ الـغَـدَاةَ ومَـنْ يَـكُـنْ ... فَـتـى قَـبْـلَ عَـام الـمَـاءِ فَـهْـو كَـبِـيرُ[٢]

فَـقُـلْـتُ لَـهَـا إنَّ الـعُـجَـيْـرَ تَـقَـلَّـبَـتْ ... بِـهِ أَبْـطُـنٌ أَبْـلَـيْـنَـهُ وظُـهُـورُ

فَـمِـنْـهُـنَّ إدْلاَجِـي عـلـى كُـلِّ كَـوْكَـبٍ ... لـه مِـنْ عُـمَـانِـيِّ الـنُّـجُـوم نَـظِـيـرُ

وَقَـرْعِـي بِـكَـفِّـي بَـابَ مَـلْـكٍ كَـأَنَّـمـا ... بِـهِ الـقَـوْمُ يَـرْجُـونَ الأَذِيـنَ نُـسُـورُ[٣]

ويَـوْمٍ تَـبَـارَى أَلْـسُـنُ الـقَـوْمِ فِـيـهِـمُ ... ولِـلْـمَـوْتِ أَرْحَـاءٌ بِـهِـنّ تَـدُورُ[٤]

لَـوَ انَّ الـجِـبَـالَ الـصُّـمَّ يَـسْـمَـعْـنَ وَقْـعَـهـا ... لَـعُـذْنَ وقَـد بَـانَـتْ بِـهِـنَّ فُـطُـورُ[٥]

فَـرُحْـتُ جَـواداً والـجَـوَادُ مُـثَـابِـرٌ ... عـلـى جَـرْيِـهِ، ذو عِـلَّـةٍ ويَـسِـيـرُ

فقال له: يا عجيرُ ما مدحْتَ إلاّ نفسك، ولكنّا نُعْطِيك لطول مُقَامك. وأمر له بمائةٍ من الإبل يُعطَاها من صدقات بني عامر، فكتب له بها.

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ سعدٍ الكُرَانِيُّ قال: حَدَّثنا العُمَرِيُّ عَنِ العُتْبِيِّ قال: نظر أبي إلى فتًى مِنْ بني العبّاس يسحبُ مُطْرَف خزٍّ

---

(١) أمّ الهبرزي: الحُمّى.

(٢) عام الماء: العام الخصيب المشهور بالكلأ.

(٣) الأذين: الحاجب. والنّسور: جمع نَسر.

(٤) الأرحاء: جمع الرَّحى.

(٥) الفطور: الشقوق.

عليه وهو سكران ـ وكان فتًى مُتَهَتِّكاً ـ فحرَّك رأسه مَلِيّاً ثم قال: للَّه درُّ العُجَيْر السَّلُوليّ حيث يقول: [المتقارب]

وَمَا لَـبِسَ الـنَّـاسُ مِـنْ حُـلَّـةٍ ... جَـدِيـدٍ ولا خَـلَـقـاً يُـرْتَـدَى
كَـمِـثْـلِ الـمُـرُوءَةِ لِـلَابِـسِـيْـنَ ... فَـدَعْنِي مِنَ المُطْرَفِ المُسْتَدَى[1]
فـلـيـسَ يُـغَـيِّـرُ فَـضْـلَ الـكَـرِيـم ... خُـلُـوقَـةُ أَثْـوَابِـهِ والـبِـلَـى
ولـيـسَ يُـغَـيِّـرُ طَـبْـعَ الـلَّـئِـيـم ... مَـطَـارِفُ خَـزٍّ رِقَـاقُ الـسَّـدَى[2]
يَـجُـودُ الـكَـرِيـمُ عـلـى كُـلِّ حَـالٍ ... ويَـكْـبُـو الـلَّـئِـيـمُ إذا مَـا جَـرَى

[شعره في ابنه]

أخبرني عمّي قال: حَدَّثني محمدُ بنُ القاسم بن مهرويه قال: حَدَّثني أبو القاسم اللِّهبيّ عن أبي عبيدة قال: كان العُجَيرُ السلولي له ابن يقال له الفرزدقُ، وفيه يقول العجير:

ولـقـد وَضَـعْـتُـكَ غَـيْـرَ مُـتَّـرِكٍ ... مِـنْ جَـابِـرٍ فـي بَـيْـتِـهَـا الـضَّـخْـم[3]
واخْـتَـرْتُ أُمَّـكَ مِـنْ نِـسَـائِـهِـمُ ... وأَبُـوكَ كُـلُّ عَـذَوَّرٍ شَـهْـمِ[4]
فَـلَـئِـنْ كَـذَبْـتَ الـمَـنْـحَ مِـنْ مِـائـةٍ ... فَـلْـتَـقْـبَـلَـنَّ بِـسَـائِـغٍ وَخْـمِ[5]
إنَّ الـنَّـدَى والـفَـضْـلَ غَـايَـتُـنَـا ... ونَـجَـاتُـنَـا وطَـرِيـقُ مَـنْ يَـحْـمِـي

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثنا الكُرَانيّ قال: قال الحرمازيّ: وقف العجيرُ السَّلولي لبعض الأمراء، وقد علق به غريمٌ له من أهله فقال له: [الطويل]

أَتَـيْـتُـكَ إِنَّ الـبَـاهِـلِـيّ يَـسُـوقُـنِـي ... بِـدَيْـنٍ ومَـطْـلُـوبُ الـدُّيُـونِ رَقِـيـقُ
ثَـلاثَـتُـنَـا إنْ يَـسَّـرَ الـلَّـهُ: فَـائِـزٌ ... بِـأَجْـرٍ ومُـعْـطَـى حَـقِّـهُ، وعَـتِـيـقُ

فأمر بقضاء دَيْنه.

---

(١) المستدى: المنسوج.
(٢) السَّدَى من الثوب: ما مُدَّ منه.
(٣) جابر: قبيلة، وهو من آباء العجير، وهو جابر بن عبد الله بن مُرّة بن صعصعة.
(٤) العَذَوّر: القليل الصبر فيما يريده ويهمّ به.
(٥) من مائة: يريد مائة من الإبل. والوخم: الذي لا تُحْمَد مغبّته.

[شعره في ابنة عَمّه التي فضّلت العامري عليه]

وقال ابن الأعرابيّ: كانت للعجير بنتُ عَمٍّ وكان يهواها وتهواه، فخطبها إلى أبيها فوعده وقاربه[1]. ثم خطبها رجلٌ من بني عامرٍ موسر، فخيَّرها أبوها بينه وبين العُجير، فاختارت العامريَّ ليساره، فقال العجيرُ في ذلك: [الطويل]

أَلـمَّـا عـلـى دَارٍ لِـزَيْـنَـبَ قَـدْ أَتَـى ... لَها بِلِوَى ذِي الْمَرْخِ صَيْفٌ ومَرْبَعُ[2]
وقُـولاَ لَـهَـا قَـدْ طَـالَـمَا لـم تَـكَـلَّـمِي ... ورَاعـاكِ بِـالـعَـيْـنِ الـفُـؤَادُ الـمُـرَوَّعُ
وقُـولاَ لَـهَـا قَـالَ الـعُـجَـيْـرُ وخَـصَّـنِـي ... إِلَـيْـكِ، وإرْسَـالُ الـخَـلِـيـلَـيْـنِ يَـنْـفَـعُ
أَأَنْتِ الَّتِي اسْتَوْدَعْتُكِ السِّرَّ فَانْتَحَى ... لِيَ الـخُـوْنَ مَـرَّاحٌ مِـنَ الـقَـوْمِ أَفْـرَعُ[3]
إذا مُتُّ كَانَ النَّاسُ نِصْفَيْنِ: شَامِتٌ ... ومُثْنٍ بِـمَـا قَـدْ كُـنْـتُ أُسْـدِي وأَصْـنَـعُ
ومُـسْـتَـلْـحَـم قَـدْ صَـكَّـهُ الـقَـوْمُ صَـكَّـةً ... بـعِـيـدِ الـمَـوَالِـي نِـيْـلَ ما كَـانَ يَـمْـنَـعُ[4]
رَدَدْتُ لَـهُ مـا أفـرط الـقَـتْـل بِـالـضُّـحَـى ... وبِـالأَمْـسِ حَـتَّـى اقْـتَـالَـه فـهـو أَضْـلَـعُ
ولَـسْـتُ بِـمَـوْلاَهُ ولا بِـابْـنِ عَـمِّـهِ ... ولَـكِـنْ مَـتَـى مَـا أَمـلـكِ الـنَّـفْـعَ أَنْـفَـعُ

وقال ابنُ الأعرابيّ: كان العُجيرُ يتحدّث إلى امرأة من بني عامر يقال لها جُمْلٌ فألِفَها وعَلِقَها. ثم انتجَعَ أهلُها نواحيَ نَصِيبين[5]، فتتبَّعَتْها نفسه، فسار إليهم فنزل فيهم مجاوراً، ثم رأوه مُنازلاً مُلازماً مُحادَثَةَ تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا: قد رأينا أمرَكَ فإمّا أن انقطعْتَ عنها أو ارتحلْتَ عنّا، أو فَأْذَنْ بحرب. فقال: ما بيني وبينها ما يُنْكَرُ، وإنما كنتُ أتحدّثُ إليها كما يتحدَّثُ الرَّجلُ الكريم إلى المرأة الحرّة الكريمة، فأمّا الرّيبةُ فحاشى للّه منها. ثم عاود محادثتها؛ فانتهبوا ماله وطردوه. فأتى محمدَ بنَ مروانَ بن الحكم وهو يومئذٍ يتولّى الجزيرةَ لأخيه عبدِ الملك بنِ مروان، فأتاه مُسْتَعْدِياً عَلى بني عامر وعلى الّذي أخذ ماله خَصوصيّة، وهو رجلٌ من بني كلاب يقال له ابن الحسام، وأنشده قوله: [الطويل]

عَـفَـا يَـافِـعٌ مِـنْ أَهْـلِـهِ فَـطَـلُـوبُ ... وأَقْـفَـرَ لَـوْ كَـانَ الـفُـؤَادُ يَـثُـوبُ[6]

---

(١) قاربه: قرب منه في الموافقة والرأي.
(٢) اللِّوى: منقطع الرمل. وذو المَرْخ: وادٍ فيه شجر كثير (معجم البلدان ٥/ ١٠٣).
(٣) انتحى: قصد. والخَوْن: الخيانة. ومَرّاح: كثير المرح. والأفرع: الكثير الشعر.
(٤) المستلحم: الذي أرهق في القتال. وصَكّه القوم: ضربوه ضرباً شديداً.
(٥) نَصيبين: مدينة في بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام (معجم البلدان ٥/ ٢٨٨).
(٦) يافع: موضع باليمن (معجم البلدان ٥/ ٤٢٦). وطلوب: علم لقليب عن يمين سميراء في طريق =

وَقَفْتُ بها مِن بَعْدِ مَا حَلَّ أَهْلُها نَصِيبِينَ والرَّاقِي الدُّمُوعَ طَبِيبُ
وقد لاحَ مَعْرُوفُ القَتِيرِ وقَدْ بَدَتْ بِكَ اليومَ مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ نُدوبُ[1]
وسَالَمْتُ روحاتِ المَطِيِّ وأَحْمَدَتْ مَنَاسِمُ مِنها تَشْتَكِي وصُلوبُ[2]
وما القَلْبُ أَمْ مَا ذِكْرُهُ أُمَّ صِبْيَةٍ أُرَيْكَةُ مِنها مسكنٌ فهَروبُ[3]؟
حَصَانُ الحُمَيَّا حُرَّةٌ حَالَ دُونَها حَلِيلٌ لَهَا شَاكِي السِّلاحِ غَضُوبُ[4]
شَمُوسٌ، دُنُوُّ الفَرْقَدَيْنِ اقْتِرَابُها لِغَيِّ مَقَارِيفِ الرِّجَالِ سَبُوبُ[5]
أَحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَاظِراً إلى وَجْهِهَا إلاّ عَلَيَّ رَقِيبُ
عَدَتْنِي العِدَا عَنْهَا بُعَيْدَ تَسَاعُفٍ ومَا أَرْتَجِي مِنها إلَيَّ قَرِيبُ[6]
لقد أَحْسَنَتْ جُمْلٌ لَوَ انَّ تَبِيعَها إذا مَا أَرَادَتْ أَنْ تُثِيبَ يُثِيبُ[7]
تَصُدِّينَ حَتَّى يَذْهَبَ اليَأْسُ بِالمُنَى وحَتَّى تَكَادَ النَّفْسُ عَنكِ تَطِيبُ

ـ هذا البيت يروى لابن الدُّمَيْنَة، وهو بشعره أشبه، ولا يُشاكِلُ أيضاً هذا المعنى ولا هو من طريقه؛ لأنه تشكَّى في سائر الشعر قومها دونها، وهذا بيت يصف فيه الصدّ منها، ولكن هكذا هو في رواية ابن الأعرابي ـ

وأَنْتِ المُنَى لَوْ كُنْتِ تَسْتَأْنِفينَنَا بَخَيْرٍ ولَكِنْ مُعْتَفَاكِ جَدِيبُ[8]
أَيُؤْكَلُ مَالِي وابْنُ مَرْوَانَ شَاهِدٌ ولم يَقْضِ لِي وابْنُ الحُسَام قَرِيبُ
فَتًى مَحْضُ أَطْرَافِ العُرُوقِ مُساوِرٌ جِبَالَ العُلاَ طَلْقُ اليَدَيْنِ وَهُوبُ[9]

فأمر محمدُ بنُ مروان بإحضار ابنِ الحسام الكلابي فأُحضِر، فحبسه حتى ردّ

= الحاجّ طيّب الماء قريب الرّشاء (معجم البلدان ٤/٣٩).

(١) القتير: الشيب.

(٢) المناسم: جمع المَنسِم: خفّ البعير. والصُّلوب: جمع قياسي لِلصُّلْب: والصّلب يبدأ من الكاهل إلى أصل الذَّنَب.

(٣) أُرَيْكة: اسم ماء لبني كعب أو هو اسم جبل (معجم البلدان ١/١٦٦). وهروب: من قرى صنعاء باليمن (معجم البلدان ٥/٤٠٣).

(٤) الحَصان: العفيفة. والحُمَيّا: الحوزة والجانب.

(٥) الشَّمُوس: الجامحة. والمقاريف: المُتّهمون.

(٦) التساعف: الدّنوّ والقرب.

(٧) التَّبيع: المولى والناصر.

(٨) المعتفى: الموضع الذي يُطْلبُ في الحاجة.

(٩) محض أطراف العروق: خالصُ الأصول طاهِرُها. والمساوِر: المواثب.

مال العجير، وأمر العجير بالانصراف إلى حيِّه وتَرْك النزولِ على المرأة أو في قومها. قال: وقال العجير فيها أيضاً: [البسيط]

هَاتِيكَ جُمْلٌ بِأَرض لا يُقَرِّبُها ... إلاّ هِبَلٌ مِنَ العِيدِيِّ مُعْتَقِدُ[١]
ودُونَها مَعْشَرٌ خُزْرٌ عُيونُهُمُ ... لو تَخْمُدُ النَّارُ مِنْ حَرٍّ لَمَا خَمَدوا[٢]
عَدُّوا علينا ذُنوباً في زِيَارَتِها ... لِيحجبوها وفي أَخْلاقِهِمْ نَكَدُ
وحَالَ مِنْ دُونِها شَكْسٌ خَلائِقُهُ ... كَأَنَّهُ نَمِرٌ في جِلْدِهِ الرُّبَدُ[٣]
فليسَ إلاّ عَوِيلٌ كُلَّمَا ذُكِرَتْ ... أو زَفْرَةٌ طَالَما أَنَّتْ بِها الكَبِدُ
وَتَيَّمَتْنِيَ جُمْلٌ فاسْتَمَرَّ بها ... شَحْطٌ مِنَ الدَّارِ لا أَمٌّ ولا صَدَدُ[٤]
قالوا غدَاةَ اسْتَقَلَّتْ: مَا لِمُقْلَتِهِ ... أَمِنْ قَذًى هَمَلَتْ أَمْ عَارَها رَمَدُ
فقلتُ: لا بَلْ غَدَتْ سَلْمَى لِطِيَّتِهَا ... فَلَيْتَهُمْ مِثْلَ وَجْدِي بُكْرَةً وَجَدوا[٥]
إن كانَ وَصْلُكِ أَبْلَى الدَّهْرُ جِدَّته ... وكُلُّ شَيءٍ جَدِيدٍ هَالِكٌ نَفَدُ
فقد أَرَانِي ووَجْدِي إذْ تُفَارِقُني ... يَوماً كَوَجْدِ عَجُوزٍ دِرْعُها قِدَدُ[٦]
تَبْكِي على بَطَلٍ حُمَّتْ مَنِيَّتُهُ ... وكانَ وَاتِرَ أَعْدَاءٍ به ابتَرَدوا[٧]
وقد خَلاَ زَمَنٌ لو تَصْرِمِينَ له ... وَصْلِي لأَيْقَنْتُ أَنِّي مَيِّتٌ كَمِدُ
أَزْمَانَ تُعْجِبُني جُمْلٌ وأَكْتُمُهُ ... جُمْلاً حَيَاءً، وما وَجْدٌ كما أَجِدُ
فقد بَرِئْتُ على أَنِّي إذا ذُكِرَتْ ... يَنْهَلُّ دَمْعِي وتَحْيَا غُصَّةٌ تَلَدُ[٨]
مِنْ عَهْدِ سَلْمَى الَّتي هَامَ الفُؤادُ بِها ... أَزْمَانَ أَزْمانَ سَلْمَى طِفْلَةٌ رُؤُدُ[٩]
قد قلتُ لِلكَاشِحِ المُبْدِي عَدَاوتَهُ ... قد طَالَمَا كانَ مِنْكَ الغِشُّ والحَسَدُ
أَلاَ تُبَيِّنُ لي لا زِلْتَ تُبْغِضُني ... حَتَّامَ أنتَ إذا ما سَاعَفَتْ ضَمِدُ[١٠]؟

(١) الهِبَلّ: الضخم المسنّ من الإبل. والعيديّ: منسوب إلى فحل معروف منجب. والمعتقد: المُوَثّق الظَّهر الصبور.
(٢) الخزر: جمع الأخزر، الضّيّق العين.
(٣) الرُّبَد: جمع الرُّبدة: سواد تخالطه كُدرة.
(٤) الأَمّ: القصد. والصَّدد: القرب.
(٥) الطِّيَّة: الوجهة التي ينتويها الإنسان.
(٦) القِدَد: جمع القِدَّة: القطعة.
(٧) حُمَّت: نزلت. والواتر: المدرك للأعداء المفزع لهم.
(٨) تَلَد: قديم.
(٩) الرُّؤُد: الشابة الحسنة.
(١٠) ساعفت: ساعدت. والضَّمِدُ الحاقد.

[إعجاب الخلفاء بشعره]

وقال ابن حبِيب: قال عبد الملك لمؤدّب ولده: إذا روَّيتَهم شعراً فلا تروِّهم إلاّ مثلَ قول العُجير السلولي: [الوافر]

يَبِيـنُ الـجَارُ حِيـنَ يَبِيـنُ عَنِّـي ... ولـم تَـأْنَـسْ إِلَـيَّ كِـلابُ جَـارِي
وتَـظْعَـنُ جَارَتِـي مِـنْ جَنْـبِ بَيْتِـي ... ولـم تُـسْتَـرْ بِـسِتْـرٍ مـن جِـدَارِي
وتَـأْمَـنُ أَنْ أُطَـالِـعَ حِـيـنَ آتِـي ... عَـلَـيـهـا وَهـي وَاضِـعَـةُ الـخِـمَـارِ
كَـذلِـكَ هَـدْيُ آبَـائِـي قَـدِيـمـاً ... تَـوَارَثَـهُ الـنَّـجَارُ عَـنِ الـنِّـجَـارِ[1]
فَـهَـدْيـي هَـدْيُـهُـمْ وهُـمُ افْـتَـلَـوْنِـي ... كَـمـا افْـتُـلِـي الـعَـتِـيـقُ مِـنَ الـمِـهَـارِ[2]

وقال ابنُ حبيب أيضاً: نزل العجيرُ بقوم فأكرموه وأطعموه وسقَوْه، فلما سكر قام إلى جَمَله فعقره، وأخرج كبدَه وجَبَّ سَنامه، فجعل يشوي ويأكل ويُطْعِم ويغني: [الرمل]

عَـلِّـلانـي إِنَّـمَـا الـدُّنْـيَـا عَـلَـلْ ... واسْـقِـيَـانِـي عَـلَـلاً بَـعْـدَ نَـهَـلْ
وانْـشِـلا لـي الـلَّـحْـمَ مِـنْ قِـدْرَيْـكـمَـا ... واصْـبَـحَـانـي أَبْـعَـدَ الـلّـهُ الـجـمَـلْ

فلمَّا أفاق سأل عن جمله فأخبر ما صنع به، فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم أعطوه جملاً وزوّدوه، فانصرف حتّى لحق بقومه.

أخبرني عَمّي بهذا الخبر قال: حَدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حَدَّثنا الحكم بن موسى بنُ الحسين بنِ يزيدَ السلولي قال: حَدَّثني أبي عن عمّه فقال فيه: مَرَّ العجيرُ بفتيان من قومه يشربون نبيذاً لهم فشرب معهم، وذكر باقي القصّة نحواً مما ذكر ابنُ حبيب، ولم يقل فيها: ـ فلما أصبح جعل يبكي ويصيح: واغربتاه! ـ ولكنه قال: فلمّا أصبح ساق قومُه إليه ألفَ بعير مكانَ بعيره.

[سليمان بن عبد الملك يعجب بشعره ويكافئه]

أخبرني عمّي وحبيبُ بن نصر المهلبي قالا: حَدَّثنا عبدُ اللّه بنُ أبي سعد قال: حدَّثني الحكم بن موسى بنِ الحسين السلولي قال: حدَّثني أبي عن عمّه قال:

---

(١) النِّجار: الأصل والحسب.
(٢) افتلوني: عزلوني. والعتيق: الفرس الكريم.

عرض العجيرُ لسليمانَ بن عبد الله وهو في الطّواف، وعلى العجير بُرْدان يساويان مائةً وخمسين ديناراً، فانقطع شِسْعُ نعله فأخذها بيده، ثم هتف بسليمان فقال:

[الطويل]

وَدَلَّيْتُ دَلْوِي في دِلاَءٍ كَثِيرَةٍ إليكَ فكانَ المَاءُ رَيَّانَ مُعْلَما[1]

فوقف سليمانُ ثم قال: لِلَّه دَرُّهُ ما أفصحَه، واللَّه ما رَضِيَ أن قال ريّان حتى قال مُعْلَمًا، واللَّه إنه لَيُخَيَّلُ إليّ أنه العُجير، وما رأيته قطّ إلاّ عند عبد الملك. فقيل له: هو العجير. فأرسل إليه: أنْ صِرْ إلينا إذا حللنا. فصار إليه، فأمر له بثلاثين ألفاً وبصدقات قومه، فردّها العجير عليهم ووهبها لهم.

[رثاؤه لابن عمه]

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدَّثني هارونُ بن موسى الفروي قال: كان ابن عم للعجير السّلولي إذا سمع بأضياف عند العجير لم يَدَعْهم حتى يأتي بجزور كوماء[2]، فيطعنَ في لَبَّتها عند بيته، فيبيتون في شواء وقدير[3]، ثم مات، فقال العجير يرثيه: [الطويل]

تَرَكْنَا أَبَا الأَضْيافِ في لَيْلَةِ الصَّبَا بِمَرٍّ ومِرْدَى كُلِّ خَصْمٍ يُجَادِلُهْ
وأُرْعِيهِ سَمْعِي كُلَّما ذُكِرَ الأَسَى وفي الصَّدْرِ مِنِّي لَوْعَةٌ ما تُزَايِلُهْ
وكُنْتُ أُعِيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى فَأَنْتَ على مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِلُهْ

هكذا ذكر هارون بنُ موسى في هذا الخبر، والبيت الثالثُ من هذه الأبيات للشَّمردل بنِ شَريك لا يُشَكُّ فيه، من قصيدة له طويلة. فيه غناء قد ذكرته في أخباره.

صوت

[المتقارب]

فَتَاةٌ كَأَنَّ رِضَابَ العَبِيرِ بِفِيهَا يُعَلُّ به الزَّنْجَبِيلُ
قَتَلْتُ أَبَاهَا على حُبِّهَا فَتَبْخَلُ إن بَخِلَتْ أو تُنِيلُ

الشعر لِخُزَيْمةَ بنِ نهدٍ، والغناءُ لطويس، خفيفُ رملٍ بالبِنصر عن يحيى المكيّ.

---

(١) الرّيّان: الكثير الذي يروي. المُعْلَم: المعروف.
(٢) الكوماء: الناقة العظيمة السّنام.
(٣) القدير: ما يُطبخ في القِدْر.

أخبار خُزيمة بن نهد ونسبه

[نسبه وتشبيبه بفاطمة بنت يذكر]

هو خُزيمةُ بنُ نَهْد بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. شاعر مُقِلٌّ من قدماء الشّعراء في الجاهلية، وفاطمة التي عناها في شعره هذا: فاطمة بنتُ يذكُر بن عنزةَ بن أسدِ بنِ ربيعةَ بنِ نزار، كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوّجه إياها، فقتله غِيلةً، وإيَّاها عنى بقوله: [الوافر]

إذا الجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ... ظَنَنْتُ بِآلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونا[1]

أخبرني بخبره محمدٌ بنُ خلفٍ وكيعٌ قال: حَدَّثنا عبيد اللَّه بن سعد الزبيري قال: حَدَّثني عمّي قال: حَدَّثني أبي ـ أظنّه عن الزهريّ ـ قال: كان بدءُ تفرُّق بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلامُ عن تهامةَ ونزوعهِم عنها إلى الآفاق، وخروج مَنْ خرج منهم عن نسبه، أنه كان أوّل من ظعن عنها وأُخرج منها قضاعةَ بنَ معدّ. وكان سبب خروجهم أن خزيمةَ بنَ نهدِ بنِ زيد بنِ سودِ بن أسلَمَ بنِ الحاف بن قضاعة بن معدّ كان مشؤوماً فاسداً، مُتَعَرِّضاً للنساء، فعلق فاطمة بنتَ يذكر بن عَنَزَةَ ـ واسم يذكر عامر ـ فشبَّبَ بها وقال فيها: [الوافر]

إذا الجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ... ظَنَنْتُ بِآلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا
وحَالَتْ دُونَ ذلكَ مِن هُمُومِي ... هُمُومٌ تُخْرِجُ الشَّجَنَ الدَّفِينَا
أَرَى ابْنَةَ يَذْكُرٍ ظَعَنَتْ، فَحَلَّتْ ... جَنُوبَ الحَزْنِ يا شَحَطاً مبينا[2]

قال: فمكث زماناً، ثم إن خزيمةَ بن نهد قال ليذكر بنِ عنزةَ: أُحبّ أن تخرج

(١) الجوزاء: برج من بروج السماء. وأردفت الثريّا: تلتها وتبعتها ويكون ذلك في شدّة الحرّ وعند ذلك تجفّ المياه ويتفرّق الناس في طلبها، والظنون: هي أن تكون فاطمة مجاورة له أو إنها قد تكون في موطن آخر فهو متوقّع أن يجمع بينهما ماء من المياه.

(٢) ظعنت: رحلت. والحَزن: ما غلظ من الأرض. والشَّحَط: البعد.

معي حتى نأتي بِقَرَظ[١]. فخرجا جميعاً، فلما خلا خزيمةُ بن نهد بيذكر بنِ عنزة قتله، فلما رجع ـ وليس هو معه ـ سأله عنه أهله، فقال: لست أدري، فارقني وما أدري أين سلك. فكان في ذلك شرٌّ بين قضاعةَ ونزار ابني معد، وتكلّموا فيه فأكثروا، ولم يصحَّ على خزيمة عندهم شيء يطالبون به، حتى قال خزيمة بن نهد:

[المتقارب]

فَتَاةٌ كَأَنَّ رِضَابَ العَبِيرِ ... بِفِيهَا يُعَلُّ به الزَّنْجَبِيلُ
قَتَلْتُ أَبَاهَا عَلى حُبِّهَا ... فَتَبْخَلُ إنْ بَخِلَتْ أو تُنِيلُ

فلمّا قال هذين البيتين تثاور[٢] الحيّان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً، فكانت نزارُ ابنُ معد وهي يومئذٍ تنتسب فتقول كندة بن جُنادة بن معد. وجاءُوهم يومئذٍ ينتمون فيقولون حاءُ بنُ عمرِو بنِ أدّ بن أُدَد. وكانت قضاعة تنتسب إلى معد، وعكّ يومئذٍ تنتمي إلى عدنان فتقول: عكّ عدنان بن أدّ، والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد. وكانوا يَتَبدَّوْن[٣] من تِهامة إلى الشّأم، وكانت منازلهم بالصُّفَّاح[٤]، وكان مَرّ وعُسْفان لِربيعة بن نزار، وكانت قضاعة بين مكة والطائف، وكانت كندة تسكن من الغَمْر إلى ذات عِرْق[٥]، فهو إلى اليوم يُسَمّى غَمْر كندة[٦]. وإيّاه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله: [المتقارب]

إذا سَلَكَتْ غَمْرَ ذِي كِنْدَةٍ ... مع الصُّبْحِ قَصْدٌ لها الفَرْقَدُ
هنالك إمَّا تُعَزِّي الهَوَى ... وإمَّا على إثْرِهِمْ تَكْمَدُ

وكانت منازلُ حاءِ بنِ عمروِ بنِ أُدَد، والأشعرِ بنِ أددٍ، وعكِّ بنِ عدنانَ بن أدد، فيما بين جُدّة إلى البحر.

قال: فيذكُرُ بنُ عنزَةَ أحدُ القَارِظَينِ[٧] اللّذين قال فيهما الهذليّ: [الطويل]

وحَتَّى يَؤُوبَ القَارِظَانِ كِلاَهُمَا ... ويُنْشَرَ في القَتْلَى كُلَيبٌ لِوَائِلِ

(١) القَرَظ: شجر عظام لها ورق يُدبَغ به.
(٢) تثاور الحيّان: وثبَ كلٌ منهما إلى الآخر.
(٣) تتبدّون: ينزلون البادية.
(٤) الصُفّاح: موضع قريب من ذروة (معجم البلدان ٣/ ٤١٢).
(٥) ذات عِرق: هو الحدّ بين نجد وتهامة، وقيل: هو جبل بطريق مكة (معجم البلدان ٤/ ١٠٧).
(٦) غمر كندة: موضع بينه وبين مكة مسيرة يومين (معجم البلدان ٤/ ٢١١).
(٧) القارظ: الذي يجني القرظ ويجمعه.

والآخر من عَنَزَةَ، يقال له أبو رُهْم، خرج يجمع القرظ فلم يرجع ولم يُعْرَفْ له خبرٌ.

قال: فلما ظهرت[١] نزارٌ على أن خزيمةَ بنَ نهد قَتَلَ يذكر بنَ عنزةَ قاتلوا قضاعةَ أشدّ قتالٍ، فهزمت قضاعةُ وقُتِلَ خزيمةُ بنُ نهدٍ وخرجت قضاعةُ متفرقين، فسارت تيمُ اللاّت بنُ أسدِ بنِ وبرَة بنِ تغلبَ بنِ حلوانَ بنِ عمرانَ بن الحاف بن قضاعةَ، وفرقة من بني رُفيدةَ بنِ ثور بن كلب بن وبرة، وفرقة من الأشعريين، نحو البحرين حتى وردوا هجر[٢]، وبها يومئذ قوم من النّبط، فنزلت عليهم هذه البطون فأَجْلَتْهم، فقال في ذلك مالك بن زهير: [الوافر]

نَزَعْنَا مِنْ تِهَامَةَ أَيَّ حَيٍّ ... فَلَمْ تَحْفِلْ بِذَاكَ بَنُو نِزَارِ
ولم أَكُ مِنْ أَنِيسِكُمُ ولَكِنْ ... شَرَيْنَا دَارَ آنِسَةٍ بِدَارِ

[الزرقاء تتكهّن بما سيحدث]

فلما نزلوا هَجَرَ قالوا لِلزَّرقاءِ بنتِ زُهَيرٍ - وكانت كاهنة - ما تقولين يا زرقاءُ؟ قالت: «سَعَفٌ وإهان[٣]، وتمر وألبان، خيرٌ من الهوان». ثم أنشأت تقول: [الكامل]

وَدِّع تِهَامَةَ لا وَدَاعَ مُخَالِقٍ ... بِذِمَامِهِ لَكِنْ قِلًى ومَلاَمْ[٤]
لا تُنْكِرِي هَجَراً مُقَامَ غَرِيبَةٍ ... لَنْ تَعْدَمِي من ظَاعِنِينَ تَهَامْ

فقالوا لها: فما ترين يا زرقاء؟ فقالت: «مُقَامٌ وتَنُوخ[٥]، ما وُلِدَ مولودٌ وأَنْقَفَتْ فُرُوْخ[٦]، إلى أن يجيءَ غرابٌ أبقع، أصمع أنزع[٧]، عليه خِلْخَالا ذهب، فطار فألهب[٨]، ونَعَق فَنَعب، يقع على النّخلة السَّحُوق[٩]، بين الدُّور والطريق،

(١) ظهرتْ: عرفتْ.
(٢) هَجَر: مدينة في البحرين (معجم البلدان ٥/ ٣٩٣).
(٣) السَّعَف: جريد النخل اليابس. والإهان: عُرجون الثمرة، والعُرجون: هو عنقود النخل الذي يبقى على النخل يابساً بعد أن يُقطع العِذق.
(٤) المخالق: الذي يعاشر الناس على أخلاقهم. والقِلَى: البغض.
(٥) تنخ بالمكان تُنوخاً: أقام به.
(٦) أنقفت الفروخ: ثقبت بيضها وخرجت.
(٧) الأصمع: صغير الأذن، والأنزع: المنحسر الشعر عن جانبي الجبهة.
(٨) ألهب: اشتدّ في طيرانه كما يلهب الفرس في عَدْوِه.
(٩) السحوق: الطويلة.

فسيروا على وَتِيرة، ثم الحِيرة الحيرة!». فسُمِّيَتْ تلك القبائل تَنُوخَ لقول الزرقاءِ: «مقام وتنُوخ». ولحقَ بهم قوم من الأزد فصاروا إلى الآن في تنوخ، ولحق سائرَ قضاعة موتٌ ذريع؛ وخرجت فرقة من بني حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضَاعة يقال لهم: بنو تَزيد، فنزلوا عَبْقَرَ[1] من أرض الجزيرة، فَنَسج نساؤهم الصُّوفَ وعمِلوا منه الزّرابيّ[2]؛ فهي التي يقال لها العبقرية، وعمِلوا البرود التي يقال لها التَّزيدية. وأغارت عليهم الترك، فأصابتهم، وسَبَتْ منهم. فذلك قول عمرو بنِ مالك: [الوافر]

أَلاَ لِلّهِ لَيلٌ لَم نَنَمْهُ ... على ذَاتِ الخِضَابِ مُجَنِّبِينا[3]

ولَيلَتُنَا بِآمِدَ لَم نَنَمْها ... كَلَيلَتِنَا بِمَيَّافارِقِينا[4]

وأقبل الحارثُ بنُ قُرادٍ البهرانيُّ ليعيث في بني حُلْوان، فعرض له أَباغُ بن سُلَيحٍ صاحبُ العين[5]، فاقتتلا، فقُتِلَ أباغ، ومضت بهراءُ حتى لحقوا بالترك، فهزموهم واستنقذوا ما في أيديهم من بني تزيد. فقال الحارث بن قُرَاد في ذلك:

[الوافر]

كَأَنَّ الدَّهرَ جُمِّعَ في لَيَالٍ ... ثَلاَثٍ بِتُّهُنَّ بِشَهْرَزُورِ[6]

صَفَفْنا لِلأَعَاجِمِ مِنْ مَعَدٍّ ... صُفُوفاً بِالجزيرةِ كَالسَّعِيرِ

وسارتْ سليحُ بنُ عمرو بن الحاف بنِ قُضَاعة يَقُودها الحِدْرِجانُ بنُ سَلَمَةَ حتى نزلوا ناحية فِلَسْطِين على بني أُذَيْنَة بنِ السَّمَيْدَع من عاملة. وسارت أسلم بن الحاف وهي عُذْرةُ ونَهْدٌ وحَوْتَكة وجُهَيْنةُ والحارثُ بن سَعْد، حتى نزلوا من الحِجْر إلى وادي القُرَى، ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين. ثم أقبل غرابٌ في رجليه حَلْقَتا ذهبٍ وهم في مجلسهم، فَسقَط على نَخْلة في الطريق، فَيَنْعَق نَعَقاتٍ ثم طار؛

(١) عَبقر: من أرض اليمن، وهو أيضاً اسم أُطْلِق قديماً على أرض كان يسكنها الجنّ (معجم البلدان ٤/ ٨٩).

(٢) الزَّرابي: جمع الزُّربِيّ: كلّ ما اتُّكِيءَ عليه من بُسط ووسائد.

(٣) المجنّبون: الذين انقطعت ألبان إبلهم.

(٤) آمد: بلد قديم حصين (معجم البلدان ١/ ٥٦). ومَيّا فارقين: من أشهر المدن في ديار بكر (معجم البلدان ٥/ ٢٣٥).

(٥) العين: هي العين المشهورة بعين أباغ.

(٦) شَهْرَزُور: بلدة كبيرة من أعمال إربل (معجم البلدان ٣/ ٣٧٥).

فذكروا قول الزَّرقاء، فارتحلوا حتّى نزلوا الحِيرةَ. فهُمْ أوّلُ مَن اختطَّها[١] منهم مالكُ بنُ زهير. واجتمع إليهم لمّا ابْتَنَوا بها المنازلَ ناسٌ كثير من سُقَّاط القرى، فأقاموا بها زماناً؛ ثم أغار عليهم سابور[٢] الأكبر، فقاتلوه فكان شعارهم يومئذٍ: يا آلَ عباد اللَّه! فَسُمُّوا العبادَ، وهزمهم سابُور، فصار معظمُهم ومن فيه نهوضٌ إلى الحَضْر من الجزيرة يقودهم الضَّيْزنُ بنُ معاويةَ التّنوخيّ، فمضى حتّى نزل الحَضْرَ وهو بناء بناه السَّاطِرون[٣] الجُرْمُقاني، فأقاموا به، وأغارت حِميَرُ على بقية قضاعة، فخيّروهم بين أنْ يُقيموا على خراجٍ يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم، فخرجوا ـ وهم كلبٌ، وجَرْمٌ والعلاف، وهم بنوٌ زَبّانَ بن تغلب بن حلوان، وهو أوّل من عمل الرِّجال العِلافيَّة، ـ وعلافٌ لقب زَبّان ـ فلحقوا بالشّام، فأغارت عليهم بنو كنانة بنِ خزيمة بعد ذلك بدهر، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة، وانهزموا فلحقوا بالسَّماوة[٤]، فهي منازلهم إلى اليوم.

صوت

[البسيط]

إنِّـي امْـرُؤٌ كَـفَّـنِـي رَبِّـي ونَـزَّهَـنِـي ... عَـنِ الأُمُـورِ الَّـتي فـي غِـبِّـهـا وَخَـمُ[٥]
وإنَّـمـا أنَـا إنْـسَـانٌ أَعِـيـشُ كَـمَـا ... عَـاشَ الـرِّجَـالُ وعَـاشَـتْ قَـبْـلِـيَ الأُمَـمُ

الشعر للمغيرة بنِ حبناء، مِن قصيدةٍ مدح بها المهلّبَ بنَ أبي صفرة، والغناء لأبي العُبَيس بن حمدون، ثقيلٌ أوّلُ بالبنصرِ، وهو من مشهور أغانيه وجَيِّدِها.

---

(١) اختطّها: وضع أساسها.
(٢) سابور: أحد ملوك الفرس.
(٣) السّاطرون؛ اسم ملك من العجم كان يسكن الحضر.
(٤) السَّمَاوة: أرض لبني كلب (معجم البلدان ٣/ ٢٤٥).
(٥) الوَخم: الأمر الضارّ.

نسب المغيرة بن حَبناء وأخباره

[توفي ٩١ هـ/ ٧١٠ م]

[نسبه وعصره]

المغيرة بنُ حَبناءَ بنِ عمرِو بنِ ربيعة بنِ أُسيدِ بن عبدِ عوف بن ربيعة بنِ عامر ابنَ ربيعة بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم، وحبناء لقبٌ غَلَبَ على أبيه واسمه جُبيرُ بنُ عمرو، ولُقِّبَ بذلك لِحَبَنٍ[1] كان أصابه. وهو شاعرٌ إسلاميّ من شعراء الدّولةِ الأمويةِ، وأبوه حَبناءُ بن عمرو شاعرٌ، وأخوه صخر بن حبناء شاعر، وكان يهاجيه، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرةٌ، سأذكر منها طرفاً. وكان قد هاجى زياداً الأعجم فأكثر كُلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه وأفحش، ولم يغلب أحدٌ منهما صاحبه، كانا متكافِئين في مهاجاتِهما يَنْتَصِفُ كلٌّ واحد منهما من صاحبه.

[مدحه لطلحة الطلحات وللمهلّب بن أبي صفرة]

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المرزبانِ قال: أخبرني عبيدُ اللّه بنُ محمد بنِ عبد الملكِ الزيات قال: حَدَّثني الحسنُ بن جَهْوَرٍ عن الجِرْمازِي قال: قدم المغيرة بن حبناء على طَلحةِ الطَّلَحات[2] الخُزاعيِّ ثم الْمُلَيْحيِّ، أحد بني مُليح، فأنشده قوله فيه: [الطويل]

لقد كنتُ أَسعَى في هَوَاكَ وأَبْتَغي ... رِضَاكَ وأَرْجُو مِنْكَ ما لَسْتُ لاَقِيا

وأَبْذُلُ نَفسِي في مَوَاطِنَ، غَيْرُها ... أَحَبُّ، وأَعْصِي في هَواكَ الأَدَانِيا

---

(١) الحَبَنُ: داءٌ يصيب البطن فيرم منه.

(٢) طلحة الطَّلحات: هو طلحة بن عبد الله بن خلف بن سعد بن مليح... الخزاعي: أحد الأجواد المقدّمين تولّى سجستان في أيام زياد بن مسلمة (ت ٦٥ هـ/ ٦٨٥) ترجمته في المحبر ١٥٦، وخزانة البغدادي ٣/ ٣٩٤.

حِفَاظاً وتَمْسِيكاً لِمَا كانَ بيننا لِتَجْزِيَنِي مَا لا إخالُكَ جَازِيا
رَأَيْتُكَ مَا تَنْفَكُّ مِنْكَ رَغِيبَةٌ تُقَصِّرُ دُونِي أو تَحُلُّ وَرَائِيَا[1]
أُرَانِي إذا اسْتَمْطَرْتُ مِنْكَ رَغيبَةً لِتُمْطِرَنِي عَادَتْ عَجَاجاً وسَافِيا[2]
وَأَدْلَيْتُ دَلْوِي في دِلاءٍ كَثيرةٍ فَأُبْنَ مِلاءً غيرَ دلوي كَمَا هِيَا
ولَسْتُ بِلاَقٍ ذا حِفَاظٍ ونَجْدَةٍ مِنَ القَوْمِ حُرّاً بِالخَسِيسَةِ رَاضِيَا
فَإنْ تَدْنُ مِنّي تَدْنُ مِنْكَ مَوَدَّتِي وإنْ تَنْأَ عَنّي تُلْفِني عَنْكَ نَائِيا

قال: فلمّا أنشده هذا الشعرَ، قال له: أمَا كُنّا أعطيناك شيئاً؟ قال: لا. فأمر طلحةُ خازِنَه فأخرج دُرْجاً فيه حجارةُ ياقوت، فقال له: اخترْ حجرين من هذه الأحجار أو أربعين ألفَ درهم. فقال: ما كنتُ لأختار حجارةً على أربعين ألف درهم! فأمر له بالمال. فلمّا قبضه سأله حجراً منها، فوهبه له، فباعه بعشرين ألف درهمٍ، ثم مدحه، فقال: [الطويل]

أَرَى النَّاسَ قَدْ مَلُّوا الفَعَالَ ولا أَرَى بَنِي خَلَفٍ إلاَّ رَوَاءَ المَوَارِدِ[3]
إذا نَفَعُوا عَادُوا لِمَنْ يَنْفَعُونَهُ وكَائِنْ تَرَى مِنْ نَافِعٍ غَيْرِ عَائِدِ[4]
إذا ما انْجلَتْ عَنْهُمْ غَمَامَةُ غَمْرَةٍ مِنَ المَوْتِ أَجْلَتْ عَنْ كِرَامٍ مَذَاوِدِ[5]
تَسُودُ غَطَارِيفَ المُلوكِ مُلُوكُهُمْ ومَاجِدُهُمْ يَعْلُو على كُلِّ مَاجِدِ[6]

أخبرني هاشمُ بن محمد قال: حَدَّثنا المغيرةُ بنُ محمد المهلبيّ عن رواة باهلة، أن المهلَّب بن أبي صفرة لما هَزَمَ قَطَرِيَّ بنَ الفُجَاءة بسابور[7] جلس للناس، فدخل إليه وجوههم يهنّئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء، ثم قام المغيرة بن حبناء في أخرياتهم فأنشده: [البسيط]

حَالَ الشَّجَا دُونَ طَعْمِ العَيْشِ والسَّهَرُ واعْتَادَ عَيْنَكَ مِنْ إدْمَانِها الدِّرَرُ[8]

---

(١) الرغيبة: الأمر المرغوب. وتقصّر دوني: لا تصل إليّ.
(٢) العجاج: الغبار. والسافي: الغبار أو الريح التي تحمل التراب.
(٣) الرُّواء: من الرّيّ. والرُّواء: الماء العذب.
(٤) كائن: بمعنى كم، أي كثير.
(٥) المذاود: جمع المِذود: الذين يدافعون عن حِماهم.
(٦) الغطاريف: جمع الغِطريف: السّيد الشريف.
(٧) سابور: كورة مشهورة بأرض فارس، وقيل: سابور موضع بالبحرين (معجم البلدان ٣/١٦٧).
(٨) الشَّجا: الحزن والهم. والدِّرَر: جمع الدِّرَّة: كثرة اللّبن، والمراد هنا الدموع المنسكبة بغزارة.

واسْتَحْقَبَتْكَ أُمورٌ كنتَ تَكْرَهُهَا لو كانَ يَنْفَعُ مِنها النَّأْيُ والحَذَرُ[١]
وفي المَوَارِدِ لِلأَقْوَامِ تَهْلُكَةٌ إذا المَوَارِدُ لم يُعْلَمْ لها صَدَرُ[٢]
ليسَ العَزيزُ بِمَنْ تُغْشَى مَحَارِمُهُ ولا الكَرِيمُ بِمَنْ يُجْفَى ويُحْتَقَرُ

حتى انتهى إلى قوله:

أَمَسَى العِبَادُ بِشَرٍّ لا غِيَاثَ لَهُمْ إلاَّ المُهَلَّبُ بَعْدَ اللَّهِ والمَطَرُ
كِلاَهُمَا طَيِّبٌ تُرْجَى نَوَافِلُهُ مُبَارَكٌ سَيْبُهُ يُرْجَى ويُنْتَظَرُ[٣]
لا يَجْمُدَانِ عَلَيْهِمْ عِنْدَ جَهْدِهِمُ كِلاَهُمَا نَافِعٌ فِيهِمْ إذا افْتَقَروا
هذا يَذُودُ ويَحْمِي عن ذِمَارِهِمُ وذَا يَعِيشُ به الأَنعامُ والشَّجَرُ
واسْتَسْلَمَ النَّاسُ إذ حَلَّ العَدُوُّ بِهِمْ فلا رَبِيعَتُهُمْ تُرْجَى ولا مُضَرُ
وأنتَ رَأْسٌ لأَهْلِ الدِّينِ مُنْتَخَبٌ والرَّأْسُ فيه يكونُ السَّمْعُ والبَصَرُ
إنَّ المُهَلَّبَ في الأَيَّامِ فَضَّلَهُ عَلَى مَنَازِلِ أَقْوَامٍ إذا ذُكِرُوا
حَزْمٌ وجُودٌ وأَيَّامٌ له سَلَفَتْ فيها يُعَدُّ جَسِيمُ الأَمْرِ والخَطَرُ
مَاضٍ على الهَوْلِ ما يَنْفَكُّ مُرْتَحِلاً أَسْبَابَ معضلةٍ يَعْيَا بها البَشَرُ
سَهْلُ الخَلائِقِ يَعْفُو عِنْدَ قُدْرَتِهِ منه الحَيَاءُ ومِنْ أَخْلاقِهِ الخَفَرُ
شِهَابُ حَرْبٍ إذا حَلَّتْ بِسَاحَتِهِ يُخْزِي به اللَّهُ أَقْوَاماً إذا غَدَرُوا
تزيدُهُ الحَرْبُ والأَهْوَالُ إن حَضَرَتْ حَزماً وعَزماً وَيَجْلُو وجْهَهُ السَّفَرُ
ما إنْ يَزَالُ على أَرْجَاءِ مُظْلِمَةٍ لولا يُكَفْكِفُها عن مِصْرِهِمْ دَمَرُوا[٤]
سَهْلٌ إليهِمْ حَلِيمٌ عن مَجَاهِلِهِمْ كَأَنَّمَا بَيْنَهُمْ عُثْمَانُ أو عُمَرُ
كَهْفٌ يَلُوذُونَ مِنْ ذُلِّ الحَيَاةِ به إذا تَكَنَّفَهُمْ مِن هَوْلِهَا ضَرَرُ
أَمْنٌ لِخَائِفِهِمْ فَيْضٌ لِسَائِلِهِمْ يَنْتَابُ نَائِلَهُ البَادُونَ والحَضَرُ[٥]

فلمَّا أتى على آخرها قال المهلَّب: هذا واللَّه الشِّعْرُ، لا ما نُعَلَّلُ به، وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرسٍ جوادٍ، وزاده في عطائه خمسَمائةِ درهم.

والقصيدة التي منها البيتان اللَّذان فيهما الغِناء المذكور بذكرِهِ أخبارُ المغيرة،

---

(١) استحقبتك: ادَّخرتك.
(٢) الموارد: جمع المورد. وموارد الأمور: مداخلها: والصَّدَر: الرجوع.
(٣) السَّيب: العطاء.
(٤) يكفكفها: يردُّها. ودمروا: هلكوا.
(٥) البادون: سكَّان البادية، والحَضَر: سكَّان المدن والقرى.

من قصيدة له مدح بها المهلّب بنَ أبي صفرةَ أيضاً، وأوّلها: [البسيط]

أَمِنْ رُسُومِ دِيارٍ هَاجَكَ القِدَمُ ... أَقْوَتْ وأَقْفَرَ مِنها الطُّفُّ والعَلَمُ(١)

ومَا يَهِيجُكَ مِنْ أَطْلالِ مَنْزِلَةٍ ... عَفَّى مَعَالِمَها الأَرْوَاحُ والدِّيَمُ(٢)

بِئْسَ الخَلِيفَةُ مِنْ جارٍ، تَضِنُّ بِهِ ... إذا طَرِبْتَ، أَثَافِي القِدْرِ والحُمَمُ(٣)

دَارُ الَّتي كَادَ قَلْبِي أَنْ يُجَنَّ بِها ... إذا أَلَمَّ بِهِ مِن ذِكْرِها لَمَمُ

إذا تَذَكَّرَها قَلْبِي تَضَيَّفَهُ ... هَمٌّ تَضِيقُ به الأَحْشَاءُ والكَظَمُ(٤)

والبَيْنُ حِينَ يَرُوعُ القَلْبَ طَائِفُهُ ... يُبْدِي ويُظْهِرُ مِنْهُمْ بَعْضَ ما كَتَمُوا

إِنِّي امْرُؤٌ كَفَّنِي رَبِّي وأَكْرَمَنِي ... عَنِ الأُمورِ الَّتي في غِبِّهَا وَخَمُ

وإِنَّمَا أَنَا إِنْسَانٌ أَعِيشُ كَمَا ... عَاشَ الرِّجَالُ وعَاشَتْ قَبْلِيَ الأُمَمُ

وهي قصيدة طويلة، وكان سببُ قوله إيّاها أنّ المهلب كان أنفذ بعض بنيه في جيشٍ لقتالِ الأزارِقة، وقد شدّت مِنهم طائفةٌ تُغِيرُ على نواحي الأهواز، وهو مقيم يومئذٍ بسابور، وكان فيهم المغيرةُ بنُ حبناء، فلما طال مُقامه واستقر الجيش لَحِقَ بأهله، فَأَلَمَّ بهم وأقام عندهم شهراً، ثم عاود وقد قفل الجيش إلى المهلب فقيل له: إن الكُتَّابَ خَطُّوا على اسمه، وكُتِبَ إلى المهلَّب أنه عصَى وفارق مكتبه بغير إذن، فمضى إلى المهلب، فلما لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره، وأمر بإطلاقِ عطائه وإزالة العتبِ عنه، وفيها يقول يذكر قدومه إلى أهله بغير إذن:

مَا عَاقَنِي عَنْ قُفُولِ الجُنْدِ إذْ قَفَلُوا ... عِيٌّ بِمَا صَنَعُوا حَوْلِي ولا صَمَمُ(٥)

ولَو أَرَدْتُ قُفُولاً ما تَجَهَّمَنِي ... إِذْنُ الأَمِيرِ ولا الكُتَّابُ إذ رَقَموا(٦)

إِنِّي لَيَعْرِفُنِي رَاعِي سَرِيرِهِمُ ... والمُحْدِجُونَ إذا مَا ابْتَلَّتِ الحُزُمُ(٧)

---

(١) القِدَم: مضيّ زمان طويل على وجود الشيء. وأقوت: أقفرتْ. والطُّفّ: أرض من ضاحية الكوفة كان فيها مقتل الحسين بن علي عليه السلام (معجم البلدان ٤/ ٣٥). والعَلَم: جبل شرقي الحاجر يقال له أبان (معجم البلدان ٤/ ١٤٧).

(٢) الأرواح: الرياح. والدِّيَم: جمع الدِّيمة: مطر يدوم بسكون بلا رعد ولا برق ويدوم عدة أيام.

(٣) الخليفة: الخلف والبدل. والأثافي: جمع أُثفِيَّة: الحجارة الثلاثة التي توضع تحت القِدْر. والحُمَم: الفحم والرماد والنار المشتعلة.

(٤) الكَظم: مخرج النَّفَس من الحلق.

(٥) العِيُّ: عدم الاهتداء لوجه الأمر.

(٦) ما تجهمني: ما استقبلني بغير ما أُحبّ.

(٧) المحدجون: الذين يشدّون الأحداج على الإبل.

والطَّالِبونَ إلى السُّلْطَانِ حَاجَتَهُمْ إذا جَفَا عَنْهُمُ السُّلْطانُ أو كَزِمُوا[١]
فَسَوفَ تُبْلِغُكَ الأَنْبَاءَ إنْ سَلِمَتْ لَكَ الشَّواحِجُ والأَنْفَاسُ والأُدُمُ[٢]
إنَّ المُهَلَّبَ إنْ أَشْتَقْ لِرُؤْيَتِهِ أو أَمْتَدِحْهُ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُوا
إنَّ الكَرِيمَ مِنَ الأَقْوَامِ قد عَلِمُوا أَبُو سَعِيدٍ إذا مَا عُدَّتِ النِّعَمُ
والقَائِلُ الفَاعِلُ المَيْمُونُ طَائِرُهُ أَبُو سَعِيدٍ وإِنْ أَعْدَاؤُهُ رَغَمُوا
كم قَدْ شَهِدْتُ كِرَاماً مِنْ مَواطِنِه لَيْسَتْ بِغَيْبٍ ولا تِقْوَالِهِمْ زَعَمُوا[٣]
أَيَّامَ أَيَّامَ إذ عَضَّ الزَّمَانُ بِهِمْ وإذْ تَمَنَّى رِجَالٌ أَنَّهُمْ هُزِمُوا
وإذْ يَقولُونَ: لَيْتَ اللَّهَ يُهْلِكُهُمْ واللَّهُ يَعْلَمُ لَوْ زَلَّتْ بِهِمْ قَدَمُ
أَيَّامَ سَابُورَ إذا ضَاعَتْ رَبَاعَتُهُمْ لَوْلاهُ ما أَوْطَنُوا دَاراً ولا انْتَقَمُوا[٤]
إذْ لَيْسَ شَيءٌ مِنَ الدُّنْيَا نَصُولُ بِهِ إلاَّ المَغَافِرُ والأَبْدَانُ واللُّجُمُ[٥]
وعَاتِرَاتٍ مِنَ الخَطِّيِّ مَخْصَدَةٍ نُفضي بِهِنَّ إِلَيْهِمْ ثُمَّ نَدَّعِمُ[٦]

[المهاجاة بينه وبين زياد الأعجم وسببها]

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرٍو الشيبانيّ في خبر هذه القصيدةِ، ونسخت من كتابه. وذكر أيضاً في هذا الكتاب أن سبب التهاجي بين زيادٍ الأعجم والمغيرة بنِ حبناءَ، أن زياداً الأعجم والمغيرةَ بن حبناء وكعباً الأشقريّ اجتمعوا عند المهلّب وقد مدحوه، فأمر لهم بجوائز وفضَّلَ زياداً عليهم، ووهب له غلاماً فصيحاً يُنشِدُ شِعرَه، لأنَّ زياداً كان ألكنَ لا يُفصِحُ، فكان راوِيته يُنْشد عنه ما يقوله، فيتكلّف له مؤونة ويجعل له سهماً في صِلاتِه، فسأل المهلَّب يومئذٍ أن يهبَ له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب، فوهبه له، فنَفِسُوا عليه ما فُضِّلَ به؛ فانتدب له المغيرةُ من بينهم، فقال للمهلّب: أصلحَ اللّهُ الأميرَ، ما السبب في تفضيل الأمير زياداً علينا؟ فواللّه ما يُغني غَناءنا في الحرب، ولا هو بأفضلِنا شَعباً، ولا أصدقنا

(١) كزموا: هابوا.
(٢) الشَّواحج: البغال. الأُدُم: جمع الأدماء وآدم: الناقة أُشرب لونها سواداً أو بياضاً.
(٣) التّقوال: القول المزعوم.
(٤) الرِّباعة: الشأن والحالة.
(٥) المغافر: جمع المِغْفر والمِغفرة: الزَّرَد من الدرع يُلبس تحت القلنسوة. والأبدان: جمع البَدَن: الدرع القصيرة. واللُّجُم: جمع اللّجام: ما يُجعل في فم الفرس من الحديد ومعه السَّيْر وغيره.
(٦) العاترات: المضطربات للينها. والخطّيّ: الرمح المنسوب إلى الخطّ والخطّ: بلد على سِيف البحرين وموضع في عمان (معجم البلدان ٢/٣٧٨). والمُخْصَدَة: المحكمة الصنعة.

وُدّاً، ولا أشرفِنا أباً، ولا أفصحِنا لساناً! فقال له المهلب: أما إنّي واللَّه ما جهلت شيئاً مما قلت، وإن الأمرَ فيكم عندي لَمُتَساوٍ، ولكنّ زياداً يُكْرَمُ لِسِنِّه وشِعره وموضعه من قومه، وكلُّكم كذلك عندي، وما فضّلته بما يُنْفَسُ به[1]، وأنا أعوِّضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضلته به. فانصرف، وبلغ زياداً ما كان منه، فقال يهجوه: [الطويل]

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَنْسُلُ اللُّؤمُ عِنْدَهُمْ ... ولُؤْمُ بَنِي حَبْنَاءَ لَيْسَ بِنَاسِلِ[2]
يَشِبُّ مَعَ المَوْلُودِ مِثْلَ شَبَابِهِ ... ويَلْقَاهُ مَوْلُوداً بِأَيْدِي القَوَابِلِ
ويُرْضِعُهُ مِنْ ثَدْيِ أُمٍّ لَئِيمَةٍ ... ويُخْلَقُ مِنْ مَاءِ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ
تَعَالَوْا فَعُدّوا في الزَّمَانِ الّذي مَضَى، ... وكُلّ أُنَاسٍ مَجْدُهُمْ بِالأوائلِ
لَكُمْ بِفَعَالٍ يَعْرِفُ النَّاسُ فَضْلَهُ ... إذا ذُكِرَ الأَمْلاءُ عِنْدَ الفَضَائِلِ[3]
فَغَازِيكُمُ في الجَيْشِ أَلأَمُ مَنْ غَزَا ... وقَافِلُكُمْ في النَّاسِ أَلأمُ قَافِلِ[4]
ومَا أَنْتُمُ مِنْ مَالِكٍ غَيْرَ أَنَّكُمْ ... كَمَغْرُورَةٍ بِالبَوِّ في ظِلِّ بَاطِلِ[5]
بَنُو مَالِكٍ زُهْرُ الوُجُوهِ وأَنْتُمُ ... تَبَيَّنَ ضَاحِي لُؤْمِكُمْ فِي الجَحَافِلِ[6]

يعني برصاً كان بالمغيرة بن حبناء.

أخبرني عبيد اللَّهِ بن محمدٍ الرازيّ قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال: حَدَّثني المدائنيّ قال: عَيَّرَ زياد الأعجم المغيرة بن حبناء في مجلس المهلّب بالبرص، فقال له المغيرة: إنّ عِتَاقَ الخيل لا تشينها الأوضاح[7]، ولا تعيّر بالغُرَرِ والحُجُولِ[8]، وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجلٍ عَيَّره بالبرصِ: «إنَّما أنا سيفُ اللَّهِ جلاه واسْتَلَّه على أعدائه» فهل تُغني يابن العجماء غنائي، أو تقوم مقامي؟ ثم نشِبَ الهِجاء بينهما.

---

(١) يُنْفَس به: يُحسَد عليه.
(٢) ينسل: يسقط.
(٣) الأملاء: جمع ملأ: الأشراف.
(٤) القافل: الراجع.
(٥) البَوّ: جلد الحُوَار يُحشى تبناً فتحنّ عليه أم الفصيل الفاقدة ولدها.
(٦) الضاحِي: البارز الظاهر. والجحافل: جمع الجحفلة: هي للخيل والبغال والحمير بمثابة الشّفاه.
(٧) الأوضاح: جمع الوَضَح: التحجيل في القوائم بالبياض.
(٨) الغُرَر: جمع الغُرّة: بياض في جبهة الفرس. والحُجُول: جمع الحَجْل: البياض في رِجل الفرس.

نسخت من نسخةِ ابن الأعرابي، قال: كان المغيرة بنُ حبناء يوماً يأكل مع المُفضَّل بنِ المهلَّب، فقال له المفضل: [الطويل]

فَلَمْ أرَ مِثْلَ الحَنْظَلِيّ ولَوْنِهِ أكِيلَ كِرَامٍ أو جَلِيسَ أمِيرِ

فرفع المغيرة يَده وقام مغضباً، ثم قال له: [البسيط]

إنّي امْرُؤٌ حَنْظِلِيٌّ حِينَ تَنْسُبُنِي لا مِ العتِيكِ ولا أخْوالِيَ العَوَقُ[١]

ـ العَوَق مِن يشكر، وكانوا أخوال المفضّل ـ

لا تَحْسبَنَّ بَيَاضاً فِيَّ مَنْقَصَةً إنَّ اللَّهامِيمَ في ألوانِها بَلَقُ[٢]

وبلغ المهلّب ما جرى، فتناول المفضّلَ بلسانه وشتمه، وقال: أردتَ أن يتمضَّغَ هذا أعراضَنا، ما حملك على أن أسمعته ما كرِه بعد مواكلتك إياه؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه أوْ لا تُؤْذِه. ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم، واستصفحه عن المفضّل، واعتذر إليه عنه، فقبِلَ رِفده وعذره، وانقطع بعد ذلك عن مواكلةِ أحدٍ منهم.

ـ رجع الخبر إلى سياقته مع زياد والمغيرة ـ فقال المغيرة يجيب زياداً:

[الكامل]

أزِيَادُ إنَّكَ والَّذِي أنَا عَبْدُهُ مَا دُونَ آدَمَ مِنْ أبٍ لَكَ يُعْلَمُ
فالحَقْ بِأرْضِكَ يا زِيَادُ ولا تَرُمْ ما لا تُطِيقُ وأنْتَ عِلجٌ أعْجَمُ[٣]
أظَنَنْتَ لُؤْمَكَ يا زِيَادُ يَسُدُّهُ قَوْسٌ سَتَرْتَ بِهَا قَفَاكَ وأسْهُمُ
عِلْجٌ تَعَصَّبَ ثُمَّ رَاقَ بِقَوْسِهِ والعِلْجُ تَعْرِفُهُ إذا يَتَعَمَّمُ[٤]
ألْقِ العِصَابَةَ يَا زِيادُ فإنَّمَا أخْزَاكَ رَبِّي إذ غَدَوْتَ تَرَنَّمُ
واعْلَمْ بِأنَّكَ لَسْتَ مِنِّي نَاجِياً إلاّ وَأنْتَ بِبَظْرِ أمِّكَ مُلْجَمُ
تَهْجُو الكِرَامَ وأنْتَ ألأمُ مَنْ مَشَى حَسَباً وأنْتَ العِلْجُ حِينَ تَكَلَّمُ
ولَقَدْ سَألْتُ بَنِي نِزَارٍ كُلَّهُمْ والعَالِمِينَ مِنَ الكُهُولِ فأقْسَمُوا

---

(١) لامِ العتيك: لا مِنَ العتيك. والعتيك: قبيلة العتيك بن الأزد بن عمرو مُزَيقياء ومن ولده المهلَّب بن أبي صفرة. والعَوَق: قوم من أزد عمان.
(٢) اللّهاميم: جمع اللُّهموم: الجواد من الخيل أو الناس. والبَلَق: سواد وبياض في اللون.
(٣) العِلج: الرجل من كُفّار العجم.
(٤) راق بقوسه: ظنّ أنه راقٍ بها، أي زاد فضلاً.

بِـالـلَّـهِ مَـا لَـكَ فـي مَـعَـدٍّ كُـلِّـهـا ... حَــسَــبٌ وإنَّــكَ يَــا زِيَــادُ مُــوَذَّمُ(١)

فقال زياد يجيبه: [الوافر]

أَلَــمْ تَــرَ أنَّــنــي وَتَّــرْتُ قَــوْسِــي ... لأَبْـقَـعَ مِـنْ كِـلابِ بَـنِـي تَـمِـيـمِ(٢)

عَـوَى فَـرَمَـيْـتُـهُ بِـسِـهَـامِ مَـوْتٍ ... كَـذَاكَ يُـرَدُّ ذو الـحُـمْـقِ الـلَّـئِـيـمُ

وكُــنْــتُ إذا غَــمَــزْتُ قَــنَــاةَ قَــوْمٍ ... كَـسَـرْتُ كُـعُـوبَـهـا أو تَـسْـتَـقِـيـمُ

هُـمُ الـحَـشْـوُ الـقَـلِـيـلُ لِـكُـلِّ حَـيٍّ ... وَهُـمْ تَـبَـعٌ كَـزَائِـدَةِ الـظَّـلِـيـمِ(٣)

فَـلَـسْـتَ بِـسَـابِـقـي هَـرِمـاً ولَـمَّـا ... يَـمُـرَّ عَـلَـى نَـوَاجِـذِكَ الـقَـدُومُ(٤)

فَـحَـاوِلْ كَـيـفَ تَـنْـجُـو مِـنْ وقـاعِـي ... فَـإنَّـكَ بَـعْـدَ ثَـالِـثَـةٍ رَمِـيـمُ

سَـرَاتُـكُـمُ الـكِـلابُ الـبُـقْـعُ فِـيـكُـمْ ... لِـلُـؤْمِـكُـمُ ولَـيْـسَ لَـكُـمْ كَـرِيـمُ(٥)

فَـقَـدْ قَـدُمَـتْ عُـبُـودَتُـكُـمْ ودُمْـتُـمْ ... عَـلَـى الـفَـحْـشَـاءِ والـطَّـبْـعِ الـلَّـئِـيـمِ(٦)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثنا المدائني قال: قال زياد الأعجم يهجو المغيرة بن حبناء: [الوافر]

عَـجِـبْـتُ لأَبْـيَـضِ الـخُـصْـيَـيْـنِ عَـبْـدٍ ... كَـأنَّ عِـجـانَـهُ الـشِّـعْـرَى الـعَـبُـورُ

فقيل له: يا أبا أمامة، لقد شَرَّفته إذ قلت فيه:

كَـأنَّ عِـجَـانَـهُ الـشِّـعْـرى الـعَـبُـور

ورفعتَ منه. فقال: سأزيده رفعةً وشرفاً، ثم قال: [البسيط]

لا يَـبْـرَحُ الـدَّهْـرَ مِـنـهُـمْ خَـارِىءٌ أَبَـداً ... إلاَّ حَـسِـبْـتَ عـلـى بَـابِ اسْـتِـهِ الـقَـمَـرا

قال، وتَقاوَلا في مجلس المُهَلَّب يوماً، فقال المغيرة لزياد: [الوافر]

أَقُـولُ لَـهُ وأَنْـكَـرَ بَـعْـضَ شَـأْنِـي ... أَلَـمْ تَـعْـرِفْ رِقَـابَ بَـنِـي تَـمِـيـمِ

---

(١) المُوَذَّم: المقطَّع.
(٢) وَتَّر القوسَ: شَدَّ وَتَرَها. والأبقع: الذي في لونه بياض وسواد وفي البيت إقواء.
(٣) الظَّليم: ذَكَر النعام. وزائدة الظليم: هَنَةٌ وراء الظلف.
(٤) القَدوم: التي يُنحت بها.
(٥) السَّرَاة: أعلى كلّ شيء، وهنا السّادة.
(٦) العُبودة: العبودية.

فقال له زياد: [الوافر]

بَلَى فَعَرَفْتُهُنَّ مُقَصَّرَاتٍ جِبَاهَ مَذَلَّةٍ وسِبَالَ لُوْمِ[١]

[المغيرة يردّ على تحريض ربيعة لزياد]

نسخت من كتابِ عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال: كانت ربيعة تقول لزيادٍ الأعجم: يا زياد، أنت لساننا، فاذببْ عن أعراضِنا بشعرك، فإنّ سيوفنا معك.

فقال المغيرة بن حبناء فيه، وقد بلغه هذا القول مِن ربيعة له: [الطويل]

يقولونَ ذَبِّبْ يَا زِيادُ ولَمْ يَكُنْ لِيُوقِظَ في الحَرْبِ المُلِمَّةِ نَائِمَا

ولَوْ أنَّهُمْ جَاءُوا بِهِ ذَا حَفِيظَةٍ فَيَمْنَعَهُمْ أو مَاجِداً أو مُرَاغِما

ولَكِنَّهُمْ جَاءُوا بِأَقْلَفَ قَدْ مَضَتْ لَهُ حِجَجٌ سَبْعُونَ يُصْبِحُ رَازِما[٢]

لَئِيماً ذَمِيماً أَعْجَمِيّاً لِسَانُهُ إذا نَالَ دَنّاً لم يُبَالِ المَكَارِمَا[٣]

وما خِلْتُ عَبْدَ القَيْسِ إلاَّ نُفَايَةً إذا ذَكَرَ النَّاسُ العُلاَ والعَظَائِما[٤]

إذا كُنْتَ لِلْعَبْدِيِّ جَاراً فَلاَ تَزَلْ عَلَى حَذَرٍ مِنْهُ إذا كَانَ طَاعِمَا

أُنَاساً يُعدُّونَ الفساء لِجَارِهِمْ إذا شَبِعوا عِنْدَ الجُبَاةِ الدَّرَاهِما

مِنَ الفَسْوِ يَقْضُونَ الحُقُوقَ عَلَيْهِمُ ويُعْطُونَ مَوْلاهُمْ إذا كَانَ غَارِما

لَهُمْ زَجَلٌ فِيهِ إذا ما تَجَاوَبُوا سَمِعْتَ زَفِيراً فِيهِمُ وهَمَاهِما[٥]

لَعَمرُكَ ما نَجَّى ابنَ زروانَ إذ عَوَى رَبِيعَةُ من يوم ذلك سَالِما

أَظَنَّ الخَبِيثُ ابْنُ الخَبِيثَيْنِ أَنَّني أُسَلِّمُ عِرْضي أو أَهَابُ المقاوِما

لَعَمْرُكَ لا تَهْدِي رَبِيعَةُ لِلحجا إذا جَعَلُوا يَسْتَنْصِرونَ الأَعَاجِما

[عبد القيس تعتذر له]

قال: فجاءت عبد القيس إلى المغيرة، فقالوا: يا هذا، ما لنا ولك، تعمُّنا بالهجاء لأنْ نَبحَك منّا كلبٌ، فقالَ وقلتَ، قد تبرّأنا إليك منه، فإن هجاك فاهجُه، وخلِّ عنا ودَعْنا، وأنت وصاحبُك أعلم، فليس منّا له عليك ناصر.

---

(١) السِّبال: جمع سَبَلة: مجتمع الشعر على الذّقن.

(٢) الأقلف: الذي لم يُختَن. والرّازم: من لا يقدر على النهوض من الإعياء والهزال.

(٣) الدّنّ: وعاء الخمر.

(٤) النُّفاية: الرديء.

(٥) الزَّجَل: الصوت. والهماهم: تردّد الصوت في الصدر.

فقال: [الطويل]

لَعَمْرُكَ إنّي لابنِ زَرْوان إذ عَوَى لَمُحْتَقِرٌ في دَعْوَةِ الوُدِّ زَاهِدُ
وما لَكَ أَصْلٌ يا زِيَادُ تَعُدُّهُ وما لَكَ في الأرْضِ العَرِيضَةِ وَالِدُ
أَلَمْ تَرَ عَبْدَ القَيْسِ مِنْكَ تَبَرَّأَتْ فَلاقَيْتَ ما لَمْ يَلْقَ في النَّاسِ وَاحِدُ
وما طَاشَ سَهْمِي عَنْكَ يَوْمَ تَبَرَّأَتْ لُكَيزُ بنُ أَفْصَى مِنْكَ والجُنْدُ حَاشِدُ
ولا غَابَ قَرْنُ الشَّمسِ حَتَّى تَحَدَّثَتْ بِنَفْيِكَ سُكَّانُ القُرَى والمَسَاجِدُ[1]

ـ رَفَعَ «المساجد»، لأنه جعل الفِعل لها، كأنه قال: وأهل المساجد، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**واسأل القَرْيَة**﴾[2]. وتحدَّثت المساجد، وإنما يريد مَنْ يُصَلِّي فيها ـ

فَأَصْبَحتَ عِلْجاً مَنْ يَزُرْكَ ومَنْ يَزُرْ بَنَاتِكَ يَعْلَمْ أَنَّهُنَّ وَلائِدُ[3]
وأَصْبَحْنَ قُلْفاً يَخْتَزِلْنَ بِأُجْرَةٍ حَوَالَيْكَ لم تَجْرَحْ بِهِنَّ الحَدَائِدُ[4]
نَفَرْنَ مِنَ المُوسَى وأَقْرَرْنَ بِالَّتِي يَقِرُّ عليها المُقْرِفاتُ الكَوَاسِدُ[5]
بِإِصْطَخْرَ لم يَلْبَسْنَ مِنْ طُولِ فَاقَةٍ جَدِيداً ولا تُلْقَى لَهُنَّ الوَسَائِدُ[6]
وما أَنْتَ بِالمَنْسُوبِ في آلِ عَامِرٍ ولا وَلَدَتْكَ المُحْصَنَاتُ المَوَاجِدُ[7]
ولا رَبَّبَتْكَ الحَنْظَلِيَّةُ إذْ غَذَتْ بَنِيها ولا جِيبَتْ عليكَ القَلائِدُ[8]
ولَكِنْ غَذَاكَ المُشركونَ وزَاحَمَتْ قَفَاكَ وخَدَّيْكَ البُظُورُ العَوَارِدُ[9]
ولَمْ أَرَ مِثْلِي يا زِيَادُ بِعِرْضِهِ وعِرْضِكَ يَسْتَبَّانِ والسَّيْفُ شَاهِدُ
ولو أَنَّني غَشَّيْتُكَ السَّيْفَ لم يُقَلْ إذا مِتَّ إلاّ مَاتَ عِلْجٌ مُعَاهِدُ[10]

(١) قرن الشمس: ناحيتها.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٢.
(٣) الولائد: جمع الوليدة: الجارية.
(٤) لم تجرح بهنّ الحدائد: لم تستعمل في ختانهنّ.
(٥) المقرفات: الهجينات.
(٦) إصطخر: بلدة بفارس وهي من أعيان حصون فارس ومدنها (معجم البلدان ١/٢١١).
(٧) المواجد: جمع الماجدة: الشريفة.
(٨) رَبَّبه: ربّاه حتى أدرك. ولا جِيبَتْ: ما وضعت.
(٩) العوارد: جمع العاردة: الغليظة الشديدة المنتصبة.
(١٠) المعاهد: الذمّي.

[تعاتبه مع أخيه صخر]

ونسخت من كتاب عمرِو بنِ أبي عمرو أيضاً، قال: رجع المغيرة بن حبناء إلى أهلِه وقد ملأ كفَّيه بجوائزِ المهلبِ وصلاتِهِ والفوائد منه، وكان أخوه صخر بن حبناء أصغرَ منه، فكان يأخذ على يده وينهاه عن الأمر يُنكَر مِثلُه، ولا يزال يتعتَّب عليه في الشيء بعد الشيء مِمّا ينكِره عليه، فقال فيه صخر بن حبناء: [الطويل]

رَأَيتُكَ لَمَّا نِلْتَ مَالاً وعَضَّنَا ... زَمَانٌ نَرَى في حَدِّ أنيابِهِ شَغْبا[1]
تَجَنَّى عَلَيَّ الدَّهْرُ أَنِّيَ مُذْنِبٌ ... فَأَمْسِكْ ولا تَجْعَلْ غِنَاكَ لَنا ذَنْبا

فقال المغيرة يجيبه: [الطويل]

لَحَا اللّهُ أنْآنا عَنِ الضَّيْفِ بالقِرَى ... وأَقْصَرَنا عَنْ عِرْضِ وَالِدِهِ ذَبَّا[2]
وأَجْدَرَنا أنْ يَدْخُلَ البَيْتَ بِاسْتِهِ ... إذا القُفُّ دَلَّى مِنْ مَخَارِمِهِ رَكْبا[3]
أَأَنْبَأَكَ الأَفَّاكُ عَنِّيَ أَنَّنِي ... أُحَرِّكُ عِرْضي إنْ لَعِبْتَ به لِعْبا

ونسخت من كتاب عمرِو بنِ أبي عمرو، قال: جاءت أخت المغيرة بن حبناء إليه تشكو أخاها صخراً، وتذكر أنّه أسرع في مالِها وأتلفه، وأنّها مَنَعَتْه شيئاً يسيراً بَقِيَ لها، فمدّ يده إليها وضربها، فقال له المغيرة مُعَنِّفاً: [الوافر]

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ صَخْرَ بنَ لَيْلَى ... فَإِنِّي قَدْ أَتَانِي مِنْ نَثَاكَا[4]
رِسَالَةَ نَاصِحٍ لَكَ مُسْتَجِيبٍ ... إذا لَمْ تَرْعَ حُرْمَتَهُ رَعَاكَا
وصولٍ لو يَرَاكَ وأنْتَ رَهْنٌ ... تُبَاعُ، بِمَالِهِ يَوْماً فَدَاكَا
يَرَى خَيْراً إذا ما نِلْتَ خَيْراً ... ويَشْجَى في الأمور بِمَا شَجَاكَا
فَإِنَّكَ لا تَرَى أَسْمَاءَ أُخْتاً ... ولا تَرَيَنَّنِي أَبَداً أَخَاكَا
فَإِنْ تَغْنُفْ بِها أو لا تَصِلْها ... فَإِنَّ لأُمِّهَا وَلَداً سِوَاكَا
يَبَرُّ ويَسْتَجِيبُ إذا دَعَتْهُ ... وإنْ عَاصَيْتَهُ فيها عَصَاكَا
وكُنْتُ أرى بِها شَرَفاً وفَضْلاً ... على بَعْضِ الرِّجَالِ وفَوْقَ ذَاكَا

---

(١) عَضُّ الزّمانِ: شِدّتُه. والشّغب: تهييج الشرّ.
(٢) الذَّبّ: الدفاع.
(٣) القُفّ: ما غلظ من الأرض وارتفع. والمخارم: جمع المخرم: الطريق في الجبل.
(٤) النَّثا: الأخبار.

جَزَانِي اللَّهُ مِنْكَ وقد جَزَانِي ... ومِنِّي في مَعَاتِبِنا جَزَاكا[1]
وأَعْقَبَ أَصْدَقَ الخَصْمَيْنِ قَوْلاً ... ووَلَّى اللُّؤْمَ أَولانا بِذَاكا
فلا واللَّهِ لو لَمْ تَعْصِ أَمْرِي ... لَكُنْتَ بِمَعْزِلٍ عَمَّا هُنَاكا

قال: فأجابه أخوه صخر بن حَبْناء فقال: [الوافر]

أَتَانِي عَنْ مُغِيرةَ ذَرْوُ قَوْلٍ ... تَعَمَّدَهُ فَقُلْتُ له كَذَاكا[2]
يَعُمُّ به بَنِي لَيْلَى جَمِيعاً ... فَوَلَّ هِجَاءَهمْ رَجُلاً سِوَاكا
فإنْ تَكُ قد قَطَعْتَ الوَصْلَ مِنِّي ... فَهَذا حِينَ أَخْلَفَنِي مُنَاكا
تُمَنِّينِي إذا ما غِبْتَ عَنِّي ... وتُخْلِفُنِي مُنَايَ إذا أَرَاكا
وتُولِينِي مَلامَةَ أَهْلِ بَيْتِي ... ولا تُعْطِي الأَقَارِبَ غَيْرَ ذَاكَا
فإنْ تَكُ أُخْتُنا عَتَبَتْ علينا ... فلا تَضْرِمْ لِظِنَّتِها أَخَاكا
فإنَّ لها إذا عَتَبَتْ علَينا ... رِضَاها صَابِرِينَ لها بِذَاكا
وإنْ تَكُ قد عَتَبْتَ عَلَيَّ جَهْلاً ... فلا واللَّهِ لا أَبْغِي رِضَاكا
فقد أَعْلَنْتُ قَوْلَكَ إذ أَتَانِي ... فَأَعْلِنْ مِن مَقَالِي ما أَتَاكا
سَيُغْنِي عَنْكَ صَخْراً رَبُّ صَخْرٍ ... كَمَا أَغْنَاكَ عن صَخْرٍ غِنَاكا
ويُغْنِينِي الَّذي أَغْنَاكَ عَنِّي ... ويَكْفِينِي الإلٰهُ كَمَا كَفَاكا
أَلَمْ تَرَنِي أَجُودُ لَكُمْ بِمَالِي ... وأَرْمِي بِالنَّوَاقِرِ مَنْ رَمَاكا[3]
وأَنِّي لا أَقُودُ إليكَ حَرْباً ... ولا أَعْصِيكَ إنْ رَجُلٌ عَصَاكا
ولَكِنِّي وَرَاءَكَ شِمَّرِيٌّ ... أُحَامِي - قد عَلِمْتَ - على حِمَاكا[4]
وأَدْفَعُ أَلْسُنَ الأَعْدَاءِ عَنْكُمْ ... ويَعْنِينِي العَدُوُّ إذا عَنَاكا[5]
وقد كَانَتْ قُرَيْبَةُ ذاتَ حَقٍّ ... عَلَيْكَ فلَمْ تُطَالِعْها بِذَاكا
رَأَيْتُ الخَيْرَ يُقْصَرُ مِنْكَ دُونِي ... وتَبْلُغُنِي القَوَارِصُ مِنْ أَذَاكا[6]

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضاً قال: كان حبناءُ بن عمرو قد

(١) المعاتب: جمع المعتبة: الملامة.
(٢) ذرو القول: طرف منه.
(٣) النّواقر: جمع الناقرة: الدّاهية.
(٤) الشِّمَّريّ: المجرّب الماضي في الأمور.
(٥) يعنيني: يقصدني.
(٦) القوارص: جمع القارصة: وهي من الكلام التي تنغّصُ وتؤلم.

غضِبَ على قومه في بعضِ الأمر، فانتقل إلى نَجران[١]، وحمل معه أهلَه وولدَه، فنظرتِ امرأتُه سَلمى إلى غلامٍ من أهل نَجْران يضرب ابنَه المغيرة ـ وهو يومئذٍ غلام ـ فقالت لحبناء: قد كنتَ غنياً عن هذا الذّلّ، وكان مُقامك بالعراق في قومك أو في حيٍّ قريب من قومك أعزَّ لك! فقال حبناء في ذلك: [الطويل]

تَقُولُ سُلَيْمَى الحَنظَلِيَّةُ لابْنِهَا ... غُلامٌ بِنَجْرَانَ الغَدَاةَ غَرِيبُ
رَأَتْ غِلْمَةً ثَارُوا إليه بِأَرْضِهِمْ ... كَمَا هَرَّ كَلْبُ الدَّارِ بَيْنَ كَلِيبِ[٢]
فقالَتْ لَقَدْ أَجْرَى أَبُوكَ لِمَا تَرَى ... وأنتَ عَزِيزٌ بِالعِرَاقِ مَهِيبُ

وقال أيضاً: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما تَدْرِي أَشَيءٌ تُرِيدُهُ ... يَلِيكَ أَمِ الشَّيءُ الَّذي لا تُحَاوِلُهْ
مَتَى مَا يَشَأْ مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يَلْقَهُ ... سَرِيعاً وَتَجْمَعْهُ إليه أَنَامِلُهْ

[زياد الأعجم يعيّر آل المغيرة بأمراضهم]

أخبرني عيسى بن الحسن الورّاق، قال: حَدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرُويه، قال: حَدَّثني أبو الشِّبل النَّضْرِي، قال: كان المغيرة بن حبناءَ أبرص، وأخوه صخرٌ أعور، وأخوه الآخر مجذوماً، وكان بأبيهم حِبْن[٣]، فلقِّب حبناء ـ واسمه جبير بن عمرو ـ فقال زيادٌ الأعجم يهجوهم: [الخفيف]

إنَّ حَبْنَاءَ كَانَ يُدْعَى جُبَيْراً ... فَدَعَوْهُ مِنْ لُؤْمِهِ حَبْنَاءَ
وَلَدَ العُورَ منه والبُرْصَ والجُذْ ... مَى، وذو الدَّاءِ يُنْتِجُ الأَدْوَاءَ

فيقال: إنّ هذه الأبيات كانت آخرَ ما تهاجيا به؛ لأن المغيرة قال ـ وقد بلغه هذا الشعر ـ ما ذَنْبُنا فيما ذكره، هذهِ أدواءٌ ابتلانا اللّه عزّ وجلّ بها، وإنّي لأرجو أن يجمع اللّه عليه هذه الأدواءَ كلَّها! فبلغ ذلك زياداً من قوله، وأنّه لم يَهْجُهُ بعقب هذه الأبيات، ولا أجابه بشيءٍ، فأمسك عنه، وتكافآ.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريدٍ، قال: حَدَّثنا عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعي عن عَمّهِ، وأخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبيه عن

(١) نجران: موضع بالبحرين أو هو بحوران من نواحي دمشق (معجم البلدان ٥/ ٢٧٠).
(٢) في البيت إقواء.
(٣) الحَبَنُ: داء في البطن يعظم منه ويرم. والحِبْنُ: خُرَاجٌ كالدُّمَّل، وما يعتري في الجسد فيقيح ويَرِم.

الأصمعي، قال: لم يقلْ أحدٌ في تفضيلِ أخٍ على أخيه وهُما لأب وأمٍّ، مثلَ قولِ المغيرةِ بنِ حبناء لأخيه صخر: [الوافر]

أَبُـوكَ أَبِـي وأَنْـتَ أَخِـي ولَـكِـنْ ... تَـفَـاضَـلَـتِ الـطَّـبَـائِـعُ والـظُّـرُوفُ
وأُمُّـكَ حِـيـنَ تُـنْـسَـبُ أُمُّ صِـدْقٍ ... ولَـكِـنَّ ابْـنَـهـا طَـبِـعٌ سَـخِـيـفُ(١)

قال: وكان عبدُ الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاويةَ ـ وكان ضعيفاً ـ يتمثَّل بهذين البيتين.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حَدَّثني أحمد بن محمدِ بنِ جُدَّان، قال: حَدَّثني أحمد بن محمدِ بنِ مخلدٍ المهلبي، قال: نظر الحجّاج إلى يزيدَ بن المهلَّب يخطِرُ في مِشيته، فقال: لعن اللَّه المغيرةَ بن حبناءَ حيث يقول:

جَـمِـيـلُ الـمُـحَـيَّـا بَـخْـتَـرِيٌّ إذا مَـشَـى ... وفي الدِّرْعِ ضَخْمُ المَنْكِبَيْنِ شِنَاقُ(٢)

فالتفت إليه يزيد، فقال: إنه يقول فيها: [الطويل]

شَـدِيـدُ الـقـوى مِـنْ أَهْـلِ بَـيْـتٍ إذا وَهَـى ... مِـنَ الـدِّيـنِ فَـتْـقٌ حُـمِّـلُـوا فَـأَطَـاقُـوا
مَـراجِـيـحُ فـي الـلأْواء إنْ نَـزَلَـتْ بِـهِـمْ ... مَـيَـامِـيـنُ قد قَـادُوا الـجُـيـوشَ وسَـاقُـوا(٣)

[مصرعه]

أخبرني محمد بن مَزْيدٍ، قال: حَدَّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حَدَّثني مَنْ حضر ابنَ حبناء لما قُتِلَ ـ وهو يجودُ بنفسِه ـ فأخذ بيده من دمه ـ وكتب بيده على صدره: «أنا المغيرة بن حبناء». ثم مات.

صوت

[الرمل]

بَـسَـطَـتْ رَابِـعَـةُ الـحَـبْـلَ لَـنَـا ... فَـوَصَـلْـنـا الـحَـبْـلَ مِـنْـهـا مَـا اتَّـسَـعْ
كـيـفَ تَـرجُـونَ سِـقَـاطِـي بَـعْـدَمـا ... جَـلَّـلَ الـرَّأْسَ بَـيَـاضٌ وصَـلَـعْ
رُبَّ مَـنْ أَنْـضَـجْـتُ غَـيْـظـاً صَـدْرَهُ ... قـد تَـمَـنَّـى لِـيَ مَـوْتـاً لـم يُـطَـعْ
وَيَـرَانِـي كَـالـشَّـجَـا فـي حَـلْـقِـهِ ... عَـسِـراً مَـخْـرَجُـهُ مـا يُـنْـتَـزَعْ

---

(١) الطَّبِعُ: الدّنيء الخلق اللئيم الدَّنِس.

(٢) البَختريّ: الذي يتبختر في مشيه ويختال. والشِّناق: الطويل.

(٣) المراجيح: ذوو الأحلام والبصر بالأمور. واللأواء: الشدّة. والميامين: جمع الميمون: المبارَك.

ويُــحَـيِّـيـنِـي إذا لاقَـيْـتُـهُ وإذا أُمْـكِـنَ مِـنْ لَـحْـمِـي رَتَـعْ[١]
وأَبِـيـتُ الـلَّـيْـلَ مـا أَهْـجَـعُـهُ وبِـعَـيْـنَـيَّ إذا الـنَّـجْـمُ طَـلَـعْ

الحبل ها هنا: الوصل؛ والحبل أيضاً: السبب يتعلّق به الرجُل من صاحبه، يقال: عَلِقْتُ من فلانٍ بحبل؛ والحبل: العهد، والميثاق، والعقد يكون بين القوم؛ وهذه المعاني كلُّها تتعاقب ويقوم بعضُها مقام بعض. والشَّجا: كلُّ ما اغتُصَّ به من لُقمة أو عظم أو غيرهما.

الشعر لِسُويدِ بنِ أبي كاهلٍ اليَشكُرِيّ، والغناء لعَلُّويه، ثاني ثقيل بالبِنصر، عن عمرِو بنِ بانة في الأول والثاني من الأبيات؛ وليونس الكاتبِ في الثالث والرابع والثاني ماخُورِي بالوسطى، عن علي بن يحيى، والهشامي، ولمالكٍ فيها ثقيل بالبنصر، عن الهشامي أيضاً، ولابن سريج فيها خفيف ثقيلٍ، عن علي بن يحيى.

---

(١) رتع: أكل وشرب وتنعّم.

أخبار سويد بن أبي كاهلٍ ونسبه

[توفي بعد ٦٠ هـ/ بعد ٦٨٠ م]

[نسبه وطبقته بين الشعراء]

سُوَيد بن أبي كاهل بن حارثة بن حِسْلِ بنِ مالكٍ بن عبد سعدِ بنِ جُشَم بن ذُبيان بن كِنانة بن يَشْكُر، وذكر خالد بن كلثوم أنّ اسم أبي كاهل شبيب، ويكنى سُويد أبا سعدٍ.

أنشدني وَكيعٌ عن حمادٍ، عن أبيه، لسويدِ بن أبي كاهلٍ شاهداً بذلك:

[الرجز]

أَنَـا أبـو سَـعْـدٍ إذَا الـلَّـيْـلُ دَجَـا دَخَـلْـتُ فـي سِـرْبَـالِـهِ ثُـمَّ الـنَّـجَـا

وجعله محمّد بن سلامٍ في الطبقة السّادسة، وقرَنَه بعنترةَ العبسيّ وطبقته.

وسويد شاعر متقدِّم من مخضرمي الجاهلية والإسلام، كذلك ذكر ابن حبيبٍ.

وكان أبوه أبو كاهِلٍ شاعراً، وهو الّذي يقول: [البسيط]

كَـأَنَّ رَحْـلِـي عـلـى صَـقْـعَـاءَ حَـادِرَةٍ طَـيَّا قَـدِ ابْـتَـلَّ مِـنْ طَـلٍّ خَـوَافِـيـهـا[1]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال حَدَّثنا محمد بن إسحاق البَغويّ، قال: حَدَّثنا أبو نصرٍ صاحب الأصمعيّ أنّه قرأ شعرَ سويدِ بنِ أبي كاهلٍ على الأصمعي، فلمَّا قرأ قصيدتَه: [الرمل]

بَـسَـطَـتْ رَابِـعَـةُ الـحَـبْـلَ لَـنَـا فَـوَصَـلْـنـا الـحَـبْـلَ مِـنْـهـا ما اتَّـسَـعْ

(١) الصَّقعاء من الخيل والطير: ما لها بياض في وسط رأسها. والحادرة: التي تحطُّ من علوٍ إلى أسفل. والطَّيّا: الجائعة.

فَضَّلها الأصمعي، وقال: كانت العرب تُفَضِّلها وتقدِّمها وتعدُّها من حِكمِها. ثم قال الأصمعي: حَدَّثني عيسى بن عُمَر أنّها كانت في الجاهليّة تسمَّى: «اليتيمة».

[زياد الأعجم يهجو بني يشكر]

أخبرني محمَّد بن خلفٍ وكيع، قال: حَدَّثني محمد بن الهيثم بنِ عديّ، قال: حَدَّثنا عبد الله بن عباس، قال: قال زيادُ الأعجمُ يهجو بني يشكُرَ: [الطويل]

إذا يَـشْـكُـرِيٌّ مَـسَّ ثَـوْبَـكَ ثَـوْبُـهُ فـلا تَـذْكُـرَنَّ الـلَّـهَ حَـتَّـى تَـطَـهَّـرا
فـلَـوْ أَنَّ مِـن لُـؤْمٍ تَـمُـوتُ قَـبِـيـلَـةٌ إذاً لأَمَـاتَ الـلُّـؤْمُ لا شَـكَّ يَـشْـكُـرَا

قال: فأتت بنو يشكُرَ سويدَ بن أبي كاهلٍ ليهجوَ زياداً، فأبى عليهم، فقال زياد: [الطويل]

وأُنبِئتُهمْ يَسْتَضرِخُونَ ابْنَ كَاهِلٍ ولِـلُّـؤْمِ فِـيـهِـمْ كَـاهِـلٌ وسَـنَـامُ[1]
فَـإنْ يَـأْتِـنَـا يَـرْجِـعْ سُـوَيْـدٌ ووَجْـهُـهُ عَـلَـيْـهِ الـخَـزَايَـا غُـبْـرَةٌ وقَـتَـامُ[2]
دَعِـيٌّ إلـى ذُبْـيَـانَ طَـوْراً، وتَـارَةً إلى يَشْكُرٍ ما في الجَمِيعِ كِرَامُ

فقال لهم سويد: هذا ما طلبتم لِي! وكان سويد مغلَّباً[3]. وأما قوله:

دَعِـيٌّ إلـى ذُبْـيَـانَ طَـوْراً وتَـارَةً إلـى يـشـكـر . . . .

[خبر أم سويد وانتسابه لأبي كاهل]

فإنّ أُمَّ سويد بنِ أبي كاهلٍ كانت امرأةً من بني غُبَر، وكانت قبلَ أبي كاهلٍ عند رجلٍ من بني ذبيان بنِ قيسِ بنِ عيلان، فمات عنها، فتزوّجها أبو كاهلٍ، وكانت فيما يقال حاملاً، فاستلاط[4] أبو كاهل ابنَها لمَّا ولدته، وسَمّاه سويداً، واستلحقه، فكان إذا غضبَ على بني يشكر ادَّعى إلى بني ذبيان، وإذا رَضِيَ عنهم أقام على نسبه فيهم.

---

(١) الكاهل: مقدّم أعلى الظهر مما يلي العنق. والسَّنام: أعلى الظَّهر.
(٢) القتام: الغبار.
(٣) المُغَلَّب: من الأضداد: هو المغلوب مراراً وأيضاً المحكوم له بالغلبة.
(٤) استلاطه: ادّعاه ولداً ونسبه لنفسه.

وذكر عَلاّن الشُّعوبيّ، أنّه وُلِدَ في بني ذبيان، وتزوّجت أمُّه أبا كاهل ـ وهو غلام يَفَعة ـ فاسْتلحقه أبو كاهل وادَّعاه، فلحق به.

ولِسويدِ بن أبي كاهلٍ قصيدةٌ ينتمِي فيها إلى قيس، ويفتخر بذلك، وهي التي أوّلُها: [الطويل]

أَبَى قَلْبُهُ إلاّ عُمَيْرَةَ إنْ دَنَتْ ... وإن حَضَرَتْ دَارَ العِدَا فهو حَاضِرُ
شَمُوسٌ حَصَانُ السِّرِّ رَيَّا كأنَّها ... مُرَبَّبَةٌ مِمَّا تَضَمَّنَ حَائِرُ(١)

ويقول فيها أيضاً:

أَنَا الغَطَفَاني زَيْنُ ذُبْيانَ فَابْعدُوا ... فَلَلزِّنْجُ أَدْنَى مِنكُمُ ويُحَابِرُ(٢)
أَبَتْ لِيَ عَبْسٌ أَنْ أُسَامَ دَنِيَّةً ... وسَعْدٌ وذُبْيَانُ الهِجَانُ وعَامِرُ(٣)
وحَيٌّ كِرَامٌ سَادَةٌ مِنْ هَوَازِنٍ ... لَهُمْ في المِلمَّاتِ الأُنُوفُ الفَوَاخِرُ

[هجاؤه لبني شيبان لأخذهم ماله]

أخبرنا محمد بن العباسِ اليزيدي، قال: حَدَّثنا أحمد بن معتِّبٍ الأَوْدي عن الحِرمازِي، أنّ سويدَ بن أبي كاهلٍ جاور في بني شَيبان، فأساءُوا جواره، وأخذوا شيئاً من مالِه غصباً، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثَرَ، وكان الذي ظلمه وأخذَ مالَه أحدَ بني محلِّم، فقال يهجوهم وإخوتَهم بني أبي ربيعة: [الكامل]

حَشَرَ الإلَهُ مَعَ القُرُودِ مُحَلِّماً ... وأَبَا رَبِيعَةَ الأَمَّ الأَقْوَام
فَلأُهْدِيَنَّ مَعَ الرِّيَاحِ قَصِيدةً ... مِنِّي مُغَلْغَلَةً إلى هَمَّامِ(٤)
الظَّاعِنِينَ على العَمَى قُدَّامُهُمْ ... والنَّازِلِينَ بِشَرِّ دَارِ مُقَام
والوَارِدِينَ إذا المِيَاهُ تُقُسِّمَتْ ... نُزُحَ الرَّكِيِّ وعَاتِمَ الأَسْدَامِ(٥)

---

(١) الشّموس: النافرة التي لا تخضع. والحَصَان: العفيفة والمُرَبَّبَة: الدّرّة التي يربّبها الصَّدَف في قعر الماء. وحائر البحر: مجتمع مائه.
(٢) يُحابر: بن مالك بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن كهلان بن سبأ.
(٣) الهجان: الكريم الحسب.
(٤) المغلغلة: المحمولة السائرة من بلد إلى بلد.
(٥) النُزُح: جع النَّزُوح: البئر التي نفد ماؤها أو قلّ. والرَّكِيّ: جمع الرَّكِيّة: البئر ذات الماء. والعاتم: المحتبس. وركيّةٌ سُدُمٌ: مُنْدَفِنَة.

وقال يهجو بني شيبان: [الطويل]

لَعَمْرِي لَبِئْسَ الحَيُّ شَيْبَانُ إنْ عَلاَ عُنَيْزَةَ يَوْمٌ ذُو أَهَابِيَّ أَغْبَرُ[١]

فلمَّا الْتَقَوا بِالمَشْرَفِيَّةِ ذَبْذَبَتْ مُوَلِّيَةً أَسْتَاهُ شَيْبَانَ تَقْطُرُ[٢]

يعني يوم عنيزة، وكان لبني تغلب على بني شيبان، وفيه يقول مهلهل: [الوافر]

كَأَنَّا غُدْوَةً وبَنِي أَبِينا بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحَيا مُدِيرِ[٣]

وقال أيضاً: [الطويل]

فَأَدُّوا إلى بَهْرَاءَ فِيكُمْ بَنَاتِهِ وأَبْنَاءه إنَّ القُضَاعِيَّ أَحْمَرُ

كانت بهراء أغارت على بني شيبان، فأخذوا منهم نساءً، واستاقوا نَعَماً، ثمّ إنهم اشتروا منهم النِّساء ورَدُّوهُنَّ، فعيَّرهم سُويد بأنهم رُدِدْنَ حبالى، فقال:

[الطويل]

ظَلِلْنَ يُنَازِعْنَ العَضَارِيطَ أُزْرَها وشَيْبَانُ وَسْطَ القُطْقُطَانَةِ حُضَّرُ[٤]

فَمِنَّا يَزِيدُ، إذ تَحَدَّى جُمُوعَكُمْ فلم تُفرِحُوهُ، المَرْزُبَانُ المُسَوَّرُ[٥]

ـ يزيد: رجل من يشكر، برز يوم ذِي قارٍ إلى أسوارٍ، وحمل على بني شيبان، فانكشفوا من بينِ يديه ـ فاعترضه اليشكريُّ دونَهم، فقَتَلَه، وعادت شيبانُ إلى موقِفها، ففخر بذلك عليهم، فقال: [الطويل]

وأَحْجَمْتُمُ حَتَّى عَلاَهُ بِصَارِمٍ حُسَامٍ إذا مَسَّ الضَّرِيبَةَ يَبْتُرُ[٦]

ومِنَّا الَّذي أَوْصَى بِثُلْثِ تُرَاثِهِ على كُلِّ ذِي بَاعٍ يَقِلُّ ويَكْثُرُ

لَيَالِيَ قُلْتُمْ يَابْنَ حِلِّزَةَ ارْتَحِلْ فَزَابِنْ لنا الأَعْدَاءَ واسْمَعْ وأَبْصِرِ[٧]

فَأَدَّى إلَيكُمْ رَهْنَكُمْ وَسْطَ وَائِلٍ حَبَاهُ بِها ذُو البَاعِ عَمْرُو بنُ مُنْذِرِ

(١) ذو أهابيّ: ذو تراب منثور مثار.

(٢) المشرفيّة: السيوف المشرفية، نسبة إلى مشارف الشام.

(٣) رَحَيا: تثنية رَحا.

(٤) العضاريط: جمع العُضْرُط والعُضْرُوط: الأجير. والقُطقطانة: موضع قريب من الكوفة كان به سجن النعمان بن المنذر (معجم البلدان ٤/ ٣٧٤).

(٥) المرزبان: الفارس الشجاع. والمُسَوَّر: المرتفع.

(٦) الضريبة: المضروب بالسيف.

(٧) زابِن: دافع.

يعني الحارث بن حِلِّزة، لمّا خطبه دون بكرِ بنِ وائلٍ حتى ارتجع رهائنهم. وقد ذكر خبره في ذلك في موضعه.

[استعداء بني شيبان عليه عامر بن مسعود]

قال: فاستعدَتْ بنو شيبانٍ عليه عامر بن مسعودٍ الجمحيّ، وكان والي الكوفةِ، فدعا بهِ، فتوعَّدَهُ، وأمره بالكفّ عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسه، فتعصَّبتْ له قيسٌ، وقامت بأمره حتى تخلّصَتْه، فقال في ذلك: [الطويل]

يَكُفُّ لِسَانِي عَامِرٌ وكَأَنَّما ... يَكُفُّ لِسَاناً فيه صَابٌ وعَلْقَمُ[1]
أَتَتْرُكُ أَوْلاَدَ البَغَايَا وغِيبَتي ... وتَحْبِسُني عَنْهُمْ ولا أَتَكَلَّمُ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنّي سُوَيْدٌ وأَنَّني ... إذا لَمْ أَجِد مُسْتَأخَراً أَتَقَدَّمُ
حَسِبْتُمْ هِجَائي إذا بَطِنْتُمْ غَنِيمَةً ... عَلَيَّ دِمَاءُ البُدْنِ إنْ لَمْ تَنَدَّمُوا

قال الحرمازيُّ في خبره هذا: وهاجى سويدٌ بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبريّ، فطلبهما عبدُ اللّه بن عامرِ بن كريزٍ، فهربا من البصرة، ثم هاجى الأعرج أخا بني حَمّالٍ بن يشكر، فأخذهما صاحبُ الصّدقة، وذلك في أيّام ولايةِ عامر بن مسعودٍ الجمحيّ الكوفةَ، فحبسهما، وأمر أن لا يخرجا من السِّجن حتّى يؤدّيا مائةً من الإبل، فخاف بنو حَمّالٍ على صاحبهم ففكُّوه، وبَقِيَ سويدٌ، فخذله بنو عبدِ سعد، وهم قومه، فسأل بني غُبَر، وكان قد هجاهم لمّا ناقضَ شاعِرهم، فقال: [الرجز]

مَن سَرَّهُ النَّيْكُ بِغَيْرِ مَالِ ... فَالغُبَرِيَّاتُ على طِحَالِ[2]
شَوَاغِرُ يُلْمِعْنَ لِلقُفَّالِ[3]

[عبس وذبيان يستوهبونه ويطلقونه بغير فداء]

فلمّا سأل بني غُبَر، قالوا له: يا سويد «ضَيَّعْتَ البِكار بِطحالٍ» فأرسلوها مثلاً. أي إنكَ عَمَمْتَ جماعتَنا بِالهجاء في هذه الأرجوزة، فضاع منك ما قدَّرْتَ أنَّا

(١) الصّاب: جمع الصابة: الشجر المرّ.
(٢) طِحال: أكمة بحمى ضريّة (معجم البلدان ٤/٢٢).
(٣) الشّوَاغر: المرفوعة أرجلها للنكاح. والإلماع: الإشارة. والقُفّال: الراجعون من السفر.

نفديكَ به من الإبل. فلم يزلْ محبوساً حتى استوهبَتْه عبسٌ وذبيان لمديحه لهم، وانتمائه إليهم، فأطلقوه بغير فداء.

صوت

[الطويل]

أَخِضْنِي المُقَامَ الغَمْرَ إنْ كَانَ غَرَّنِي ... سَنَا خُلَّبٍ أو زَلَّتِ القَدَمانِ[1]

أَتَتْرُكُنِي جَذْبَ المَعِيشَةِ مُقْفِراً ... وكَفَّاكَ مِنْ مَاءِ النَّدَى تَكِفَانِ

الشعر للعَتّابي، والغناء لمُخارِق، ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وقيل: إن فيه للواثِق ثانيَ ثقيلٍ آخر.

(١) الغمر: الغزير. والخُلّب: البرق الذي لا يعقبه مطر وهو المخادع.

أخبار العَتَّابيّ ونسبه

[توفي ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥ م]

هو كُلثوم بن عمرِو بن أيوبَ بن عُبيد بن حُبيشٍ بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر، وهو ابن مالكٍ عَتّاب بن سعدِ بن زُهَيرِ بنِ جُشَم بن بكر بن حبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تغلبٍ. شاعر مُتَرَسِّلٌ بليغ مطبوع، متصرِّفٌ في فنون الشِّعر ومُقَدَّم. من شعراء الدولة العباسيةِ، ومنصور النَّمَريّ تلميذه وراويته، وكان منقطِعاً إلى البرامكة، فوصَفُوه للرّشيد، ووصلوه به، فبلغ عنده كلَّ مَبْلغ، وعَظُمَتْ فوائدُه منه، ثم فسدت الحال بينه وبين منصورٍ وتباعدت. وأخبار ذلك تُذكَر في مواضعها.

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حَدَّثني القاسم بن مَهْرُويه، قال: حَدَّثني جعفر بن المفضَّلِ، عن رجل من ولد إبراهيم الحرّاني، قال: كَثُرَ الشّعراء بباب المأمونِ، فأُوذِنَ بهم، فقال لعليِّ بن صالح صاحبِ المصلَّى: اعرِضْهم، فمن كان منهم مُجيداً فأوصِلْه إليّ، ومن كان غيرَ مُجيدٍ فاصرفْه. وصادف ذلك شُغْلاً من عليِّ بن صالح كان يريد أن يتشاغل به عن أمرِ نفسِه، فقام مُغضَباً، وقال: واللّه لأعمَّنَّهم بالحِرمان، ثم جلس لهم، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون على القُرب منه، فقال لهم: على رِسلِكم فإنَّ المدى أقرَبُ من ذلك، هل فيكم مَن يُحسِن أن يقول كما قال أخوكم العَتّابيّ: [البسيط]

ماذا عَسَى مَادِحٌ يُثْنِي عَلَيكَ وقَدْ ... نَادَاكَ في الوَحْيِ تَقْدِيسٌ وتَطْهِيرُ
فُتَّ المَمَادِحَ إلاَّ أَنَّ أَلْسُنَنَا ... مُسْتَنْطَقَاتٌ بِمَا تَخوِي الضَّمَائِرُ

قالوا: لا واللّه ما بنا أحدٌ يُحسِنُ أن يقولَ مثل هذا، قال: فانصرفوا جميعاً.

[اتّهامه بالتكلّف ودفاع البعض عنه]

أخبرني الحسن، قال: حَدَّثنا ابن مهرويه، قال: حَدَّثني أبو بكرٍ أحمد بن سهلٍ، قال: تذاكرنا شِعرَ العتّابيّ، فقال بعضُنا: فيه تكلُّف، ونصَرَه بعضُنا، فقال شيخٌ حاضر: وَيَحْكم أيقالُ إنَّ في شعره تكلّفاً؟ وهو القائل: [مجزوء الكامل]

رُسُل الضَّمِيرِ إِلَيْكَ تَتْرَى ... بِالشَّوْقِ ظَالِعَةٌ وحَسْرَى[1]
مُتَزَجِّيَاتٍ مَا يَنِيـ ... ـنَ على الوَجَى مِنْ بُعدِ مَسْرَى[2]
ما جَفَّ لِلْعَيْنَيْنِ بَعْـ ... ـدَكَ يا قَرِيرَ العَيْنِ مَجْرَى
فَاسْلَمْ سَلِمْتَ مُبَرَّأً ... مِن صَبْوَتي أَبَداً مُعَرَّى
إنَّ الصَّبَابَةَ لم تَدَعْ ... مِنِّي سِوَى عَظْمٍ مُبَرَّى
ومَدَامِعٍ عَبْرَى عَلَى ... كَبِدٍ عَلَيكَ الدَّهْرَ حَرَّى[3]

- في هذين البيتين غناء - أو يقال: إنه متكلِّف؟ وهو الذي يقول: [المتقارب]

فلو كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ ... إذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ
لَمَثَّلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ ... لِتَعْلَمَ أنّي امْرُؤٌ شَاكِرُ

الغناء في هذين البيتين لأبي العُبَيْس، ثقيل أوّل، ولِرذاذٍ خفيف ثقيل. فحدَّثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبجيّ عن أبي الحسنِ عليّ بن العباس وغيره من أهلِهِ قالوا: لما صنع رَذاذ لحنَه في هذا الشعر:

فلو كان لِلشُّكْر شخصٌ يبين

فُتِنَ به الناس، وكان هِجِّيراهم[4] زماناً، حتى صنع أبو العَبِيس فيه الثّقيل الأول، فأسقط لحن رذاذٍ وغلب عليه.

[إكرام المأمون له وبداية صلته مع إسحاق الموصلي]

أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، وأخبرني علي بن سليمان

---

(١) تترى: متتابعة. وظالعة: تغمز في مشيتها وتعرُج. وحَسْرى: متعبة.
(٢) متزجّيات: منساقة. ما ينينَ: ما يبطئنَ. والوَجى: الحفا.
(٣) حَرَّى: محترقة.
(٤) الهِجّيرَى: الدّأب والشأن.

الأخفش، عن محمدِ بنِ يزيد، قالوا جميعاً: كتب المأمون في إشخاصِ كلثوم بن عمرٍو العتابيّ، فلما دخل عليه قال له: يا كلثوم، بلغتني وفاتُك فساءتني، ثم بلغتني وِفادتُك فسَرَّتْني. فقال له العتابيّ: يا أميرَ المؤمنين، لو قسمت هاتانِ الكلمتانِ على أهل الأرضِ لَوَسِعَتاها فضلاً وإنعاماً، وقد خَصَصْتني منهما بما لا يتَّسِعُ له أمنِية، ولا يبسط لسواه أمَل، لأنه لا دِين إلاّ بك، ولا دنيا إلاّ معك. فقال له: سَلْنِي. فقال: يَدُكَ بالعطاءِ أطْلَقُ مِن لساني بالسُّؤال. فوصله صِلاتٍ سَنِيَّة، وبلغ به من التقديم والإكرامِ أعلى مَحَلّ.

وذكر أحمد بن أبي طاهرٍ عن عبدِ الله بنِ أبي سعدٍ الكُراني، أن عبد الله بن سعيدِ بن زرارة، حدّثه عن محمدِ بن إبراهيم اليساري، قال: لما قدم العَتّابي مدينةَ السَّلام على المأمون، أَذِنَ له، فدخل عليه وعنده إسحاقُ بن إبراهيم الموصلي، وكان العتّابيّ شيخاً جليلاً نبيلاً، فسلَّمَ فردَّ عليه وأدناه، وقرّبه حتّى قرب منه، فقبّلَ يده، ثم أمره بالجلوس فجلَس، وأقبل عليه يسائِلُه عن حاله، وهو يجيبُه بلسان ذَلْقٍ[1] طَلْقٍ، فاستظرف المأمونُ ذلك، وأقبل عليه بالمداعبةِ والمِزاحِ، فظنَّ الشّيخ أنّه استخفَّ به، فقال: يا أمير المؤمنين، الإيناس قبل الإبساسِ[2]. فاشتبه على المأمون قولُه، فنظر إلى إسحاقَ مستفهماً، فأومأ إليه، وغمزه على معناه حتّى فهم، فقال: يا غلام، ألف دينارٍ! فأُتِيَ بذاك، فوضعه بين يديِ العتّابيّ، وأخذوا في الحديث، وغمز المأمونُ إسحاق بن إبراهيم عليه، فجعل العتابيُّ لا يأخذ في شيءٍ إلاّ عارضه فيه إسحاق، فبقي العتّابيّ متعجِّباً، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتَأْذَنُ لي في سؤالِ هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم، سَلْ. فقال لإسحاق: يا شيخ، من أنتَ؟ وما اسمكَ؟ قال: أنا مِن الناس، واسمِي كلُّ بَصَلْ. فتبسَّمَ العتابيُّ وقال: أمّا أنتَ فمعروفٌ. وأما الاسم فمُنْكَرٌ. فقال إسحاق: ما أقلَّ إنصافَكَ، أتنكرُ أن يكون اسمي كُلْ بصل؟ واسمك كُلْ ثُوم، وكُلْ ثُوم من الأسماء، أو ليس البصل أطيب من الثُّوم؟ فقال له العتابي: للّه درُّك، فما أحجَّك، أتأذنُ لي يا أمير المؤمنين في أن أصِلَه بما وصَلتني به؟ فقال له المأمون: بل ذلك موَفَّرٌ عليك ونأمُرُ له بمثله. فقال له إسحاق: أمّا إذ أقررْتَ بهذا، فتوهَّمْني تَجِدْني، فقال: ما أَظنُّك إلاَّ إسحاقَ الموصلّي، الذي تناهى إلينا خبرُه، قال: أنا حيث ظَنَنْتَ. وأقبَلَ عليه بالتحيّة

(١) اللسانُ الذلْقُ: البليغ.

(٢) الإبسَاس: هو مسح ضرع الناقة قبل حلبها لتسكن، وهنا يريد الاطمئنان قبل المداعبة.

والسّلام، فقال المأمون، وقد طال الحديث بينهما: أمّا إذ قد اتّفقتُما على المودّة، فانصرِفَا متنادِمَيْنِ، فانصرف العتّابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده.

[عبد الله بن طاهر يعجب بشعر العتابي]

وذكر أحمد بن طاهرٍ أيضاً أنّ مسعود بن عيسى العبدِيّ، حدّثه عن موسى بنِ عبد الله التميمِي، قال: وفد إلى عبد الله بنِ طاهرٍ جَمْعٌ من الشُّعراء، فعَلِمَ أنّهم على بابِه، فقال لخادمٍ له أديبٍ: اخرج إلى القومِ، وقلْ لهم: مَن كان مِنكم يقول كما قال العتّابيُّ للرّشيدِ: [البسيط]

مُسْتَنْبِطٌ عَزَمَاتِ القلْبِ مِنْ فِكَرٍ ... ما بَيْنَهنَّ وبَيْنَ اللَّهِ مَعْمُورُ

فليدخُلْ، وليعلم أنّي إن وجدتُه مُقَصِّراً عن ذلك حَرَمْتُه، فمن وَثِقَ من نفسه أنه يقول مِثْلَ هذا فليقم. قال: فدخلوا جميعاً إلاّ أربعةَ نفرٍ.

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حَدَّثنا عبد الله بن سعدٍ عن إبراهيم بنِ الحدينِ، قال: وَجد[1] الرّشيد على العتّابي، فدخل سِرّاً مع المُتَظَلِّمِين بغيرِ إذنٍ، فَمَثل بين يَدي الرشيد، وقال له: يا أمير المؤمنين، قد آذتني النّاس لك ولنفسِي فيك، وردّني ابتلاؤُهم إلى شكرك، وما مع تَذَكُّرِكَ قناعةٌ بِغيرِكَ، وَلَنِعْمَ الصَّائِنُ لِنفسي كنت، لو أعانني عليك الصَّبر، وفي ذلك أقول: [الطويل]

أَخِضْنِي المُقَامَ الغَمْرَ إنْ كَانَ غَرَّنِي ... سَنَا خُلَّبٍ أو زَلَّتِ القَدَمَانِ

أَتَتْرُكُنِي جَدْبَ المَعِيشَةِ مُقْتِراً ... وكَفَّاكَ مِنْ مَاءِ النَّدَى تَكِفَانِ

وتَجْعَلُنِي سَهْمَ المَطَامِعِ بَعْدَ ما ... بَلَلْتَ يَمِينِي بِالنَّدَى ولِسَانِي

قال: فأعجَبَ الرّشيدَ قولُهُ، وخرجَ وعليه الخِلَعُ، وقد أمر له بجائزةٍ، فما رأيتُ العتّابي قطُّ أبسط منه يومئذٍ.

[العتابيُّ يجيد وبشار يحقد عليه]

أخبرني الحسن بن علي، قال: حَدَّثني ابن مهرويه، قال: حَدَّثنا أحمد بن

---

(١) وَجَدَ عليه: غضب.

خلادٍ، قال: حَدَّثني أبي، قال: جاء العتّابيُّ وهو حَدَثٌ إلى بشّارٍ، فأنشده: [الوافر]

أَيَـصْـدِفُ عَـنْ أُمَـامَـةَ أَمْ يُـقِـيـمُ وعَـهْـدُكَ بِـالـصِّـبَـا عَـهْـدٌ قَـدِيـمُ(١)

أَقُولُ لِـمُـسْـتَـعَـارِ الـقَـلْـبِ عَـفَّـى عـلـى عَـزَامَـاتِـهِ الـسَّـيْـرُ الـعَـدِيـمُ(٢)

أَمَـا يَـكْـفِـيـكَ أَنَّ دُمـوعَ عَـيْـنِـي شَـآبِـيـبٌ يَـفِـيـضُ بِـهـا الـهُـمـومُ(٣)

أَشِـيـمُ فـلا أَرُدُّ الـطَّـرْفَ إلاّ عـلـى أَرْجَـائِـهِ مَـاءٌ سَـجُـومُ(٤)

قال: فمدّ بشّارٌ يدَه إليه ثمَّ قال له: أنت بصيرٌ؟ قال: نعم. قال: عجباً لبصيرٍ ابنِ زانيةٍ، أن يقول هذا الشّعر. فخجلَ العتابيُّ وقام عنه.

[بعض أخباره]

أخبرني محمد بن يونس الأنباري الكاتب، قال: حَدَّثني الحسن بن يحيى أبو الحمار عن إسحاق، قال: كلَّم العتابيُّ يحيى بن خالد في حاجةٍ بكلماتٍ قليلةٍ، فقال له يحيى: لقد نَدَرَ كلامُكَ اليومَ وقَلَّ. فقال له: وكيف لا يَقلُّ وقد تَكَنَّفَني ذُلُّ المَسْأَلةِ، وحَيْرة الطَّلَبِ، وخَوفُ الرَّدِّ! فقال: واللَّه لَئِنْ قَلَّ كلامُكَ لقد كثرت فوائدُه. وقضى حاجته.

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حَدَّثنا ابن مهرويه، قال: حَدَّثنا عثمان الورّاق، قال: رأيتُ العتّابيَّ يأكُلُ خبزاً على الطّريق بباب الشام، فقلت له: ويحكَ، أَمَا تستحي؟ فقال لي: أرأيْتَ لو كنّا في دارٍ فيها بقَرٌ، كنت تستحي وتحتشِمُ أن تأكلَ وهي تراك؟ فقال: لا. قال: فاصبِرْ حتى أُعلِمَك أنّهم بقَر. فقام فوعظ وقَصَّ ودعا، حتّى كَثُرَ الزِّحامُ عليه، ثم قال لهم: رَوَى لنا غيرُ واحدٍ، أنّه مَنْ بلغَ لسانُه أرنبةَ أنفِه لم يدخُلِ النّارَ. فما بَقِيَ واحدٌ إلاّ وأخرج لِسانَه يومىءُ به نحو أرنبةِ أنفِهِ، ويقدِّره حتّى يبلغها أم لا. فلمّا تفرَّقوا، قال لي العتّابي: ألم أُخبرك أنهم بقر؟

أخبرني الحسن حَدَّثنا ابن مهرويه، قال: حَدَّثني أبو عصامٍ محمد بن

---

(١) صَدَف: أعرض.

(٢) عَفَّى: طمسَ.

(٣) الشآبيب: جمع الشُؤبوب: الدُفعة من المطر.

(٤) أَشيم: أنظر، والسَّجوم: الكثير.

العباسِ، قال: قال يحيى بن خالد البرمكي لولده: إن قدرتُم أن تكتبوا أنفاسَ كلثوم بن عمروٍ العتابيّ، فضلاً عن رسائله وشعره، فلن تَرَوْا أبداً مثله.

أخبرني أبي، قال: أخبرنا الحارث بن محمدٍ عن المدائني، وأخبرني الحسن بن علي، قال: حَدَّثنا الخرّاز عن ابنِ الأعرابي، قال: أنكر العتابيّ على صديق له شيئاً، فكتبَ إليه: «إما أن تُقِرَّ بِذنبِكَ فيكون إقرارُكَ حُجَّةً علينا في العَفْوِ عنك، وإلاّ فَطِبْ نفساً بالانتصافِ منك، فإنّ الشاعر يقول:

أَقْـرِرْ بِـذَنْـبِـكَ ثـمَّ اطْـلُـبْ تَـجـاوُزَنـا عنه فَإنَّ جُحُودَ الذَّنْبِ ذَنْبانِ».

أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا ابن مهرويه، قال: حَدَّثني عبد الواحد بن محمدٍ، قال: وقف العتابيُّ بباب المأمونِ يلتمس الوصولَ إليه، فصادف يحيى بن أكثم جالساً ينتظر الإذنَ، فقال له: إنْ رأيتَ ـ أَعَزَّكَ اللَّهُ ـ أن تذكُرَ أمري لأمير المؤمنين إذا دخلتَ فافعل. قال له: لستُ ـ أعزّك اللَّه ـ بحاجِبه. قال: فإن لم تكنْ حاجباً فقد يفعل مِثْلُكَ ما سألتُ، واعلم أنّ اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ جعل في كلِّ شيءٍ زكاةً، وجعل زكاةَ المالِ رَفْدَ المستعين، وزكاةَ الجاهِ إغاثةَ الملهوف. واعلم أنّ اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ مقبلٌ عليك بالزّيادة إنْ شكرتَ، أو التغييرِ إن كفَرْت، وإنّي لكَ اليومَ أصلَحُ منك لِنفسك، لأنّي أدعُوك إلى ازديادِ نِعمَتِكَ، وأنت تأبى. فقال له يحيى: أفعَلُ وكرامةً. وخرج الإذن ليحيى، فلما دخل، لم يبدأ بشيءٍ بعد السّلام إلاّ أن استأذن المأمونَ للعتابي، فأذِنَ له.

أخبرني الحسن، قال: حَدَّثنا ابن مهرويه، قال: حَدَّثني أبو الشِّبل، قال: قال العتابي لرجلٍ اعتذَرَ إليه: إنّي إن لم أقبلْ عُذرَكَ لَكُنْتُ ألأمَ مِنك، وقد قَبِلْتُ عُذْرَكَ، فدُمْ على لَومِ نفسِكَ في جنايتك، نَزِدْ في قبولِ عُذرك، والتَّجافي عن هفوتك.

قال: وقيل له لو تزوّجتَ!؟ فقال: إنّي وَجَدْتُ مكابدةَ العِفَّةِ أَيْسَرَ عليَّ من الاحتيال لِمصلحةِ العِيالِ.

أخبرني الحسن، قال: حَدَّثنا ابن مهرويه، قال: قال جعفر بن المفضّل: قال لي أبي: رأيتُ العتابيَّ جالساً بين يدي المأمون وقد أسنَّ. فلمّا أراد القيام قام المأمون فأخَذَ بيده، واعتمد الشّيخ على المأمون، فما زال يُنهِضُه رويداً رويداً حتّى أَقَلَّهُ فنهضَ، فعجِبْتُ من ذلك، وقلتُ لِبعضِ الخدم: ما أسوأ أدبَ هذا الشّيخ، فمن هو؟ قال: العتابيّ.

أخبرني الحسن، قال: حَدَّثنا ابن مهرويه، قال: حَدَّثني محمد بن الأشعثِ، قال: قال دعبل: ما حَسدْتُ أحداً قطُّ على شِعرٍ كما حَسَدْتُ العتّابي على قوله:

[مجزوء المديد]

هَيْبَةُ الإِخْوَانِ قَاطِعَةٌ لأَخِي الحَاجَاتِ عَنْ طَلَبِهْ
فإذا ما هِبْتُ ذَا أَمَلٍ مَاتَ ما أَمَّلْتُ مِنْ سَبَبِهْ[1]

قال ابن مهرويه: هذا سرقه العتّابي من قولِ علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: «الهَيبة مقرونةٌ بالخَيبةِ، والحَيَاءُ مقرونٌ بِالحِرمان، والفُرصةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ».

حَدَّثني محمد بن داود، عن أبي الأزهر، عن عيسى بن الحسنِ بن داود الجعفري عن أخيه عن علي بن أبي طالب، رَضِيَ الله عنه، بذلك.

أخبرني الحسن، قال: حَدَّثنا ابن مهرويه عن أبي الشِّبل، قال: دخل العتّابي على عبد الله بن طاهر، فمثل بين يديه، وأنشده: [الخفيف]

حُسْنُ ظَنِّي وحُسْنُ ما عَوَّدَ اللّـ ـهُ سِوَايَ منكَ الغَدَاةَ أَتَى بِي
أَيُّ شَيءٍ يَكُونُ أَحْسَنَ مِن حُسـ ـنِ يَقِينٍ حَدَا إليكَ رِكَابِي

قال: فأمر له بجائزةٍ، ثم دخل عليهِ من الغد، فأنشده: [السريع]

وُدُّكَ يَكْفِينِيكَ في حَاجَتِي ورُؤْيَتِي كَافِيَةٌ عن سُؤَالْ
وكيفَ أَخْشَى الفَقْرَ ما عِشْتَ لِي؟ وإنَّمَا كَفَّاكَ لي بَيْتُ مَالْ

فأمر له بجائزةٍ، ثم دخل في اليوم الثالث، فأنشده: [الخفيف]

بَهجَاتُ الثِّيَابِ يُخْلِقُها الدَّهْـ ـرُ وثَوْبُ الثَّناءِ غَضٌّ جَدِيدُ[2]
فاكْسُنِي ما يَبِيدُ أَصْلَحَكَ اللَّـ ـهُ فاللَّهُ يَكْسُوكَ ما لا يَبِيدُ[3]

فأمر له بجائزةٍ، وأنعم عليه بِخلْعةٍ سنيّةٍ.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حَدَّثنا ابن مهرويه، قال: حَدَّثني عبد اللَّهِ بن أحمد، قال: حَدَّثني أبو دعامة، قال: قال طوق بن مالكٍ لِلعتابيّ: أمَا تَرَى عشيرَتَكَ ـ يعني بني تغلب ـ كيف تُدِلُّ عليَّ، وتتمرَّغُ وتستطِيل، وأنا أصبرُ عليهم؟!

---

(١) السّبب: الوسيلة والمودّة.
(٢) يُخلقها: يبليها.
(٣) ما يبيدُ: ما يذهب.

فقال العتابي: أيُّها الأمير، إنّ عَشِيرَكَ مَنْ أَحْسَنَ عِشرَتَكَ، وإنَّ عَمَّكَ من عَمَّك خَيْرُهُ، وإنَّ قريبَكَ من قَرُبَ منك نفعُهُ، وإنَّ أخفَّ الناسِ عندك أَخَفُّهم ثِقْلاً عليك، وأنا الذي أقول: [الكامل]

إنّي بَلَوْتُ النَّاسَ في حَالاَتِهِمْ ... وخَبَرْتُ ما وَصَلُوا مِنَ الأَسْبابِ
فإذا القَرَابَةُ لا تُقَرِّبُ قاطِعاً ... وإذا المَوَدَّةُ أقْرَبُ الأَنْسَابِ

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ، قال: حَدَّثنا الرِّيَاشيّ، قال: شكا منصور النمريُّ العتّابيَّ إلى طاهرِ بن الحسينِ، فوجّه طاهر إلى العتّابيّ، فأحضره، وأخفى منصوراً في بيتٍ قريبٍ منهما، وسألَ طاهرٌ العتّابي أن يصالحه، فشكا سوءَ فِعلِه به، فسأله أن يَصفَحَ عنه، فقال: لا يستحِقُّ ذلك. فأمر منصوراً بالخروج، فخرج وقال للعتابيّ، لم لا أستحِقُّ هذا منك؟ فأنشأ العتابيُّ يقول: [البسيط]

أَصْحَبْتُكَ الفَضْلَ إذ لا أَنْتَ تَعْرِفُهُ ... حَقّاً ولا لكَ في اسْتِصْحَابِهِ أَرَبُ[1]
لم تَرْتَبِطْكَ على وَصْلِي مُحَافَظَةٌ ... ولا أَعَاذَكَ مِمَّا اغْتَالَكَ الأَدَبُ
ما مِنْ جَمِيلٍ ولا عُرْفٍ نَطَقْتَ به ... إلاَّ إلَيَّ وإنْ أَنْكَرْتَ يَنْتَسِبُ

قال: فأصلح طاهرٌ بينهما ـ وكان منصور من تعليم العَتّابي وتخريجِه ـ وأمر طاهر للعتابيّ بثلاثين ألف دِرهم.

أخبرني عمر عن عبد الله بنِ أبي سعدٍ عن الحسين بن يحيى الفِهريّ عن العباس بن أبي ربيعة السّلمِيّ، قال: شكا منصور النمريّ كلثومَ بن عمرٍو العتّابي إلى طاهرٍ، ثم ذكر مِثله.

[تفضيله العلم والأدب على المال]

أخبرني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب، قال: حَدَّثني أبو هفان، قال: كان العتّابيُّ جالساً ذاتَ يوم ينظُر في كتابٍ، فمرَّ به بعضُ جيرانِه، فقال: أَيْشِ يَنْفَعُ العِلمُ والأدبُ مَنْ لا مالَ له؟ فأنشدَ العتّابي يقول: [البسيط]

يا قَاتَلَ اللّهُ أَقْوَاماً إذا ثَقِفُوا ... ذا اللُّبِّ ينظرُ في الآدابِ والحِكَمِ[2]

---

(١) الأرب: الحاجة.

(٢) ثقفوا: وجدوا.

قـالُـوا ولـيـسَ بِـهِـمْ إلاَّ نَـفَـاسَـتُـهُ أَنَـافِـعٌ ذا مـن الإقـتـارِ والـعَـدَمِ[١]؟
ولـيـس يَـدْرُون أَنَّ الـحَـظَّ مـا حُـرِمُـوا لَـحَـاهُـمُ الـلَّـهُ، مِـنْ عِـلْـمٍ ومِـنْ فَـهِـمِ

أخبرني علي بن صالح وعمّي، قالا: حَدَّثنا أحمد بن طاهرٍ، قال: حدّثنا أبو حيدرة الأسديّ، قال: قال العتابيُّ في عزل طاهر بن علي، وكان عدوَّه:

[مجزوء الكامل]

يـا صَـاحِـبـاً مُـتَـلَـوِّنـاً مُـتَـبَـايِـنـاً فِـعْـلـي وفِـعْـلُـهْ
مـا إنْ أُحِـبُّ لـه الـرَّدَى ويَـسُـرُّنـي والـلَّـهِ عَـزْلُـهْ
لـم تَـغْـدُ فـيـمـا قُـلْـتَ لِـي وفَـعَـلْـتَ بـي مـا أَنْـتَ أَهْـلُـهْ
كَـم شَـاغِـلٍ بـكَ عَـدْوَتَـيـهِ وفَـارِغٌ مَـنْ أنـتَ شُـغْـلُـهْ[٢]

أخبرني أحمد بن الفرج، قال: حَدَّثني أحمد بن يحيى بنِ عطاءٍ الحرّاني عن عبيد الله بنِ عمارٍ، قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ، قال: حَدَّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيدِ بن الفرج، قال: لمّا سعى منصور النمريُّ بالعتابيّ إلى الرشيد اغتاظَ عليه، فطلبه، فستره جعفر بن يحيى عنه مدّة، وجعل يستعطفُه عليه، حتّى استلَّ ما في نفسه، وأمّنه، فقال يمدح جعفر بن يحيى: [البسيط]

ما زِلْتُ في غَمَراتِ المَوتِ مُطَّرَحاً قد ضَاقَ عَنّي فَسِيحُ الأَرْضِ مِن حِيَلِي
ولـم تَـزَلْ دَائِـباً تَـسْـعَـى بِـلُـطْـفِـكَ لـي حَتّى اخْتَلَسْتَ حَياتِي مِنْ يَدَيْ أَجَلِي

[عبد الله بن طاهر يعوده في مرضه فيقول شعراً]

أخبرني عَمّي، قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حَدَّثني أحمد بن خلادٍ عن أبيه، قال: عاد عبد الله بن طاهرٍ وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب، كلثومَ بن عمرو العتابيَّ، في عِلَّةٍ اعتلّها، فقال النّاس: هذه خَطْرَةٌ خَطَرَتْ[٣]! فبلغ ذلك العتابيَّ، فكتب إلى عبدِ اللّهِ بنِ طاهر: [الكامل]

قـالـوا الـزِّيـارةُ خَـطْـرَةٌ خَـطَـرَتْ ونِـجَـارُ بِـرِّكَ لـيـسَ بِـالـخَـطْـرِ[٤]

---

(١) النَّفَاسة: الحسد.
(٢) العدوتان: جانبا الوادي.
(٣) الخطرة: المرّة. خطرت: حدثت.
(٤) النجار: الأصل.

أَبْـطِـلْ مَـقَـالَـتَـهُـمْ بِـثَـانِـيَـةٍ تَـسْـتَـنْـفِـدِ الـمَـعْـرُوفَ مِـنْ شُـكْـرِي

فلمّا بلغت أبياتُه عبد الله بن طاهر ضحِكَ من قوله، وركب هو وإسحاقُ بن إبراهيم، فعاده مرة ثانية.

أخبرني الحسين بن القاسم الكواكبي، قال: حَدَّثني أبو العيناءِ، قال: حَدَّثني أبو العلاءِ المعري[1]، قال: عتب عبد الله بن هشامِ بنِ بسطامِ التّغلبي على كُلثومِ ابنِ عمروٍ التغلبيّ في شيء بلّغه عنه، فكتب إليه:

صوت

[الطويل]

لقَدْ سُمْتَنِي الهِجْرَانَ حَتّى أَذَقْتَنِي عـقُـوبـاتِ زَلاَّتِـي وسُـوءِ مَـنَـاقِـبِـي

فـهـا أنـا سَـاعٍ فـي هَـوَاكَ وصَـابِـرٌ على حَدِّ مَصْقُولِ الغَرَارَيْنِ قَاضِبِ[2]

ومُـنْـصَـرِفٌ عَـمَّـا كَـرِهْـتَ وجَـاعِـلٌ رِضَـاكَ مِـثَـالاً بـيـنَ عَـيْـنـي وحَـاجِـبـي

قال: فرَضِيَ عنه، ووصله صلةً سنيّة.

الغناء في هذه الأبيات لأبي سعيد مولى فائدٍ، ثاني ثقيلٍ بالبِنصر، عن يحيى المكي، وذكر الهِشامِي أنه منحول يحيى، وذكر أحمد بن المكي في كتابه، أنّه لأبي سعيد، وجعله في باب الثقيل الأوّل بالبِنصر، ولعله على مذهب إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله.

أخبرني الحسين بن القاسم، قال: حَدَّثني محمد بن عبد الرحمٰن بن يونس السراج، قال: أخبرني الحسين بن داود الفزاريّ عن أبيه، قال: كان أخوانِ من فَزارة يخفُرانِ قريةً بين آمِد وسُمَيساط[3]، يقال لها تلّ حُوم[4]، فطال مقامهما بها حتّى أثريا، فحسدهما قومٌ من ربيعة، وقالوا: يخفران هذان الضّياع في بلدنا! فجمعوا لهما جمعاً، وساروا إليهما، فقاتلوهما، فقُتِلَ أحدهما، وعلى الجزيرة

(١) هو غير الشاعر المعروف أحمد بن عبد الله.

(٢) الغِراران: الحَدّان. والقاضب: القاطع.

(٣) آمد: بلد قديم حصين ركين مبنيّ بالحجارة السّود على نَشز دجلة وفي وسطه عيون وآبار قريبة (معجم البلدان ١/ ٥٦). وسُمَيساط: مدينة على شاطىء الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات (معجم البلدان ٣/ ٢٥٨).

(٤) تلّ حُوم: حصن في ثغر المصيصة (معجم البلدان ٢/ ٤١).

يومئذٍ عبد الملك بن صالح الهاشميّ، فشكا القيسيُّ أمرَه إلى وجوه قيس، وعرَّفَهم قتل رَبيعة أخاه، وأخذَهم مالَه. فقالوا له: إذا جلس الأميرُ فادخلْ إليه. ففعل ذلك، ودخل على عبدِ الملك، وشكا ما لَحِقَهُ، ثم قال له: وحَسْبُ الأميرِ أنَّهم لمَّا قتلوا أخي وأخذوا مالي قال قائلٌ منهم: [الخفيف]

اشْرَبَا ما شَرِبْتُما إنَّ قَيْساً ... مِنْ قَتِيلٍ وهَالِكٍ وأَسِيرِ
لا يَحُوزَنَّ أَمْرَنا مُضَرِيٌّ ... بِخَفِيرٍ ولا بِغَيْرِ خَفِيرِ

فقال عبد الملك: أتندبني[1] إلى العصبية؟ وزبره[2]، فخرج الرّجلُ مغموماً، فشكا ذلك إلى وُجوه قيس، فقالوا: لا تُرَعْ، فواللّه لقد قَذَفْتَها في سويداءِ قلبه، فعاوِدْه، فعاوده في المجلس الآخَر، فزبَرَه، وقال له قولَه الأوّل، فقال له: إنِّي لم آتِكَ أندُبك للعصبيّة، وإنّما جئتُك مُستعدِياً، فقال له: حَدِّثني كيف فَعَلَ القوم؟ فحدَّثه وأنشده، فغضب فقال: كذَبَ لَعَمْرِي، ليحوزَنَّها. ثم دعا بأبي عِصمة أحدِ قُوَّاده، فقال: اخرُجْ فجَرِّدِ السّيفَ في ربيعة، فخرج وقتل منها مَقتلةً عظيمة، فقال كلثوم بن عمرو العتّابيّ قصيدتَه التي أوّلها: [البسيط]

ماذَا شَجَاكَ بِحُوَّارِينَ مِنْ طَلَلٍ ... ودِمْنَةٍ كَشَفَتْ عَنْهَا الأَعَاصِيرُ[3]

يقول فيها:

هَذِي يَمِينُكَ في قُرْبَاكَ صَائِلَةٌ ... وصَارِمٌ مِنْ سُيوفِ الهِنْدِ مَشْهُورُ
إنْ كَانَ مِنَّا ذَوُو إفْكٍ ومَارِقَةٌ ... وعُصْبَةٌ دِينُها العُدْوَانُ والزُّورُ
فَإنَّ مِنَّا الَّذي لا يُسْتَحَثُّ إذا ... حُثَّ الجِيَادُ وَضَمَّتْها المَضَامِيرُ[4]
مُسْتَنبِطٌ عَزَمَاتِ القَلْبِ مِنْ فِكَرٍ ... ما بَيْنَهُنَّ وبَيْنَ اللَّهِ مَعْمُورُ[5]

يعني عبد الله بن هشامِ بنِ بسطامٍ التغلبيّ، وكان قد أخذ قوّادَهم.

فبلغت القصيدة عبد الملك، فأمر أبا عِصمةَ بالكفِّ عنهم، فلمَّا قدِمَ الرّشيد

---

(١) ندب: دعا.
(٢) زبره: زجره.
(٣) حُوَّارِين: قرية من قرى حلب، أو حصن من ناحية حمص (معجم البلدان ٢/ ٣١٥). والدِّمنة: آثار الديار.
(٤) المضامير: جمع المضمار: الموضع الذي تُضمَّر فيه الخيل.
(٥) العَزَمات: جمع العَزْمة: الجِدُّ في الأمر والقوّة.

الرّافقة[1] أنشده عبدُ الملك القصيدة، فقال: لمن هذه؟ فقال: لرجل من بني عتّاب يقال له كلثوم بن عمرو، فقال: وما يمنعه أن يكون ببابنا. فأمر بإشخاصِه من رأس عين[2]، فوافى الرشيدَ وعليه قميصٌ غليظ، وفَروة وخُفّ، وعلى كتفه مِلحفةٌ جافية بغير سراويل، فلمّا رُفِعَ الخبر بقدُومه أمَرَ الرشيدُ بأن تُفْرَشَ له حُجْرَةٌ، وتُقَامَ له وظيفةٌ، ففعلوا، فكانت المائدة إذا قُدِّمَتْ إليه أخذ مِنها رُقاقةً وملحاً وخلَط الملحَ بِالتُّرابِ فأكله بها، فإذا كان وقتُ النوم نام على الأرض والخدم يتفقّدونه، ويتعجّبون من فعله، وسأل الرشيدُ عنه، فأخبروه بأمره، فأمَر بِطَرْدِهِ، فخرج حتّى أتى يحيى بنَ سعيد العُقَيليّ وهو في منزله، فسلَّمَ عليه، وانتسَبَ له، فرحّبَ به، وقال له: ارتفِعْ. فقال: لم آتِكَ للجلوس، قال: فما حاجتُكَ؟ قال: دابّة أبلُغُ عليها إلى رأس عين، فقال: يا غلام، أَعْطِهِ الفرسَ الفلانيّ. فقال: لا حاجةَ لي في ذلك، ولكنْ تأمُرُ أن تشتري لي دابة أَتبلَّغُ عليها. فقال لغلامه: امضِ معه فابتعْ له ما يريد. فمضى معه، فعدلَ به العتّابيُّ إلى سوقِ الحَمير، فقال له: إنّما أمرني أن أبتاع لك دابّة. فقال له: إنّه أرسلكَ معي، ولم يُرْسِلْني معك، فإن عملْتَ ما أريد وإلا انصرِفْ. فمضى معه فاشترى حماراً بمائةٍ وخمسين درهماً، وقال: ادفع إليه ثمنه، فدفع إليه، فركبَ الحمار عُرْياً بِمِرْشَحةٍ عليه وبَرذعةٍ[3]، وساقاه مكشوفتان، فقال له يحيى بن سعيدٍ: فضحتَني، أمثلي يحمل مثلك على هذا؟ فضَحِكَ، وقال: ما رأيتُ قدرَكَ يستوجبُ أكثرَ من ذلك. ومضى إلى رأس عين.

[ردّه على زوجته اللائمة]

وكانت تحته امرأةٌ من باهلة، فلامته، وقالت: هذا منصورٌ النمريُّ قد أخذ الأموالَ فحلَّى نساءَه، وبنى دارَه، واشترى ضِياعاً، وأنت ها هنا كما ترى! فأنشأ يقول: [الطويل]

تَـلـومُ عـلـى تَـرْكِ الـغِـنَـى بَـاهِـلِـيَّـةٌ ... زَوى الـفَـقْـرُ عَـنْـهـا كُـلَّ طِـرْفٍ وتَـالِـدِ[4]

رَأَتْ حَولَـها النِّسْوَانَ يَرْفُلْنَ في الثَّرَى ... مُـقَـلَّـدَةً أَعْـنَـاقُـهـا بِـالـقَـلائِـدِ

---

(١) الرافقة: بلد مُتَّصل البناى بالرقّة وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير (معجم البلدان ٣/ ١٥).

(٢) رأس عين: مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين (معجم البلدان ٣/ ١٤).

(٣) المِرْشَحة: البِطانة التي تحت لِبْدِ السَّرج. والبَرْذَعة: الحِلْسُ الذي يُلْقى تحت الرَّحل.

(٤) زوى: صرف ومنع. والطِّرْف: الجديد. والتّالد: القديم الموروث.

أَسَـرَّكِ أنّـي نِـلْـتُ مـا نَـالَ جَـعْـفَـرٌ مِنَ العَيْشِ أو مَا نَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ
وأَنَّ أَمِـيـرَ الـمُـؤمِـنِـيـنَ أَغَـصَّـنِـي مُغَصَّهُـمَـا بِالـمُـشْـرِقَـاتِ البَـوَارِدِ(١)
رَأَيْـتُ رَفِـيـعَـاتِ الأُمُـورِ مَـشُـوبَـةً بِمُسْتَوْدَعَـاتٍ في بطُونِ الأَسَاوِدِ(٢)
دَعِينِي تَجِئْنِيَ مِيتَتِي مُطْمَئِنَّةً ولَـمْ أَتَـجَـشَّـمْ هَـوْلَ تِـلْـكَ الـمَـوَارِدِ

وهذا الخبَرُ عندي فيه اضطراب؛ لأن القصيدةَ المذكورة التي أوّلها:

مــاذا شَــجَــاكَ بِــحُــوَّارِيــنَ مِــنْ طَــلَــلِ

لِلعتّابي في الرشيد، لا في عبد الملك، ولم يكن كما ذكره في أيّام الرشيد متنقِّصاً منه. وله أخبار معه طويلةٌ، وقد حدّثني بخبره هذا لما استوهب رَفْعَ السيفِ عن ربيعةَ جماعةٌ على غير هذه الرواية.

[الرشيد يعقب عليه ويقطع عنه الهبات]

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ، قال: حَدَّثني مسعودُ بنُ إسماعيلَ العدويُّ عن موسى بنِ عبدِ اللّه التميميّ قال: عتب الرَّشيدُ على العتابيّ أيامَ الوليدِ بن طريفٍ، فقطع عنه أشياءَ كان عَوَّده إيَّاها، فأتاه متنصِّلاً بهذه القصيدة: [البسيط]

مـاذا شَـجَـاكَ بِـحُـوَّارِيـن مِـنْ طَـلَـلِ ودِمْـنَـةٍ كَـشَّـفَـتْ عَـنْـهَـا الأَعَـاصِـيـرُ
شَجَاكَ حَتَّى ضَمِيرُ القَلْبِ مُشْتَرَكٌ والـعَـيْـنُ إنْـسَـانُـهـا بِـالـمَـاءِ مَـغـمُـورُ
فـي نَـاظِرَيَّ انْقِبَاضٌ عَنْ جُفُونِهِمَا وفـي الـجُـفُـونِ عَـنِ الآمَـاقِ تَـقْـصِـيرُ(٣)
لـو كُـنْـتِ تَـدْرِينَ ما شَوْقِي إذَا جَعَلَتْ تَـنْـأَى بِـنَـا وبِـكِ الأَوْطَـانُ والـدُّورُ
عَـلِـمْـتِ أَنَّ سُـرَى لَـيْـلَـى ومُـطَّـلَـعِـي مِنْ بَيتِ نَجْرَانَ والغَوْرَيْنِ تَغْوِيرُ(٤)
إذِ الـرَّكَـائِـبُ مَـخْـشُـوفٌ نَـوَاظِـرُهـا كَـمَـا تَـضَـمَّـنَـتِ الـدُّهْـنَ الـقَـوَارِيـرُ
نَـادَتْـكِ أَرْحَـامُـنـا الـلاَّتـي نَـمُـتُّ بِـهـا كـمـا تُـنَـادِي جِـلاَدَ الـجِـلَّـةِ الـخُـورُ(٥)

---

(١) المشرقات: السيوف اللوامع المشرقة. والبوارد: التي تثبت في الضريبة ولاتنثني.
(٢) الأساود: جمع الأسود: الحيّة.
(٣) الآماق: جمع الأمُق: المَأق، ومأق العين: طَرَفُها ممّا يَلي الأنف، وهو مجرى الدمع من العين.
(٤) السُّرى: السَّير ليلاً. ونجران: اسم لعدة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٥/ ٢٦٦). والتغوير: الدخول في الغور.
(٥) الجِلاد: النُّوق الصِّلاب.

مُسْتَنبِطٌ عَزَماتِ القَلْبِ مِنْ فِكَرٍ ... ما بَيْنَهُنَّ وبَيْنَ اللّهِ مَعْمُورُ
فُتَّ المَدائِحَ إلاّ أنَّ أنفُسَنا ... مُسْتَنْطَقَاتٌ بِمَا تَحْوِي الضَّمائِرُ
ماذا عَسَى مادِحٌ يُثْنِي عَلَيْك وقد ... نَاداك في الوَحْيِ تَقْدِيسٌ وتَطْهِيرُ
إنْ كَانَ مِنّا ذَوُو إفْكٍ ومَارِقَةٌ ... وعُصْبَةٌ دِينُها العُدْوانُ والزُّورُ
فَإنَّ مِنّا الّذي لا يُسْتَحَثُّ إذا ... حُثَّ الجِيَادُ وحَازَتْها المضاميرُ
ومِنْ عَرائِقِهِ السَّفّاحِ عِنْدَكُمُ ... مُجَرَّبٌ مِنْ بَلاءِ الصِّدْقِ مَخْبُورُ[1]
الآنَ قَدْ بَعُدَتْ في خَطْوَ طَاعَتِكُمْ ... خُطاهُمُ حَيْثُ يَحْتَلُّ الغَشَامِيرُ[2]

ـ يعني يزيدَ بن مزيدٍ، وهشامَ بن عمرٍو التغلبيَّ، وهو من ولدِ سُفَيْحِ بن السفاحِ ـ قال: فرضي عنه وردّ أرزاقه ووصله.

صوت

[الطويل]

تَطَاوَل لَيْلَى لَمْ أَنَمْهُ تَقَلُّباً ... كَأنَّ فِرَاشِي حَالَ مِنْ دُونِهِ الجَمْرُ
فَإنْ تَكُنِ الأيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنا ... فَقَدْ بَانَ مِنّي في تَذَكُّرِهِ العُذْرُ

الشّعرُ للأُبيردِ الرِّياحيِّ، والغناءُ لبابَوَيْه، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وفيه رمَلٌ نسبه يحيى المكي إلى ابنِ سريج، وقيل إنه منحول.

---

(١) المخبور: المختبَر.
(٢) الغشامير: من الغشمرة: وهي التهضّم والظلم.

أخبارُ الأُبَيردِ ونسبُه

[توفي ٦٨ هـ/ ٦٧٧ م]

[نسبه وأخباره]

الأُبيرِد بنُ المُعَذِّرِ بنِ قيسِ بن عَتّاب بن هَرْميّ بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناةَ بنِ تميم. . شاعرٌ فصيحٌ بدويٌّ، من شعراء الإسلام وأوّلِ دولةِ بني أمية، وليس بمكثِرٍ، ولا مِمَّن وفدَ إلى الخلفاء فمدحهم.

وقصيدتُه هذه الّتي فيها الغناءُ يرثي بها بُرَيداً أخاه، وهي معدودة من مختار المراثي.

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الْخُزَاعيُّ قالَ: حَدَّثنا دَماذُ عن أبي عبيدةَ قال: كان الرّياحيُّ يهوى امرأةً من قومه وَيُجَنُّ بها حتّى شُهِرَ ما بينهما، فحُجِبَتْ عنه، وخطبها فأبَوا أنْ يزوّجوها إياه، ثم خطبها رجلٌ من ولدِ حاجبِ بن زُرارةَ، فزُوِّجته، فقال الأبيرد في ذلك: [الطويل]

إذا مَا أَرَدْتَ الحُسْنَ فانْظُرْ إلى الّتي ... تَبَغَّى لَقِيطٌ قَوْمَهُ وتَخَيَّرا

لَها بَشَرٌ لو يَدْرُجُ الذَّرُّ فَوْقَهُ ... لَبَانَ مكانُ الذَّرِّ فيه فَأَثَّرا[1]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَمْكَنْتِ مِنَّا عَدُوَّنا ... وأَقْرَرْتِ لِلعَادِي فَأَخْنَى وأَهْجَرَا[2]

[هجاؤه لحارثة بن بدر]

أخبرني أبو خلِيفة الفضلُ بن الحبابِ في كتابه إلي قال: حَدَّثنا محمد بن سلام الجمحِي قال: قدم الأبيرد الرِّياحي على حارثة بن بدرٍ فقال: أُكْسُني بُرْدَيْن

(١) البَشَر: ظاهر الجلد. والذَّرّ: صغار النمل.
(٢) أخنى: قال الخنا، والخنا: الفحش. وأهجر: قال هجراً.

أَدخلُ بهما على الأمير ـ يعني عبيد الله بن زيادٍ ـ وكساه ثوبين فلم يَرْضَهما، فقال فيه: [الطويل]

أَحَارِثُ، أَمْسِكْ فَضْلَ بُرْدَيْكَ إنّما أَجَاعَ وأَعْرَى اللّهُ مَنْ كُنْتَ كَاسِيا
وكُنْتُ إذا اسْتُمْطِرْتُ مِنْكَ سَحَابَةً لِتُمْطِرَني عَادَتْ عَجَاجاً وسَافِيا[1]
أَحَارِثُ، عَاوِدْ شُرْبَكَ الخَمْرَ إنَّني أَرى ابْنَ زِيادٍ عَنْكَ أصبحَ لاَهِيا

فبلغت أبياتُه هذه حارثةَ فقال: قَبَحه اللّه! لقد شَهِدَ بما لَمْ يعلم، وإنما أدعُ جوابه لما لا يعلم. هكذا ذكر محمدُ بنُ سلام.

أخبرني حبيبُ بن نصرٍ المهلبيّ قال: حَدَّثنا عُمَر بنُ شبَّةَ قال: حَدَّثنا الأصمعيُّ قال: هجا الأبيردُ الرياحيُّ حارثة بن بدر فقال: [الطويل]

أَحَارِثُ، رَاجِعْ شُرْبَكَ الخَمْرَ إنَّني أَرى ابنَ زِيادٍ عَنْكَ أَصْبَحَ لاَهِيا
أرى فِيكَ رَأْياً مِنْ أَبِيهِ وعَمِّهِ وكانَ زِيادٌ مَاقِتاً لكَ قَالِيا[2]

وذكر البيتين الآخرين اللذين ذكرهما محمدُ بنُ سلام، وقال في خبره هذا: فكان حارثةُ يكسوه في كلّ سنة بُرْدَيْن، فحبسهما عنه في تلك السنة، فقال حارثة بن بدر يجيبه: [الطويل]

فَإنْ كُنْتَ عَنْ بُرْدَيَّ مُسْتَغْنياً لقد أَرَاكَ بِأَسْمَالِ المَلابِسِ كَاسِيا
وعِشْتَ زَمَاناً أَنْ أُعَيِّنْكَ كُسْوَتي قَنِعْتَ بِأخلاقٍ وأَمْسَيْتَ عَارِيا[3]
وبُرْدَيْنِ مِنْ حَوْكِ العِرَاقِ كَسَوْتُها علَى حَاجَةٍ منها لأُمِّكَ بَادِيا

فقال الأبيرد يهجو حارثَة بن بدر: [الكامل]

زَعَمَتْ غُدَانَةُ أَنَّ فيها سَيِّداً ضَخْماً يُوارِيهِ جَنَاحُ الجُنْدُبِ[4]
يُرْوِيهِ ما يُرْوِي الذُّبَابَ ويَنْتَشِي لُؤْماً ويُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الأرْنَبِ

وقال أيضاً لحارثةَ بن بدر: [الطويل]

أَلا لَيْتَ حَظِّي مِنْ غُدَانَةَ أَنَّها تَكُونُ كَفَافاً لا عَلَيَّ ولا لِيَا

---

(١) العجاج: الغبار. والسافي: الريح تحمل تراباً.
(٢) ماقتاً: مبغضاً. وقالياً: مبغضاً كارهاً.
(٣) أُعَيِّنْكَ: أعطيكَ. والأخلاق: جمع الخَلَق: الثوب البالي.
(٤) غُدَانة: قبيلة غدانة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. والجندُب: الجراد.

أَبَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِي غُدَانَةَ لِلهُدَى ... وأَنْ لا تكونَ الدَّهْرَ إلاَّ مَوَاليا[١]
فلو أَنَّنِي أَلْقَى ابْنَ بَدرٍ بِمَوْطِنٍ ... نَعُدُّ به من أَوَّلِينا المَسَاعِيا[٢]
تَقَاصَرَ حَتَّى يَسْتَقِيدَ ويَبُذَّهُ ... قُرُومٌ تَسَامَى مِنْ رِياحٍ تَسَامِيا[٣]
أَيَا فَارِطَ الحَيِّ الَّذي قد حَشَا لَكُمْ ... مِنَ المَجْدِ أَنْهاءً مِلاءَ الخَوَابيا[٤]
وعَمِّي الَّذي فَكَّ السَّمَيْذَعَ عنوةً ... فلستَ بِنعمَى يابْن عَقْرَبَ جازيا[٥]
كِلانا غَنِيٌّ عن أخيه حَيَاتَهُ ... ونَحْنُ إذا مِتْنا أَشَدُّ تَغَانِيا
أَلم تَرَنا إذ سُقْتَ قَوْمَكَ سَائِلاً ... ذَوِي عَدَدٍ لِلسَّائِلِينَ مَعَاطِيا
بَنِي الرِّدْفِ حَمَّالِينَ كُلَّ عَظِيمَةٍ ... إذا طَلعتْ والمُتْرِعِينَ الجَوَابيا[٦]
وإنَّا لَنُعْطِي النِّصْفَ مَنْ لو نَضِيمُهُ ... أَقَرَّ ولَكِنَّا نُحِبُّ العَوَافِيا[٧]

الرِّدفُ الذي عناه هاهنا: جَدُّه عَتّابُ بنُ هَرْميّ بن رياح، كان رِدْفَ ابنِ المنذر، إذا ركب ركب وراءه، وإذا جلس جلس عن يمينه، وإذا غزا كان له المِرباع؛ وإذا شرب الملك سُقِيَ بكأسه بعدَه، وكان بعده ابنُه قيسُ بن عَتّابٍ يَرْدُفُ النعمان، وهو جدُّ الأبيردِ أيضاً.

[الأبيرد يعشق زوجة سعد العجليّ]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حَدَّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال: كانت بنو عِجْلٍ قد جاورت بني رياحِ بنِ يربوع في سنة أصابت عِجْلاً، فكان الأبيردُ يعاشر رجلاً منهم، يقال له سعد، ويجالسه، وكان قصدُه امرأة سعد هذا، فمالت إليه فومِقته[٨]، وكان الأبيردُ شاباً جميلاً ظريفاً طريراً[٩]، وكان سعد شيخاً هِمّاً[١٠]، فذهب بها كلَّ

(١) الموالي: العبيد.
(٢) المساعي: مآثر أهل الفضل والشرف.
(٣) يستقيد: يذلّ ويخضع. ويَبُذُّهُ: غلبه. والقروم: جمع القَرْم: السيد.
(٤) الفارط: السابق لإصلاح الحوض والدِّلاء. والأنهاء: جمع النِّهي: الغدير. والخوابي: جمع الخابية: حوض يجتمع الماء فيه.
(٥) السَّمَيذع: السيد الكريم الشريف.
(٦) الجوابي: جمع الجابية: الحوض الضخم يجمع فيه الماء.
(٧) العوافي: جمع العافية: السّلامة.
(٨) ومقته: أحبّته.
(٩) الطرير: ذو الهيئة الحسنة.
(١٠) الهِمّ: الشيخ الفاني.

مذهب حتى ظهر أمرُهما وتُحُدِّثَ بهما، واتُّهِمَ الأبيردُ بها، فشكاه إلى قومه واستعذرهم[1] منه، فقالوا له: ما لكَ تتحدّثُ إلى امرأة الرجل؟ فقال: وما بأسٌ بذلك! وهل خلا عربيّ منه؟ قالوا: قد قِيلَ فيكما ما لا قرارَ عليه، فاجتنبْ محادثَتها، وإياك أنْ تعاودها. فقال الأبيردُ: إنَّ سعداً لا خيرَ فيه لزوجته. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأني رأيته يأتي فرسَه البلْقاءَ، ولا فضلَ فيه لامرأته، فهي تبغضه لفعله، وهو يتَّهمها لعجزه عنها. فضحكوا من قوله، وقالوا له: وما عليك من ذلك؟ دع الرجلَ وامرأته ولا تعاوِدْها ولا تجلس إليها، فقال الأبيرد في ذلك: [الطويل]

أَلَم تَرَ أَنَّ ابْنَ المُعَذِّرِ قد صَحَا ... ووَدَّعَ ما يَلْحَى عليه عَواذِلُهْ[2]

غَدَا ذو خَلاَخِيلٍ عَلَيَّ يَلُومُني ... وما لَوْمُ عَذَّالٍ عليه خَلاخِلُهْ

فَدَعْ عَنكَ هذا الحَلْيَ إن كنتَ لائِمي ... فَإِنِّي امرؤٌ لا تَزْدَهِيني صَلاصِلُهْ[3]

إذا خَطَرَتْ عَنْسٌ به شَدَنِيَّةٌ ... بِمُطَّرِدِ الأرواح نَاءٍ مَنَاهِلُهْ[4]

تَبَيَّنَ أَقْوَامٌ سَفَاهَةَ رَأْيِهِمْ ... تَرَحَّلَ عَنْهُمْ وَهْوَ عَفٌّ منازِلُهْ

لهم مَجْلِسٌ كَالرُّدْنِ يجمعُ مَجلساً ... لِئَاماً مَسَاعِيهِ كَثيراً هَتَامِلُهْ[5]

تَبَرَّأْتُ من سَعْدٍ وخُلَّة بيننا ... فلا هو مُعْطِيني ولا أنا سَائِلُهْ

متى تُنتَجُ البَلْقَاءُ يا سَعْدُ، أم مَتَى ... تُلَقَّحُ مِنْ ذَاتِ الرِّبَاطِ حَوَائِلُهْ[6]

يُحَدِّثُ سَعْدٌ أَنَّ زَوْجَتَهُ زَنَتْ ... ويا سَعْدُ، إنَّ المرءَ تُزْنَى حلائِلُهْ

فإنْ تَسْمُ عَيْنَاها إلَيَّ فقد رَأَتْ ... فَتًى كَحُسَام أَخْلَصَتْهُ صَياقِلُهْ[7]

فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لا مُتَضَائِلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وأَبَاجِلُهْ[8]

- وهذا البيت الأخير يروى للعجير السَّلولي، ولأخت يزيدَ بنِ الطثرية -

---

(١) استعذرهم: استعداهم عليه واستنصرهم.

(٢) ابن المعذِّر: هو الأبيرد. يلحى: يلوم.

(٣) لا تزدهيني: لا تحملني على العجب. والصلاصل: جمع الصُلصل: الصوت.

(٤) العنس: الناقة الصلبة. والشدنية من الإبل: المنسوبة إلى شَدَن وهو موضع باليمن. وناءٍ: بعيد.

(٥) الرُدن: هو أصل الكمّ وهو هنا يشبه مجلسهم به لضيقه وقلة الحاضرين به. والمجلس الثانية: جماعة الجلوس. والهتامل: جمع الهَتَملة: الكلام الخفيّ.

(٦) الرباط: الخيل أو الخمس منها فما فوق. والحوائل: جمع الحائل: التي لم تلقح.

(٧) الصَّياقل: جمع الصَّيقل: مَنْ صناعته صقل السيوف.

(٨) اللَّبّات: جمع اللَّبّة: موضع القلادة من الصدر. والأباجل: جمع الأبجل: هو عِرْق غليظ في اليد أو في الرجل.

فاعترضه سَلمان العِجْليّ فهجاه وهجا بني رياح فقال: [الوافر]

لَعَمْرُكَ إنَّني وبَني رِيَاحٍ لَكَالعَاوِي فَصَادَفَ سَهْمَ رَامِ
يَسوقونَ ابْنَ وَجْرَةَ مُزْمَئِرّاً لِيَحْمِيَهُمْ وليسَ لهمْ بِحَامِ
وكم مِنْ شَاعِرٍ لِبَني تَمِيمٍ قَصِيرِ البَاعِ مِنْ نَفَرٍ لِئَامِ[(١)]
كَسَوْنا - إذ تَحَرَّقُ مَلْبَسَاهُ - دَوَاهِيَ يَبْتَرِينَ مِنَ العِظَامِ
وإنْ يُذْكَرْ طَعَامُهُمُ بِشَرٍّ فَإنَّ طَعَامَهُمْ شَرُّ الطَّعَامِ
شَرِيجٌ مِنْ مَنِيٍّ أَبي سُوَاجٍ وآخَرُ خَالِصٌ مِنْ حَيْضِ آمِ[(٢)]
وسَوْدَاءِ المَغَابِنِ مِنْ رِيَاحٍ على الكُرْدُوسِ كَالفَأسِ الْكَهَامِ[(٣)]
إذا ما مَرَّ بالقَعْقَاعِ رَكْبٌ دَعَتْهُمْ مَنْ يَنِيكُ على الطَّعامِ[(٤)]
تَدَاوَلَها غُوَاةُ النَّاسِ حَتَّى تَؤُوبَ وقد مَضَى لَيْلُ التِّمَامِ[(٥)]

وقال الأبيرد أيضاً مجيباً له: [الوافر]

عَوَى سَلْمَانُ من جَوٍّ فَلاقَى أَخُو أهلِ اليَمَامَةِ سَهْمَ رَامي
عَوَى مِن جُبْنِهِ وَشَقِيُّ عِجْلٍ عُوَاءَ الذِّئْبِ مُخْتَلَطَ الظَّلامِ[(٦)]
بَنُو عِجْلٍ أَذَلُّ مِنَ المَطَايَا ومِنْ لَحْمِ الجَزُورِ على الثُّمَامِ[(٧)]
تَحَيَّا المُسْلِمونَ إذا تَلاقَوا وعِجْلٌ ما تَحَيَّا بالسَّلامِ
إذا عِجْلِيَّةٌ وَلَدَتْ غُلاماً إلى عِجْلٍ فَقُبِّحَ مِنْ غُلامِ
يَمَصُّ بِثَدْيِها فَرْخٌ لَئِيمٌ سُلالَةُ أَعْبُدٍ ورَضِيعُ آمِ
خَبيثُ الرِّيحِ ينشأُ بالمَخَازي لَئِيمٌ بَيْنَ آبَاءٍ لِئَامِ
أَنا ابنُ الأكْرَمِينَ بَني تَمِيمٍ ذَوِي الآكَالِ والهِمَمِ العِظَامِ[(٨)]
وكَائِنْ مِنْ رَئِيسٍ قَطَّرَتْهُ عَوَامِلُنَا ومِنْ مَلِكٍ هُمَامِ[(٩)]

---

(١) قصير الباع: أي بخيل وغير قادر.
(٢) الشَّريجان: اللونان المختلفان. وأبو سواج الضبيّ أخو بني عبد مناة. والآم: جمع الأَمَة: العبدة المملوكة.
(٣) المغابن: جمع المَغْبِن: الإبط. والكُردوس: كلّ عظم كثير اللحم. والكَهام: الكليل.
(٤) القَعقاع: طريق تأخذ من اليمامة والبحرين (معجم البلدان ٤/ ٣٧٩).
(٥) ليل التِّمام: أطول ليالي الشتاء.
(٦) شقيُّ عِجل: يعني سلمان العجليّ. ومختلَط الظلام: وقت اختلاطه.
(٧) المطايا: جمع المَطِيّة: الدابّة التي تُركَب. والجزور: ما يُذبَح من المطايا. والثُّمام: عشبٌ ضعيف.
(٨) ذوو الآكال: سادة الأحياء الآكلون للمرباع.
(٩) وكائن: كم من. وقَطَّرته: صرعته. وعواملنا: رماحنا.

وَجَــيْــشٍ قَــدْ رَبَــغْــنَــاهُ وقَــوْمٍ صَـبَـحْـنَـاهُ بِـذِي لَـجَـبٍ لُـهَـامِ[١]

وقال أيضاً الأبيرد مجيباً له: [الطويل]

أَخَـذْنـا بِـآفَـاقِ الـسَّـمَـاءِ فـلـم نَـدَعْ لِـسَـلْـمَـانَ سَـلـمـانِ الـيَـمـامـةِ مَـنْـظَـرا
مِـنَ الـقُـلْـحِ فَـسَّـاءٌ ضَـرُوطٌ يُـهِـرُّهُ إذا الطَّيْرُ مَرَّاتٍ على الدَّوْحِ صَرْصَرا[٢]
وأَقْـلَـحُ عِـجْـلِـيٌّ كَـأَنَّ بِـخَـطْـمِـهِ نَـوَاجِـذَ خِـنْـزِيـرٍ إذا مَـا تَـكَـشَّـرا[٣]
يَـزِلُّ الـنَّـوَى عَـنْ ضِـرْسِـهِ فَـيَـرُدُّهُ إلـى عَـارِضٍ فـيـه الـقَـوَادِحِ أَبْـخَـرا[٤]
إذا شَـرِبَ الـعِـجْـلِـيُّ نَـجَّـسَ كَـأْسَـهُ وظَـلَّـتْ بِـكَـفَّـيْ جَـأْنَـبٍ غَـيْـرِ أَزْهَـرا[٥]
شَـدِيـدُ سَـوَادِ الـوَجـهِ تَـحْـسَـبُ وَجْـهَـهُ مِـنَ الـدَّمِ بَـيْـنَ الـشَّـارِبِـيـنَ مُـقَـيَّـرا[٦]
إذا مـا حَـسَـاهَـا لـم تَـزِدْهُ سَـمَـاحَـةً ولَـكِـنْ أَرَتْـهُ أَنْ يَـصُـرَّ ويَـحْـصَـرا[٧]
فـلا يَـشْـرَبَـنْ فـي الـحَـيِّ عِـجْـلٌ فَـإِنَّـهُ إذا شَـرِبَ الـعِـجْـلِـيُّ أَخْـنَـى وأَهْـجَـرا
يُـقَـاسِـي نَـدَامَـاهُـمْ وتَـلْـقَـى أُنُـوفُـهـمْ مِـنَ الـجَـدْعِ عِـنْـدَ الـكَـأسِ أَمْـراً مُـذَكَّـرا[٨]
وَلَـم تَـكُ فـي الإشْـرَاكِ عِـجْـلٌ تَـذُوقُـهـا لَـيَـالِـيَ يَـسْـبِـيـهـا مَـقَـاوِلُ حِـمْـيَـرا[٩]
ويُـنْـفِـقُ فـيـهـا الـحَـنْـظَـلِـيُّـونَ مَـالَـهـمْ إذا مَـا سَـعَـى مِـنْـهُـمْ سَـفِـيـهٌ تَـجَـبَّـرا
وَلَـكِـنَّـهـا هَـانَـتْ وحُـرِّمَ شُـرْبُـهـا فَـمَـالَـتْ بَـنُـو عِـجْـلٍ لِـمَـا كَـانَ أَكْـفَـرا
لَـعَـمْـرِي لَـئِـنْ أُزْنِـنْـتُـمُ أو صَـحَـوْتُـمُ لَـبِـئْـسَ الـنَّـدَامَـى كُـنْـتُـمُ آلَ أَبْـجَـرا[١٠]

أخبرني عبيدُ الله بنُ محمدٍ الرازي قال: حَدَّثنا أحمدُ بن الحارثِ قال: حَدَّثنا المدائنيُّ قال: كان مجائلُ بنُ مرةَ بن مَحْكَانَ السعديّ وابنُ عَمٍّ له يقال له عَرَادة،

(١) ذو لَجَب: ذو ضجّة من أصوات المتقاتلين وصهيل الخيل. واللُّهام: الجيش العظيم.
(٢) القُلح: جمع الأقلح: ذو الأسنان الصفراء الفاسدة. يُهِرُّه: يجعله يهرّ كالكلاب.
(٣) الخَطْم: مقدّم الفم والأنف.
(٤) العارض: الناب أو الضرس الذي يليه. والقوادح: جمع القادح: أُكال يصيب الأسنان. والأبخر: المنتن الريح.
(٥) الجأنب: القميء الذليل القصير.
(٦) المقيّر: المَطلي بالقار وهو الزفت.
(٧) يصرّ: يجمع ويشدّ. ويحصر: يبخل.
(٨) الجدع: القطع. والأمر المذكَّر: الشديد.
(٩) يسبيها: يشتريها. والمقاول: جمع المِقْوَل: الملك من ملوك حمير.
(١٠) أزننته: اتّهمته، والإزنان لا يكون في الخير.

وقد كان عرادةُ اشترى غنماً له فأنهبها[١]، وكانت مائةَ شاة، فاشترى مُرّة بن مَحكان مائةً من الإبل فأنحر بعضها وأنهب باقيها، وقال أبو عبيدةَ: إنّهما تفاخرا، فغلبه مُرّةُ، فقال الأبيردُ لعرادةَ: [الوافر]

شَرَى مِـائـةً فَـأَنْـهَـبَـهـا جَـمِـيـعـاً ... وبِتَّ تُـقَـسِّـمُ الـحَـذَفَ الـنِّـقَـادَا[٢]

فبعث عبيدُ الله بنُ زياد فأخذ مرّةَ بنَ محكان فحبسه وقيّده، ووقع بعد ذلك من قومه لِحاء، فكانت بينهم شِجاجٌ، ثم تكافأوا وتوافقوا على الدّيات فأُنْبِيءَ مرّة بن محكان وهو محبوسٌ، فعرف ذلك فتحَمَّلَ جميعَها في ماله، فقال فيه الأبيردُ: [الطويل]

لِـلَّـهِ عَـيْـنَـا مَـنْ رَأَى مِـنْ مُـكَـبَّـلٍ ... كَـمُـرَّةَ إذ شُـدَّتْ عَـلَـيْـهِ الأَدَاهِـمُ[٣]
فَـأَبْـلِـغْ عُـبَـيْـدَ الله عَـنِّـي رِسَـالَـةً ... فَـإِنَّـكَ قَـاضٍ بـالـحـكـومـةِ عَـالِـمُ
فإنْ أنتَ عَاقَبْتَ ابنَ مَحْكَانَ في النَّدَى ... فَعَاقِبْ، هَدَاكَ اللَّهُ، أَعْظَمَ حَاتِمِ[٤]
تُـعَـاقِـبُ خِـرْقـاً أَنْ يَـجُـودَ بِـمَـالِـهِ ... سَعَى في ثَأْيَ مِنْ قَومِه مُتَفَاقِمِ[٥]
كَـأَنَّ دِمَـاءَ الـقَـوْمِ إذ عُـلِّـقَـتْ بِـه ... على مُكْفَهِرٍّ مِنْ ثنايا المَخَارِمِ[٦]

أخبرني محمدُ بنُ العباس اليزيديُّ قال: حَدَّثنا عبدُ الرحمٰن ابنُ أخي الأصمعي، قال: حَدَّثنا عمّي قال: أتى رجلٌ الأبيردَ الرّياحيَّ وابن عَمّه الأخوص، وهما من رهطِ رِدْفِ الملك من بني رِياح، يطلب منهما قَطِراناً لإبله فقالا له: إن أنت بَلَّغْتَ سحيم بنَ وثيل الرّياحي هذا الشعر أعطيناك قطراناً. فقال: قولا. فقالا: اذهب فقل له: [الوافر]

فَـإِنَّ بُـدَاهَـتِـي وجِـرَاءَ حَـوْلِـي ... لَـذو شِـقٍّ عـلـى الـحُـطَـمِ الـحَـرُونِ[٧]

(١) أنهبها: جعلها نهباً.
(٢) الحَذَف: الغنم السود حجازية أو حرشية بلا أذناب ولا آذان. والنِّقاد: جمع النَّقَد: جنس من الغنم قبيح الشكل صغير الأرجل.
(٣) الأداهم: جمع أدهم: القيد.
(٤) في هذا البيت والبيتين بعده إقواء.
(٥) الخِرق: الفتى الظريف الكريم. والثَّأى: الضعف.
(٦) المخارم: جمع المَخْرِم الطريق في الجبل أو الرمل.
(٧) البُدَاهة: أول الجَري. والجِراء: الجري. والشِّقّ: المشقّة. والحُطَم: العسوف الظالم. والحرون: الفرس الذي لا ينقاد.

قال: فلمّا أتاه وأنشد الشعرَ أخذَ عصاه، وانحدر في الوادي، وجعل يُقْبلُ فيه ويدبر، ويُهَمْهِمُ بالشعر. ثم قال: اذهبْ فقل لهما: [الوافر]

فَإنَّ عُلالَتِي وجِرَاءَ حَوْلِي ... لَذُو شِقٍّ على الضَّرَعِ الظَّنُونِ[١]
أَنَا ابْنُ الغُرِّ مِنْ سَلَفَيْ رِيَاحٍ ... كَنَصْلِ السَّيْفِ وَضَّاحُ الجَبِينِ
أَنَا ابنُ جَلاً وطَلاَّعُ الثَّنَايَا ... متى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُوني[٢]
وإنَّ مَكَانَنَا مِنْ حِمْيَرِيٍّ ... مَكَانُ اللَّيْثِ مِنْ وَسَطِ العَرِينِ
وإنَّ قَنَاتَنَا مَشِظٌ شَظَاهَا ... شَدِيدٌ مَدُّها عُنُقَ القَرِينِ[٣]

ـ قال الأصمعي: إذا مَسِسْت شيئاً خشناً فدخل في يدك قيل: مَشَظَتْ يدي، والشَّظا: ما تَشَظَّى منها ـ:

وإنِّي لا يَعُودُ إلَيَّ قِرْنِي ... غَدَاةَ الغِبِّ إلاَّ في قَرِينِ[٤]
بِذِي لِبَدٍ يَصُدُّ الرَّكْبَ عَنْهُ ... ولا تُؤْتَى فَرِيسَتُهُ لِحِينِ[٥]
عَذَرْتُ البُزْلَ إذ هِيَ صَاوَلَتْني ... فَمَا بَالِي وبَالُ ابْنَيْ لَبُونِ[٦]؟
ومَاذا تَبْتَغِي الشُّعَرَاءُ مِنِّي ... وقد جَاوَزْتُ رَأسَ الأربعينِ
أَخُو الخَمْسِين مُجْتَمِعٌ أَشُدِّي ... ونَجَّذَنِي مُدَاوَرَةُ الشُّؤونِ[٧]
سَأَحْيَا ما حَيِيتُ وإنَّ ظَهْرِي ... لَذو سَنَدٍ إلى نَضَدٍ أَمِينِ[٨]

قال: فأتياه فاعتذرا إليه، فقال: إنّ أحدكم لا يَرَى أن يصنع شيئاً حتَّى يقيس شعره بشعرنا، وحسبَه بحسبنا، ويستطيفَ بنا استطافةَ المهر الأرِنِ[٩]. فقالا له:

---

(١) الضَّرَع: الصغير من كلّ شيء. والظَّنون: الذي لا يوثق بجريه.
(٢) جَلاً: من الجلاء والظهور. وطلاّع الثنايا: كناية عن العلوّ.
(٣) قوله: مَشِظٌ شظاها: مَثَلٌ لامتناع جانبه أي لا تَمَسّ قناتَنا فينا لَكَ منها أذًى، وإن قُرِنَ بها أحد مدّت عنقَه وجذبته فذَلّ كأنه في حبل يجذبه (لسان العرب «مشظ»).
(٤) القِرْن: النظير. والقرين: الصاحب.
(٥) اللِّبَد: ج اللِّبدة: الشعر في رقبة الأسد، ويراد بذي لِبَد: الأسد.
(٦) البُزْل: جمع البازل: ما بلغ التاسعة من الإبل. وابن اللَّبون: الذي استكمل عامه الثاني ودخل في الثالث.
(٧) نَجَّذته التجارب: أحكمته.
(٨) النَّضَد: الوسائد وما حُشِيَ من المتاع، وهو كلّ ما يُسْتَنَد إليه من أقارب.
(٩) الأَرِن: النشيط.

فهل إلى النَّزع من سبيلٍ[١]؟ فقال: إننا لم تُبلغ أنسابُنا.

قال اليزيديّ: أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعي.

[رثاؤه لأخيه بُريد]

والقصيدة التي رثى بها الأبيردُ أخاه بُرَيْداً وفي أوّلها الغناء المذكور، من جيد الشعر، ومختار المراثي، المختار منها قوله: [الطويل]

تَطَاوَلَ لَيْلِي لَمْ أَنَمْهُ تَقَلُّباً ... كَأَنَّ فِرَاشِي حَالَ مِنْ دُونِهِ الجَمْرُ
أُرَاقِبُ مِنْ لَيْلِ التِّمَامِ نُجُومَهُ ... لَدُنْ غَابَ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى بدا الفَجْرُ[٢]
تَذَكَّرْتُ قَرماً بَانَ مِنَّا بِنَصْرِهِ ... ونَائِلِهِ يا حَبَّذا ذلكَ الذُّكْرُ[٣]
فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا ... فَقَدْ عَذَرَتْنا في صَحَابَتِنا العُذْرُ[٤]
وكُنْتُ أَرَى هَجْراً فِرَاقَكَ سَاعَةً ... أَلاَ لا بَلِ المَوْتُ التَّفَرُّق والهَجْرُ
أَحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لاَقِياً ... بُرَيْداً طَوَالَ الدَّهْرِ ما لألأ العُفْرُ[٥]
فَتًى إنْ هو اسْتَغْنَى تَخَرَّقَ في الغِنَى ... فَإِنْ قَلَّ مَالاً لم يَؤُدْ مَتْنَهُ الفَقْرُ[٦]
وسَامَى جَسِيماتِ الأُمورِ فَنَالَها ... على العُسْرِ حَتَّى أدركَ العُسْرَ اليُسْرُ[٧]
تَرَى القَوْمَ في العَزَّاءِ يَنتظرونَهُ ... إذا ضَلَّ رَأْيُ القَوْمِ أو حَزَبَ الأَمْرُ[٨]
فليتكَ كُنْتَ الحَيَّ في النَّاسِ بَاقِياً ... وكُنْتُ أنا المَيْتَ الَّذِي غَيَّبَ القَبْرُ
فَتًى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ... إذا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ قَلَّ بها القَطْرُ[٩]
كَأَنْ لم يُصَاحِبْنا بُرَيْدٌ بِغبطةٍ ... ولَمْ يَأْتِنَا يَوماً بِأَخْبَارِهِ السَّفْرُ
لَعَمْرِي لَنِعْمَ المَرْءُ عَالِي نَعِيَّهُ ... لنا ابْنُ عزيزٍ بعد ما قَصَرَ العَصْرُ[١٠]

---

(١) النّزع: هنا الكفُّ عن الخصومة.
(٢) لَدُن: منذ.
(٣) بانَ: بَعُدَ. والذُّكر: التّذكُّر.
(٤) العُذُر: جمع العذير: العاذر.
(٥) العُفر: جمع الأعفر: الظِّباء. ولألأت: حَرَّكت أذنابها.
(٦) تخرّق: صار متلافاً للمال. وآده الأمر: أتعبه وثقل عليه.
(٧) سامى: عالى.
(٨) العَزّاء: الشدة. وحَزَب الأمر: اشتدّ.
(٩) السنة الشهباء: السنة المجدبة التي لا خضرة فيها. والقَطْر: المطر.
(١٠) عالى نعيّه: رفع الصوت مخبراً بموته.

تمضّت به الأخبارُ حتى تَغَلْغَلَتْ ولم تَثْنِه الأطباعُ دوني ولا الجُدْرُ[١]
ولما نَعَى النّاعي بُرَيْداً تَغَوَّلَتْ بِيَ الأرض فَرْطَ الحُزْن وانقطع الظَّهْرُ[٢]
عَسَاكِرُ تَغْشَى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّني أَخُو سَكْرَةٍ طَارَتْ بِهَامَتِهِ الخَمْرُ[٣]
إلى اللّه أَشْكُو في بُرَيْدٍ مُصِيبَتِي وبَثِّي وأَحْزَاناً تَضَمَّنَها الصَّدْر
وقد كُنْتُ أَسْتَعْفِي إلٰهي إذا شَكَا مِنَ الأَجْرِ لِي فيه وإنْ سَرَّني الأَجْرُ
وما زَالَ في عَيْنَيَّ بَعْدُ غِشَاوةٌ وسَمْعِيَ عَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ وَقْرُ[٤]
على أَنَّنِي أَقْنَى الحَيَاءَ وأَتَّقِي شَمَاتَةَ أَعْدَاءٍ عُيُونُهُمُ خُزْرُ[٥]
فَحَيَّاكَ عَنِّي اللَّيْلُ والصُّبْحُ إذْ بَدَا وهُوجٌ مِنَ الأرواح غُدْوَتُها شَهْرُ[٦]
سَقَى جَدَثاً لو أَسْتَطِيعُ سَقَيْتُهُ بِأَوْدٍ فَرَوَّاهُ الرَّوَافِدُ والقَطْرُ[٧]
ولا زَالَ يُرْعَى مِنْ بِلادٍ ثَوَى بها نَبَاتٌ إذا صَابَ الرَّبِيعُ بها نَضْرُ[٨]
حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّافِعِينَ أَكُفَّهُمْ ورَبِّ الهَدَايا حيثُ حَلَّ بها النَّحْرُ
ومُجْتَمَعِ الحُجَّاجِ حَيْثُ تَوَافَقَتْ رِفَاقٌ مِنَ الآفاقِ تَكْبِيرُها جَأْرُ[٩]
يَمِينَ امْرِىءٍ آلَى ولَيسَ بِكَاذِبٍ وما فِي يَمِينٍ قَالَها صَادِقٌ وِزْرُ
لَئِنْ كَانَ أَمْسَى ابْنُ المُعَذَّرِ قد ثَوَى بُرَيْدٌ لَنِعْمَ المَرْءُ غَيَّبَهُ القَبْرُ
هو الخَلَفُ المَعْرُوفُ والدِّينُ والتُّقَى ومِسْعَرُ حَرْبٍ لا كَهَامٌ ولا غُمْرُ[١٠]
أَقَامَ فَنَادَى أَهْلَهُ فَتَحَمَّلُوا وصُرِّمَتِ الأَسْبَابُ واخْتَلَطَ النَّجْرُ[١١]
فَتَى كان يُغْلِي اللَّحْمَ نَيْئاً ولَحْمُهُ رَخِيصٌ لِجَادِيهِ إذا تُنْزَلُ القِدْرُ
فَتَى الحَيِّ والأَضْيَافِ إنْ رَوَّحَتْهُمُ بَلِيلٌ وزَادُ السَّفْرِ إنْ أَرْمَلَ السَّفْرُ[١٢]

---

(١) الأطباع: جمع الطِّبْع: النهر.
(٢) تغوّلت: تلوّنت ودارت في عيني.
(٣) العساكر: جمع العسكرة: الشدّة.
(٤) الوَقْر: الصَّمَم.
(٥) أقنى الحياء: ألزمه.
(٦) الهوج: الشديدة. والأرواح: جمع الرُّوح: الرياح العاصفة.
(٧) أود: موضع في ديار بني تميم أو هو وادٍ كان فيه يوم من أيام العرب (معجم البلدان ١/ ٢٧٧).
(٨) ثوى بها: أطال الإقامة بها.
(٩) الجَأر: رفع الصوت والتضرّع.
(١٠) الكَهَام: الكليل. والغُمْر: الذي لم يُجَرِّبْ الأمور.
(١١) النّجر الأصل.
(١٢) رَوّحتهم: هَبَّتْ عليهم. والبليل: الريح الباردة التي معها بَلَلٌ. والسَّفْر: المسافرون. وأرمل السَّفْرُ: نفدت أزوادهم.

إذا جَارَةٌ حَلَّتْ لَدَيْهِ وَفَى بِهَا فَأَبَتْ ولم يُهْتَكْ لِجَارَتِهِ سِتْرُ
عَفِيفٌ عَنِ السَّوْءاتِ ما الْتَبَسَتْ به صَلِيبٌ فما يُلْفَى لِعُودٍ به كَسْرُ[1]
سَلَكْتَ سَبِيلَ العَالَمِينَ فما لَهُمْ وراءَ الَّذي لاقَيْتَ مَعْدًى ولا قَصْرُ[2]
وكُلُّ امْرِئٍ يَوْماً سَيَلْقَى حِمَامَهُ وإنْ نَأَتِ الدَّعْوَى وطَالَ به العُمْرُ
وأَبْلَيْتَ خَيْراً في الحَيَاةِ وإنَّمَا ثَوَابُكَ عِنْدِي اليَوْمَ أَنْ يَنطِقَ الشِّعْرُ

وقال يرثيه أيضاً، وهي قصيدةٌ طويلة: [الطويل]

إذا ذَكَرَتْ نَفْسِي بُرَيْداً تَحَامَلَتْ إِلَيَّ ولم أَمْلِكْ لِعَيْنَيَّ مَدْمَعَا
وذَكَّرَنِيكَ النَّاسُ حِينَ تَحَامَلُوا عَلَيَّ وأَضْحَوْا جِلْدَ أَجْرَبَ مُولَعا[3]
فلا يُبْعِدَنْكَ اللَّهُ خَيْرَ أَخِي امْرِئٍ فقد كُنْتَ طَلاَّعَ النِّجَادِ سَمَيْذَعا[4]
وَصُولاً لِذِي القُرْبَى بَعِيداً عَنِ الخَنَى إذا ارتادكَ الجَادِي مِنَ النَّاسِ أَمْرَعا[5]
أَخُو ثِقَةٍ لا يَنْتَحِي القَوْمُ دُونَهُ إذا القَوْمُ خَالوا أو رَجَا النَّاسُ مَطْمَعا
ولا يَرْكَبُ الوَجْنَاءَ دُونَ رَفِيقِهِ إذا القَوْمُ أَزْجَوْهُنَّ حَسْرَى وظُلَّعا[6]

صوت

[مخلع البسيط]

يا زَائِرَيْنا مِنَ الخِيَامِ حَيَّاكُمَا اللَّهُ بالسَّلامِ
يَحْزُنُنِي أَنْ أَطَفْتُما بِي ولم تَنَالا سِوَى الكَلامِ
بُورِكَ هَارونُ مِنْ إمَامِ بِطَاعَةِ اللَّهِ ذِي اعْتِصَامِ
لَهُ إلى ذِي الجَلالِ قُرْبَى لَيْسَتْ لِعَدْلٍ ولا إمامِ

الشعر لمنصورٍ النَّمريّ، والغناء لعبدِ اللَّه بن طاهرٍ، رمل، ذكر ذلك عبيدُ الله ابنه، ولم ينسبه إلى الأصابع التي بنى عليها، وفيه للرّف خفيفُ رمل بالوسطى، عن عمرو بنِ بانة، وفيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر مجهول الأصابع. ذكر حبشٌ أنه للرف أيضاً.

---

(١) الصليب: الشديد. ويُلْفَى: يوجد.
(٢) المَعدى: المجاز، يقال: ما له عنه معدًى: أي لا تجاوُزَ له إلى غيره. وقَصْر: قصور.
(٣) المولَع: الذي فيه خطوط.
(٤) السَّميذع: السيد الكريم الشريف.
(٥) الجادي: طالب العطاء. وأمرع القومُ: وجدوا مكاناً مخصباً.
(٦) الوجناء: الناقة السريعة. وأزجاها: ساقها واستحثّها برفق. والحسرى: الكليلة والظُّلَّع: جمع الظّالع: الناقة التي تغمز في مشيها وتعرج.

أخبار منصورِ النَّمِرِيّ ونسبه

[توفي نحو ١٩٠ هـ/ ٨٠٥ م]

[اسمه وبعض أخباره]

منصورُ بن الزِّبرقان بنِ سلمة ـ وقيل منصورُ بنُ سَلَمة بن الزِّبْرِقان ـ بن شَرِيك بن مُطْعِم الكَبشِ الرَّخَمَ، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضَّحْيان بن سعد بن الخزرج بن تيم اللَّه بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وإنما سُمِّيَ عامرٌ الضّحيان لأنّه كان سيِّدَ قومه وحاكمهم، وكان يجلس لهم إذا أضحى النّهار، فسُمِّيَ الضَّحيان. وسُمِّيَ جدُّ منصور «مُطْعِمَ الكبشِ الرَّخَم»، لأنه أطعم ناساً نزلوا به ونحر لهم، ثم رفع رأسَه فإذا رخَمٌ يَحُمْنَ حول أضيافه، فأمر بأن يُذبح لهم كبشٌ ويُرْمَى به بين أيديهم، فَفُعِلَ ذلك، فنزلْنَ عليه، فمَزَّقْنَهُ؛ فسُمِّيَ مُطْعِمَ الكَبش الرَّخَمَ. وفي ذلك يقول أبو نُعيجَةَ[1] النّمريّ يمدح رجلاً منهم: [المتقارب]

أَبــوكَ زَعِيــمُ بَــنِــي قَــاسِــطِ وخَــالُــكَ ذُو الــكَــبْــشِ يَــقْــرِي الــرَّخَــمْ

وكان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة، وهو تلميذ كلثوم بنِ عمرٍو العتابيّ وراويته، وعنه أخذ، ومن بحره استقى، وبمذهبه تشبَّهَ. والعتابيُّ وصفه للفضل بن يحيى بنِ خالد وقَرَّضه[2] عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه، ثم وصله بالرشيد. وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابيّ وحشةٌ حتى تهاجرا وتناقضا، وسعى كلٌّ واحد منهما على هلاك صاحبِه، وأخبار ذلك تُذْكر في مواضعها من أخبارهما ـ إن شاء اللَّه تعالى ـ وكان النمريُّ قد مدح الفضلَ بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة، فأوصلها العتابيّ إليه، واسترفده له، وسأله استِصحابه، فأذن

---

(١) قَرَّضه: مدحه.

له في القدوم، فحظي عنده، وعَرَفَ مذهبَ الرشيد في الشعر، وإرادته أن يصِلَ مدحه إيّاه بنفي الإمامةِ عن ولدِ علي بنِ أبي طالب - ﷺ - والطَّعن عليهم، وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروانَ بن أبي حفصة، وتفضيلِه إياه على الشعراء في الجوائز، فسلك مذهبَ مروانَ في ذلك، ونحا نحوه، ولم يصرّح بالهجاء والسَّبِّ كما كان يفعل مروان، ولكنه حام ولم يقع، وأومأ ولم يُحَقِّق، لأنه كان يتشيّع، وكان مروانُ شديدَ العداوةِ لآل أبي طالب، وكان ينطِق عن نيّةٍ قويّة يقصِدُ بها طلب الدنيا، فلا يُبْقي ولا يَذَر.

[مدحه للرشيد وتباريه مع مروان بن أبي الحكم]

أخبرني محمدُ بن جعفر النحويُّ صهرُ المبرّد قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ موسى بن حَمّاد قال: حَدَّثني عبد الله بن أبي سعد الكُرَاني، وأخبرني به عَمّي قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد حديثَ محمدِ بن جعفر النحوي أنه قال: حَدَّثني محمد بنُ عبد الله بنِ آدم بنِ جُشَم العبدي قال: حَدَّثنا ثابتُ بن الحارث الجُشَميُّ قال: كان منصورٌ النَّمريّ مُصافِياً للبرامكة، وكان مسكَنُه بالشأم، فكتب يسألهم أن يذكُروه للرشيد، فذكروه ووصفوه، فأحبَّ أن يسمعَ كلامه، فأمرهم بإقدامه، فقدِمَ ونزل عليهم، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره، وصادف دخوله إليه يومَ نوبةِ مروان، على ما سمعه من بيانه، وكان مروانُ يقول قبل قدومه: هذا شاميٌّ وأنا حجازي، أفتراه يكون أشعر مني؟ ودخله من ذلك ما يدخل مثلَه من الغمّ والحسد، واستنشد الرشيدُ منصوراً، فأنشده: [الوافر]

أَمِيرَ المؤمنين، إليكَ خُضْنَا ... غِمَارَ الهَوْلِ مِنْ بَلَدٍ شَطِيرِ[1]
بِخُوصٍ كَالأَهِلَّةِ خَافِقاتٍ ... تَلِينُ على السُّرَى وعلى الهَجِيرِ[2]
حَمَلْنَ إليكَ أَحْمَالاً ثِقَالاً ... ومِثْلَ الصَّخْرِ والدُّرَّ النَّثِيرِ
فقد وَقَفَ المَدِيحُ بِمُنْتَهاهُ ... وغَايَتِهِ وصَارَ إلى المَصِيرِ
إلى مَن لا يُشِيرُ إلى سِوَاهُ ... إذا ذُكِرَ النَّدَى كَفُّ المُشِيرِ

فقال مروان: وَدِدْتُ واللَّه أنّه أخذ جائزتي وسكت.

(١) الشطير: البعيد.
(٢) الخُوص: جمع الخوصاء: الناقة التي صغرت عينها وغارت. والسُّرَى: السَّير ليلاً.

وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بنِ حسن فقال:

يُــذَلِّــلُ مِــنْ رِقَــابِ بَــنِــي عَــلِــيٍّ ... ومَــنْ لَــيْــسَ بِــالــمَــنِّ الــصَّــغِــيــرِ
مَــنَــنْــتَ عــلــى ابْــنِ عَــبْــدِ الــلّٰــهِ يَــحْــيَــى ... وكَــانَ مِــنَ الــحُــتُــوفِ عــلــى شَــفِــيــرِ[1]

قال مروان: فما بَرِحْتُ حتى أمرني هارون أميرُ المؤمنين أن أُنشِده، وكان يتبسّم في وقتِ ما كان ينشده النمريّ، ويأخذ على بطنه، وينظر إلى ما قال، فأنشدته: [الرجز]

مــوســى وهــارونُ هُــمَــا الــلَّــذانِ ... فــي كُــتُــبِ الأَخْــبَــارِ يُــوجَــدَانِ
مِــنْ وَلَــدِ الــمَــهْــدِيِّ مَــهْــدِيَّــانِ ... قُــدّا عِــنَــانَــيْــنِ عــلــى عِــنَــانِ[2]
قــد أطــلــقَ الــمَــهْــدِيُّ لــي لِــسَــانــي ... وشَــدَّ أَزْرِي مــا بــه حَــبَــانِــي[3]
مِــنَ الــلُّــجَــيْــنِ ومِــنَ الــعِــقْــيَــانِ ... عِــيــدِيَّــةً شَــاحِــطَــةَ الأَثْــمَــانِ[4]
لــو خَــايَــلَــتْ دِجْــلَــةَ بِــالأَلْــبَــانِ ... إذاً لَــقِــيــلَ اشْــتَــبَــهَ الــنَّــهْــرَانِ[5]

قال: فواللّه ما عاج[6] النَّمِرِيُّ بذلك ولا احتفل به، فأومأ إليّ هارون أن زده؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها: [الكامل]

خَــلُّــوا الــطَّــرِيــقَ لِــمَــعْــشَــرٍ عَــادَاتُــهُــمْ ... حَــطْــمُ الــمَــنَــاكِــبِ كُــلَّ يَــوْمِ زحــام
إرضَــوْا بِــمَــا قَــسَــمَ الإلٰــهُ لَــكُــمْ بِــهِ ... ودَعُــوا وِرَاثَــةَ كُــلِّ أَصْــيَــدَ حَــامِ[7]
أَنَّــى يــكُــونُ ولــيــسَ ذاكَ بِــكَــائِــنٍ ... لِــبَــنِــي الــبَــنَــاتِ وِرَاثَــةُ الأَعْــمَــامِ

قال: فواللّه ما عاج بشيء منها، وخرجت الجائزتان، فأعطى مروانَ مائة ألفٍ، وأعطى النمريّ سبعين ألفاً، وقال: أنت مَزِيدٌ في ولد عليّ.

قال: ولقد تخلّص النمريّ إلى شيء ليس عليه فيه شيء، وهو قوله: [الوافر]

فَــإنْ شَــكَــرُوا فَــقَــدْ أَنْــعَــمْــتَ فِــيــهِــمْ ... وإلاَّ فَــالــنَّــدَامَــةُ لِــلــكَــفُــورِ

---

(١) شفير كلّ شيء: حرفه وحدّه.
(٢) العِنان: السَّير الذي يُشَدُّ به اللجام. يريد أنهما يشبهان المهديّ في صفاته.
(٣) شَدَّ أزري: قوّاني. وحباني: أعطاني.
(٤) العيديّة: ضرب من نجائب الإبل.
(٥) خايلت: فاخرت.
(٦) ما عاج: ما اهتمّ ولا اكترث.
(٧) الأصيد: السيّد المتكبّر.

وإنْ قَالُوا بَنُو بِنْتٍ فَحَقٌّ ورُدُّوا ما يُنَاسِبُ لِلذُّكُورِ

قال: فكان مروان يتأسَّف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه، وإلى قوله: [الوافر]

وما لِبَنِي بَنَاتٍ مِنْ تُرَاثٍ مَعَ الأَعْمَامِ في وَرَقِ الزَّبُورِ

أخبرني بهذا الخبر محمدُ بن عمران الصَّيرفيّ، قال: حَدَّثني الغنوي عن محمد بن محمد بن عبدِ اللَّه بن آدمَ عن أبي معشرٍ العبديّ، فذكر القصة قريباً مما ذكره محمدُ بن جعفر النحويّ يزيد وينقص، والمعنى متقارب.

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثني محمد بن عبد الله بن طُهمان السّلمي قال: حَدَّثني أحمدُ بنُ سيار الشيبانيّ الشاعرُ قال: كان هارون أميرُ المؤمنين يحتمل أن يُمْدَحَ بما تُمَدَحُ به الأنبياءُ فلا يُنْكِر ذلك ولا يردّه؛ حتّى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى، فأفرط في مدحه حتّى قال فيه: [الكامل]

فكأنَّه بعدَ الرَّسُول رَسولُ

فغضب هارون ولم ينتفعْ به أحد يومئذٍ، وحَرَم ذلك الشاعرَ فلم يُعْطه شيئاً، وأنشد منصورٌ النمريّ قصيدةً مدحَه بها وهجا آلَ عليّ وثَلَبهم، فَضَجِر هارونُ وقال له: يابن اللَّخْنَاء، أتظنُّ أنك تتقرّبُ إليَّ بهجاءِ قومٍ أبوهم أبي، ونسبُهم نسبي، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي؟! فقال: وما شهدنا إلاّ بما علمنا. فازداد غضبُه، وأمر مسروراً فوجأ[1] في عنقه وأُخرِجَ، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشد: [الوافر]

بَنِي حَسَنٍ ورَهْطَ بَنِي حُسَيْنٍ عَلَيْكُمْ بِالسَّدَادِ مِنَ الأُمُورِ
فقد ذُقْتُمْ قِرَاعَ بَنِي أَبِيكُمْ غَدَاةَ الرَّوْعِ بِالبِيضِ الذُّكُورِ[2]
أَحِينَ شَفَوْكُمُ مِنْ كُلِّ وِتْرٍ وضَمُّوكُمْ إلى كَنَفٍ وَثِيرِ[3]
وجَادُوكُمْ على ظَمَإٍ شَدِيدٍ سُقِيتُمْ مِنْ نَوَالِهِمُ الغَزِيرِ[4]

---

(١) وجأ عنقه: ضربه.
(٢) البيض الذّكور: السيوف القوية.
(٣) الوِتْر: الثأر.
(٤) جاده: أمطره.

فـمـا كـانَ الـعُـقُـوقُ لَـهُـمْ جَـزَاءً ... بِـفِـعْـلِـهِـمُ وآدَى لِـلـثُّـؤورِ[١]
وإنَّـكَ حـيـنَ تُـبْـلِـغُـهُـمْ أَذاةً ... وَإِنْ ظَـلَـمُـوا لِـمَـحْـزُونِ الـضَّـمِـيـرِ

فقال له: صدقت، وإلاَّ فعليّ وعليّ، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

أخبرني الحسنُ بن علي قال: حَدَّثنا يزيد بن محمد المهلبي قال: حَدَّثني عبدُ الصّمد بنُ المعذَّل قال: دخل مروان بنُ أبي حفصة وسَلْم الخاسر، ومنصور النمريّ على الرشيد، فأنشده مروانُ قصيدته التي يقول فيها: [الكامل]

أَنَّـى يـكـونُ، ولـيـسَ ذَاكَ بِـكَـائِـنٍ ... لِـبَـنِـي الـبَـنَـاتِ وِرَاثَـةُ الأَعْـمَـامِ؟

وأنشده سَلْم فقال: [الكامل]

حَـضَـرَ الـرَّحِـيـلُ وشُـدَّتِ الأَحْـدَاجُ[٢]

وأنشده النمريّ قصيدته التي يقول فيها: [البسيط]

إنَّ الـمَـكَـارِمَ والـمَـعْـرُوفَ أَودِيـةٌ ... أَحَـلَّـكَ الـلَّـهُ مـنـهـا حَـيْـثُ تَـجْـتَـمِـعُ

فأمر لكلِّ واحد منهم بمائةِ ألفِ درهم، فقال له يحيى بنُ خالدٍ: يا أمير المؤمنين، مروانُ شاعِرُكَ خاصّة قد ألحقتهم به. قال: فَلْيُزَدْ مروان عشرة آلاف.

أخبرني عَمِّي قال: أخبرنا ابن أبي سعدٍ قال: حَدَّثني عليُّ بن الحسنِ الشيبانيُّ قال: أخبرني أبو حاتمِ الطائيّ، عن يحيى بنِ ضبيئةَ الطائيّ، عن الفضل قال: حضرْتُ الرشيد وقد دخل منصور النمريُّ عليه فأنشده: [البسيط]

مـا تَـنْـقَـضِـي حَـسْـرَةٌ مِـنّـي ولا جَـزَعُ ... إذا ذَكَـرْتُ شَـبَـابـاً لـيـسَ يُـرْتَـجَـعُ
بَـانَ الـشَّـبَـابُ وفَـاتَـتْـنـي بِـلَـذَّتِـهِ ... صُـرُوفُ دَهْـرٍ وأَيَّـامٌ لَـهَـا خُـدَعُ[٣]
مـا كُـنْـتُ أُوفِـي شَـبَـابِـي كُـنْـهَ غِـرَّتِـهِ ... حَـتَّـى انْـقَـضَـى فَـإِذا الـدُّنْـيَـا له تَـبَـعُ[٤]

قال: فتحرّك الرشيدُ لذلك ثم قال: أحسَنَ واللَّه، لا يتَهَنَّأُ أحدٌ بعيش حتّى يَخْطُر في رِداء الشباب.

---

(١) الثُّؤور: جمع الثأر.
(٢) الأحداج: جمع الحِدْج: شيء كالهودج يستخدم للركوب في السفر.
(٣) بان: بَعُدَ. صروف الدهر: أحداثه وتغيّراته.
(٤) كُنْهُ الشيء: جوهره وغايته.

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثنا ابن سَعدٍ قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ عبد الله بن آدم العبديّ عن أبي ثابت العبديّ عن مروانَ بن أبي حفصةَ، قال: خرجنا مع الرشيدِ إلى بلاد الروم، فظفر الرشيدُ، وقد كاد أن يعطب، لولا الله عزّ وجلّ ثم يزيد بن مزيد. فقال لي وللنَّمرِي: أنشدا. فأنشدته قولي: [الكامل]

طَرَقَتْكَ زَائِرَةً فَحَيِّ خَيَالَها ... غَرَّاءُ تَخْلِطُ بِالحَيَاءِ دَلالَها[1]

ووصفتُ الرجال مِن الأسرى كيف أسلموا نِساءهم، والظفر الذي رُزِقه، فقال: عُدّوا قصيدتَه؛ فكانت مائة بيتٍ، فأمر لي بمائةِ ألفِ درهم، ثم قال للنَّمري: كيف رأيت فرسي فإني أنكرته؟ فقال النمرِيّ: [الطويل]

مُضِرٌّ على فَأسِ اللِّجَامِ كَأَنَّهُ ... إذا مَا اشْتَكَتْ أَيْدِي الجِيَادِ يَطِيرُ[2]
فَظَلَّ على الصَّفْصَافِ يَوْمَ تَبَاشَرَتْ ... ضِبَاعٌ وذُؤْبَانٌ بِهِ ونُسُورُ[3]
فَأقسِمُ لا يَنْسَى لكَ اللَّهُ أَجْرَها ... إذا قُسِّمَتْ بَينَ العِبَادِ أُجُورُ

قال النمريّ: ثم قلت في نفسي: ما يمنعني من إذكارِه بالجائزة؟ فقلت:

إذا الغَيْثُ أَكْدَى واقْشَعَرَّتْ نُجُومُهُ ... فَغَيْثُ أَمِيرِ المُؤمنينَ مَطِيرُ[4]
وما حَلَّ هَارونُ الخَلِيفَةُ بَلْدَةً ... فَأَخْلَفَها غَيْثٌ وكَادَ يَضِيرُ[5]

فقال: أذكرتَنِي. ورأيتُه مُتَهَلِّلاً لذلك. قال: فألحقَني بمروانَ وأمر لي بِمائةِ ألفِ درهم.

[غضب الرشيد عليه وموته في نفس الوقت الذي أمر الرشيد بقتله]

أخبرني عَمِّي، قال: حَدَّثني ابن أبي سعدٍ، قال: حَدَّثني محمد بن عبد الله بن طَهْمان، قال: حَدَّثني محمد الرّاويةُ المعروفُ بالبيدق ـ وكان قصيراً، فلُقِّبَ بالبيدق لقصره، وكان يُنْشِدُ هَارونَ أشعارَ المحدثين ـ وكان أحسنَ خلقِ اللَّه إنشاداً

(١) الغَرّاء: البيضاء.
(٢) أضرَّ الفرسُ على اللِّجام: قبض عليه وعَضَّه بفمه.
(٣) الصَّفصاف: كورة من ثغور المصيصة غزاها سيف الدولة الحمداني في سنة (٣٣٩ هـ). (معجم البلدان ٣/ ٤١٣).
(٤) أكدى الغيث: امتنع عن السقوط.
(٥) أخلف الغيثُ: لم يمطرْ. وكاد يضير: كاد يتلف لغزارته.

ـ قال: دخلت على الرّشيدِ وعنده الفضلُ بنُ الربيع، ويزيدُ بن مَزْيد، وبين يديه خِوان لطيف عليه جَدْيانِ ورُغْفان سَمِيد[١] ودجاجتان، فقال لي: أنشدني، فأنشدته قصيدة النَّمَريّ العينية، فلما بلغتُ إلى قوله: [البسيط]

أَيُّ امْرِىءٍ بَاتَ مِنْ هارونَ في سَخَطٍ ... فليسَ بالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَنْتَفِعُ
إنَّ المَكَارِمَ والمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ ... أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَتَّسِعُ
إذا رَفَعْتَ امْرَأً فَاللَّهُ يَرْفَعُهُ ... ومَنْ وَضَعْتَ مِنَ الأَقْوَامِ مُتَّضِعُ
نفسي فِدَاؤُكَ والأَبْطَالُ مُعْلِمَةٌ ... يَوْمَ الوَغَى والمَنَايا بَيْنَهَا قُرَعُ[٢]

قال: فرمى بالْخِوان بين يديه وصاح، وقال: هذا واللَّه أطيبُ من كلّ طعامٍ وكلّ شيءٍ، وبعث إليه بسبعةِ آلافِ دينارٍ، فلم يعطِني منها ما يرضيني، وشخص إلى رأسِ العين، فأغضبني وأحفظني، فأنشدت هارون قوله: [المنسرح]

شَاءٌ مِنَ النَّاسِ رَاتِعٌ هَامِلْ ... يُعَلِّلُونَ النُّفُوسَ بِالبَاطِلْ[٣]

فلما بلغتُ إلى قوله:

إلاّ مَسَاعِيرَ يَغْضَبُونَ لَهَا ... بِسَلَّةِ البِيضِ والقَنَا الذَّابِلْ[٤]

قال: أراه يُحَرّضُ عليّ، ابعثوا إليه من يَجِيءُ برأسِه. فكلّمه فيه الفضلُ بن الربيع فلم يُغْنِ كلامَه شيئاً، وتوجّه إليه الرسولُ فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودُفِنَ. قال: وكان إنشادُ محمدِ البيدقِ يُطْرِبُ كما يطرِبُ الغناء.

أخبرني عمّي، قال: حَدَّثنا ابنُ أبي سعدٍ، قال: حَدَّثنا عليّ بن الحسين الشيباني، قال: أخبرني منصور بن جمهور، قال: سألت العتّابي عن سببِ غضبِ الرشيدِ عليهِ، فقال لي: استقبلت منصوراً النمريّ يوماً من الأيام فرأيته مغموماً واجماً كئيباً، فقلت له: ما خَبَرُكَ؟ فقال: تركتُ امرأتي تُطْلَقُ[٥]، وقد عسر عليها ولادها، وهي يدي ورِجلي، والقَيِّمَةُ بأمرِي وأمرِ منزِلي. فقلت له: لم لا تكتبُ

(١) السميد: لباب القمح.
(٢) المُعْلِمَة: التي أعلمت نفسها في الحرب بعلامة.
(٣) شاءٌ: جمع شاة. والراتع: الذي يأكل ما يشاء في رغد. والهامل: المتروك دون عمل.
(٤) المساعير: جمع المسعار: الذين يوقدون نار الحرب. وسَلّة البِيض: استلال السيوف. والذابل: الدقيق. وهو صفة للرماح.
(٥) تُطْلَقُ: تعاني وجع الولادة.

على فَرْجِها «هارون الرشيد»؟ قال: ليكون ماذا؟ قال: لتلد على المكان، قال: وكيف ذلك؟ قلت: لقولك: [البسيط]

إنْ أَخْلَفَ الغَيْثُ لم تُخْلِفْ مَخَايِلُهُ أَو ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَّسِعُ[١]

فقال لي: يا كَشْخان[٢]، واللَّه لَئِنْ تَخَلَّصَتِ امرأتي لأذكرنّ قولك هذا للرشيدِ. فلمّا ولدتِ امرأته خبّر الرشيدَ بما كان بيني وبينه، فغضب الرشيدُ لذلك وأمر بطلبي، فاستترْتُ عند الفضلِ بنِ الربيع، فلم يَزَلْ يسأل فِيَّ حتى أذن لي في الظُّهور؛ فلمَّا دخلتُ عليه، قال لي: قد بلغني ما قلْتَه للنمريّ، فاعتذرتُ إليه حتى قَبِلَ، ثم قلت: واللّهِ يا أمير المؤمنين ما حَمَلَه على التَّكَذُّبِ عَلَيَّ إلاّ وقوفي على مَيله إلى العَلَوِيَّة، فإنْ أراد أمير المؤمنين أن أُنشِدَه شعره في مديحهم فعلْتُ. فقال: أنشدني. فأنشدته قوله: [المنسرح]

شَاءٌ مِنَ النَّاسِ رَاتِعٌ هَامِلْ يُعَلِّلُونَ النُّفُوسَ بِالبَاطِلْ

حتى بلغت إلى قوله:

إلاّ مَسَاعِيرَ يغضبون لَها بِسَلَّةِ البِيضِ والقَنَا الذَّابِلْ

فغضب مِن ذلك غضباً شديداً، وقال للفضلِ بنِ الربيع: أَحْضِرْه السّاعةَ. فبعث الفضل في ذلك، فوجده قد تُوُفِّيَ، فأمر بنبشِه ليحرِقه، فلَم يزلِ الفضل يَلطُفُ له حتى كَفَّ عنه.

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا عبدُ اللَّه بنُ أبي سعدٍ قال: حَدَّثنا يحيى بنُ الحسنِ بن عبدِ الخالقِ، قال: حَدَّثني بعض الزّينبيّين، قال: حبس الرشيد منصوراً النمريّ بسبب الرفضِ، فتخلّصه الفضلُ بن الربيع، ثم بلغه شعره في آلِ عليّ عليه السلام، فقال للفضلِ: اطْلُبْه. فستَره الفضلُ عنده، وجعلَ الرّشيدُ يُلحُّ في طلبه، حتّى قال يوماً للفضلِ: وَيْحَكَ يا فضلُ، تُفَوِّتُني النمريّ؟ قال: يا سيّدي، هو عندي قد حصّلته. قال: فجِئني بِهِ. وكان الفضل قد أمره أن يُطَوِّلَ شعره، ويكثر مباشرةَ الشمسِ لِيشحُبَ وتسوء حالته، ففعل، فلما أراد إدخالَه عليه ألبسه فَروة مقلوبة، وأدخله عليه، وقد عفا[٣] شعرهُ، وساءت حالته، فلمّا رآه، قال: السيفَ! فقال

---

(١) المخايل: جمع المخيلة: السحابة.
(٢) الكَشْخَان: الدّيّوث.
(٣) عفا شعرُه: طال.

الفضلُ: يا سيّدي مَنْ هذا الكلبُ حتى تأمر بقتله بحضرتك؟ قال: أليس هو القائل:

إلاّ مَسَاعِيرَ يغضبونَ لَهَا ... بِسَلَّةِ البيضِ والقَنَا الذَّابِلْ

فقال منصور: لا يا سيّدي ما أنا قائلٌ هذا، ولقد كُذِبَ عليّ، ولكني القائل:

[مخلع البسيط]

يا مَنْزِلَ الحَيِّ ذا المَغَانِي ... انْعَمْ صَبَاحاً على بِلاكا[١]

هَارونُ، يا خَيْر مَنْ يُرَجَّى ... لم يُطِعِ اللَّهَ مَنْ عَصَاكا

في خَيْرِ دينٍ وخَيْرِ دُنْيا ... مَنِ اتَّقَى اللَّهَ واتَّقَاكَا

فأمر بإطلاقِهِ وتخلية سبيله، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع: [الهزج]

رَأَيْتُ المُلْكَ مُذْ آزَرْ ... تَ قد قَامَتْ مَحَانِيهِ[٢]

هُوَ الأوْحَدُ في الفَضْلِ ... فَمَا يُعْرَفُ ثَانِيهِ

عفّته

أخبرني عَمِّي، قال: حَدَّثنا ابن أبي سعدٍ، قال: حَدَّثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفيّ عن محمدِ بنِ أرتبيل، قال: اجتمع عند المأمونِ قبل خلافته، وذلك في أيام الرشيد، منصورٌ النمريّ والخرَيْمِيُّ والعباس بنُ زفر، وعنده جعفرُ بن يحيى، فحضر الغَداء، فأُتِيَ المأمونُ بلونٍ من الطعام، فأكل منه فاستطابه، فأمر به فَوُضِعَ بين يَدَيْ جعفر بن يحيى، فأصاب مِنه، ثم أمر به فَوُضِعَ بين يدَي العباس فأكل منه، ثم نحّاه، فأكل منه بعده الخرمي وغيره - ولم يأكل منه النَّمَري - وذلك بعينِ المأمون، فقال له: لِم لم تأكلْ؟ فقال: لئن أكلْتُ ما أبقى هؤلاء إنّي لَنَهِمٌ. قال: فهل قلْتَ في هذا شيئاً؟ قال: نعم، قلت: [البسيط]

لَهْفِي أَتُطْعِمُها قَيْساً وآكُلُها ... إِنّي إذاً لَدَنِيءُ النَّفْسِ والخَطَرِ[٣]

ما كَانَ جَدِّي ولا كَانَ الهُمَامُ أَبِي ... لِيَأْكُلا سُؤْرَ عَبَّاسٍ ولا زُفَرِ[٤]

---

(١) البِلى: القِدَم.

(٢) المحاني: المعاطف.

(٣) الخَطَر: القَدْر والمنزلة.

(٤) السُّؤْرُ: البَقِية من كل شيء والفَضْلَة.

شَتَّانَ مِن سُؤْرِ عَباسٍ وفَضلَتِه ... وسُؤْرِ كَلْبٍ مُغطَّى العينِ بِالوَبَرِ
ما زالَ يَلْقَمُ والطَّبَّاخُ يَلْحَظُهُ ... وقد رَأى لُقَماً في الحَلْقِ بِالعُجَرِ[١]

[الرشيد يرفع السيف عن ربيعة]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصّيرفيّ وعَمّي، قالا: حَدَّثنا الحسنُ بن عُلَيْلٍ العنزي، قال: أخبرني علقمة بن نصر بنِ واصلٍ النمريّ، قال: سمعتُ أشياخنا يقولون: إن منصورَ بنَ بُجْرةَ بنِ منصورِ بنِ صُليلٍ بنِ أَشْيَم بن قَطَنِ بنِ سعدِ بنِ عامرِ الضَّحيانِ بنِ سعد بنِ الخزرج بن تيم اللَّهِ بنِ النمرِ بن قاسطٍ، قال هذه القصيدة:

[البسيط]

ما تَنقَضِي حَسرَةٌ مِنّي ولا جَزَعُ ... إذا ذَكَرْتُ شَبَاباً ليسَ يُرتَجَعُ
بَانَ الشَّبَابُ وفَاتَتْنِي بِشِرَّتِهِ ... صُرُوفُ دَهرٍ وأيَّامٌ لها خُدَعُ[٢]
ما كُنتُ أوّلَ مَسلُوبٍ شَبِيبَتَهُ ... مَكْسُوٌّ شَيْبٍ فلا يَذْهَبْ بِكَ الجَزَعُ

فسمعها منصورُ بنُ سلمة بنِ الزبرِقان بنِ شريكٍ بنِ مطعمِ الكبش الرخَمَ بن مالكِ بن سعدِ بن عامرِ الضحيان فاستحسنها، فاستوهبها منه فوهبها له، وكان منصورُ بن بجرة هذا موسِراً لا يتصدَّى لمدح ولا يَفِدُ إلى أحد ولا ينتجعه بالشّعر، وكان هارونُ الرشيد قد جَرد السيفَ في ربيعة، فوجّه منصورُ بن سلمة هذه القصيدة إلى الرشيد، وكان رجلاً تَقْتحمه[٣] العين جداً، ويزدريه مَنْ رآه لِدمامة خَلْقِه، فأمر الرشيدُ لمّا عُرِضَتْ عليه بإحضار قائِلها. قال منصور: فلما وصلت إليه عرّفنِي الحاجب أنّه لما عُرِضَتْ عليه قرأها واختارها على جميع شعر الشعراء جميعاً، وأمره بإدخالي، فلما قَرُبْتُ من حاجبه الفضل بنِ الربيع ازدراني لدمامةِ خلقي، وكان قصيراً أزرقَ أحمرَ أعمش نحيفاً. قال: فردَّني، وأمر بإخراجي فأُخرِجْتُ، فمرّ بي ذات يوم يزيدُ بنُ مَزْيدٍ الشيبانيُّ، فصحْتُ به: يا أبا خالد، أنا رجلٌ من عشيرتك، وقد لحقني ضيمٌ، وعُذْتُ بك. فوقف، فعرّفْتُه خبري، وسألته أن يَذكرني إذا مَرَّتْ به رقعتي، ويتلطّف في إيصالي، ففعل ذلك، فلمّا دخلت على أمير

---

(١) العُجَر: جمع العُجْرة: العقدة في عروق الجسد.
(٢) الشِّرّة: النشاط.
(٣) تقتحمه العين: تتخطّاه إلى غيره لضعف شأنه.

المؤمنين أنشدته هذه القصيدة: [الطويل]

أتسلو وقد بانَ الشَّبابُ المُزَايلُ

فقال لي: غداً إن شاء اللّه آمُرُ برفع السَّيف عن ربيعة - وخرج يزيد يركُضُ، فما جاءتِ العصر من الغدِ حتّى رُفِعَ السيفُ عن ربيعة بنَصِيبين[1] وما يليها، وأنشدته القصيدة، فلمّا صرتُ إلى هذا الموضع: [الطويل]

يُجَرِّدُ فِينا السَّيْفَ مِنْ بَيْنِ مَارِقٍ وعَانٍ بُجُودٌ كلهمْ مُتَحَامِلُ[2]

قالوا: فلما سمع الجلساءُ هذا البيت، قالوا: ذهب الأعرابي وافتضح، فلما قلت:

وقد عَلِمَ العُدْوانُ والجُوْرُ والخَنَا بِأَنَّكَ عَيَّافٌ لَهُنَّ مُزَايِلُ[3]
ولو علِموا فينا بِأمرِكَ لم يَكُنْ يَنَالُ بَرِيّاً بالأذَى مُتَنَاوِلُ
لنا مِنكَ أرْحَامٌ ونَغتَدُ طَاعَةً وبَأساً إذا اصْطَكَّ القَنا والقَنَابِلُ[4]
وما يَحْفَظُ الأنْسَابَ مِثْلَكَ حَافِظٌ ولا يَصِلُ الأرْحَامَ مِثْلَكَ وَاصِلُ
جَعَلْنَاكَ، فَامْنَعْنَا، مَعَاذاً ومَفزَعاً لنا حِينَ عَضَّتْنا الخُطوبُ الجَلائِلُ[5]
وأنتَ إذا عَاذَتْ بِوَجْهِكَ عُوَّذٌ تَطَامَنَ خَوْفٌ واسْتَقَرَّتْ بَلابِلُ[6]

فقال الجلساء: أحسَنَ واللّه الأعرابيُّ يا أمير المؤمنين! فقال الرشيد: يُرفَعُ السّيفُ عن ربيعة ويُحْسَنُ إليهم.

أخبرني عَمّي، قال: حَدَّثنا عبدُ اللّه بن أبي سعدٍ، قال: حَدَّثني عليُّ بن الحسن بن عبيدٍ البكريُّ، قال: أخبرني أبو خالد الطّائيّ عن الفضلِ، قال: كنّا عند الرشيدِ وعنده الكسائي، فدخل إليه منصورٌ النمريّ، فقال له الرّشيد: أنشِدني. فأنشده قوله: [البسيط]

ما تَنقَضِي حَسْرَةٌ مِنّي ولا جَزَعُ إذا ذَكَرْتُ شَبَاباً ليسَ يُرْتَجَعُ

فتحرّكَ الرشيد، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله:

(١) نَصِيبين: مدينة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام (معجم البلدان ٥/ ٢٨٨).
(٢) العاني: الأسير. وبُجُود: جمع بَجْد: الجماعة من الناس.
(٣) العيّاف: الشديد الكراهة. والمُزايل: المُفَارق.
(٤) القنابل: جمع القَنْبَلة: الطائفة من الناس أو الخيل.
(٥) الجلائل: العظيمات.
(٦) التّطامُن: السكون والوقار. والبلابل: الوساوس والهواجس.

مـا كـنـتُ أُوفِـي شَـبَـابـي كُـنْـهَ عِـزَّتِـهِ   حَـتَّـى انـقَـضَـى فَـإِذَا الـدُّنـيـا لـه تَـبَـعُ

فطرب الرّشيدُ، وقال: أحسنْتَ واللَّه، وصدقْتَ، لا واللَّه لا يتهنّا أحد بعيش حتى يَخطِرَ في رداء الشباب! وأمر له بجائزة سنيّة.

[تهكّم الشعراء عليه لعدم مشاركته في الشرب]

أخبرني عَمّي، قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ، قال: حَدَّثنا محمد بن عبد الله بن طَهمان السّلميّ، قال: حَدَّثنا أحمدُ بنُ سنانٍ البيساني، وأخبرني عَمّي قال: أخبرنا ابنُ أبي سعدٍ، قال: حَدَّثنا مسعودُ بن عيسى، عن موسى بن عبد الله التميميّ، أن جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم النمريّ، وكانوا على نبيذٍ فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا له: إنما تعافُ الشّرْبَ لأنَّكَ رافضيٌّ، وتسمع وتُصْغي إلى الغناء، وليس تركك النبيذ من وَرَعٍ. فقال منصور:

صوت

[الطويل]

خَـلا بـيـنَ نَـدْمَـانِـيَّ مَـوْضِـعُ مَـجْـلِـسِـي   ولـم يَـبْـقَ عِـنْـدِي لِـلْـوِصَـالِ نَـصِـيـبُ

وَرُدَّتْ عـلـى الـسَّـاقِـي تَـفِـيـضُ ورُبَّـمـا   رَدَدْتُ عَـلَـيْـهِ الـكَـاسَ وهـي سَـلِـيـبُ[1]

وأيُّ امْـرِىءٍ لا يَـسْـتَـهِـشُّ إذا جَـرَتْ   عَـلـيـه بَـنَـانٌ كَـفُّـهُـنَّ خَـضِـيـبُ

الغناء لإبراهيم، خفيفُ ثقيلٍ، مطلق في مجرى البِنصر، ومن الناس من ينسبه إلى مخارق، هكذا في الخبر.

[محاورة شعرية بينه وبين العتابي]

وقد حَدَّثني علي بن سليمان الأخفش، قال: حَدَّثنا محمد بن يزيد المبرِّد، قال: كتب كلثوم بن عمرو العتّابي إلى منصور النمري قوله: [الطويل]

تَـقَـضَّـتْ لُـبَـانَـاتٌ ولاَحَ مَـشـيـبُ   وأَشْـفَـى عـلـى شَـمْـسِ الـنَّـهـارِ غُـروبُ

وَوَدَّعْـتُ إِخْـوَانَ الـصِّـبَـا وتَـصَـرَّمَـتْ   غَـوَايَـةُ قَـلْـبٍ كَـانَ وهـو طَـرُوبُ

(١) السليب: الفارغ.

وردَّتْ على السَّاقي تَفيضُ وربَّما ... رَدَدْتُ عليه الكَأسَ وهي سَليبُ
ومِمَّا يَهيجُ الشَّوْقَ لي فَيرُدُّهُ ... خَفِيفٌ على أيدي القِيانِ صَخُوبُ(١)
عَطَوْنَ بِهِ حَتَّى جَرَى في أديمِهِ ... أَصَابِيغُ في لَبَّاتِهِنَّ وطِيبُ(٢)

فأجابه النمريّ وقال:

[الطويل]

أَوَحْشَةُ نَدْمَانِيكَ تَبْكِي فَرُبَّما ... تُلاقِيهِمَا والحِلْمُ عَنْكَ عَزُوبُ(٣)
تَرَى خَلَفاً مِنْ كُلِّ نَيْلٍ وَنَزْوَةٍ ... سَمَاعَ قِيَانٍ عودُهُنَّ قَرِيبُ
يُغَنِّيك يابنتي فتستصحبَ النُّهَى ... وتحتازُكَ الآفَاتُ حِينَ أَغِيبُ
وإنَّ امْرَأً أَوْدَى السَّمَاعُ بِلُبِّهِ ... لَعُرْيَانُ مِنْ ثَوبِ الفَلاَحِ سَلِيبُ

أخبرني عَمّي، قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حَدَّثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبديّ أبو مسعر، قال: أتى النمريُّ يزيدَ بن مزيد ويزيد يومئذٍ في إضاقة وعسرة، فقال: اسمع منّي جُعِلْتُ فِداك. فأنشده قصيدةً له، يقول فيها:

[البسيط]

لو لم يَكُنْ لِبَنِي شَيْبَانَ مِنْ حَسَبٍ ... سِوَى يَزِيدَ لَفَاتُوا النَّاسَ في الحَسَبِ
تَأوِي المَكَارِمُ مِنْ بَكْرٍ إلى مَلِكٍ ... مِنْ آلِ شَيْبَانَ يَحْوِيهِنَّ مِنْ كَثَبِ
أَبٌ وعَمٌّ وأَخْوَالٌ مَنَاصِبُهُمْ ... في مَنْبِتِ النَّبْعِ لا في مَنْبِتِ الغَرَبِ(٤)
إنَّ أبا خَالِدٍ لما جَرَى وجَرَتْ ... خَيْلُ النَّدَى أَحْرَزَ الأولَى مِنَ القَصَبِ(٥)
لَمَّا تَلَغَّبَهُنَّ الجَرْيُ قَدَّمَهُ ... عِتْقٌ مُبِينٌ وَمَحْضٌ غيرُ مُؤْتَشَبِ(٦)
إنَّ الَّذينَ اعتَزَوا بِالحُرِّ غُرَّتَهُ ... كَمُعْتَزِي اللَّيْثِ في عِرِّيسِهِ الأَشِبِ(٧)
ضَرْباً دِرَاكاً وشَدَّاتٍ على عَنَقٍ ... كَأَنَّ إيقاعَها النِّيرانُ في الحَطَبِ(٨)

---

(١) يردّه: الهاء تعود إلى الشوق. والخفيف: هو العود.
(٢) عطونَ به: تناولنه ومددن أعناقهنّ. واللَّبات: جمع اللَّبَّة؛ هي موضع القلادة من النحر.
(٣) العزوب: الشديد البُعد.
(٤) النَّبع: شجر تُتّخذ منه القِسيّ. والغَرَب: ضربٌ من الشجر تُصنع منه الأقداح البِيض.
(٥) يقال للمُرَاهِن إذا سبقَ: أحرز قصبةَ السَّبْقِ، ويقال للسابق: أحرزَ القصبَ، وأصله أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبةً فمن سبقَ اقتلعها وأخذها لِيُعلمَ أنه السابق من غير نزاع، ثم كثر ذلك حتى أُطْلِقَ على المُبَرّز في كلّ شيء.
(٦) العِتْق: الكرم. وغير مُؤْتَشَب: غير مختلط.
(٧) اعتزوا: قصدوا. والعِرِّيس: مأوى الأسد. والأَشِب: الشجر الملتفّ.
(٨) دِراكاً: متتابعاً. والعَنَق: ضربٌ من السّير السريع.

لا تَـقْـرَبَـنَّ يَـزِيـداً عِـنْـدَ صَـوْلَـتِـهِ ... لَكِـنْ إذا مـا اخْـتَبَى لِـلْجُودِ فـاقْـتَرِبِ

فقال يزيد: واللَّه ما أصبح في بيتِ مالي شيءٌ، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته. فجاءه بمائةِ دينارٍ وحلَف أنّه لا يملك يومئذ غيرها.

وقد أخبرني عَمّي بهذا الخبر، قال: حَدَّثني محمدُ بن علي بن حمزة العلوي، قال: حَدَّثني عَمّي عن جَدّي، قال: قال لي منصور النمريّ: كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيدُ اللَّه بنُ هشام بن عمروٍ التغلبيّ، وقد وَخَطني الشَّيْبُ يومئذٍ، وعبيد اللَّه شابٌّ حديث السنِّ، فإذا أنا بِقَصْرِيَّةٍ[1] ظريفة قد وقفت، فجعلْتُ أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد اللَّه بن هشام ثم انصرفَتْ، وقلت فيها: [البسيط]

لَـمَّـا رَأَيْـتِ سَـوَامَ الـشَّـيْـبِ مُـنْـتَـشِـراً ... فـي لِـمَّـتِـي وعـبـيـدَ الـلَّـهِ لـم يَـشِـبِ[2]

سَلَلْتِ سَهْمَيْنِ مِنْ عَيْنَيْكِ فانْتَضَلا ... عـلـى سَبِيبَةِ ذي الأذيالِ والطَّرَبِ[3]

كـذا الـغَـوَانِـي نَـرَى مِـنْـهُـنَّ قَـاصِـدَةً ... إلـى الـفـروعِ مُـعَـرَّاةً عـن الـخَـشَـبِ

ولا أَنـتِ أَصْـبَـحْـتِ تَـعْـتَـدِّيْـنَـنـا أَرَبـاً ... ولا وعَـيْـشِـكِ مـا أَصْـبَـحْـتِ مِـنْ أَرَبـي

إحدى وخَمْسِينَ قد أَنْضَيْتُ جِدَّتَها ... تَـحُـولُ بـيـنـي وبـيـن الـلَّـهْـوِ والـلَّـعِـبِ

لا تَحْسَبنّي وإنْ أَغْضَيْتُ عن بَصَرِي ... غَفَلْتُ عَنكِ ولا عَنْ شأنكِ العَجَبِ

ثم عَدلْتُ عن ذلك فمدحْتُ فيها يزيدَ بن مزيد فقلت:

لـو لـم يَـكُـنْ لِـبَـنـي شَـيْـبانَ مِـنْ حَـسَـبِ ... سِـوَى يَـزِيـدَ لَـفَـاقُـوا الـنَّـاسَ بِـالـحَـسَـبِ

لا تَـحْـسَـبِ الـنَّـاسَ قد حَـابَـوْا بَـنِـي مَـطَـرٍ ... إذا أُسْـلِـمَ الـجُـودُ فِـيـهـمْ عَـاقِـدَ الـطُّـنُـبِ

الـجـودُ أَخْـشَـنُ لَـمْـسـاً يـا بَـنِـي مَـطَـرٍ ... مِـنْ أَنْ تَـبُـزَّكُـمُـوهُ كَـفُّ مُـسْـتَـلِـبِ[4]

مـا أَعْـرَفَ الـنَّـاسَ أَنَّ الـجُـودَ مَـدْفَـعَـةٌ ... لِـلـذَّمِّ لَـكِـنَّـهُ يَـأْتِـي عـلـى الـنَّـشَـبِ[5]

قال: فأعطاني يزيدُ عشرة آلاف درهم.

حَدَّثني عَمّي، قال: حَدَّثني محمد بن عبد الله التميمي الحزنبل، قال: حَدَّثني عمرو بن عثمان الموصلي، قال: حَدَّثني ابن أبي رَوْق الهمداني، قال: قال لي

---

(١) القصريّة: نسبة إلى القصر، وهو يريد غانية قصريّة.
(٢) السَّوَام: في الأصل الإبل الراعية المتفرّقة، وهنا يريد الشيب المتفرّق في رأسه.
(٣) انتضل السّهمُ: خرج. والسَّبيبة: الخصلة من الشعر.
(٤) البَزُّ: النّزعُ والسَّلْبُ.
(٥) النَّشَب: المال والعقار.

منصور النمري: دخلت على الرشيد يوماً ولم أكن أعدذتُ له مدحاً، فوجدته نشيطاً طيّب النفس، فرمْتُ شيئاً فما جاءني، ونظر إليّ مستنطقاً، فقلت: [الوافر]

إذا اعْتَاصَ المَدِيحُ عَلَيكَ فَامْدَحْ أَمِيرَ المُؤمنينَ تَجِدْ مَقَالا[1]
وعُذْ بِفِنَائِهِ واجْنَحْ إليه تَنَلْ عُرْفاً ولم تُذْلِلْ سُؤَالا
فِنَاءٌ لا تَزالُ بِهِ رِكَابٌ وضَعْنَ مَدَائِحاً وحَمَلْنَ مَالا

فقال: واللَّه لَئِنْ قَصَّرْتَ القولَ لقد أَطَلْتَ المعنى. وأمرَ لي بصلةٍ سنيّة.

صوت

[الطويل]

طَرِبْتَ إلى الحَيِّ الَّذين تَحَمَّلوا بِبُرْقَةِ أَحْوَاذٍ وأَنْتَ طَرُوبُ[2]
فَبِتُّ أُسَقَّاها سُلافاً مُدَامَةً لها في عِظَامِ الشَّارِبينَ دَبِيبُ

الشعر لعبدِ الله بنِ الحجاج الثعلبيّ، والغناء لِعَلُّوَيْه، رمل بالوسطى، عن الهشامي، وفيه لسليم خفيفُ رملٍ، مطلقٌ في مجرى الوسطى.

---

(١) اعتاص: تَعَسَّرَ.
(٢) برقة أحواذ: إسم موضع (معجم البلدان ١/ ٣٩١).

نسب عبد الله بن الحَجّاج وأخباره

[توفي ٣٧ هـ/ ٦٥٧ م]

هو عبدُ الله بن الحجّاجِ بنِ محصنِ بن جندُبِ بنِ نصرِ بنِ عمرِو بنِ عبدِ غنم ابنِ جحاش بنِ بجَالة بنِ مازِن بنِ ثعلبة بنِ سعدِ بن ذُبْيان بنِ بغيض بنِ الريث بن غَطَفَان بنِ سعدِ بن قيس بنِ عيلان بنِ مضر. ويكنى أبا الأقرع. شاعرٌ فاتكٌ شجاعٌ من معدودي فرسانِ مُضَر ذوي البأس والنَّجدة فيهم، وكان ممَّن خرج مع عمرِو بنِ سعيدٍ على عبدِ الملكِ بنِ مروان، فلما قتل عبد الملك بنُ مروان عَمْراً خرجَ مع نجدةَ بنِ عامرٍ الحنفيّ ثم هرب، فلحق بعبد الله بن الزبير، فكان معه إلى أن قُتِل، ثم جاء إلى عبد الملكِ متنكِّراً، واحتال عليه حتى أمّنه.

وأخبارهُ تُذْكَرُ في ذلك وغيره هاهنا.

أخبرني بِخبره في تنقُّله من عسكرٍ، إلى عسكر، ثم استئمانه، جماعةٌ من شيوخِنا، فذكروه متفرِّقاً فابتدأتُ بأسانيدهم، وجمعْتُ خبره من روايتهم.

فأخبرنا الحَرميّ بنُ أبي العلاءِ، قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكارٍ، قال: حَدَّثني اليزِيدِي أبو عبد الله محمدُ بنُ العباسِ ببعضه، قال: حَدَّثني سليمانُ بن أبي شيخ، قال: حَدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ الأموي؛ وأخبرنا محمدُ بنُ عمران الصيرفي قال: حَدَّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ الْعَنَزِيُّ، قال: حَدَّثنا محمدُ بن معاوية الأسدي، قال: حَدَّثنا محمد بن كُناسةَ؛ وأخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حَدَّثني علي بن مسلم بنِ الهيثم الكوفي عن محمد بن أَرْتَبيل؛ ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخَة أبي العباس ثعلبٍ، والألفاظُ تختلف في بعضها والمعاني قريبةٌ، قالوا: كان عبد الله بن الحجّاجِ الثّعلبي شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعاليك العرب، وكان متسرّعاً إلى الفِتَنِ، فكان مِمّن خرج مع عمرِو بنِ سعيدِ بنِ العاص، فلمّا ظفر به عبدُ الملك هرب إلى ابن الزُّبير، فكان معه حتّى

قُتِلَ، ثم اندسّ إلى عبد الملك فكُلِّمَ فيه فأمّنه.

[دخوله إلى عبد الملك بالحيلة]

هذه رواية ثعلب، وقال العنزيُّ وابن أبي سعد في روايتهما: لما قُتِلَ عبدُ اللّه بن الزّبير، وكان عبدُ اللّه بن الحجاج مِن أصحابه وشِيعتِه احتال حتى دخل على عبد الملكِ بن مَرْوانَ وهو يطعِم الناس، فدخل حجرةً، فقال له: مَا لَكَ يا هذا لا تأكُل؟ قال: لا أسْتَحِلُّ أن آكل حتى تأذنَ لي. قال: إنِّي قد أذنْتُ للناس جميعاً. قال: لم أعْلَمْ فآكل بأمرك. قال: كلْ. فأكل، وعبد الملك ينظرُ إليه ويعجبُ من فِعاله، فلما أكل الناسُ وجلس عبدُ الملك في مجلسه، وجلس خواصُّه بين يديه، وتفرّق الناس، جاء عبدُ اللّه بنُ الحجاج فوقف بين يديه، ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له، فأنشده: [الكامل]

أَبْـلِـغْ أَمِـيـر الـمُـؤمِـنـيـنَ فَـإنَّـنـي ... مِـمّـا لَـقِـيـتُ مِـنَ الـحَـوَادثِ مُـوجَـعُ
مُـنِـعَ الـقَـرَارُ فَـجِـئْـتُ نَـحْـوَكَ هَـارِبـاً ... جَـيْـشٌ يَـجُـرُ ومِـقْـنَـبٌ يَـتَـلَـمَّـعُ[1]

فقال عبدُ الملك: وما خوفُك لا أُمَّ لك، لولا أنك مُريبٌ! فقال عبد الله:

[الكامل]

إنَّ الـبِـلادَ عَـلَـيَّ وَهْـيَ عَـرِيـضَـةٌ ... وَعُـرَتْ مَـذَاهِـبُـهـا وسُـدَّ الـمَـطْـلَـعُ

فقال له عبدُ الملك: ذلك بما كَسَبَتْ يداك، وما اللّهُ بِظَلاّمٍ للعبيد. فقال عبد الله: [الكامل]

كُـنّـا تَـنَـحَّـلْـنـا الـبَـصَـائِـرَ مَـرَّةً ... وإلـيـكَ إذ عَـمِـيَ الـبَـصَـائِـرُ نَـرْجِـعُ[2]
إنَّ الّـذي يَـعْـصِـيـكَ مِـنّـا بَـعْـدَهـا ... مِـنْ دِيـنِـه وحَـيَـاتِـهِ مُـتَـوَدِّعُ
آتِـي رِضَـاكَ ولا أَعُـودُ لِـمِـثْـلِـهـا ... وأُطِـيـعُ أَمْـرَكَ مـا أَمَـرْتَ وأَسْـمَـعُ
أُعْـطِـي نَـصِـيـحَـتِـي الـخَـلِـيفَةَ نَـاخِـعاً ... وخِـزَامَـةَ الأَنْـفِ الـمَـقُـودِ فَـأَتْـبَـعُ[3]

فقال له عبد الملك: هذا لا نقبلُه منك إلاّ بعد المعرفة بك وبذنبك، فإذا

---

(١) المِقْنَب: الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين تُعَدُّ للغارة.
(٢) تنحّلنا البصائر: ادعيناها لأنفسنا.
(٣) ناخعاً: مخلصاً. والخِزَامة: حلقة توضع في أنف البعير.

عُرِفَتِ الحَوْبةُ[١] قَبِلْنا التوبةَ. فقال عبد الله: [الكامل]

وَلَقَدْ وَطِئْتَ بَني سَعِيدٍ وَطْأَةً وابنَ الزُّبَيْرِ فَعَرْشُهُ مُتَضَعْضِعُ

فقال عبد الملك: للّه الحمد والمِنّة على ذلك. فقال عبد اللّه: [الكامل]

مَا زِلْتَ تَضرِبُ مَنْكِباً عَنْ مَنْكِبٍ تَعْلُو ويَسْفُلُ غَيْرُكُمْ ما يُرْفَعُ
ووَطِئْتُمُ في الحَرْبِ حَتَّى أَصْبَحوا حَدَثاً يَكُوسُ وغَابِراً يَتَجَعجعُ[٢]
فَحَوى خِلافَتَهُمْ ولم يَظْلِمْ بها ألقَرْمُ قَرْمُ بَني قُصِيِّ الأَنزَعُ[٣]
لا يَسْتَوِي خَاوِي نُجوم أُفَّلٍ والبَدْرُ مُنْبلِجاً إذا ما يَطْلُعُ[٤]
وُضِعَتْ أُمَيَّةُ واسطينَ لِقَومِهِمْ وَوُضِعْتَ وَسْطَهُمُ فَنِعْمَ المَوْضِعُ
بَيْتٌ أبو العاصي بَنَاه بِرَبْوةٍ عَالِي المَشَارِفِ عِزُّهُ ما يُدْفَعُ[٥]

فقال له عبد الملك: إنّ توريتك عن نفسك لتُريبني، فأيُّ الفَسَقَةِ أنتَ؟ وماذا تريدُ؟ فقال:

حَرَبَتْ أُصَيْبِيَتِي يَدٌ أَرْسَلْتُها وإليكَ بعد مَعَادِها ما تَرْجِعُ[٦]
وأرى الَّذي يَرْجُو تُرَاثَ مُحَمَّدٍ أَفَلَتْ نُجُومُهُمْ ونَجْمُكَ يَسْطَعُ

فقال عبدُ الملك: ذلك جزاءُ أعداءِ اللّه، فقال عبدُ اللّه بن الحجاج: [الكامل]

فانْعِشْ أُصَيْبِيَتِي الأُلاءِ كَأَنَّهُمْ حَجَلٌ، تَدَرَّجُ بِالشَّرَبَّةِ، جُوَّعُ[٧]

فقال عبد الملك: لا أنعَشَهُمُ اللّه، وأجاعَ أكبادَهم، ولا أبقى وليداً من نسلهم، فإنهم نسلُ كافرٍ فاجرٍ لا يبالي ما صنع. فقال عبد اللّه: [الكامل]

مَالٌ لَهُمْ مِمَّا يُضَنُّ جَمَعْتُهُ يومَ القَلِيبِ فَحِيزَ عنهُمْ أَجْمَعُ

فقال له عبد الملك: لعلّكَ أخذْتَهُ من غير حِلِّهِ، وأنفقْته في غيرِ حقِّه،

(١) الحَوْبَة: الإثم.
(٢) كاس فلاناً يكوسُه: إذا صَرَعه. وتجعجع: ضرب نفسه في الأرض من الوجع.
(٣) الأنزع: من ينحسر شعره من أعلى الجبين حتى يصعد في الرأس، والعرب تتيمّن بالأنزع وهي من صفات عليّ عليه السلام.
(٤) خوت النجومُ: أمحلت أو سقطت فلم تمطر في نَوْئها. ونجومٌ أُفّلٌ: غُيَّبٌ.
(٥) الربوة: المكان المرتفع العالي.
(٦) حَرَبت: سلبت المال ولم تتركْ شيئاً.
(٧) الشَّرَبَّة: الأرض المعشبة لا شجر فيها.

وأرصدت به لِمُشَاقّةِ[١] أولياءِ اللّه، وأعْدَدْتَه لِمعاونةِ أعدائه، فنزعه منك إذ استظهرْتَ به على معصيةِ اللّه. فقال عبد الله: [الكامل]

أَدْنُو لِتَرْحَمَني وتَجْبرَ فَاقَتِي فَأَراكَ تَدْفَعُنِي فَأينَ المَدْفَعُ؟

فتبسَّمَ عبد الملك، وقال له: إلى النّار، فمَنْ أنتَ الآن؟ قال: أنا عبد الله بنُ الحجّاج الثّعلبيُّ، وقد وَطِئتُ دارَكَ وأكلْتُ طعامك، وأنشدْتُك، فإن قتلتَنِي بعد ذلك فأنت وما تراه، وأنتَ بما عليك في هذا عارف. ثم عاد إلى إنشادِه، فقال:

[الكامل]

ضَاقَتْ ثِيَابُ المُلبِسينَ وفَضلُهُمْ عَنِّي فَألْبِسْنِي فَثَوْبُكَ أوْسَعُ

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه، وقال: البسه، لا لَبِسْتَ! فالتحفَ به، ثم قال له عبدُ الملك: أَوْلَى لكَ واللّه، لقد طاولتُكَ طمَعاً في أن يقوم بعض هؤلاءِ فيقتلَكَ، فأبى اللّه ذلك، فلا تجاورْني في بَلَدٍ، وانصرِفْ آمناً، قُمْ حيثُ شئتَ.

قال اليزيدي في خبره: قال عبد الله بن الحجّاج: ما زلتُ أتعرّفُ منه كلّ ما أكره حتى أنشدتُه قولي:

ضَاقَتْ ثِيابُ المُلبِسينَ وفَضلُهُمْ عَنِّي فَألْبِسْني فَثَوْبُكَ أوْسَعُ

فرمى عبد الملك مُطْرفة، وقال: البسه. فلبستُه.

ثم قال: آكل يا أمير المؤمنين؟ قال: كل. فأكل حتّى شبع، ثم قال: أمِنْتُ وربِّ الكعبة؟ فقال: كنْ من شئْتَ إلاّ عبدَ اللّه بن الحجاج. قال: فأنا واللّه هو، وقد أكلْتُ طعامَكَ، ولبست ثِيابَك، فأيُّ خوفٍ عَلَيَّ بعدَ ذلك؟ فأمضى له الأمان.

ونسخت من كتاب أحمد بنِ يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي، قال: كان عبد الله بن الحجاج قد خرج مع نجدةَ بنِ عامرٍ الحنفِيّ الشاري، فلمّا انقضى أمرُهُ هرب، وضاقت عليه الأرضُ من شدّة الطلب، فقال في ذلك: [الطويل]

رَأَيتُ بِلادَ اللّهِ وهْيَ عَرِيضَةٌ على الخَائفِ المَطرودِ كِفَّةَ حَابِلِ[٢]

---

(١) مشاقّة: معاداة.

(٢) كِفّةُ الصائد: مِضيدته.

تُــؤَدِّي إلَــيْــهِ أنَّ كُــلَّ ثَــنِــيَّــةٍ تَيَـمَّـمَـهـا تَرْمِـي إلـيـهِ بِقَـاتِـلِ[١]

[أحيح بن خالد يغدر به عندما التجأ إليه]

قال: ثم لجأ إلى أُحَيْح بنِ خالدِ بنِ عُقبةَ بن أبي مُعيطٍ، فسَعَى به[٢] إلى الوليدِ بن عبد الملك، فبعث إليه بِالشُّرَط، فَأُخِذَ من دار أُحَيْح، فَأُتِيَ به الوليدُ فحبسه، فقال وهو في الحبس: [الوافر]

أَقُــولُ وذَاكَ فَــرْطُ الــشَّــوقِ مِــنّــي لِعَيْنِي، إذْ نَأَتْ ظَمْيَاءُ، فِيضِي
فَـمَـا لِـلْـقَـلْـبِ صَـبْـرٌ يَـوْمَ بَـانَـتْ ومَـا لِـلـدَّمْـعِ يُسْفَحُ مِنْ مَغِيضِ[٣]
كَــأَنَّ مُــعَــتَّــقــاً مِــنْ أَذْرِعَــاتٍ بِمَاءِ سَحَابَةٍ خَصِرٍ فَضِيضِ[٤]
بِـفِـيـهـا، إذ تُـخَـافِـتُـنِـي حَـيَـاءً بِـسِـرٍّ لا تَـبُـوحُ بـه خَـفِـيـضِ

يقول فيها:

فَـإنْ يُـعْـرِضْ أبـو الـعَـبَّـاسِ عَـنّـي ويَـرْكَـبْ بـي عَـرُوضـاً عَـنْ عَـرُوضِ
ويَـجْـعَـلْ عُـرْفَـهُ يَـومـاً لِـغَـيْـري ويُـبْـغِـضْـنـي فَـإنّـي مِـن بَـغِـيـضِ
فَــإنّــي ذو غِــنًــى وكَــرِيــمُ قَــوم وفِــي الأَكْــفَــاءِ ذو وَجْــهٍ عَــرِيــض
غَـلَـبْـتَ بَـنِـي أبـي الـعَـاصِـي سَـمَـاحـاً وفي الـحَـرْبِ الـمُـذَكَّـرَةِ الـعَـضُـوضِ[٥]
خَـرَجْـتَ عَـلَـيْـهِـمُ فـي كُـلِّ يَـوْم خُروجَ القِدْحِ مِنْ كَفِّ الْمُفِيضِ[٦]
فِـدًى لـكَ مَـنْ إذا مـا جِـئْـتُ يَـوْمـاً تَـلَـقَّـانِـي بِـجَـامِـعَـةٍ رَبُـوضِ[٧]
عـلـى جَـنْـبِ الـخُـوانِ وذاكَ لُـؤْمٌ وبِـئْـسَـتْ تُـحْـفَـةُ الـشَّـيْـخِ الـمَـرِيـض
كَــأنّــي إذْ فَــزِعْــتُ إلــى أُحَـيْـحٍ فَـزِعْـتُ إلـى مُـقَـوْقِـيَـةٍ بَـيُـوضِ[٨]

---

(١) تؤدّي إليه: تخيّل إليه.
(٢) سعى به: وشى به.
(٣) غاض الدمعَ: حَبَسَهُ.
(٤) المُعَتَّق: الشراب عُتِّق زماناً. وأذرعات: بلدة بأطراف الشام اشتهرت بالخمر (معجم البلدان ١/ ١٣٠). والخَصِر: البارد. والفضيض: المنتشر.
(٥) المذكّرة العضوض: الشديدة.
(٦) المُفِيض: الذي يضرب قِداح الميسر ليعرف الرابح.
(٧) الجامعة: الغُلّ. والرّبوض: الضخمة الثقيلة.
(٨) المقوقية: المصوّتة.

إوَزّةِ غَيْضَةٍ لَقِحَتْ كِشَافاً ... لِقُحقُحِها إذا دَرَجَتْ نَقِيضُ[١]

قال: فدخل أحيحٌ على الوليد بن عبد الملك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنّ عبدَ الله بن الحجّاج قد هجاك. قال: بماذا؟ فأنشده قوله: [الوافر]

فَإنْ يُعْرِضْ أبو العَبَّاس عَنّي ... ويَرْكَبْ بي عَروضاً عن عَرُوضِ

ويَجْعَلْ عُرْفَهُ يَوماً لِغَيْرِي ... ويُبْغِضْني فَإنّي مِنْ بَغِيضِ

فقال الوليد: وأيُّ هجاءٍ هذا! هو من بغيض إن أعرضْتُ عنه، أو أقبلْتُ عليه، أو أبغضته، ثم ماذا؟ فأنشده:

كَأنّي إذ فَزِعْتُ إلى أُحَيْحٍ ... فَزِعْتُ إلى مُقَوْقِيَةٍ بَيُوضِ

فضحك الوليد، ثم قال: ما أراهُ هجا غيرك. فلمّا خرج من عنده أحيح أمر بتخليةِ سبيل عبدِ الله بن الحجّاج، فَأُطْلِقَ. وكان الوليدُ إذا رأى أُحَيْحاً ذكر قول عبدِ الله فيه فيضحك منه.

كثير بن شهاب يضربه مائة سوط ويحبسه فيهجوه

حَدَّثنا أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ، قال: حَدَّثنا عمرُ بنُ شَبَّةَ، قال: حَدَّثنا خلادُ بنُ يزيدَ الأرقط عن سالمِ بن قتيبةَ. وحَدَّثني يعقوبُ بنُ القاسم الطلحي، قال: حَدَّثني غير واحدٍ، منهم عبدُ الرحمٰن بنُ محمدٍ الطَّلْحِيُّ، قال: حَدَّثني أحمدُ ابنُ معاويةَ، قال: سمعت أبا علقمة الثقفيَّ يحدث. قال أبو زيدٍ[٢]: وفي حديث بعضِهم ما ليس في حديثِ الآخر، وقد ألَّفتُ ذلك، قال: كان كثير بنُ شهاب بنِ الحصين بن ذي الغُصّة بنِ يزيد بنِ شدّاد بنِ قَنَان بن سلمة بنِ وهب بن عبد الله بنِ ربيعة بنِ الحارثِ بنِ كعبٍ، على ثغر الرَّيّ، ولاّه إيّاه المغيرةُ بنُ شعبة إذ كان خليفةَ معاوية على الكوفة، وكان عبدُ الله بنُ الحجّاج معه، فأغار النّاسُ على الدَّيْلَم، فأصاب عبد الله بن الحجّاج رجلاً منهم، فأخذ سَلَبَهُ[٣]، فانتزعه منه كَثِير،

(١) الغيضة: الموضع الكثير الشجر والماء. والكِشاف: أن تلقح حين تبيض. والقُحقُح: العظم المطيف بالدبر. والنقيض: الصوت.

(٢) أبو زيد: هو عمر بن شبّة.

(٣) السّلَب: ما يُسلَب.

وأمر بضربه، فضُرِبَ مائةَ سوطٍ، وحُبسَ، فقال عبدُ الله في ذلك، وهو محبوس:

[الطويل]

تُسَائِلُ سَلْمَى عَنْ أَبِيها صِحَابَهُ ... وقد عَلِقَتْهُ من كَثِيرٍ حَبَائِلُ[١]

فلا تَسْأَلِي عَنّي الرِّفَاقَ فَإنَّهُ ... بِأَبْهَرَ لا غَازٍ ولا هو قَافِلُ[٢]

أَلَسْتُ ضَرَبْتُ الدَّيْلَمِيَّ أَمَامَهُمْ ... فَجَدَّلْتُهُ فيه سِنَانٌ وعَامِلُ[٣]

فمكث في الحبس مدّةً ثم أُخْلِيَ سبيلُه، فقال: [الطويل]

سَأُتْرِكُ ثَغْرَ الرَّيِّ ما كُنْتَ والِياً ... عليه لأَمْرٍ غَالَنِي وشَجَانِي

فَإِنْ أَنَا لم أُدْرِكْ بِثَأْرِي وأَتَّئِرْ ... فلا تَدْعُنِي لِلصِّيْدِ من غَطَفَانِ[٤]

تَمَنَّيْتَنِي يا بنَ الحُصَيْنِ سَفَاهَةً ... ومَا لَكَ بي يا بنَ الحُصَيْنِ يَدَانِ

فَإِنِّي زَعِيمٌ أَنْ أُجَلِّلَ عَاجِلاً ... بِسَيْفِي كِفَاحاً هَامَةَ ابنِ قَتَانِ[٥]

قال: فلمّا عُزِلَ كَثِيرٌ وقدمَ الكوفةَ كَمِنَ له عبد الله بنُ الحجاج في سوق التَّمّارين - وذلك في خلافة معاوية وإمارةِ المغيرة بن شعبة على الكوفة - وكان كَثير يخرج من منزله إلى القصر يحدِّثُ المغيرةَ، فخرج يوماً من داره إلى المغيرة يحدِّثه فأطال، وخرج من عنده مُمْسِياً يريد دارَه، فضربه عبدُ الله بعمودِ حديدٍ على وجهه فهتَّمَ[٦] مقاديم أسنانه كُلَّها، وقال في ذلك: [الطويل]

مَنْ مُبْلِغٌ قَيْساً وخِنْدِفَ أَنَّنِي ... ضَرَبْتُ كَثِيراً مَضْرِبَ الظَّرِبانِ[٧]

فَأُقْسِمُ لا تَنْفَكُّ ضَرْبَةُ وَجْهِهِ ... تُذِلُّ وتُخْزِي الدَّهرَ كُلَّ يَمَانِ

فإنْ تَلْقَنِي تَلْقَ امْرَأً قد لَقِيتَهُ ... سَرِيعاً إلى الهَيْجَاءِ غيرَ جَبَانِ

وتَلْقَ امْرَأً لم تَلْقَ أُمُّكَ بِرَّهُ ... على سَابحٍ غَوْجِ اللَّبانِ حِصانِ[٨]

---

(١) الحبائل: جمع الحِبالة: المِصْيَدة.

(٢) أبهر: اسم لعدة مواضع (معجم البلدان ١/ ٨٢).

(٣) جدَّلته: صرعته. وعامل الرمح: صدره.

(٤) لم أتَّئِرْ: لم أدرِكْ ثأري. والصِّيد: جمع الأصيد: الملك، أو هو المتكبّر لعلوّ مركزه.

(٥) زعيمٌ: كفيلٌ. وكفاحاً: مواجهةً.

(٦) هَتَّمَ: كَسَّر.

(٧) الظَّربان: دويبة كالهرّة نتنة الرائحة في وجهها خطٌّ، لذلك شبّه ضربته له في وجهه بالخط في وجه الظربان.

(٨) السّابح: الحصان. والغَوْجُ: اللَّيِّنُ الأعطاف من الخيل. واللَّبَان: صدر الفرس وذوات الحافر.

وحَوْلِيَ مِن قيسٍ وخِنْدِفَ عُصْبَةٌ ... كِرَامٌ على البَأْساءِ والحَدَثانِ
وإنْ تَكُ لِلسِّنْخِ الّذي غَصَّ بالحَصَى ... فإنّي لِقَرْمٍ يا كَثِيرُ هِجَانِ[1]
أنا ابنُ بَنِي قَيسٍ عَلَيَّ تَعَطَّفَتْ ... بَغِيضُ بنَ رَيْثٍ بَعْدَ آلِ دجانِ

وقال في ذلك أيضاً عبد الله بن الحجّاج: [الكامل]

مَنْ مُبْلِغٌ قَيساً وخِنْدِفَ أنّني ... أدْرَكْتُ مَظْلِمَتي مِنِ ابنِ شِهَابِ
أدْرَكْتُهُ أجْري على مَحْبُوكَةٍ ... سُرُحِ الجِرَاءِ طَويلَةِ الأقْرابِ[2]
جَرْداءَ سُرْحُوبٍ كَأنَّ هُوِيَّها ... تَغْلُو بِجُؤْجُئِهَا هُوِيُّ عُقَابِ[3]
خُضْتُ الظّلامَ وقد بَدَتْ لي عَوْرَةٌ ... منه فَأضْرِبه على الأنيابِ
فتَرَكْتُهُ يَكْبُو لِفِيهِ وأنْفِهِ ... ذَهِلَ الجَنانِ مُضَرَّجَ الأثْوابِ
هَلاّ خَشِيتَ وأنتَ عَادٍ ظَالِمٌ ... بِقصورِ أبْهَرَ نُصْرَتي وعِقَابي؟
إذ تَسْتَحِلُّ، وكان ذاك مُحَرَّماً ... جِلْدِي وتَنْزَعُ ظَالِماً أثْوَابي
ما ضَرَّهُ والحُرُّ يَطْلُبُ وِتْرَهُ ... بِأَشَمَّ لا رَعِشٍ ولا قَبْقَابِ[4]

[معاوية ينتصر لعبد الله بن الحجّاج ويصالحه مع كثير]

قال: فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفةِ إلى معاويةَ: إن سيّدنا ضربه خسيسٌ من غطفانَ، فإن رأيْتَ أن تُقيدنا من أسماء بن خارجة. فلما قرأ معاوية الكتاب قال: ما رأيتُ كاليوم كِتابَ قوم أحمقَ من هؤلاء. وحَبَس عبد الله بن الحجّاج، وكتب إليهم: «إنّ القَود ممن لم يَجْنِ محظورٌ، والجاني محبوسٌ، حبسته فليقتصَّ منه المَجْنِيُّ عليه». فقال كثيرُ بنُ شهابٍ: لا أستقيدها إلاّ من سيدِ مُضَر. فبلغ قوله معاوية فغضب وقال: أنا سيِّدُ مضرَ فليستقِدْها مِني، وأمَّن عبد الله بن الحجّاج، وأطلقه، وأبطل ما فعله بابنِ شِهاب، فلم يقتصَّ ولا أخذ له عقلاً[5].

قال أبو زيد: وقال خَلاّدٌ الأرقطُ في حديثه: إن عبدَ الله بن الحجاج لَمَّا

---

(١) السِّنْخ: الأصل. والقَرْم: السيّد المعظَّم. والهِجان: الرجل الكريم الحسيب.
(٢) المحبوكة: الفرس القوية. والسُّرُح: المنسرحة في سيرها السريعة. والأقراب: جمع قُرُب: الخاصرة.
(٣) الجرداء: القصيرة الشعر. والسُّرحون: الفرس الطويلة. والجؤجؤ: مقدّم الصدر. والهَوِيّ: السرعة. والعُقَاب: طائر من الجوارح قويّ المخالب.
(٤) الوِتْر: الثأر. والأَشَمُّ: ذو الأَنَفة. والرَّعِش: المضطرب. والقبقاب: الكذّاب.
(٥) العقل: الدِّية.

ضربه بالعمود، قال له: أنا عبد الله بن الحجاج صاحبُك بالرَّيِّ، وقد قابلتُك بما فعلْتَ بي، ولم أكنْ لأكتمَك نفسي، وأُقسِمُ بالله لئن طالبْتَ فيها بِقودٍ لأَقْتُلَنَّكَ. فقال له: أنا أقتصُّ من مثلِك، والله لا أرضى بالقِصاصِ إلا من أسماء بنِ خارجةَ! وتَكلَّمَتِ اليمانيةُ وتَحارَبَ النّاسُ بالكوفةِ، فكتب معاويةُ إلى المغيرةِ: أن أحضِرْ كثيراً وعبدَ الله بن الحجّاجِ فلا يبرحانِ من مجلسِكَ حتى يقتصَّ كَثِير أو يعفو. فأحضرهما المغيرة، فقال: قد عفوتُ وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله. قال: وقال لي: يا أبا الأقيرع[1]، والله لا نلتقي أنت ونحن جميعاً أهتمان، وقد عفوتُ عنك.

ونسخت من كتابِ ثعلبٍ عن ابن الأعرابي، قال: كان لعبد الله بن الحجّاجِ ابنان يقال لأحدِهما: عُوَين، والثاني جُندَب، فمات جندب وعبدُ الله حَيٌّ فدفنه بِظَهْرِ الكوفة، فمرّ أخوه عوين بِحَرَّاثٍ إلى جانب قبرِ جندب، فنهاه أن يقربَه بفدَانه، وحذَّره ذلك، فلما كان الغدُ وجده قد حرث جانبه، وقد نبشه وأضرَّ بِهِ، فشدَّ عليه فضربه بالسيف وعقر فدانه. وقال: [الطويل]

أقولُ لِحَرَّاثَيْ حَرِيمي جَنِّبا ... فَدَانَيكما لا تَحْرِثا قَبْرَ جندبِ
فإنَّكما إنْ تحرثاه تُشَرَّدا ... ويَذْهَبْ فَدَانٌ منكما كُلَّ مَذْهَبِ

[استعطافه عبد الملك ليعفو عن ابنه]

قال: فأُخذ عوين، فاعتقله السّجّان، فضربه حتَّى شَغَله بنفسه، ثم هرب، فوفد أبوه إلى عبدِ الملك فاستوهبَ جُرْمَه فوهبه، وأمر بِألاَّ يُتَعَقَّبَ، فقال عبد الله بن الحجّاج، يذكر ما كان مِن ابنِهِ عوين:

لَمِثْلُكَ يا عُوَيْنُ، فَدَتْكَ نَفسِي ... نَجَا مِنْ كُرْبَةٍ إن كَانَ نَاجِي
عَرَفْتُكَ مِنْ مُصَاصِ السِّنْخِ لَمَّا ... تَرَكْتَ ابنَ العُكامِسِ في العَجَاجِ[2]

قال: ولمّا وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مَثَل بين يديه، فأنشده: [الرجز]

يَابْنَ أبي العَاصي ويَا خَيْرَ فَتَى ... أَنتَ النَّجِيبُ والخِيَارُ المُصْطَفَى

---

(١) الأقيرع: تصغير الأقرع، وأبو الأقرع كنية عبد الله بن الحجّاج.
(٢) يقال: هو مُصَاصُ قومه: أي أخلصهم نسباً. والسِّنْخُ: الأصل. والعجاج: الغبار.

أنـتَ الَّـذي لَـمْ تَـدَعِ الأَمْـرَ سُـدًى حِيـنَ كَشَفْـتَ الظُّلُمَاتِ بِالـهُدى
مـا زِلْـتَ إنْ نَـازِ علـى الأَمْرِ انْتَزَى قَـضَـيْـتَـهُ إنَّ الـقَـضَـاءَ قـد مَـضَـى[1]
كـمـا أَذَقْـتَ ابْـنَ سـعـيـدٍ إذ عَـصَـى وابْـنَ الـزُّبَـيْـرِ إذ تَـسَـمَّـى وطَـغَـى
وأنـــتَ إنْ عُـــدَّ قَـــدِيـــمٌ وبِـــنَـــى من عَبْدِ شَمسٍ في الشَّماريخِ العُلَى[2]
جِيبَتْ قُرَيْشٌ عَنْكُمُ جَوْبَ الرَّحَى هل أنتَ عَافٍ عن طَريدٍ قد غَوَى[3]
أَهْـوَى عـلـى مَـهْـوَاةِ بِـئْـرٍ فـهَـوَى رَمَـى بـه جُـوْلٌ إلـى جُـولِ الـرَّجـا[4]
فـتـجـبـرَ الـيـومَ بـه شـيـخـاً ذَوَى يَـغْـوِي مع الـذِّئْـبِ إذا الـذِّئْـبُ عَـوَى
وإنْ أرادَ الـنَّـوْمَ لـم يَـقْـضِ الـكَـرَى مِـنْ هَـوْلِ مـا لاَقَـى وأهـوالِ الـرَّدَى
يَـشْـكُـرُ ذَاكَ مـا نَـفَـعـتْ عَـيْـنٌ قَـذَى نَـفْـسِـي وآبَـائِـي لـكَ الـيـومَ الـفِـدَا

فأمر عبدُ الملك بتحمُّل ما يلزمُ ابنَه مِن غُرْم وعَقْل، وأمّنه.

ونسخت من كتاب ثعلبِ عن ابن الأعرابيّ، قال: وفد عبد الله بن الحجّاج إلى عبد العزيز بن مروانَ ومدحه، فأجزل صِلته، وأمره بأن يقيمَ عنده ففعل، فلمّا طال مُقامُه اشتاق إلى الكوفةِ وإلى أهله، فاستأذن عبدَ العزيز فلم يأذَنْ له، فخرج من عندِه غاضباً، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشرٍ أن يمنعه عطاءَه، فمنعه، ورجع عبدُ الله لما أَضَرَّ بِهِ ذلك إلى عبد العزيز، وقال يمدحه: [الطويل]

تَـرَكْـتُ ابـنَ لـيـلـى ضَـلَّـةً وحَـرِيـمَـهُ وعِـنْـدَ ابـنِ لَـيْـلَـى مَـعْـقِـلٌ ومُـعَـوَّلُ
أَلـم يَـهْـدِنـي أَنَّ الْـمُـرَاغَـمَ وَاسِـعٌ وأنَّ الـدِّيـارَ بِـالـمُـقِـيـمِ تَـنَـقَّـلُ[5]
سـأحـكـمُ أَمْـري إنْ بَـدَا لِـيَ رُشْـدُه وأَخْـتَـارُ أَهْـلَ الـخَـيْـرِ إنْ كُـنْـتُ أَعـقَـلُ
وأتـركُ أَوطـاري وأَلْـحَـقُ بِـامْـرِئٍ تَـحَـلَّـبُ كَـفَّـاهُ الـنَّـدَى حِـيـنَ يُـسْـأَلُ[6]
أَبَـتْ لـكَ يـا عَـبْـدَ الـعَـزِيـزِ مَـآثِـرٌ وجَـرْيٌ شَـأَى جَـرْيَ الـجِـيـادِ وأَوَّلُ[7]
أَبَـى لـكَ إذْ أَكْـدَوْا وقَـلَّ عَـطَـاؤُهُـمْ مَـوَاهِـبُ فَـيَّـاضٍ ومَـجْـدٌ مُـؤَثَّـلُ[8]

(١) النازي: المتوثّب. وقضيته: أهلكته.
(٢) الشماريخ: جمع شِمراخ: رؤوس الجبال وأعاليها.
(٣) جِيبَتْ: أي جيبت قريش عنكم كما جيبت الرّحى عن قُطبها أي خُرِقَتْ قريشٌ عنكم فكنتم وسطاً.
(٤) الجُول: جدار البئر. والرَّجا: ناحية البئر وحافّتاها وهما رَجَوان.
(٥) المُراغَم: المهرب.
(٦) الأوطار: جمع الوطر: الحاجة.
(٧) شأى: سَبَقَ.
(٨) أكدى: قلّ عطاؤه. ومجدٌ مؤثّل: أصيل.

أَبُوكَ الَّذي يَنْمِيكَ مَرْوَانُ لِلعُلَى وسَعْدُ الفَتَى بِالخَالِ لا مَنْ يُخَوِّلُ

فقال له عبد العزيز: أمّا إذْ عرفتَ موضِعَ خطئك، واعترفتَ به فقد صفحْتُ عنك. وأمر بإطلاق عطائه، وَوَصَلَه، وقال له: أقِمْ ما شئت عندنا، أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت.

ونسخت من كتابه أيضاً: كان عمرُ بنُ هبيرةَ بن معيَّة بنِ سكينٍ قد ظلم عبد الله بن الحجاج حقاً له، واستعان عليه بقومه، فلَقُوه في بعلبك؛ فعاونوا عبد الله بن الحجاج عليه، وفرّقوه[1] بالسِّياط حتى انتزعوا حقَّه منه، فقال عبد الله في ذلك: [الوافر]

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي سَعْدٍ رَسُولاً وَدُونَهُمُ بُسَيْطَةُ فالمعاطُ[2]

أمِيطُوا عَنْكُمُ ضَرْطَ ابْنَ ضَرْطٍ فَإِنَّ الخُبْثَ مِثْلَهُمُ يُمَاطُ[3]

ولِي حَقٌّ فَرَاطَةُ أَوَّلِينَا قَدِيماً والحُقوقُ لها افتراطُ[4]

فما زَالَتْ مُبَاسَطَتي ومَجْدِي وما زَالَ التَّهَايُطُ والمِيَاطُ[5]

وجَدِّي بِالسِّيَاطِ عليكَ حَتَّى تُرِكْتَ وفي ذُنَابَاكَ انْبِساطُ[6]

مَتى ما تعترِضْ يوماً لِحَقِّي تُلاَقِكَ دونَه سُعْرٌ سِبَاطُ[7]

مِنَ الحَيَّيْنِ ثَعْلَبَةَ بْنَ سَعْدٍ ومَرَّةَ أَخْذُ جَمْعِهِمْ اغْتِباطُ[8]

تَرَاهُمْ في البيوتِ وهُمْ كُسَالَى وفي الهَيْجَا إذا هِيجُوا نِشَاطُ

والقصيدةُ التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجاج أولُها: [الطويل]

نَأَتْكَ ولم تَخْشَ الفِرَاقَ جَنُوبُ وشَطَّتْ نَوَى بِالظّاعنينَ شَعُوبُ[9]

طَرِبْتَ إلى الحَيِّ الَّذين تَحَمَّلوا بِبُرْقَةِ أَخْوَازٍ وأنتَ طَروبُ

---

(١) فرّقوه: خوّفوه.

(٢) بُسَيطة: أرض في البادية بين الشام والعراق (معجم البلدان ١/ ٤٢٣). والمعاط: اسم مكان.

(٣) يُمَاط: يُكْشَف.

(٤) الفَرَاطة: السابقة. ولها افتراط: يُخَافُ فَوْتُها.

(٥) التهايُط: اجتماع القوم وتصالحهم. والمِياط: التَّبَاعُد.

(٦) الذُنابى: ذنب الطائر.

(٧) السُّعْر: جمع الأسعر: القليل اللحم الظاهر العصب. والسِّباط: الطوال.

(٨) الاعتباط: رمي النفس في الحرب بغير إكراهٍ.

(٩) شَعوب: مفرِّقة.

فَظَلْتُ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي مُدَامَةٌ تمنى بها شَكْسُ الطِّباع أَرِيبُ
تُمِرُّ وتَسْتَحلي على ذاكَ شَرْبُها لِوَجْهِ أَخِيها في الإناءِ قُطُوبُ
كُمَيْتٌ إذا صُبَّتْ وفي الكَأسِ وَرْدَةٌ لها في عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبُ
تَذَكَّرْتُ ذِكْرَى من جَنُوبَ مصيبة وما لكَ من ذِكرى جَنُوبَ نَصِيبُ
وأنَّى تُرَجِّي الوَصْلَ منها وقد نَأَتْ وتَبْخَلُ بِالموجودِ وَهْيَ قريبُ
فما فوقَ وَجْدي إذ نَأَتْ وَجْدُ وَاجِدٍ مِنَ النَّاسِ لو كانَتْ بذاكَ تُثِيبُ
بَرَهْرَهَةٌ خَوْدٌ كَأَنَّ ثِيابَها على الشَّمْسِ تَبْدُو تَارةً وتغيبُ[1]

وهي قصيدةٌ طويلة.

[الحجّاج يحرّض عبد الملك عليه وعبد الملك يمنع الحجاج من التعرض له]

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابنِ الأعرابي، قال: كتب الحجّاج إلى عبدِ الملك بن مروان يُعَرِّفُه آثار عبدِ الله بنِ الحجاج، وبلاءَه من محاربته، وأنه بلغه أنه أَمَّنَهُ، ويُحَرِّضه ويسأله أن يوفده إليه لِيتولَّى قَتْلَه، وبلغ ذلك عبدَ الله بنَ الحجّاج، فجاء حتّى وقف بين يدَيْ عبد الملك، ثم أنشده: [الطويل]

أَعُوذُ بِثَوْبَيْكَ اللَّذَيْنِ ارْتَدَاهُما كَرِيمُ الثَّنا مِن جَيْبِهِ المِسْكُ يَنْفَحُ[2]
فإنْ كنتُ مَأْكُولاً فكنْ أَنتَ آكِلي وإنْ كُنْتُ مَذْبُوحاً فكنْ أَنْتَ تَذْبَحُ

فقال عبد الملك: ما صنعْتَ شيئاً. فقال عبدُ الله: [الطويل]

لأَنْتَ وخَيْرُ الظَّافِرِينَ كِرامُهُمْ عَنِ المُذْنِبِ الخَاشي العِقابَ صَفُوحُ
ولو زَلِقَتْ مِنْ قَبْلِ عَفْوِك نَعْلُهُ تَرامى به دَحْضُ المَقَامِ بَرِيحُ[3]
نَمَى بكَ إنْ خَانَتْ رِجالاً عُرُوقُهمْ أُرُومٌ ودِينٌ لم يَخُنْكَ صَحِيحُ[4]
وَعُرْفٌ سَرَى لم يَسْرِ في النَّاس مِثْلُهُ وشَأْوٌ على شَأْوِ الرِّجَالِ مَتوحُ[5]

---

(١) البَرَهْرَهة: المرأة الشابة البيضاء الناعمة.
(٢) نفح الطِّيبُ يَنْفَحُ: انتشرت رائحته. والجيب: طوق القميص.
(٣) المكان الدَّحضُ: الزَّلِقُ. والبريح: المتعب.
(٤) الأُرُوم: جمع الأرومة: الأصل.
(٥) العُرْف: المعروف والكرم. والشَّأو: السبق والغاية. والمتوح: البعيد.

تَـدَارَكَـنـي عَـفْـوُ ابـنِ مـروانَ بـعـدمـا جَـرَى لـي مـن بـعـدِ الـحـيـاةِ سَـنِـيـحُ[١]
رَفَـعْـتُ مُـرِيـحـاً نَـاظِـرَيَّ ولـم أَكَـدْ مِـنَ الـهَـمِّ والـكَـرْبِ الـشَّـديـدِ أريـحُ

فكتب عبد الملك إلى الحجّاج: إني قد عرفْتُ من خُبْثِ عبدِ الله وفسقِه ما لا يزيدني علماً به، إلاّ أنه اغتفلني متنكّراً؛ فدخل داري، وتحرّم بطعامي، واستكساني فكسوته ثوباً من ثيابي، وأعاذني فأعذته، وفي دون هذا ما حَظَر عليَّ دَمَه، وعبدُ الله أقلُّ وأذلُّ من أن يُوقِعَ أمراً، أو ينكثَ عهداً في قتله خوفاً من شرّه، فإنْ شَكَرَ النِّعمةَ وأقامَ على الطّاعة فلا سبيلَ عليه، وإن كفر ما أُوتِيَ وشَاقَّ الله ورسولَه وأولياءه فالله قَاتِلُه بسَيفِ البَغْيِ الّذي قُتِلَ به نظراؤُه ومَنْ هو أشدُّ بأساً وشكيمة منه، من الملحدين، فلا تعرِضْ له ولا لأحدٍ من أهل بيتِه إلاَّ بخيرٍ، والسَّلام.

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصّولي، قال: حَدَّثنا الحَزَنْبَلُ عن عمرِو بنَ أبي عمرو الشيباني، قال: كانت في القريتين[٢] بركةٌ من ماء، وكان بها رجل من كلب يقال له دَعْكنةُ، لا يدخل البركةَ معه أحدٌ إلاّ غَطّهُ حتى يغلِبَه، فغطّ يوماً فيها رجلاً من قيسٍ بحضرة الوليدِ بنِ عبد الملكِ حتّى خرج هارباً، فقال ابنُ هبيرة وهو جالس عليها يومئذٍ: اللّهُمَّ اصببْ علينا أبا الأقيرِعِ عبدَ الله بن الحجاج. فكان أوّلَ رجلٍ انحدرت به راحلته، فأناخها ونزل، فقال ابنَ هُبيرة للوليد: هذا أبو الأقيرع والله يا أمير المؤمنين، أيهما أخزى الله صاحِبه به. فأمره الوليد أن ينحطّ عليه في البركة والكلبيُّ فيها واقفٌ متعرّضٌ للناس وقد صدّوا عنه. فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّي أخاف أن يقتلني فلا يرضَى قومي إلاّ بقتله، أو أقتلَه فلا يرضى قومُه إلاّ بمثل ذلك، وأنا رجلٌ بدويٌّ ولستُ بصاحب مال. فقال دعكنةُ: يا أمير المؤمنين، هو في حلّ وأنا في حلّ. فقال له الوليدُ: دونك. فتكأكأ[٣] ساعةً كالكارِهِ حتى عزم عليه الوليد، فدخلِ البركة، فاعتنقَ الكلبيَّ وهوى به إلى قعرها، ولزمَه حتّى وجد الموت، ثم خَلّى عنه، فلمّا علا غطّه غطّةً ثانية، وقام عليه ثم أطلقه حتى تَرَوَّح، ثم أعاده وأمسكه حتّى مات، وخرج ابنُ الحجّاج وبَقِيَ الكلبيُّ، فغضب الوليد وهمّ به، فكلّمه يزيد وقال: أنت أكرهته، أفكان يُمَكِّنُ الكلبيَّ من نفسه حتّى يقتله؟ فكفّ

(١) السنيح: السّانح: هو الطائر الذي يأتي من شمال الإنسان إلى يمينه وكان العرب يتفاءلون به.
(٢) القريتان: قرية كبيرة من قرى حمص (معجم البلدان ٤/ ٣٣٥).
(٣) تكأكأ: نكصَ وجبنَ.

عنه. فقال عبد الله بن الحجّاج في ذلك: [البسيط]

نَجّانِيَ اللَّهُ فَرْداً لا شَرِيكَ له ... بالقَرْيَتَيْنِ ونَفْسٌ صُلْبَةُ العُودِ
وذِمَّةٌ مِنْ يَزِيدِ حَالَ جَانِبُها ... دُوني فَأُنْجِيتُ عَفْواً غيرَ مجهودِ
لولا الإِلٰهُ وصَبْرِي في مُغَاطستِي ... كان السَّليمَ وكنت الهَالِكَ المُودِي

صوت

[البسيط]

يا حَبَّذا عَمَلُ الشَّيْطانِ مِنْ عَمَلٍ ... إنْ كانَ من عَمَلِ الشَّيطانِ حُبِّيها
لَنَظْرَةٌ من سُلَيْمَى اليَومَ واحدَةٌ ... أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنيا وما فِيها

الشعرُ لِنَاهِض بنِ ثُومة الكلابيِّ، أَنْشَدَنِيه هاشمُ بنُ محمدٍ الخزاعيُّ، قال: أنشدنا الرياشيُّ قال: أنشدنا ناهضُ بنُ ثومةَ أبو العطاف الكلابيُّ هذين البيتين لنفسه، وأخبرني بمثل ذلك عمي عن الكُرانيِّ عن الرياشي، والغناءُ لأبي العبيس بن حمدون ثقيلٌ أوّل يُنشد بالوُسطى.

أخبار ناهض بن ثُومَة ونسبه

[توفي نحو ٢٢٠ هـ/ نحو ٨٣٥ م]

[اسمه وبعض أخباره]

هو ناهضُ بن ثُومة بن نصيحِ بنِ نَهِيكِ بنِ إمامِ بنِ جهضَم بن شهاب بنِ أنس ابنِ ربيعة بنِ كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر بدويٌّ فارس فصيح، من الشعراءِ في الدولة العباسية، وكان يَقْدُمُ البصرةَ فَيُكْتَبُ عنه شعره، وتؤخذ عنه اللّغة. روى عنه الرِّيَاشيّ، وأبو سراقة، ودَماذ وغيرهُم من رواة البصرة. وكان يهجوه رجلٌ من بني الحارثِ بنِ كعبٍ، يقال له: نافعُ بنُ أشعر الحارثيُّ، فأثرى عليه ناهض[١]. فمما قاله في جوابِ قصيدةٍ هجا بها قبائلَ قيسٍ، قصيدةُ ناهضٍ التي أوّلها: [الطويل]

أَلاَ يَا اسْلَمَا يَأَيُّهَا الطَّلَلاَنِ ... وهَلْ سَالِمٌ بَاقٍ على الحَدَثَانِ؟
أَبِينا لنا، حُيِّيتُما اليَوْمَ، إنَّنَا ... مُبِينَانِ عَنْ مَيْلٍ بِمَا تَسَلانِ
مَتَى العَهْدُ مِنْ سَلْمَى الّتي بَتَّتِ القُوَى ... وأَسْمَاءَ إنَّ العَهْدَ مُنْذُ زَمَانِ[٢]
ولا زَالَ يَنْهَلُّ الغَمَامُ عَليكما ... سَبِيلَ الرُّبَى مِنْ وَابِلٍ ودِجَانِ[٣]
فَإنْ أَنْتُما بَيَّنْتُما أو أَجَبْتُما ... فلا زِلْتُما بِالنُّبْتِ تَرْتَدِيَانِ
وجُرَّ الحَرِيرُ والفِرِنْدُ عليكما ... بِأَذْيَالِ رَخْصَاتِ الأَكُفِّ هِجَانِ[٤]
نَظَرْتُ ودُوني قِيدُ رُمْحَيْنِ نَظْرةً ... بِعَيْنَيْنِ إِنْسَانَاهُمَا غَرِقَانِ[٥]

---

(١) أثرى عليه: كان أكثر منه.
(٢) بَتَّتْ: قطعت.
(٣) الوابل: المطر الشديد. والدِّجان: جمع الدَّجْن: المطر الكثير.
(٤) الفِرِنْد: ضرب من الثياب. والرَّخص: الناعم اللَّيِّن. والهجان: البيض.
(٥) القِيد: المقدار. وإنسان العين: سوادها.

إلى ظُعُنٍ بالعاقِرَيْنِ كأنَّها قَرائِنُ مِنْ دَوْحِ الكَثِيبِ ثَمانِ[١]
لِسَلْمَى وأسماءَ اللَّتَيْنِ أَكَنَّتَا بِقَلْبِي كَنِينَيْ لَوْعَةٍ وضَمانِ[٢]
عَسَى يُعقِبُ الهَجْرُ الطَّويلُ تَدانِياً ويا رُبَّ هَجْرٍ مُعْقِبٍ بِتَداني
خَلِيلَيَّ، قد أكثَرْتُما اللَّوْمَ فارْبَعا كَفانِيَ ما بِي لو تُرِكْتُ كَفاني[٣]
إذا لم تَصِلْ سَلْمَى وأسْماءُ في الصِّبا بِحَبْلَيْهِما حَبْلِي فَمَنْ تَصِلانِ؟
فَدَعْ ذا ولكنْ قد عَجِبْتُ لِنَافِعٍ ومَعْوَاهُ من نَجرانَ حيثُ عَواني[٤]
عَوَى أَسَداً لا يَزْدَهِيهِ عِوَاؤُهُ مُقِيماً بِلَوْذَيْ يَذْبُلٍ وذِقانِ[٥]
لَعَمْرِي لقد قالَ ابنُ أَشْعَرَ نافِعٌ مَقالَةَ مَوْطُوءِ الحَرِيمِ مُهَانِ
أَيزعمُ أَنَّ العامِرِيَّ لِفِعْلِهِ بِعاقِبَةٍ يُرْمَى به الرَّجَوانِ[٦]
ويَذْكُرُ إنْ لاقاهُ زَلَّةَ نَعْلِهِ فَجِيءْ لِلَّذي لم يَسْتَبِنْ بِبَيَانِ
كَذَبْتَ ولكِنْ بابْنِ علبةَ جعفرٍ فدَعْ ما تَمَنَّى زَلَّتِ القَدَمانِ
أُصِيبَ فلم يُعْقَلْ وطُلَّ فلم يُقَدْ فذاكَ الَّذي يَخزَى به الأَبَوانِ[٧]
وحُقَّ لِمَنْ كان ابْنُ أشعرَ ثائِراً به الطَّلُّ حَتّى يُحْشَرَ الثَّقَلانِ[٨]
ذَليلٌ ذَليلُ الرَّهْطِ أَعْمَى يَسُومُهُ بنو عامرٍ ضَيْماً بكلِّ مكانِ
فلم يَبْقَ إلاّ قولُهُ بِلِسانِهِ وما ضَرَّ قَوْلٌ كاذِبٌ بِلِسانِ
هَجا نافعٌ كعباً لِيُدْرِكَ وِتْرَهُ ولم يَهْجُ كعبٌ نافعاً لأوانِ
ولم تَعْفُ مِنْ آثارِ كعبٍ بِوجْهِهِ قَوارِعُ منها وُضَّحٌ وقَوانِ[٩]
وقد خَضَبُوا وجهَ ابنِ علبةَ جعفرٍ خِضابَ نَجِيعٍ لا خِضابَ دِهانِ[١٠]

---

(١) العاقِرَان: أرضان في وادي العقيق (معجم البلدان ٤/ ٦٨). والكثيب: التلّ من الرمل.
(٢) كَنِينَي: مثنّى كنين: مكنون. والضّمان: المرض الملازم.
(٣) ربع: أقام بالمكان واستقرّ.
(٤) معواه: صوته.
(٥) اللَّوْذ: جانب الجبل ومنعطف الوادي. ويَذْبُل: جبل مشهور بنجد (معجم البلدان ٥/ ٤٣٣). وذِقان: جبل (معجم البلدان ٣/ ٦).
(٦) الرَّجَوَان: مثنى رَجَا: ناحية البئر. وفي المثل: «رُمِيَ به الرَّجَوان» أي طُرِحَ في المهالك وهو يستخدم في الاستهانة بالشخص.
(٧) العقل: الدِّية. وطُلَّ الدَّمُ: هُدِرَ. والقَوَد: قتل القاتل بالقتيل.
(٨) الثَّقلان: الإنس والجنّ. .
(٩) القوارع: الإصابات. والقواني: الشديدة الحمرة.
(١٠) النَّجيع: دم الجوف.

فلم يَهْجُ كعباً نافعٌ بعد ضربةٍ ... بسيفٍ ولم يَطْعَنْهمُ بِسِنانِ
فما لك مَهْجَى يابنَ أشعرَ فاكْتَعِمْ ... على حَجَرٍ واصْبِرْ لكلِّ هوانِ[1]
إذا المرءُ لم ينهضْ فيثأرْ بِعَمِّهِ ... فليسَ يُجَلِّي العَارُ بالهَذَيانِ
أبي قيسُ عَيْلانٍ وعَمِّي خِنْدِفٌ ... ذَوا البذْخِ عند الفَخْرِ والخَطَرانِ[2]
إذا ما تَجَمَّعْنا وسَارَتْ جِذَاءَنا ... ربيعةُ لم يُعدَلْ بنا أَخَوانِ[3]
أليسَ نَبِيُّ اللَّهِ مِنَّا مُحَمَّدٌ ... وحَمْزَةُ والعَبَّاسُ والعُمَرَانِ
ومِنّا ابنُ عبّاسٍ ومِنّا ابنُ عَمِّهِ ... عَلِيٌّ إمامُ الحقِّ والحَسَنانِ
وعُثمانُ والصِّدِّيقُ مِنّا وإنَّنا ... لَنَعْلَمُ أنَّ الحَقَّ ما يَعدانِ
ومنا بَنُو العَبَّاس فَضْلاً فَمَنْ لكُمْ ... هَلُمُّوه أوْلا يَنْطِقَنَّ يَمَانِ

قال: فأنشد ناهضٌ هذه القصيدةَ أيوبَ بنَ سليمان بنِ علي بالبصرة، وعنده خالٌ له مِن الأنصار، فلمَّا خَتَمها بهذا البيتِ قال الأنصاري: أخرسنا أخرسه اللَّه!

وكان جدّه نصيحٌ شاعراً، وهو الذي يقول: [الطويل]

ألاَ مَنْ لِقَلْبٍ في الحِجازِ قَسِيمُهُ ... ومنه بِأكنافِ الحِجازِ قَسِيمُ
معاوِدِ شَكْوَى أنْ نَأَتْ أمُّ سالِمٍ ... كما يَشْتكِي جُنْحَ الظَّلام سَليمُ[4]
سَلِيمٌ لِصِلٍّ أَسْلَمَتْهُ لِمَا بِهِ ... رُقًى قَلَّ عنه دَفْعُها وتَمِيمُ[5]
فلم تَرِمِ الدَّارَ البُرَيْصَاءَ فالصَّفَا ... صَفَاها فخَلاَّها فأينَ تَرِيمُ[6]؟
وَقَفْتُ عليها بَازِلاً نَاهِجيَّةً ... إذا لم أَزَعْها بالزِّمام تَعُومُ[7]
كِنَازاً مِنَ اللاَّتي كَأَنَّ عِظَامَها ... جُبِرْنَ على كسرٍ فَهُنَّ عثومُ[8]

---

(١) اكتعم على الحجر: شدَّ عليه بفمه.
(٢) الخَطَران في المشي: التبختر.
(٣) جِذاءنا: بجانبنا.
(٤) السَّليم: اللّديغ.
(٥) الصِّلّ: الحية. والرُّقى: التعاويذ. والتميم: جمع التميمة: خرزة أو نحوها تُعَلَّقُ في العنق دفعاً للعين.
(٦) تريم: تفارق.
(٧) البازل: ما كان في السنة التاسعة من الإبل. أنهجتُ الدابّة: سِرتُ عليها حتى انبهرت. وزعَ الجملَ: حرّكه بزمامه ليزيد في سيره. وتعوم: تسير سيراً سهلاً.
(٨) الكِناز: المجتمع اللحم القَوِيّةُ. والعثوم: التي انجبرت على غير استواء.

[ناهض يصفُ وليمة حضرها]

أخبرني الحسنُ بن علي الخفّافُ، قال حَدَّثنا محمدُ بن القاسم، قال: حَدَّثني الفضل بنُ العباس الهاشمي من ولدِ قُثَم بنِ جعفر بنِ سليمان عن أبيه، قال:

كان ناهض بن ثُومة الكلابيّ يَفِدُ على جَدّي قثم فيمدحه، ويَصِلهُ جدّي وغيره، وكان بدويّاً جافياً كأنَّه من الوحش، وكان طيِّب الحديث، فحدّثه يوماً أنهم انتجعوا ناحيةَ الشَّام، فقصد صديقاً له من ولدِ خالدِ بنِ يزيد بنِ معاوية كان ينزل حلبَ، فإذا نزل نواحِيَها أتاه فمدحه، وكان بَرّاً به، قال: فمررت بقرية يقال لها قرية بكرِ بن عبد الله الهلاليّ، فرأيت دوراً متباينة وخِصاصاً[1] قد ضُمَّ بعضُها إلى بعض، وإذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدبرون، عليهم ثيابٌ تَحْكِي ألوان الزّهر، فقلت في نفسي: هذا أحد العِيدَيْن: الأضحَى أو الفطرِ. ثم ثاب إليّ ما عَزَبَ عن عقلي، فقلت: خرجْتُ من أهلي في باديةِ البصرة في صفر، وقد مضى العِيدان قبل ذلك، فما هذا الّذي أرى؟ فبينا أنا واقفٌ متعجِّب أتاني رجل فأخذ بيدي، فأدخلني داراً قَوْراء[2]، وأدخلني منها بيتاً قد نُجِّدَ في وجههِ فُرُش ومُهِّدَتْ، وعليها شابٌّ ينالُ فروعُ شعرِه مَنكِبيه، والناس حوله سِماطان[3]، فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي حُكِيَ لنا جلوسُه على الناس وجلوسُ الناس بين يديه، فقلت وأنا ماثل بين يديه: السّلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته. فجذب رَجُلٌ يدي، وقال: اجلسْ فإن هذا ليس بأمير. قلت: فما هو؟ قال: عروس. فقلت: وا ثكل أُمَّاه، لَرُبَّ عَرُوسٍ رأيته بالبادية أهونُ على أهلِه من هَنٍ[4] أمّه. فلم أَنْشَبْ[5] أن دخل رجالٌ يحملون هَنَاتٍ[6] مُدَوَّراتٍ، أمّا ما خَفَّ منها فيُحْمَلُ حملاً، وأما ما كبر وثَقُلَ فيدحرج فَوُضِعَ ذلك أمامنا، وتحلَّقَ القومُ عليه حلقاً، ثم أُتِينا بِخِرقٍ بيضٍ فَأُلقيتْ بين أيدينا، فظننتُها ثياباً، وهَمَمْتُ أن أسألَ القوم منها خرقاً أُقطّعها قميصاً، وذلك أنّي رأيتُ نسجاً مُتَلاحِماً لا يبين له سَدىً ولا لُحمة[7]، فلمّا بسطَهُ القومُ بين أيديهم إذا

(١) الخِصاص: البيوت من القصب.
(٢) الدار القوراء: الواسعة.
(٣) السِّماط: الصَّفّ.
(٤) الهَنُ: الفَرْج.
(٥) لم أنشب: لم أزل.
(٦) هَنات: جمع هَنَة: أشياء.
(٧) السَّدَى من الثوب: ما مُدّ من خيوطه طولاً. واللُّحْمَة: ما نُسِجَ عرضاً.

هو يتمزَّقُ سريعاً، وإذا هو ـ فيما زعموا ـ صنفٌ من الخُبزِ لا أعرفه؛ ثم أُتينا بطعام كثيرٍ بينَ حلو وحامض، وحارٌ وبارِدٍ؛ فأكثَرْتُ منه وأنا لا أعلم ما في عَقِبِه من التَّخَم والبَشَم[1]؛ ثم أُتِينَا بشرابٍ أحمرَ في عِسَاس[2]، فقلت: لا حاجة لي فيه، فإني أخاف أن يقتلني. وكان إلى جانبي رجل ناصح لي أحسن اللّٰه جزاءه، فإنَّه كان ينصحُ لي من بين أهل المجلِسِ، فقال: يا أعرابيّ، إنكَ قد أكثرْتَ من الطّعام، وإن شربْتَ الماء هَمَى[3] بطنُك. فلما ذكر البطن تذكّرت شيئاً أوصاني بِهِ أبي والأشياخُ من أهلي، قالوا: لا تزال حيّاً ما كان بطنُك شديداً فإذا اختلف[4] فأوصِ. فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به، وجعلْتُ أُكْثِرُ منه فلا أَمَلُّ شربَه، فتداخلني من ذلك صَلَفٌ[5] لا أعرفه من نفسي، وبكاءٌ لا أعرِفُ سبَبه ولا عهدَ لي بمثله، واقتدارٌ على أمري أظنُّ معه أني لو أردْتُ نَيْلَ السَّقفِ لَبَلغْتُه، ولو ساورْتُ[6] الأسد لقتلته، وجعلْتُ ألتفت إلى الرجل النّاصح لي فَتُحَدِّثُني نفسي بِهَتْم أسنانه وهَشْم أنفه، وأهُمُّ أحياناً أن أقول له: يابن الزّانية! فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطِينُ أربعة، أحدهم قد عَلَّقَ في عنقه جَعبةً فارسيَّة مشنّجة[7] الطرفين دقيقة الوسط، مشبوحة بالخيوط شَبْحاً مُنْكَراً؛ ثم بدر الثاني فاستخرج من كُمِّهِ هَنَةً سوداء كَفَيْشلة[8] الحمار، فوضعها في فِيهِ، وضرط ضُراطاً لم أسمع ـ وبيتِ الله ـ أعجَبَ منه، فاستتمَّ بها أمرهم، ثم حرّك أصابِعه على أَجْحِرَةٍ[9] فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ تشبه بالضراط ولكنّه أتى منها لمّا حرك أصابِعَه بصوتٍ عجيبٍ متلائم متشاكل بعضُه لبعض، كأنه، علم اللّٰه، ينطِقُ. ثم بدا ثالث كزٌّ مَقيت[10] عليه قميصٌ وسخٌ، معه مِرآتانِ، فجعل يصفِّق بِيديه إحداهما على الأُخرى فخالطتا

(١) البَشَم: التُّخمَة.
(٢) العِسَاس: جمع عُسّ: القدح الكبير.
(٣) همى بطنه: انطلق.
(٤) اختلف: أصابه إسهال.
(٥) الصَّلَف: التكبّر وادّعاء ما فوق القدرة.
(٦) ساورته: واثبته.
(٧) المشنّجة: المتقبّضة.
(٨) الفَيْشَلة: الحَشَفة.
(٩) الأجحرة: جمع جُحْر: ثقوب.
(١٠) الكَزّ: الجهم المُتَقَبِّض.

بصوتهما ما يفعله الرجلان، ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفّان أجذمان[1] لا ساق لواحدٍ منهما، فجعل يقفِزُ كأنه يَثِبُ على ظهور العقاربِ، ثم التبط به على الأرضِ، فقلت: معتوهٌ وربِّ الكعبةِ! ثم ما برح مكانه حتّى كان أغبط القومِ عندي. ورأيت القوم يحذفونه بالدراهم حذفاً منكراً، ثم أرسل النساءُ إلينا: أنْ أمتِعونا من لهوكم هذا. فبعثوا بهم، وجعلنا نسمع أصواتهنّ من بعدٍ، وكان معنا في البيتِ شابٌّ لا آبَ له، فَعَلَتِ الأصواتُ بالثّناء عليه والدّعاءِ، فخرج فجاء بخشبةٍ عيناها في صدرِها، فيها خيوطٌ أربعة، فاستخرج من خِلالها عوداً فوضعه خلف أُذنِه، ثم عركَ آذانها وحرّكها بخشبة في يده فنطقت ـ وربِّ الكعبة ـ وإذا هي أحسنُ قَيْنةٍ رأيتُها قطُّ، وغَنَّى عليها، فأطربني حتى استخفّني من مجلِسي، فوَثَبْتُ فجلستُ بين يديه، وقلتُ: بأبي أنت وأمي، ما هذه الدّابةُ فلست أعرفها للأعراب وما أراها خُلِقَتْ إلاّ قريباً. فقال: هذا البَرْبَط[2]؟ فقلت: بأبي أنت وأمّي، فما هذا الخيط الأسفل؟ قال: الزّير[3]. قلت: فالذي يليه؟ قال: الْمَثْنَى. قلت: فالثالث؟ قال: الْمَثْلث[4]. قلت: فالأعلى؟ قال: البَمُّ[5]. قلت: آمنتُ بالله أوّلاً، وبك ثانياً، وبالبربط ثالثاً، وبالبمِّ رابعاً.

قال: فضحك أبي، واللّه، حتّى سقط، وجعل ناهضٌ يعجب من ضحكِهِ، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديثَ، ويُطْرفُ به إخوانه فيعيده ويضحكون منه.

وقد أخبرني بهذا الخبر أحمدُ بن عبد العزيز الجوهري، قال: حَدَّثنا عليُّ بن محمد النوفليُّ، عن أبيه، قال: كان محمدُ بن خالد بن يزيد بن معاويةَ بحلب، فأتاه أعرابيٌّ، فقال له: حَدِّث أبا عبد الله ـ يعني الهيثم بنَ النّخعي ـ بما رأيت في حاضر المسلمين. فحدّثه بنحو من هذا الحديث، ولم يُسَمِّ الأعرابيَّ باسمه، وما أجدَرَه بأن يكون لم يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفْهُ الذي حدّث به النوفليّ عنه.

[استعداء الكعبي على مَنْ عقر إبله]

نسخت من كتاب لعلي بن محمد الكوفي فيه شعرُ ناهض بن ثومة قال: كان

(١) أجذمان: مقطوعان.
(٢) البَرْبَط: العود.
(٣) الزّير: أدقّ أوتار العود.
(٤) المَثْلَث: الثاني من أوتار العود.
(٥) البَمّ: الوتر الغليظ من أوتار المزهر.

رجلٌ من بني كعب قد تزوّجَ امرأةً من بني كلاب. فنزل فيهم ثم أنكر منها بعضَ ما ينكره الرجلُ من زوجته فطلّقها، وأقام بموضعه في بني كلاب، وكانوا لا يزالون يستخفُّون به ويظلمونه، وإنَّ رجلاً منهم أوردَ إبله الماء فوردت إبلُ الكعبيِّ عليها، فزاحمتْه، لكنها ألقته على ظهره فتكَشَّفَ، فقام مُغْضَباً بسيفه إلى إبل الكعبيّ، فعقر منها عدَّةً، وجَلاَها عن الحوض، ومضى الكعبيُّ مستصرخاً بني كلابٍ على الرجل، فلم يُصْرخوه، فساق باقي إبله واحتمل بأهله حتى رجع إلى عشيرته، فشكا ما لَقِيَ من القوم واستصرخَهم، فغضبوا له، وركبوا معه حتى أتَوْا حِلّة بَني كلاب، فاستاقوا إبْلَ الرجل الذي عَقَرَ لصاحبهم، ومضى الرجلُ فجمع عشيرته، وتداعت هي وكعبُ للقتال، فتحاربوا في ذلك حرباً شديداً. وتمادَى الشّرُّ بينهم، حتى تساعَى حلماؤهم في القضية، فأصلحوها على أن يُعقَل[1] القتلى والجرحى، وتُردَّ الإبل، وتُرْسَلَ من العاقر عِدّةُ الإبل التي عقرها للكعبيّ، فتراضوا بذلك واصطلحوا، وعادوا إلى الإلفة، فقال في ذلك ناهضُ بنُ ثومةَ: [الوافر]

أَمِـنْ طَـلَـلٍ بِـأَخْـطَـبَ أَبْـدَتْـهُ ... نِـجَـاءُ الـوَبْـلِ والـدِّيَـمُ الـنِّـضَـاحُ[2]

ومَـرُّ الـدَّهْـرِ يَـومـاً بـعـدَ يَـوْمٍ ... فـمـا أَبْـقَـى الـمَـسـاءُ ولا الـصَّـبَـاحُ

فـكـلُّ مـحَـلَّـةٍ غَـنِـيَـتْ بِـسَـلـمـى ... لِـرَيْـدَاتِ الـرِّيَـاحِ بـهـا نُـوَاحُ[3]

تَـطُـلُّ عـلـى الـجفـونِ الـحُـزْنَ حَـتّـى ... دُمُـوعُ الـعَـيْـنِ نَـاكِـزَةٌ نـزاحُ[4]

وهي طويلةٌ يقول فيها:

هَـنِـيـئـاً لـلـعِـدَى سُـخْـطٌ وزَغْـمٌ ... ولِـلـفَـرْعَـيْـنِ بـيـنـهـمـا اصْـطِـلاحُ

ولِـلـعَـيْـنِ الـرُّقَـادُ فـقـد أَطَـالَـتْ ... مُـسَـاهَـرةً ولِـلْـقَـلْـبِ انْـتِـجَـاحُ

وقـد قـالَ الـعُـدَاةُ نَـرى كـلابـاً ... وكَـعْـبـاً بـيـنَ صُـلـحِـهـمـا افـتـتَـاحُ

تَـدَاعَـوْا لِـلـسَّـلامِ وأمـرِ نُـجْـحٍ ... وخَـيْـرُ الأمـرِ مـا فـيـه الـنَّـجَـاحُ

ومَـدُّوا بـيـنـهـم بـحِـيَـالِ مَـجْـدٍ ... وثَـدْيٍ لا أَجَـدُّ ولا ضَـيَـاحُ[5]

---

(١) العقل: الدِّية.

(٢) أخطب: اسم جبل بنجد لبني سهل بن أنس بن ربيعة (معجم البلدان ١/ ١٢٣). وأَبْدَته: أوحشته. ونِجاء: جمع نَجْو: السَّحاب الذي أراق ماءه. والدِّيَم: جمع دِيمة: مطر يدوم في سكون لبعض الوقت. والنِّضاح: التي تنضح بالماء.

(٣) الرَّيدات: جمع الرَّيْدَة: الريح الليّنة الهبوب.

(٤) تَطُلُّ الحُزْنَ: تُبطله. والناكزة: التي فَني ماؤها. والنزاح: التي فنيَ ماؤها أيضاً.

(٥) الأجدّ: المقطوع. والضَّياح: اللّبن الرقيق الممزوج بالماء.

ألـم تـرَ أنَّ جـمـعَ الـقـومِ يُـخـشَـى … وأنَّ حَـريـمَ واحِـدِهِـم مُـبَـاحُ
وأَنَّ الـقِـدْحَ حـيـنَ يـكـونُ فَـرْداً … فـيُـهْـصَـرُ لا يـكـونُ لـه اقْـتِـدَاحُ[١]
وإنَّـكَ إن قَـبَـضْـتَ بـهـا جَـمـيـعـاً … أَبَـتْ مـا سُـمْـتَ واحـدَهـا الـقِـدَاحُ
أنـا الـخَـطَّـارُ دونَ بَـنِـي كِـلابٍ … وكَـعْـبٍ إنْ أُتِـيـحَ لـهـمْ مُـتَـاحُ[٢]
أنـا الـحَـامـي لَـهُـمْ ولِـكُـلِّ قَـرْمٍ … أَخٌ حَـامٍ إذا جَـدَّ الـنِّـضَـاحُ[٣]
أنـا الـلَّـيْـثُ الَّـذي لا يَـزْدَهِـيـهِ … عُـوَاءُ الـعَـاوِيـاتِ ولا الـنُّـبَـاحُ
سَـلِ الـشُّـعَـراءَ عَـنِّـي هـل أَقَـرَّتْ … بِـقَـلْـبـي أو غَـفَـتْ لـهـمُ الـجِـراحُ
فـمـا لِـكَـواهـلِ الـشُّـعَـراءِ بُـدٌّ … مـن الـقَـتَـبِ الَّـذي فـيـه لَـحَـاحُ[٤]
ومِـنْ تَـوْرِيـكِ راكِـبِـهِ عـلـيـهِـمْ … وإنْ كَـرِهُـوا الـرُّكـوبَ وإنْ أَلَاحـوا[٥]

ونسخْتُ من هذا الكتاب الذي فيه شعره، أنّ وقعةً كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي ديار مضر، وكانت لكلابٍ على بني نُمير؛ وأن نميراً استغاثت ببني تميم، ولجأت إلى مالِكِ بن زيدٍ سيّد تميم يومئذٍ بديار مضر، فَمَنَعَ تميماً من إنجادِهم، وقال: ما كنّا لِنُلْقيَ بين قيس وخِنْدِفٍ دِماءً نحن عنها أغنياء، وأنتم وهم لنا أهلٌ وإخوة، فإن سعيْتم في صلح عَاوَنَّا، وإن كانت حَمَالة[٦] أَعَنَّا، فأمَّا الدّماءَ فلا مدخلَ لنا بينكم فيها. فقال ناهض بن ثُومةَ في ذلك:

سَـلامُ الـلَّـهِ يـا مَـالِ بـنِ زيـدٍ … عـلـيـكَ وخَـيْـرُ ما أُهْـدِي الـسَّـلاما[٧]
تَـعَـلَّـمْ أَيُّـنَـا لَـكُـمُ صَـدِيـقٌ … فـلا تـسـتـعـجـلـوا فـيـنـا الـمَـلاما
ولَـكِـنَّـا وحَـيُّ بَـنِـي تَـمِـيـمٍ … عُـدَاةٌ لا نَـرَى أبـداً سَـلامـا
وإنْ كُـنَّـا تَـكـافَـفْـنـا قَـلِـيـلاً … كَـحَـرْفِ الـسِّـيْـفِ يـنـهـارُ انْـهِـدَاما[٨]
وهَـيْـضُ الـعَـظْـمِ يُـصـبِـحُ ذا انْـصِـدَاعٍ … وقـد ظَـنَّ الـجَـهُـولُ بـهِ الـتـئـامـا

---

(١) القِدْح: العود. ويُهصَر: يُكسَر. والاقتداح: الضرب به.
(٢) الخَطّار: الذي يخطر بالسيف ويهزّه معجَباً. والمُتَاح: ما يُتاح ويقدّر.
(٣) القَرْم: السيّد. والنِّضاح: الدفاع.
(٤) القَتب: الرّحل. واللّحاح: العقر والكسر.
(٥) ألاحوا: أعرضوا.
(٦) الحَمَالة: الدِّيَة.
(٧) يا مال: يا مالك.
(٨) السِّيف: ساحل البحر والوادي.

فلن نَنْسَى الشَّبَابَ الْمُرْدَ مِنَّا ولا الشَّيبَ الجَحَاجِحَ والكِرَاما[1]
ونَوْحَ نَوَائحٍ مِنَّا ومِنْهُمْ مَآتِم ما تَجِفُّ لهمْ سِجَاما
فكيف يكونُ صُلْحٌ بعدَ هذا يُرَجِّي الجاهلونَ لهم تِمَاما؟
ألاَ قُلْ لِلقَبائِلِ من تَمِيم وخُصَّ لِمَالِكٍ فيها الكَلاما
فزِيدُوا يا بَنِي زيدٍ نُمَيْراً هَوَاناً إنه يُدْني الفِطاما
ولا تُبْقُوا على الأعداءِ شَيْئاً أَعَزَّ اللهُ نَصْرَكُمُ ودَامَا
وَجَدْتُ المَجْدَ في حَيَّيْ تَمِيم ورَهْطِ الهَذْلَقِ المُوفي الذِّماما[2]
نجومُ القَوْم ما زالوا هُداةً وما زَالُوا لآبِيهِمْ زِمَاما[3]
هُمُ الرَّأسُ المُقَدَّمُ من تَميم وغَارِبُها وأَوْفَاها سَنَاما[4]
إذا ما غَابَ نَجْمٌ آبَ نَجْمٌ أَغَرُّ تَرى لِطَلْعَتِه ابْتِسَاما
فهَذِي لابْنِ ثُومَةَ فَانْسُبُوها إليه لا اخْتِفَاءَ ولا اكْتِتَاما
وإنْ رَغِمَتْ لِذَاكَ بَنُو نُمَيْرٍ فلا زَالَتْ أُنُوفُهُمُ رِغَاما[5]

قال: يعني بالهَذْلَقَ الهذلق بنَ بشير، أخا بني عتيبة بن الحارث بن شهاب، وابنيه علقمةَ وصباحاً.

قال: وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تُصب كلاباً ولا نميراً، فلما ظفرت كلابٌ قال لهم ناهض: [الطويل]

ألاَ هَلْ أَتَى كَعْباً على نَأْيِ دَارِهِمْ وخُذْلانِهِمْ أَنَّا سَرَرْنا بَنِي كَعْبِ
بِمَا لَقِيَتْ مِنَّا نُمَيْرٌ وجَمْعُها غَدَاةَ أَتَيْنا في كتائِبِنَا الغُلْبِ
فيا لكَ يَوْماً بِالحِمَى لا نَرَى له شَبِيهاً وما في يَوْم شَيْبانَ مِنْ عَتْبِ
أَقَامَتْ نُمَيْرٌ بِالحِمَى غيرِ رغبةٍ فكانَ الَّذي نَالَتْ نُمَيْرٌ مِنَ النَّهْبِ
رُؤوسٌ وأَوْصَالٌ يُزَايِلُ بينَها سِبَاعٌ تَدَلَّتْ مِنْ أبانَيْنِ والهَضْبِ[6]

(١) الجحاجح: جمع جحجح: السادة.
(٢) الذِّمام: الحقّ والحرمة.
(٣) الآبي: الكاره، وهو زِمام القوم: أي مُقَدِّمهم.
(٤) الغارب: أعلى كلّ شيء. والسَّنام من القوم: شريفهم.
(٥) الرِّغام: الذَّليلة.
(٦) أبانان: جبلان يقال لأحدهما أبان الأبيض وهو لبني فزارة، وأبان الأسود وهو لبني أسد (معجم البلدان ١/ ٦٢).

لَنا وَقَعاتٌ في نُمَيرٍ تَتابَعَتْ بِضَيمٍ على ضَيمٍ ونَكْبٍ على نَكْبِ
وقد عَلِمَتْ قَيْسُ بنُ عيلانَ كُلُّها ولِلحربِ أبناءٌ بِأنّا بَنُو الحَرْبِ
ألم تَرَهُمْ طُرّاً علينا تَحزَّبُوا وليس لنا إلاّ الرُّدَيْنيَّ مِنَ حزبِ[1]
وإنّا لِنَقْتادُ الجِيادَ على الوَجَى لأعْدائِنا مَنْ لا مُدانٌ ولا صَقْبُ[2]
ففي أيِّ فَجٍّ ما رَكَزْنا رِماحَنا مَخُوفٍ بِنَصْبٍ لِلْعِدا حين لا نَصْبُ[3]

أخبرنا جعفرُ بن قدامة بنِ زيادٍ الكاتبُ، قال: حَدَّثني أبو هِفَّان، قال: حَدَّثني غُرَيْرُ بن ناهض بن ثومة الكلابي، قال: كان شاعر من نمير يقال له رأسُ الكبش، قد هاجى عُمارة بنَ عقيل بن بلال بن جرير زماناً، وتناقضا الشعر بينهما مدّةً، فلمّا وقعت الحرب بيننا وبين بني نمير قال عمارة يحرّض كعباً وكلاباً ابني ربيعة على بني نمير في هذه الحرب التي كانت بينهم، فقال: [الطويل]

رَأيتُكُما يَابْنَيْ رَبيعةَ خُرْتُما وعَوَّلْتُما والحَرْبُ ذاتُ هَرِيرِ[4]
وَصَدَّقْتُما قَوْلَ الفَرَزْدَقِ فِيكما وكَذَّبْتُما بالأمسِ قولَ جَريرِ
فإنْ أنتُما لم تَقْذِعا الخَيْلَ بِالقَنا فَصيرا مع الأنباطِ حيثُ تصيرُ[5]
تَسُومُكما بَغْياً نُمَيْرٌ هَضِيمةً سَتُنْجِدُ أَخْبارٌ بِهِمْ وتَغُورُ[6]

قال: فارتحلت كلابٌ حين أتاها هذا الشعر، حتى أتوا نميراً وهم في هضبات يقال لهنَّ واردات[7]. فقتلُوا واجتاحوا، وفضحوا نميراً، ثم انصرفوا، فقال ناهض بن ثومةً يجيب عُمارةَ عن قوله: [الوافر]

وَيَحْضُضنا عُمَارةُ في نُمَيْرٍ لِيَشْغَلَهُمْ بِنَا وبِهِ أَرَابُوا[8]
ويَزْعَمُ أَنَّنا خُزْنا وأَنّا لهم جَارُ المقرّبةِ المصابُ

---

(١) طُرّاً: جميعاً. والرُّدَينيّ: رمح منسوب إلى ردينة وهي امرأة كانت تقوّم الرماح.
(٢) الوجى: الحفا. والمدان: القريب. والصَّقْب: القريب أيضاً. وفي البيت إقواء.
(٣) النَّصْب: البلاء، الشر.
(٤) خرتما: ضعفتما. وعوّلتما: رفعتما صوتكما بالبكاء.
(٥) قذع الخيل: ضربها. والأنباط: جمع النبط: جيل من العجم ينزل بين العراقين.
(٦) تنجد: تأتي نجداً. وتغور: تأتي الغور.
(٧) واردات: اسم مكان على يسار طريق مكة للذاهب إليها (معجم البلدان ٥/ ٣٤٧).
(٨) أرابوا: تشكّكوا.

سَلُوا عَنَّا نُمَيْراً هَلْ وَقَعْنا ... بِنَزْوَتِها الّتي كانَتْ تُهَابُ
ألم تَخْضَعْ لهم أَسَدٌ ودَانَتْ ... لهمْ سَعْدٌ وضَبَّةُ والرِّبَابُ
ونحنُ نَكُرُّها شُعْثاً عليهمْ ... عليها الشَّيبُ منها والشَّبابُ
رَغِبْنا عن دِمَاءِ بَنِي قُرَيعٍ ... إلى القَلْعَيْنِ، إنّهما اللُّبَابُ[(١)]
صَبَحْنَاهُمْ بِأَرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ ... يَدِفُّ كَأَنَّ رايَتَهُ العُقَابُ[(٢)]
أَجَشَّ مِنَ الصَّوَاهِلِ ذِي دَوِيٍّ ... تَلوحُ البِيضُ فيه والحِرَابُ[(٣)]
فأَشْعَلَ حينَ حَلَّ بِوَارِداتٍ ... وثَارَ لِنَقْعِهِ ثَمَّ انْصِبَابُ[(٤)]
صَبَحْنَاهُمْ بها شُعْثُ النَّوَاصِي ... ولم يُفْتَقْ مِنَ الصُّبْحِ الحِجابُ
فلم تُغْمَدْ سُيوفُ الهِنْدِ حتّى ... تَعَيَّلَتِ الحَليلةُ والكَعَابُ[(٥)]

صوت

[الكامل]

أَعَرَفْتَ من سَلمى رُسومَ دِيَارِ ... بالشَّطِّ بين مُخَفَّقٍ وصَحَارِ[(٦)]
وكَأَنَّمَا أَثَرُ النِّعَاجِ بِجَوِّهَا ... بِمَدَافِعِ الرُّكْبَيْنِ وَدْعُ جَواري[(٧)]
وسَأَلْتُها عن أهلِها فوَجَدْتُها ... عَمْيَاءَ جَاهِلَةً عَنِ الأخبارِ
فكَأَنَّ عَيْنِي غَرْبُ أَدْهَمَ دَاجِنٍ ... مُتَعَوِّدِ الإقبالِ والإدبارِ[(٨)]

الشعرُ للمخبّل السّعدي، والغناءُ لإبراهيم، هزجٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاقَ. قال الهشامي: فيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ، ولِعنانَ بنت خويط خفيفُ رمل.

---

(١) القلعان: هما صَلاءة وشريح ابنا عمرو بن خُوَيلفة بن عبد الله بن الحارث بن نمير.
(٢) الأرعن: صفة للجيش، وهو الذي له فضول. يَدِفُّ الطائر؛ يحرّك جناحيه كالحمام.
(٣) الأجشّ: الغليظ الصوت. والصواهل: جمع الصّاهل: الفرس. والدَّوِيّ: الصوت القوي.
(٤) أشعلت الغارة: تفرّقت. والنَّقْع: الغبار. وثَمّ: ظرف بمعنى هناك يشار به إلى المكان البعيد.
(٥) تعيّلت: أهملت لموت عائلها. والكعاب: التي نهد ثديُها وبرز.
(٦) الشَّطّ: قرية في حَجْر اليمامة ومُخَفِّق: رمل في أسفل الدهناء بديار بني سعد (معجم البلدان ٥/ ٧٢).
(٧) الجوّ: ما اتّسع من الأرض واطمأنّ وبرز. والمدافع: جمع مدفع: هو مسيل الوادي. والركبان: موضع قريب من وادي القرى. والوَدْع: خرز بيض تخرج من البحر تتفاوت في الحجم.
(٨) الغَرْب: الدلو العظيمة. والأدهم: صفة للبعير وهو الأسود. والداجن: البعير الذي ألف البيوت.

أخبار المُخَبَّل ونسبه

[اسمه ونسبه وطبقته]

قال ابنُ الكلبيّ: اسمه الرّبيع بن ربيعة، وقال ابن دأب: اسمه كعب بن ربيعة. وقال ابنُ حبيب وأبو عمرو: اسمه ربيعةُ بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناةَ بن تميم. شاعرٌ فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ويكنى أبا يزيد، وإيَّاه عَنَى الفرزدقُ بقوله:

وَهَبَ القَصَائدَ لي النَّوَابِغُ إذ مَضَوْا ... وأبو يَزِيدَ وذو القُرُوحِ وجَرْوَلُ

ذو القروح: امرؤُ القيس. وجَرْوَل: الحُطَيئة. وأبو يزيد: المُخَبَّل. وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء، وقرنه بخداش بن زهير، والأسود بن يعفر، وتميم بن مقبل. وهو من المقلِّين، وعمّر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً، وأحسبه مات في خلافة عمرَ أو عثمانَ (رضي الله عنهما) وهو شيخ كبير. وكان له ابن، فهاجر إلى الكوفة في أيام عمر فجزع عليه جزعاً شديداً، حتى بلغ خبره عمر، فردّه عليه.

[جزعه على ابنه حين خرج لحرب الفرس]

أخبرني محمدُ بن الحسن بن دريد. قال: حَدَّثنا عبد الرحمٰن ابنُ أخي الأصمعي عن عَمّه، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ عن أبي غسان دماذ، عن ابن الأعرابي قال: هاجر شيبانُ بن المخبّل السّعدي، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه المخبَّل جزعاً شديداً، وكان قد أسنَّ وضعُفَ، فافتقَرَ إلى ابنه فافتقده. فلم يَملك الصّبرَ عنه، فكاد أن يُغْلَبَ على عقله، فعمد إلى إبله وسائر ماله فعرَضَه ليبيعَه ويلحقَ بابنه، وكان به ضنيناً، فمنعه علقمةُ بنُ

هَوذة بن مالك، وأعطاه مالاً وفرساً، وقال: أنا أُكلِّمُ أمير المؤمنين عمر في رَدِّ ابنكَ، فإن فعل غَنِمْتَ مالك، وأقمْتَ في قومك، وإن أبى استنفَقْتَ ما أعطيتُكَ ولَحِقْتَ به، وخلّفتَ إبلَكَ لعيالك. ثم مضى إلى عمر ـ رضوان الله عليه ـ فأخبره خبر المخبَّل، وجَزَعَه على ابنه، وأنشده قوله: [الطويل]

أَيُهْلِكُني شَيْبَانُ في كُلِّ لَيْلَةٍ؟ ... لِقَلبِي مِنْ خَوْفِ الفِراقِ وَجِيبُ[1]

أَشَيْبَانُ، ما أدراكَ أَنْ كلُّ ليلةٍ ... غَبقْتُكَ فيها والغَبوقُ حَبيبُ؟[2]

غَبَقْتُكَ عُظْمَاها سَنَاماً أَوِ انْبَرَى ... بِرِزقِكَ بَرّاقُ المُتُونِ أَرِيبُ[3]

أَشَيْبَانُ، إنْ تَأبى الجُيوشُ بِحَدِّهِمْ ... يُقَاسُونَ أَيَّاماً لَهُنَّ خطوبُ[4]

ولا هَمَّ إلاّ البَزُّ أو كلُّ سَابِحٍ ... عليه فَتًى شَاكِي السِّلاحِ نَجِيبُ[5]

يَذُودُونَ جُنْدَ الهُرْمُزَانِ كَأَنَّمَا ... يَذودُونَ أورادَ الكِلاَبِ تَلُوبُ[6]

فَإنْ يَكُ غُصْنِي أَصبحَ اليومَ ذَاوِياً ... وغُصْنُكَ من مَاءِ الشَّبَابِ رَطِيبُ

فَإِنّي حَنَتْ ظَهْرِي خُطُوبٌ تتابَعَتْ ... فَمَشْيِي ضَعيفٌ في الرِّجَالِ دَبِيبُ

إذا قالَ صَحْبِي يا رَبِيعُ أَلاَ تَرَى؟ ... أرى الشَّخْصَ كالشَّخْصَيْنِ وَهْوَ قَرِيبُ

ويُخْبِرُنِي شَيْبَانُ أَنْ لن يَعُقَّني ... تَعُقُّ إذا فَارَقْتَنِي وتَحُوبُ[7]

فلا تُدْخِلَنَّ الدَّهرَ قَبْرَكَ حَوْبَةً ... يقومُ بها يوماً عليكَ حَسِيبُ[8]

ـ يعني بقوله «حسيب» اللّه عَزَّ ذكره ـ

قال: فلما أنشد عمرَ بنَ الخطاب هذه الأبياتَ بكى ورَقَّ له، فكتب إلى سعد يأمره أن يُقْفِلَ[9] شيبانَ بنَ المخبّل ويردَّه على أبيه، فلمّا ورد الكتابُ عليه أعلم شيبانَ وردّه فسأله الإغضاء عنه، وقال: لا تَحْرِمَنِّي الجهادَ. فقال له: إنَّها عزمةٌ من

---

(١) الوجيب: الخفقان.

(٢) الغَبُوق: الشرب في العشيّ.

(٣) عظماها: اسم تفضيل من العِظَمِ. والسِّنَام من كلّ شيء: أعلاه.
وبَرّاق المتون: أراد به السيف. والأريب: الماهر.

(٤) الحدّ: السيف.

(٥) البَزّ: السلاح. والسابح: الفرس.

(٦) الهرمزان: الكبير من ملوك العجم. وتلوب: تحوم.

(٧) تحوبُ: تأثَمُ.

(٨) الحَوْبة: الذّنب والإثم.

(٩) يُقْفِله: يعيده.

عمر، ولا خيرَ لكَ في عصيانه وعقوقِ شيخك. فانصرَفَ إليه ولم يَزَلْ عنده حتى مات.

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بنِ عمارٍ والجوهريّ، قالا: حَدَّثنا عمرُ بن شَبَّةَ أنَّ شيبانَ بن المخبل كان يرعى إبل أبيه، فلا يزال أبوه يقول: أحسِنْ رِعْيَةَ إبلك يا بنيّ، فيقول: أراحني الله من رِعْيةِ إبلك. ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى، وانْحَدَرَ إلى البَصْرة، وشهد فتح تُسْتَر[١]، فقال: فذكر أبوه الأبيات، وزاد فيها قوله: [الطويل]

إذا قُلْتُ تَرْعَى قَالَ سَوْفَ تُرِيحُنِي ... مِنَ الرَّعْيِ مِذْعَانُ العَشِيِّ خَبُوبُ[٢]

قال أبو يزيد: وحدّثناه عتابُ بنُ زِيادٍ، قال: حَدَّثنا ابن المبارك، قال: حَدَّثنا مسعودٌ عن معن بنِ عبد الرحمٰن فذكر نحوه، ولم يقلْ: شيبان بن المخبَّل، ولكنه قال: «انطلق رجُلٌ إلى الشام»، وذكر القصةَ والشعرَ.

[المخبّل يهجو الزبرقان وأخته خليدة]

أخبرنا محمدُ بن العباس اليزيديّ، قال: حَدَّثني عمِّي عبيد الله، عن ابن حبيب، قال: خطب المخبّلُ السّعديُّ إلى الزِّبْرِقانِ بن بدرٍ أختَه خُليدةَ، فمنعه إيّاها، وردّه لشيء كان في عقله، وزوّجَها رجلاً من بني جُشم بن عوفٍ، يقال له: مالكُ بنُ أميّة بن عبد القيس، من بني محارب، فقتل رجلاً من بني نهشلٍ يقال له الجُلاَس بن مخرَبة بنِ جندل بنِ جابرِ بنِ نهشل اغتيالا، ولم يعلمْ به أحدٌ، فَفُقِدَ ولم يُعْلَمْ له خبرٌ، فبينما جارُ الزّبرقانِ الذي من عبد القيس قاتلُ الجُلاَس ليلةً يتحدّث إذ غلط، فحدّث هَزَّالاً بقتله الرجل، وذلك قبل أن يتزوّج هَزَّالٌ إلى الزّبرقان، فأتى هَزَّال عبد عمرِو بنِ ضَمْرة بن جابر بن نهشلٍ فأخبره، فدعا هزّالٌ قاتلَ الجلاس فأخرجه عن البيوتِ، ثم اعتوره هو وعبدُ عمرو فضرباه حتى قتلاه، ورجع هزّالٌ إلى الحيِّ وضرب عبدَ عمرو حتّى لجأ إلى أخواله بني عُطَارِدِ بن عوفٍ، فقالت امرأةُ مالكِ بن أمية المقتول: [الوافر]

أَجِيرانَ ابْنِ مَيَّةَ، خَبِّرونِي ... أَعَيْنٌ لابْنِ مَيَّةَ أمْ ضِمَارُ[٣]

---

(١) تُسْتر: مدينة عظيمة بخوزستان (معجم البلدان ٢/ ٢٩).
(٢) المِذعان: الناقة السّلِسة المِنقادة. والخَبُوب: التي تمشي الخَبَب وهو ضرب من العدو.
(٣) الضِّمار: ما لا يُرْجى رجوعه.

تَـجَـلَّـلَ خَـزْيَـهـا عَـوْفُ بـنُ كَـعْـبٍ　　فـلَـيـس لِـنَـسْـلِـهِـمْ مِـنْـهـا اعـتـذارُ

قال: فلما زوّج الزِّبْرِقانُ أخته خُلَيْدَةَ هزَّالاً بعد قتله جاره عِيبَ عليه، وعُيِّرَ به، وهجاه المُخَبَّل، فقال: [الطويل]

لَـعَـمْـرُكَ إنَّ الـزِّبْـرِقَـانَ لَـدَائِـمٌ　　على النَّاسِ تَغْدُو نَوْكُه ومَجَاهِلُهْ(١)

أأَنْـكَـحْـتَ هَـزَّالاً خُـلَـيْـدةَ بَـعْـدَمَـا　　زَعَـمْـتَ بِظَـهْـرِ الـغَـيْـبِ أَنَّكَ قَـاتِـلُـهْ

فَـأَنْـكَـحْـتَـه رَهْـواً كَـأَنَّ عِـجَـانَـهـا　　مَشَـقُّ إِهَـابٍ أَوْسَعَ السَّلْخَ نَاجِلُه(٢)

يُـلاعِـبُـهـا فـوقَ الـفِـرَاشِ وجَـارُكُـمْ　　بِـذِي شُـبْـرُمَـانٍ لـم تَـزَيَّـلْ مَـفَـاصِـلُـهْ(٣)

قال: ولَجَّ الهجاءُ بين المخبّل والزِّبْرِقان حتى تواقفا للمهاجاة واجتمع النّاس عليهما فاجتمعا لذلك ذاتَ يوم، وكان الزِّبْرقانُ أسودَهما، فابتدأ المخبل فأنشده قصيدته: [الكامل]

أُنْـبِـئْـتُ أَنَّ الـزِّبْـرِقـانَ يَـسُـبُّـنـي　　سَفِهاً ويَكْرَهُ ذو الحِرَيْنِ خِصَالي(٤)

قال: وإنما سماه ذا الحِرَيْنِ لأنه كانَ مُبَدَّناً، فكان له ثَدْيان عظيمان، فسبَّه بهما وشبَّهَهُما بِالحِرَيْن. ويقال: إنه إنما عَيَّره بأخته وابنته، ولم يكن للمخبَّل ابنٌ في الجاهلية، قال: [الكامل]

أَفَـلاَ يـفَـاخِـرُنـي لِـيَـعْـلَـمَ أَيُّـنـا　　أَدْنَـى لأَكْـرَمِ سُـودَدٍ وفِـعَـالِ(٥)

فلما بلغ إلى قوله:

وأبـوكَ بَـدْرٌ كـان مُـشْـتَـرِطَ الـخُـصَـى　　وأبـي الـجَـوَادُ رَبِـيـعـةُ بـنُ قِـتـالِ(٦)

فلما أنشده هذا البيت، قال:

وأبـوك بـدرٌ كـان مـشـتـرِط الـخُـصَـى　　وأبـــــي.............

---

(١) النَّوْك: الحمق.

(٢) الرَّهو من النساء: التي لا تمتنع من الفجور. وقيل: هي التي ليست بمحمودة عند الجماع. والعِجان: الإست. الناجل: الذي يشقّ الجلد.

(٣) شُبرمان: موضع ذكره ياقوت في (معجم البلدان ٣/ ٣٢١) ونسب البيت لحماس. ولم تَزَيَّلْ: لم تفرّق.

(٤) الحِرُ: الفَرْج.

(٥) السُّؤدد: الشرف.

(٦) مشترط الخصى: قاطِعُها.

ثم انقطع عليه كلامه، إمّا بِشَرَقٍ أو انقطاع نَفَس، فما علم النَّاسُ ما يريد أن يقوله بعد قوله: «وأبي». فسبقه الزّبرقان قبل أن يتمّ ويبين، فقال: صدقتَ، وما في ذاك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعةٍ. فغلبه الزبرقان، وضحكوا من قوله وتفرّقوا، وقد انقطع بالمخبّل قوله.

أخبرني اليزيديُّ، قال: حَدَّثني عَمّي عن عبيد الله عن ابن حبيب، قال: كان زرارةُ بنُ المخبَّل يَلِيطُ[1] حوضَه، فأتاه رجلٌ من بني عِلباءِ بنِ عوف، فقال له: صَارِعْني. فقال له زَرارةُ: إنّي عن صراعك لَمشغولٌ. فجذب بِحُجْزته[2] وهو غافلٌ فسقط، فصاح به فتيانُ الحيّ: صُرِعَ زرارةُ وغُلِبَ. فأخذ زرارةُ حجراً، فأخذ به رأسَ العلباويّ، فسأل المخبّلُ بغيضَ بنَ عامِرِ بن شماس أن يتحمَّل عن ابنه الدِّية، فتحمّلها وتخلّصه، وكسا المخبَّل حلةً حسنةً، وأعطاه ناقة نجيبةً، فقال المخبّلُ يمدحه: [الوافر]

لَعَمْرُ أَبيكَ لا أَلْقَى ابْنَ عَمٍّ ... على الحَدَثانِ خَيْراً مِنْ بَغِيضِ
أَقَلَّ مَلامَةً وأَعَزَّ نَصْراً ... إذا ما جِئْتُ بالأمرِ المَرِيضِ
كَسَانِي حُلَّةً وحَبَا بِعَنْسٍ ... أَبُسُّ بها إذا اضطرَبَتْ غُرُوضي[3]
غَدَاةَ جَنَى بُنَيَّ عَلَيَّ جُرْماً ... وكيف يَدَايَ بالحَرْبِ العَضُوضِ[4]
فقد سَدَّ السَّبِيلَ أبو حُمَيْدٍ ... كما سَدَّ المُخَاطَبَةَ ابنُ بيضٍ[5]

ـ أبو حميد: بغيضُ بنُ عامرٍ. وأما قوله: «كما سدّ المخاطَبةَ ابنُ بيض»، فإنّ ابن بيض: رجل من بقايا قوم عاد، كان تاجراً، وكان لقمانُ بنُ عادٍ يجيز له تجارتَه في كلِّ سنة بأجرٍ معلوم، فأجازه سنة وسنتين، وعاد التاجر ولقمانُ غائبٌ، فأتى قومه فنزل فيهم، ولقمانُ في سفره، ثم حَضَرَتِ التاجرَ الوفاةُ فخاف لقمانَ على بنيه ومالِه فقال لهم: إنَّ لقمانَ صائرٌ إليكم، وإنّي أخشاه إذا علم بموتي على مالي، فاجعلوا مالَه قبلي في ثوبه، وضعوه في طريقهِ إليكم، فإن أخذه واقتصر عليه فهو

---

(١) يليط الحوضَ: يطيّنه.
(٢) الحُجْزَة: موضع شدّ الإزار من وسط الإنسان، وهو أيضاً التمسُّك بالشيء.
(٣) العَنْس: الناقة الصلبة القوية. وأَبُسُّها: أسوقها سوقاً ليّناً أو أزجرها. والغُروض: جمع غَرَض: هو للرَّحْل كالحزام للسَّرْج.
(٤) الحرب العَضوض: الشديدة القاسية.
(٥) المثل في مجمع الأمثال للميداني ٣٢٩/١ وفي تمثال الأمثال ص ٤٥٤.

حقُّه، فادفعوه إليهِ واتَّقُوه، وإن تعدّاه رَجَوْتُ أن يكفِيَكُمُ اللَّه إيَّاه. ومات الرجل، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حَقَّه على طريقِهِ، فقال: «سَدَّ ابنُ بِيضٍ الطَّرِيقَ»، فأرسلها مثلاً، وانصرف وأخذ حَقَّهُ. وقد ذَكَرَتْ ذلك الشعراء، فقال بشامةُ بنُ عمرو: [المتقارب]

كَثَوْبِ ابْنِ بِيضٍ وَقَاهُمْ بِهِ ... فَسَدَّ على السَّالِكينَ السَّبِيلا

قال ابن حبيب: ولمّا حَشَدت بنو علباء للمطالبة بدمِ صاحِبهم، حَشَدت بنو قُريع مع بَغيض لنصر المخبَّل، ومشت المشيخة في الأمر، وقالوا: هذا قُتِلَ خطأً، فلا تُواقعوا الفتنةَ، واقْبَلوا الدِّيَةَ. فقبِلوها وانصرفوا، فقال زُرارةُ بنُ المخبّل يفخر بذلك: [البسيط]

فَازَ المُخَالِسُ لَمَّا أَنْ جَرَى طَلَقاً ... أَمَّا حُطَيْمُ بن عِلْبَاءَ فقد غُلِبَا
إنِّي رَمَيْتُ بِجُلْمُودٍ على حَنَقٍ ... مِنّي إليه فكانَتْ رِمْيَةً غَرَبا[1]
لَيْثاً إليَّ يَشُقُّ النَّاسَ مُنْفَرِجاً ... لَحْيَاهُ عَنَّانَةٌ لا يَتَّقِي الخَشَبا[2]
فَأَوْرَثَتْنِي قَتِيلاً إنْ لَقِيتُ وإنْ ... أَمَّلْتُ كانَتْ سَمَاعَ السَّوْءِ والحَرَبَا[3]

ثم أخذ بنو حازم جاراً لِبني قُشير، فأغار عليه المُنْتَشِر بنُ وهب الباهِليّ، فأخذ إبله، فسأل في بني تميم حتَّى انتهى إلى المخبّل، فلمّا سأله قال له: إن شِئْتَ فاعترِضْ إبلِي فخذْ خَيْرَها ناقةً، وإن شِئْتَ سعيْتُ لك في إبلِك. فقال: بل إبلِي. فقال المخبّل: [الطويل]

إنَّ قُشَيْراً مِنْ لِقَاحِ ابْنِ حَازِمٍ ... كَرَاحِضَةٍ حَيْضاً وليسَتْ بِطَاهِرِ[4]
فلا يَأْكُلَنْها البَاهِلِيُّ وتَقْعُدُوا ... لَدَى غَرَضٍ أَرْمِيكُمُ بِالنَّواقِرِ[5]
أَغَرَّكَ أَنْ قَالُوا لِعِزَّةِ شَاعِرٍ ... فَنَاكَ أَبَاهُ مِنْ خَفِيرٍ وشَاعِرِ

فلمّا بلغهم قولُ المخبّلِ سَعَوْا بإبله، فردّها عليهم حزنُ بن معاوية بن

---

(١) الجلمود: الحجر. والرِّميةُ الغَرَبُ: التي لا يُعْرَفُ رامِيها.
(٢) العنّانة: مبالغة من العَنَن: وهو اعتراض الموت.
(٣) الحَرَب: الهلاك.
(٤) الراحضة: الغاسلة.
(٥) النواقر: جمع الناقرة: المصيبة.

خفاجة بنِ عقيل، فقال المخبّل في ذلك: [الطويل]

تَـدَارَكَ حـزْنٌ بِـالـقَـنَـا آلَ عَـامِـرٍ قَفَا حَضـنٍ والكَرُّ بالخَيْلِ أَعْسَرُ(١)

فَإِنِّـي بـذا الـجَـارِ الـخَـفَـاجِـيِّ وَاثِـقٌ وقَلْبِي مِنَ الجَارِ العِبَاديِّ أوجرُ(٢)

إذا مـا عُـقَـيْـلِـيٌّ أَقَـامَ بِـذِمَّـةٍ شَرِيَكيْنِ فيها فالعِباديُّ أوجرُ(٣)

لَعَمْرِي لقد خَارَتْ خفاجةُ عَامِراً كما خِيرَ بَيْتٌ بِالعراقِ المُشَقَّرُ(٤)

وإنك لو تعطي العِباديَّ مِشْقَصاً لَرَاشَى كما رَاشَى على الطَّبْعِ أَبْخَرُ(٥)

ـ راشَى من الرِّشوة ـ

[اعتذاره من خليدة بنت بدر]

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي، قال: حَدَّثنا الرياشي، قال: حَدَّثنا الأصمعي، قال: مَرَّ المخبّلُ السَّعدي بِخُلَيْدَةَ بنتِ بدرٍ، أختِ الزِّبرِقان بن بدرٍ، بعد ما أسنَّ وضعفَ بصرُه، فأنزلته وقرّبته وأكرمته ووهبت له وليدة، وقالت له إنّي آثرتك بها يا أبا يزيدَ فاحتفظ بها. فقال: ومن أنتِ حتى أعرِفك وأشْكُركِ؟ قالت: لا عليكَ، قال: بلى واللَّه أسألك. قالت: أنا بعض من هتكْتَ بِشعرك ظالِماً، أنا خليدةُ بنت بدرٍ. فقال: واسوأتاه مِنك؛ فإني أستغفرُ اللَّه عزّ وجلّ، واستقِيلُكِ وأعتذِرُ إليك. ثم قال: [الطويل]

لقد ضَلَّ حِلْمِي في خُلَيْدَةَ إنّني سَأُعْتِبُ نَفْسِي بعدَها وأموتُ

فَأُقْسِمُ بِالرَّحْمَنِ إنِّي ظَلَمْتُها وجُرْتُ عليها والهِجَاءُ كَذُوبُ

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبَّل وأخبارِه يمدح بها عَلقمة بن هَوذة ويذكُر فِعلَه به وما وَهَبه له من ماله، ويقول: [الكامل]

فَجَزَى الإلٰهُ سَرَاةَ قَوْمِي نَضْرَةً وسَقَاهُمُ بِمَشَارِبِ الأَبْرَارِ

قَوْمٌ إذا خَافُوا عِثَارَ أَخِيهِمُ لا يُسْلِمُونَ أخَاهُمُ لِعِثَارِ

(١) حَضَن: جبل بأعلى نجد (معجم البلدان ٢/ ٢٧١). وقفاه: خلفه.

(٢) الأوجر: الخائف.

(٣) الأوجر: هنا: الكاره الناقض للعهد.

(٤) خارت: صارت خيراً منه. وخِيرَ: اصْطُفِيَ. والمشقّر: حصنٌ بالبحرين (معجم البلدان ٥/ ١٣٤).

(٥) المِشقّص من النصال: ما طالَ وعَرُضَ.

أَمْثَالُ عَلْقَمَةَ بنِ هَوْذَةَ إذْ سَعَى يَخْشَى عَلَيَّ مَتَالِفَ الأَبصارِ
أَثْنَوْا عَلَيَّ وأحْسَنُوا وتَرَافَدُوا لي بالمَخَاضِ البُزْلِ والأَبكارِ[١]
والشَّوْلِ يَتْبَعُها بَنَاتُ لَبُونِها شَرِقاً حَنَاجِرُها مِنَ الجَرْجارِ[٢]

أخبرنا أبو زيد، عن عبد الرحمٰن، عن عمّه، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حَدَّثني عمي عبيد الله، عن ابن حبيب. وأخبرني عمّي، قال: حَدَّثنا الكُرَانيّ، قال: حَدَّثنا العمريّ، عن لقيطٍ قالوا: اجتمع الزّبرِقانُ بن بدر والمخبّل السعديّ وعَبْدة بن الطّبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يُسلِموا، وبعدَ مبعث النبيﷺ، فَنَحروا جَزُوراً، واشترَوا خمراً ببعير، وجلسوا يشوون ويأكلون، فقال بعضهم: لو أنّ قوماً طاروا من جَودة أشعارهم لَطِرْنا. فتحاكموا إلى أوّل من يَطْلُعُ عليهم، فطلع عليهم ربيعة بن حُذار الأسديّ، وقال اليزيديّ: فجاءهم رجلٌ من بني يربوعٍ يسأل عنهم، فَدُلَّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون، فلما رأوه سَرَّهم، وقالوا له: أخبرنا أيُّنا أشعرُ؟ قال: أخاف أن تغضبوا، فآمَنُوه من ذلك، فقال: أما عمرو فشعره بُرودٌ يمنيّةٌ تُنْشَرُ وتُطْوَى، وأما أنتَ يا زبرقان فكأنك رجل أتى جَزوراً قد نُحِرَتْ، فأخذ من أطايبِها وخلطه بغير ذلك.

وقال لقيطٌ في خبره: قال له ربيعةُ بن حُذار: وأما أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضجْ فيُؤكَلَ، ولم يُتْرَكْ نَيْئاً فَيُنْتَفَعَ به، وأما أنتَ يا مخبَّلُ فشعرك شُهُبٌ من نار اللّهِ يلقيها على مَنْ يشاءُ، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمَزَادةٍ[٣] أُحْكِمَ خَرْزُها فليس يقطرُ منها شيءٌ.

أخبرنا اليزيديُّ، عن عَمّه، عن ابن حبيب، قال: كان رجل من بني امرىء القيس يقال له رَوْقٌ، مُجاوراً في بكرِ بنِ وائل باليمامة، فأغاروا على إبله وغدروا به، فأتى المخبّل يستمنِحُه، فقال له: إن شئْتَ فاخترْ خَيْرَ ناقةٍ في إبلي فخُذْها، وإن شِئْتَ سَعيْتُ لكَ. فقال: أن تَسعَى بي أحبُّ إليّ. فخرج المخبّل فوقف على

---

(١) المخاض: الحوامل من النوق. والبُزل: جمع البازل: ما بلغ التاسعة من الإبل. والأبكار: جمع البَكر: الفتيّ من الجمال.

(٢) الشَّوْل: جمع الشائلة: التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجَفّ لبنها. وابن اللّبون: ابن الناقة إذا كان في عامه الثاني واستكمله أو دخل في العام الثالث. الجرجار: عشبة لها زهرة صفراء اللون.

(٣) المَزَادة: وعاء من جلد يوضَع فيه الماء.

نادي[1] قومه، ثم قال: [مجزوء الكامل]

أَدُّوا إلــى رَوْحِ بْــنِ حَــسَّـــانَ بــنِ حَــارِثَــةَ بــنِ مُــنْــذِرْ
كَــوْمَــاءَ مُــذْفَــأَةً كَــأَنَّ ضُـرُوعَـهـا حَـمَّـاءُ أَجْـفَـرْ[2]
تَــأْبَــى إلــى بَــصَــصٍ تَــسُــحُّ المَخْضَ بِاللَّبَنِ القَضَنْفَرْ[3]

فقالوا: نَعَم ونُعْمَة. فجمعوا له بينهم الناقةَ والناقتين من رجلين حتى أعطَوْه بِعدّة إبله.

وقال ابنُ حبيب في هذه الرواية: «كان رجل من بني ضبةَ».

صوت

[المديد]

أَسَلُ عَنْ لَيْلَى عَلاكَ المَشِيبُ وتَصَابِي الشَّيْخِ شَيءٌ عَجِيبُ
وإذا كَانَ النَّسِيبُ بِسَلْمَى لَذَّ فِي سَلْمَى وطَابَ النَّسِيبُ
إِنَّمَا شَبَّهْتُهَا إذ تَرَاءَتْ وعَلَيْهَا مِنْ عُيُونٍ رَقِيبُ
بِطُلُوعِ الشَّمْسِ فِي يَوْمِ دَجْنٍ بُكْرَةً أو حَانَ مِنْهَا غُرُوبُ[4]
إِنَّنِي، فَاعْلَمْ وإنْ عَزَّ أَهْلِي بِالسُّوَيْدَاءِ الغَدَاةَ، غَرِيبُ[5]

الشعر لِغَيْلان بن سَلَمَة الثَّقفيّ، وجدتُ ذلك في جامع شعره بخط أبي سعيد السكريّ، والغِناءُ لابن زُرزورٍ الطائفي، خفيف ثقِيلٍ أوّل بالوسطى، عن يحيى المكي، وفيه ليونس الكاتبِ لحن ذكره في كِتابه، ولم يُجنّسه[6].

---

(١) النّادي: مكان اجتماع القوم.

(٢) الكَوماء: الناقة العظيمة الضخمة السّنام. والمُذْفَأة: الكثيرة الوبر والشحم. والحَمّاء: الإست. والأجفر: الذي بلغ أربعة أشهر وعظم واستكرش.

(٣) تسحّ: تنزل. والمحض: اللبن الخالص.

(٤) يوم دَجْنٌ: كثير المطر.

(٥) السويداء: موضع على بُعد ليلتين من المدينة على طريق الشام وهي إحدى المدن السورية.

(٦) لم يُجَنّسْهُ: لم يذكر نوعَ لحنه.

أخبار غَيلان ونسبه

[توفي ٢٣ هـ/ ٦٤٤ م]

[اسمه ونسبه وأولاده]

غيلانُ بن سَلَمَةَ بنِ معتِّبِ بنِ مالك بنِ كَعب بنِ عمرو بنِ سعد بن عوف بنِ قَسِيّ ـ وهو ثقيف، وأمّه سبيعةُ بنتُ عبدِ شمس بن عبد مناف بن قصي، أخت أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف.

أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطّائف، ولم يهاجرْ، وأسلم ابنه عامر قبله، وهاجر، ومات بالشّام في طاعونِ عَمَواس[1] وأبوه حيٌّ.

وغيلانُ شاعرٌ مُقِلٌّ، ليس بمعروف في الفحول.

وبنتُه باديةُ بنت غَيْلان التي قال هِيتٌ المُخَنَّثُ لعمرَ بن أم سلمة أمّ المؤمنين، أو لأخِيه سلمة[2]: «إنْ فتحَ اللّهُ عليكم الطّائِفَ فسَلْ رسولَ اللهﷺ أن يهَبَ لك باديةَ بنتَ غيلان، فإنَّها كحلاءُ؛ شَمُوعٌ نجلاء[3]، خمصانة هيفاء[4]، إن مشت تَثنَّتْ، وإنْ جلسَتْ تبنَّت[5]، وإن تكلَّمتْ تَغَنَّتْ، تقبل بأربع وتدبر بثمانٍ، وبين فخذيها كالإِناءِ المُكْفَإ»[6].

---

(١) عمواس: كورة قريبة من بيت المقدس كان منها ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب ثم فشا في بلاد الشام (معجم البلدان ٤/ ١٥٧).

(٢) جاء في لسان العرب (بني): «وروى شَمِرٌ أنّ مُخَنّثاً قال لعبد الله بن أبي أميّة».

(٣) الشّموع: الكثيرة المزاح اللّعوب الضحوك. والنجلاء: الواسعة العينين.

(٤) الخَمصانة: الضامرة البطن. والهيفاء: الدقيقة الخصر.

(٥) تبنّت: صارت كالمبناة: وهي القبّة من الأدم وذلك لكثرة لحمها وسِمَنِها.

(٦) الإناء المُكْفَأ: المقلوب. أي إنّ ما بين فخذيها ضخم وناهد.

وغيلان فيما يقال أحدُ مَنْ قال مِن قريش لِلنبيّ ﷺ: ﴿لولا أُنزِلَ هذا القُرآن على رَجُلٍ من القَرْيَتين﴾[1].

[قصّة ابنة عَمَّار وبراءته]

قال ابن الكلبيّ: حَدَّثني أبي، قال: تزوّجَ غيلانُ بن سلمة خالدةَ بنتَ أبي العاص، فولدت له عمَّاراً وعامراً، فهاجر عمَّار إلى النبيّ ﷺ، فلما بلغه خبرهُ عَمَدَ خازنٌ كان لِغيلانَ إلى مالٍ له فسرقَهُ وأخرجه من حِصْنه فدفنه، وأخبرَ غيلانَ أنّ ابنَه عمَّاراً سرق مالَه وهرب به، فأشاع ذلك غيلانُ وشكاه إلى الناس، وبلغ خبرُه عماراً فلم يعتذر إلى أبيه، ولم يذكرْ له بَراءتَه مِمّا قِيلَ له، فلما شاع ذلك جاءت أَمةٌ لبعض ثَقِيفٍ إلى غيلان، فقالت له: أيُّ شيءٍ لي عليكَ إن دَلَلْتُكَ على مالِكَ؟ قال: ما شِئتِ. قالت: تَبتاعُني وتُعتِقُني؟ قال: ذلك لك. قالت: فاخرجْ معي. فخرج معها، فقالت: إنّي رأيتُ عبدَك فلاناً قد احتَفَر ها هنا ليلةَ كذا وكذا ودفَنَ شيئاً، وإنه لا يزال يعتادهُ ويراعِيه، ويتفقّدُه في اليوم مرّاتٍ، وما أُراه إلاّ المالَ. فاحتفر الموضعَ فإذا هو بماله، فأخذه وابتاعَ الأَمَةَ فأَعتقَها، وشاع الخبرُ في النّاس حَتّى بلغ ابنَه عَمّاراً، فقال: واللّه لا يراني غيلانُ أبداً، ولا ينظُر في وجهِي. وقال: [الطويل]

حَلَفْتُ لَهُمْ بِمَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ ... وبِاللّهِ إنَّ اللّهَ لَيْسَ بِغَافِلِ
بَرِئْتُ مِنَ المَالِ الّذي يَدْفِنُونَهُ ... أُبَرِّىءُ نَفْسِي أَنْ أَلِطَّ بِبَاطِلِ[2]
ولَوْ غَيْرُ شَيْخِي مِنْ مَعَدٍّ يَقُولُهُ ... تَيَمَّمْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُوَاكِلِ
وكيفَ انْطِلاقي بِالسِّلاحِ إلى امْرِىءٍ ... تُبَشِّرُهُ بِي يَبْتَدِرْنَ قَوَابِلي

فلمّا أسلمَ غيلان، خرج عامِرٌ وعَمّارٌ مغاضِبَين له مع خالد بن الوليد، فتوفّيَ عامر بعَمَواس، وكان فارسَ ثقيفٍ يومئذٍ، وهو صاحب شَنوءةَ[3] يومَ تثليث[4]،

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣١.
(٢) لَطَّ بالباطل: لزمه.
(٣) شنوءة: أي أزد شنوءة: قبيلة من اليمن.
(٤) تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة، ويوم تثليث من أيام العرب المشهورة بين سليم ومراد (معجم البلدان ٢/ ١٥).

وهو قتل سيِّدَهم جابرَ بنَ سِنانٍ أخا دِمنة، فقال غيلان يرثي عامراً: [الكامل]

عَـيْـنِـي تَـجُـودُ بِـدَمْـعِـهـا الـهَـتَّـانِ ... سَـحّـاً وتَـبْـكِـي فَـارِسَ الـفُـرْسَـانِ[١]

يـا عَـام مَـنْ لِـلـخَـيْـلِ لـمَّـا أَحْـجَـمَـتْ ... عَـنْ شَـدَّةٍ مَـرْهُـوبَـةٍ وطِـعَـانِ[٢]

لـو أَسْـتَـطِـيـعُ جَـعَـلْـتُ مِـنِّـي عَـامِـراً ... بَـيْـنَ الـضُّـلُـوعِ وكُـلُّ حَـيٍّ فَـانِ

يـا عَـيْـنُ، بَـكِّـي ذا الـحزامةِ عَـامِـراً ... لِـلـخَـيْـلِ يَـوْمَ تَـوَاقُـفٍ وطِـعَـانِ

ولـه بِـتَـثْـلِـيـثـاتِ شَـدَّةُ مُـعْـلَـمٍ ... مِـنْـهُ وطَـعْـنَـةُ جَـابِـرِ بْـنِ سِـنَـانِ[٣]

فـكـأنَّـهُ صَـافِـي الـحَـدِيـدَةِ مِـخْـذَمٌ ... مِـمَّـا يُـحِـيـرُ الـفُـرْسَ لِـلـبَـاذانِ[٤]

نسخت من كتاب أبي سعيد السُّكَّري، قال: كان لغيلانَ بن سلمة جار من باهلة، وكانت له إبل يرعاها راعيهِ في الإبل مع إبل غيلان، فتخطَّى بعضُها إلى أرضٍ لأبي عقيلٍ بن مسعود بنِ عامِر بن معتِّب، فضرب أبو عقيل الراعيَ واستخفّ به، فشكا الباهليُّ ذلك إلى غيلان، فقال لأبي عقيل: [الطويل]

أَلاَ مَـنْ يَـرَى رَأْيَ امْـرِىءٍ ذِي قَـرَابَـةٍ ... أَبَـى صَـدْرُهُ بـالـضِّـغْـنِ إلاَّ تَـطَـلُّـعَـا[٥]

فَـسِـلْـمَـكَ أَرْجُـو لا الـعَـدَاوةَ إنَّـمَـا ... أَبُـوكَ أَبِـي وإنَّـمَـا صَـفْـقُـنَـا مَـعَـا[٦]

وإنَّ ابْـنَ عَـمِّ الـمَـرْءِ مِـثْـلُ سِـلاحِـهِ ... يَـقِـيـهِ إذا لاَقَـى الـكَـمِـيَّ الـمُـقَـنَّـعـا

فَـإِنْ يَـكـثـرِ الـمَـوْلَـى فَـإنَّـكَ حَـاسِـدٌ ... وإنْ يَـفْـتَـقِـرْ لا يُـلْـفِ عِـنْـدَكَ مَـطْـمَـعـا

فـهـذَا وَعِـيـدٌ وادِّخَـارٌ فَـإِنْ تَـعُـدْ ... وَجَدِّكَ، أَعْـلَـمْ ما تَـسَـلَّـفْـتَ أَجْـمَـعـا[٧]

[شعره لزوجته التي مَلَّتْهُ وتَجنَّتْ عليه]

ونسخت من كتابه، قال: لما أسنّ غيلانُ وكثرت أسفارُه مَلَّتْه زوجتُه، وتَجَنَّتْ عليه، وأنكر أخلاقَها، فقال فيها: [الكامل]

يـا رُبَّ مِـثْـلِـكِ فـي الـنِّـسَـاءِ غَـرِيـرَةٍ ... بَـيْـضَـاءَ قَـدْ صَـبَّـحْـتُـهـا بِـطَـلاقِ[٨]

---

(١) الهتّان: المُنْصَبّ. والسّحّ: انصباب الدمع بغزارة.
(٢) يا عام: يا عامر: وحُذِفت الراء لأنه منادى مرخّم. والشَّدَّة: الحملة والهجمة في الحرب.
(٣) المُعْلَم: الفارس الذي له علامة الشجعان في الحرب.
(٤) المِخْذَم: القاطع. ويحير: يردّ ويُرجع. والباذان: الذي دخل في الإسلام حديثاً.
(٥) الضِّغْن: الحقد.
(٦) الصَّفْقُ: الضرب، وهو ضرب الأيدي عند المبايعة.
(٧) تسلّفَ: اقترض.
(٨) الغريرة: التي لا تجربة لها.

لـم تَـدْرِ مـا تَـحْـتَ الـضُّـلُـوعِ وغَـرُّهـا مِـنّـي تَـحَـمُّـلُ عِـشْـرَتـي وخَـلاقِـي

ونسخْتُ من كتابه: إنّ بني عامرِ بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرةً من أنفُسهم وأحلافِهم، ثم ساروا إلى ثقِيفٍ بالطّائف، وكانت بنو نصرِ بن معاويةَ أحلافاً لثقيف، فلمّا بلغ ثقيفاً مسيرُ بني عامر استنجدوا بني نصر، فخرجت ثقيف إلى بني عامرٍ وعليهم يومئذ غَيْلانُ بن سلمة بن معتِّب، فَلَقُوهم وقاتلتهم ثقيفٌ قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر بنِ ربيعة ومن كان معهم، وظهرت عليهم ثقيفٌ، فأكثروا فيهم القتلَ، فقال غيلانُ في ذلك، ويذكر تخلّفَ بني نصر عنهم: [البسيط]

وَدِّعْ بِـذَمٍّ إذا مَـا حَـانَ رِحْـلَـتُـنَـا أَهْلَ الحَظَائِرِ مِنْ عَوْفٍ ودُهْمَانا[1]
الـقَـائِـلِـينَ وقَـدْ حَـلَّـتْ بِـسَـاحَـتِـهِـمْ جَسْرٌ تَحَسْحَسَ عَنْ أولادِ هِصَّانا[2]
والـقَـائـلِـيـنَ وقَـدْ رَابَـتْ وِطَـابُـهُـمُ أَسَيْفَ عَوْفٍ تَرَى أَمْ سَيْفَ غَيْلانا؟[3]
أَغْـنُـوا الـمَـوَالـيَ عَـنَّـا لا أَبَـا لَـكُـمُ إِنَّا سَنُغْنِي صَرِيحَ القَوْمِ مَنْ كَانا[4]
لا يَـمْـنَـعُ الـخَـطَـرَ الـمَـظْـلُـومُ قُـحْـمَـتَـهُ حَتَّى يَرَى... بالعَيْنِ مَنْ كَانَا[5]

[هزيمة خثعم وشعره في ذلك]

ونسخت من كتابه، قال: جَمَعَتْ خثعمُ جموعاً من اليمن، وغزت ثقيفاً بالطّائف؛ فخرج إليهم غيلانُ بن سلمة في ثقيف، فقاتلهم قِتالاً شديداً، فهزمهم وقتل منهم مَقْتلةً عظيمة، وأسَرَ عِدَّةً منهم، ثم مَنَّ عليهم وقال في ذلك: [الوافر]

أَلاَ يَـا أُخْـتَ خَـثْـعَـمَ خَـبِّـرِيـنَـا بِـأَيِّ بَـلاءِ قَـوْمٍ تَـفْـخَـرِيـنَـا
جَـلَـبْـنَـا الـخَـيْـلَ مِـنْ أَكْـنَـافِ وَجٍّ ولِـيـثٍ نَـحْـوَكُـمْ بِـالـدَّارِ عِـيـنـا[6]
رَأَيْـنَـاهُـنَّ مُـعْـلَـمَـةً رَوَاحـاً يُـقِـيـتَـانِ الـصَّـبَـاحَ ومُـغْـتَـدِيـنَـا[7]

(١) عوف ودهمان: قبيلتان.
(٢) الجَسْرُ: العظيم من الإبل وغيرها. وتحسحس: تحرّك. وهِصّان: اسم قبيلة.
(٣) الوِطاب: جمع الوَطْب: سقاء اللبن.
(٤) الصّريح: الخالص النّسب.
(٥) القُحْمَة: الاقتحام في الشيء.
(٦) وَجّ: اسم وادٍ بالطائف (معجم البلدان ٥/ ٣٦١). وليث: وادٍ بأسفل السّرَاة (معجم البلدان ٥/ ٢٨).
(٧) المُعْلَمة: المميّزة، وأقات الشيء: قدر عليه. والصباح: الغارة تفجأ صباحاً.

فَأَمْسَتْ مُسْيَ خَامِسَةٍ جَمِيعاً تُضَابِعُ في القِيَادِ وقَدْ وَجِينا[١]
وقد نَظَرَتْ طَوَالِعُكُمْ إلَيْنَا بأَعْيُنِهِمْ وحَقَّقْنا الظُّنُونا
إلى رَجْرَاجَةٍ في الدَّارِ تُغْشِي إذا اسْتَنَّتْ عُيونَ النَّاظِرِينَا[٢]
تَرَكْنَ نِسَاءَكُمْ في الدَّارِ نَوْحاً يُبَكُّونَ البُعُولَةَ والبَنِينَا[٣]
جَمَعْتُمْ جَمْعَكُمْ فطَلَبْتُمُونا فَهَلْ أُنبِئْتَ حَالَ الطَّالِبينا؟

أخبرنا محمدُ بن خَلفٍ وكيعٌ، قال: أخبرني محمد بن سعد الشَّامِيّ، قال: حَدَّثني أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن عَمرو الثقفيّ، قال: خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أُسايره، فأنشدني شعرَ غيلان بن سلمة، ما أنشدَني لغيره، حتَّى صَدَرْنا عن الأبُلَّه[٤]، ثم مَرَّ بِالطَّفِّ[٥] وهو يريد الطَّابَق[٦]، فأنشدني له: [المنسرح]

ولَيْلَةٍ أَرَّقَتْ صِحَابَكَ بالطَّـ ـفِّ وأُخْرَى بِجَنْبِ ذِي حُسَمِ[٧]
فالجِسْرُ فَالقَصْرانِ فَالنَّهْرُ المُرْبَـ ـدُ بين النَّخِيلِ والأَجَمِ[٨]
مُعَانِقُ الوَاسِطَ المُقَدَّمَ أو أَدْنُو مِنَ الأرضِ غَيْرَ مُقْتَحِمِ[٩]
أَسْتَعمِلُ العَنْسَ بِالقِيادِ إلى الـ آفاقِ أرجو نَوَافِلَ الطُّعَمِ[١٠]

[وصيته لبنيه عند موته]

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا عبد الله بنُ أبي سعد، قال: حَدَّثني أحمد بن عمر بن عبد الرحمٰن بن عوف قال: حَدَّثني عمرُ بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن

---

(١) مُسْيَ خامسة: في مساء الليلة الخامسة. وتضابع: تمدُّ أضباعها، والأضباع: جمع الضَّبع: العَضُد والقِياد: ما تُقادُ به الدّابّة. وجينَ: حَفينَ.
(٢) الرَّجراجة: الكتيبة العظيمة. وتُغْشي: تجعلها لا ترى. واستَنَّتْ: أسرعت.
(٣) النَّوْحُ: النساء النوائح اللّواتي يجتمعن للحزن. والبُعولة: جمع البعل: الزَّوج.
(٤) الأُبُلَّة: بلدة على شاطىء دجلة (معجم البلدان ١/٧٦).
(٥) الطَّفّ: أرض من ضاحية الكوفة فيها كان مقتل الحسين بن علي عليه السلام. (معجم البلدان ٤/ ٣٥).
(٦) الطَّابَق: نهر ببغداد (معجم البلدان ٤/٤).
(٧) حُسَم: اسم موضع بالبادية (معجم البلدان ٢/٢٥٨).
(٨) الجِسر: موضع قرب الحيرة وهو الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس (معجم البلدان ٢/ ١٤٠). والقصران: (معجم البلدان ٤/ ٣٥٤).
(٩) والأَجَم: جمع الأَجَمَة: الشجر الكثيف الملتفّ.
(١٠) النوافل: جمع النافلة: العطيّة. والطُّعَم: جمع الطُّعْمَة: الجهة التي منها يُرتَزق ويُكسَب.

أبيه، قال: لما حضرتْ غيلانَ بنَ سلمةَ الوفاةُ، وكان قد أحصنَ عشراً من نِساءِ العرب في الجاهلية، قال: «يا بَنِيَّ، قد أحسنْتُ خدمة أموالِكم، وأَمْجَدْتُ أُمَّهاتِكم فلن تزالوا بخيرٍ ما غذوتم من كريم وغذا منكم، فعليكم بِبُيوتاتِ العرب، فإنَّها معارجُ الكَرَم، وعليكم بِكلِّ رمكاء[1] مكينة ركينةٍ[2]، أو بيضاء رزينة، في خدر بيت يُتّبع، أو جدٍّ يُرتجى، وإيّاكم والقصيرة الرَّطلة، فإنّ أبغضَ الرِّجالِ إليَّ أن يقاتِلَ عن إبلي أو يناضل عن حسبي، القصيرُ الرَّطل». ثم أنشأ يقول: [الطويل]

وحُـرَّةِ قَـوْم قـد تَـنَـوَّق فِـعْـلُـهـا ... وزَيَّـنَـهـا أَقْـوامُـهـا فَـتَـزَيَّـنَـتْ
رَحَـلْـتُ إلَـيْـهـا لا تُـرَدُّ وَسِـيـلَـتـي ... وحَـمَّـلْـتُـهـا مِـنْ فَـوْقِـهـا فـتَـحَـمَّـلَـتْ

[وفوده على كسرى وأجوبته البليغة له]

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا محمد بن سعد الكُرَاني، قال: كان غيلان بن سلمة الثّقفيُّ قد وَفَدَ إلى كسرى فقال له ذاتَ يوم: يا غيلان، أيُّ ولدك أحبُّ إليك؟ قال: «الصّغيرُ حتى يَكبرَ، والمريضُ حتّى يبرأ، والغائب حتى يَقْدَم». قال له: ما غذاؤك؟ قال: خبزُ البُرِّ. قال: قد عَجِبْتُ من أن يكون لك هذا العقلُ وغِذاؤك غِذاءُ العرب، إنّما البُرُّ جعل لك هذا العقل.

قال الكرانيّ، قال العُمَريّ: روى الهيثَمُ بنُ عديّ هذا الخبر أَتَمَّ مِنْ هذه الرواية، ولم أسمعه منه. قال الهيثم: حَدَّثني أبي، قال: خرج أبو سفيان بنُ حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة، فلمَّا ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان، فقال لهم: إنّا من مسيرنا هذا لَعَلَى خَطَرٍ، ما قُدومنا على ملكٍ جبّارٍ لم يَأْذَنْ لنا في القُدوم عليه، وليست بلاده لنا بمَتْجَر؟ ولكن أَيُّكُمْ يذهب بِالعِيرِ، فإن أُصيبَ فنحن بُرَاء من دمه، وإن غنم فله نصفُ الرِّبح؟ فقال غيلان بن سلمة: دعوني إذاً فأنا لها. فدخل الوادي، فجعل يَطوفه ويضرب فروعَ الشجر ويقول:

[البسيط]

ولـو رَآنـي أَبُـو غَـيْـلانَ إذْ حَـسَـرَتْ ... عَـنّـي الأُمُـورُ إلـى أَمْـرٍ لـه طَـبَـقُ[3]
لَـقَـالَ رُغْـبٌ ورُهْـبٌ يُـجْـمَـعَـانِ مَـعـاً ... حُـبُّ الـحَـيـاةِ وهَـوْلُ الـنَّـفْـسِ والـشَّـفَـقُ

(١) الرّمكاء: التي يخالط غُبْرتها سواد.
(٢) الرّطْلَة: الحمقاء الضعيفة.
(٣) حَسَر: انكشف. والطَّبَق: الحال والخطر.

إمَّا بَقِيتَ على مَجْدٍ ومَكْرُمَةٍ أو أسوة لك فِيمَنْ يَهْلِكُ الورقُ[١]

ثم قال: أنا صاحبكم. ثم خرج في العِير، وكان أبيض طويلاً جعداً ضخماً، فلما قدِم بلادَ كسرى تخلّق[٢] ولبِسَ ثوبَين أصفرين، وشَهر أمرَه، وجلس بباب كسرى حتَّى أذن له، فدخل عليه وبينهما شُبّاكٌ من ذهب، فخرج إليه التَّرجُمان؛ وقال له: يقول لك الملك: مَن أدخلك بلادي بغير إذني؟ فقال: قل له: لستُ من أهل عداوةٍ لك، ولا أتيتُك جاسوساً لِضِدٍّ من أضدادك، وإنما جئتُ بتجارةٍ تستمتعُ بها، فإن أردْتَها فهي لك، وإن لم تُرِدْها وأذِنْتَ في بيعها لِرَعِيَّتِكَ بعْتُها، وإن لم تأذنْ في ذلك رَدَدْتُها. قال: فإنّه ليتكلّم إذ سمع صوت كسرى فسجَد، فقال له الترجمان: يقول لك الملك: لم سَجَدْتَ؟ فقال: سمعْتُ صوتاً عالياً حيث لا يَنْبَغي لأحدٍ أن يعلو صوتُه إجلالاً للملك، فعلمْتُ أنه لم يُقْدِمْ على رفع الصَّوت هناك غيرُ الملك فسجدْتُ إعظاماً له. قال: فاستحسن كسرى ما فَعَل، وأمر له بمرفقةٍ[٣] تُوضَع تحته، فلما أُتِيَ بها رأى عليها صورةَ الملك، فوضَعَها على رأسه، فاستجهله كسرى واستحمَقَه، وقال للترجمان: قل له: إنَّما بعثنا إليك بهذه لتجلسَ عليها. قال: قد علمْتُ، ولكنِّي لما أُتِيتُ بها رأيتُ عليها صورةَ الملك، فلم يكن حَقُّ صورتِه على مثلي أن يجلسَ عليها، ولكن كان حقُّها التعظيم، فوضعْتها على رأسي، لأنّه أشرفُ أعضائي وأكرمُها عليّ. فاستحسن فِعْلَه جدّاً، ثم قال له: ألكَ ولدٌ؟ قال: نعم. قال: فأيُّهم أحبُّ إليك؟ قال: الصَّغير حتى يكبر، والمريضُ حتَّى يبرأ، والغائب حتى يؤوب. فقال كسرى: زِه[٤]، ما أدخلك عليّ ودلّك على هذا القول والفِعل إلاّ حظُّك، فهذا فِعلُ الحكماء وكلامُهم، وأنت من قوم جُفاةٍ لا حكمةَ فيهم، فما غذاؤك؟ قال: خبز البُرّ. قال: هذا العقل من البُرّ، لا من اللَّبن والتَّمر. ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها، وكَسَاه وبعث معه من الفُرس مَنْ بَنَى له أُطُماً[٥] بالطَّائف، فكانَ أوّلَ أُطم بُنِيَ بها.

---

(١) الورق: الفضّة.

(٢) تَخلّق: تطيّبَ بالخَلوق وهو نوع من الطِّيب أعظم أجزائه من الزعفران.

(٣) المِرْفقة: ما يُتّكأ عليه.

(٤) زِهْ: كلمة تستخدم عند الاستحسان.

(٥) الأُطُم: القصر أو هو كل بناء مبني بحجارة.

[رثاؤه لنافع بن سلمة]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حَدَّثنا الزُّبيرُ بن بكّار، قال: حَدَّثني عمر بن أبي بكر الْمَوْصِلِيُّ عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال: استشهد نافعُ بن سلمةَ الثّقفيّ مع خالد بن الوليد بِدُومة الجَنْدل[١]، فجزع[٢] عليه غيلان وكثر بكاؤه، وقال يرثيه: [الكامل]

مـا بَـالُ عَـيْـنـي لا تُـغَـمِّـضُ سَـاعَـةً ... إلاّ اعْـتَـرَتْـنِـي عَـبْـرَةٌ تَـغْـشَـانِـي
أَرْعَـى نُـجـومَ الـلَّـيْـلِ عِـنْـدَ طُـلُـوعِـهـا ... وَهْـنـاً وهُـنَّ مِـنَ الـغُـروبِ دَوَانِ[٣]
يـا نَـافِـعـاً مَـنْ لِـلـفَـوارِسِ أَحْـجَـمَـتْ ... عَـن فَـارِسٍ يَـعْـلُـو ذُرَى الأَقْـرانِ
فَلَـوِ اسْـتَـطَـعْـتُ جَـعَـلْـتُ مِـنِّـي نَـافِـعـاً ... بـيـنَ الـلَّـهَـاةِ وبـيـنَ عَـكْـدِ لِـسَـانـي[٤]

قال: وكثرَ بكاؤه عليه، فعُوتِبَ في ذلك، فقال: والله لا تسمحُ عيني بمائها فأضنُّ بِهِ على نافع. فلمَّا تطاولَ العهدُ انقطع ذلك من قوله، فقيل له فيه، فقال: «بَلِيَ نافعٌ، وبَلِيَ الجزع، وفَنِيَ وفَنِيَتِ الدُّموع، واللَّحَاقُ به قريبٌ».

صوت

[الطويل]

أَلاَ عَـلِّـلانـي قَـبْـلَ نَـوْحِ الـنَّـوَادِبِ ... وقَـبْـلَ بُـكَـاءِ الـمُـعْـولاتِ الـقَـرَائِـبِ
وقَـبْـلَ ثَـوَائِـي فـي تُـرَابٍ وجَـنْـدَلٍ ... وقَـبْـلَ نُـشوزِ الـنَّـفْـسِ فَـوقَ الـتَّـرَائـبِ[٥]
فَـإِنْ تَـأْتِـنـي الـدُّنْـيَـا بِـيَـوْمِـي فُـجَـاءَةً ... تَـجِـدْني وقـد قَـضَّـيْـتُ مِـنْـهَـا مَـآرِبـي

الشعر لحاجز الأزديّ، والغناء لنبيه هزج، بالبنصر، عن الهشامي.

---

(١) دُومة الجَندل: حصن وقرى بين الشام والمدينة (معجم البلدان ٢٧/ ٤٨٧).

(٢) جزع: حزن.

(٣) الوَهْن: نحو منتصف الليل أو بعده بساعة.

(٤) اللَّهَاة: قطعة من اللّحم مشرفة على الحلق. والعَكْد: وسط الشيء.

(٥) نشوز النفس: ارتفاعها، كناية عن الاحتضار. والترائب: جمع التّريبة: أعلى الصدر.

أخبار حاجز ونسبه

[اسمه ونسبه]

هو حاجزُ بنُ عوف بن الحارث بنِ الأخثم بنِ عبد الله بنِ ذُهلِ بنِ مالكِ بن سَلامان بنِ مُفَرِّج بنِ مالكِ بن زهران بنِ عوفِ بنِ مَيدَعان بنِ مالك بن نصر بنِ الأزدِ. وهو حليف لبني مخزوم بنِ يقظة بنِ مرة بن كعب بنِ لؤي، وفي ذلك يقول: [البسيط]

قَـوْمِـي سَـلامَـانُ إِمَّـا كُـنْـتِ سَـائِـلَـةً وفي قُرَيْشٍ كَرِيمُ الحِلْفِ والحَسَبِ

إِنِّـي مـتَـى أَدْعُ مَـخْـزُومـاً تَـرَيْ عُـنُـقـاً لا يَرْعَشونَ لِضَرْبِ القومِ مِنْ كَثَبِ[1]

يُـدْعَـى الـمُـغِـيـرَةُ فـي أولـى عَـدِيـدِهِـمُ أَولادُ مَـرْأَسَـةٍ لَـيْـسُـوا مِـنَ الـذَّنَـبِ[2]

وهو شاعر جاهلي مُقِلٌّ، ليس من مشهوري الشعراء، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائِل العرب، ومِمَّنْ كان يعدو على رِجْليه عَدْواً يسبقُ به الخيل.

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دريد، قال: حَدَّثني العباسُ بنُ هشام، عن أبيه، عن عوف بن الحارث الأزدي، أنه قال لابنه حاجز بن عوف: أَخْبِرْني يا بُنَي بِأَشَدِّ عَدْوِكَ. قال: نعم، أَفْزَعتني خثعمُ فَنَزَوْتُ[3] نَزَواتٍ، ثم استفزَّتني الخيل واصطفَّ لي ظبيانِ، فجعلت أُنهنهُهُما[4] بيديَّ عن الطَّريق، ومنعاني أن أتجاوزَها في العَدْوِ لِضِيقِ الطَّريق حتى اتَّسَعَ واتَّسَعَتْ بنا، فسبقتهما. فقال له: فهل جاراك

---

(١) العُنُق: الجماعة الكثيرة من الناس. من كَثَب: من قرب.

(٢) المرأسة: الرئاسة، والرَّأسَ: القوم إذا عَزُّوا وكثروا.

(٣) نزوتُ: وثبتُ.

(٤) نهنَه: رَدَّ وكَفَّ.

أحدٌ في العَدْوِ؟ قال: ما رأيت أحداً جاراني إلاّ أُطَيلِسُ أُغَيبِرُ من النُّقوم، فإنا عدونا معاً فلم أقدِرْ على سَبقِه.

ـ قال: النُّقوم بطن من الأزدِ من ولدِ ناقِم، واسمه عامر بن حوالة بن الهِنْو بن الأزد ـ

نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيبانيّ من كتاب بخط المرهبِيّ الكوكبيّ، قال: أغار عوفُ بنُ الحارث بن الأخثم على بني هلالِ بنِ عامر بن صعصعة في يوم داجٍ مظلم، فقال لأصحابه: انزلوا حتى أعتبر لكم. فانطلق حتى أتى صِرْماً[١] من بنيْ هلال، وقد عَصَبَ على يد فرسه عِصاباً ليظلع[٢] فيطمعوا فيه، فلما أشرف عليهم استرابوا به، فركِبوا في طلبه، وانهزمَ من بين أيديهم، وطمِعوا فيه، فهجم بهم على أصحابه بني سلامان، فأُصِيبَ يومئذ بنو هلال، وملأ القوم أيديهم من الغنائم، ففي ذلك يقول حاجِزُ بن عوف: [الوافر]

صَبَاحَكِ واسْلَمِي عَنَّا أُمَامَا ... تَحِيَّةَ وَامِقٍ وعِمِي ظَلاما[٣]

بَرَهْرَهَةٌ يَحَارُ الطَّرْفُ فيها ... كَحُقَّةِ تَاجِرٍ شُدَّتْ خِتاما[٤]

فَإنْ تُمْسِ ابْنَةُ السَّهْمِيِّ مِنَّا ... بَعِيداً لا تُكَلِّمُنَا كَلاَمَا

فَإنَّكِ لا مَحَالَةَ أَنْ تَرَيْنِي ... ولو أَمْسَتْ حِبَالُكُمُ رِمَامَا[٥]

بِنَاجِيَةِ القَوَائِمِ عَيْسَجُورٍ ... تَدَارَكَ نِيُّها عَاماً فَعَاما[٦]

سَلِي عَنِّي إذا اغْبَرَّتْ جُمَادَى ... وكَانَ طَعَامُ ضَيْفِهِمُ الثُّمَامَا[٧]

أَلَسْنا عِصْمَةَ الأَضْيَافِ حَتَّى ... يُضَحِّى مَالُهُمْ نَفَلاً تُوَاما[٨]

أَبِي رَبَعَ الفَوَارِسَ يَوْمَ دَاجٍ ... وعَمِّي مَالِكٌ وَضَعَ السِّهَاما[٩]

---

(١) الصِّرْم: الجماعة.
(٢) الظَّلع: العرج في المشي.
(٣) الوامق: المحبّ. وأُمام: اسم امرأة.
(٤) البَرَهرهة: المرأة الشابة الناعمة البيضاء. والحُقَّة: وعاء من الخشب أو العاج يستخدم لوضع الطِّيب وغيره.
(٥) الرِّمام: البالية.
(٦) الناجية: الناقة السريعة. والعيسجور: الناقة الصلبة السريعة. وتدارك: تلاحق. والنِّيُّ: الشَّحم.
(٧) اغبَرَّتْ: قلّ الخير. والثُّمام: نبت ضعيف.
(٨) عصمة الأضياف: الذين يعتصم بهم الأضياف وهم أصحاب المنعة. ويُضَحَّى: يُرْعى في الضحى. والنَّفَل: الهبة والعطيّة. والتُّوَام: المزدوج.
(٩) ربع الفوارس: أخذ منهم المِرباع، وهو ربع الغنيمة.

فلو صاحبتِنا لرضيتِ منّا إذا لم تغبقِ المائةُ الغلاما[1]

يعني بقوله: وضع السّهام، أن الحارث بن عبد الله بنِ بكرِ بنِ يشكر بن مبشر بن صقعب بنِ دُهمان بن نصر بنِ زهران، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنِموا الرُّبْعَ، لأنّ الرياسة في الأزد كانت لقومه، وكان يقال لهم «الغطاريف» وهم أسكنوا الأزد بلد السّراة، وكانوا يأخذون للمقتول منهم دِيتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم، فغزتهم بنو فُقَيْم بنِ عديّ بن الديل بنِ بكر بنِ عبدِ مناة بن كنانة، فظفرت بهم، فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم، حتّى هزموا بني فُقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم، فأراد الحارثُ أن يأخذ الرُّبْعَ كما كان يفعل، فمنعه مالكُ بن ذُهل بنِ مالك بن سلامان، وهو عمّ أبي حاجز، وقال: «هيهاتَ، ترك الرُّبْع غدوة» فأرسلها مثلاً، فقال له الحارث: أتراك يا مالك تقدِرُ أن تسودَ؟ فقال: هيهات، الأزد أمنع من ذاك. فقال: أعطني ولو جَعْباً ـ والجَعْب: البعر في لغتهم ـ لئلا تسمع العرب أنك منعتني. فقال مالك: «فمن سماعها أفرّ»، ومنعه الربيع، فقال حاجز في ذلك: [الطويل]

ألاَ زَعَمَتْ أَبْنَاءُ يَشْكُرَ أَنَّنا بِرَبْعِهِمُ بَاءُوا هُنَالِكَ نَاضِلُ[2]
سَتَمْنَعُنا مِنْكُمْ ومِنْ سُوءِ صُنْعِكُمْ صَفَائِحُ بِيضٌ أَخْلَصَتْها الصَّيَاقِلُ[3]
وأَسْمَرُ خَطِّيٌّ إذا هُزَّ عَاسِلٌ بِأَيْدِي كُمَاةٍ جَرَّبَتْها القَبَائِلُ[4]

وقال أبو عمرو: جمع حاجزٌ ناساً من فَهم وعَدْران، فدلّهم على خثعم، فأصابوا منهم غِرَّة[5] وغنِموا ما شاءوا، فبلغ حاجزاً أنهم يتوعّدونه ويرصُدونه، فقال: [الطويل]

وإنِّيَ مِنْ إرْعَادِكُمْ وبُروقِكُمْ وإيعَادِكُمْ بِالقَتْلِ صُمٌّ مَسَامِعي
وإنِّيَ دَلِيلٌ غَيْرُ مُخْفٍ دَلالَتِي على أَلْفِ بَيْتٍ جَدُّهُمْ غَيْرُ خَاشِعِ

(١) تغبق: من الغَبوق: وهو شرب العشيّ.
(٢) باءوا: فخروا. والناضل: الغالب.
(٣) الصَّياقل: جمع الصَّيْقَل: مَنْ صناعته صقل السيوف أو غيرها.
(٤) الأسمر الخَطّيّ: الرمح المنسوب إلى الخطّ، وخَطّ: في اليمن. والعاسل: الرمح المهتزّ. والكُماة: جمع الكميّ، الشجاع أو لابس السلاح.
(٥) الغِرّة: الغفلة.

تَرى البِيضَ يَرْكُضْنَ المَجَاسِدَ بِالضُّحَى ... كـذا كُـلُّ مَـشْبُـوحِ الـذِّرَاعَـيْـنِ نَـازِعِ[(١)]
عـلـى أيِّ شَـيءٍ لا أَبَـا لأَبِـيـكُـمُ ... تُـشيـرونَ نَـحْـوِي نَـحْـوَكُـمْ بِـالأصـابـعِ

[عمرو بن معديكرب يطعنه فيستنجد بالأزد]

وقال أبو عمرو: أغارت خثعم على بني سَلامان وفيهم عمرو بن مَعْدِيكرب، وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان، فالتقَوْا واقتتلوا، فطعن عمرو بن معد يكرب حاجزاً فأنفذ فخذَه، فصاح حاجزٌ، يا آلَ الأزدِ! فندِمَ عمرو وقال: خرجت غازياً وفجعت أهلي. وانصرف، فقال عُزَيِّل الخثعميّ يذكر طعنةَ عمرٍو حاجزاً، فقال: [الوافر]

أَعَـجْـزٌ حَـاجِـزٌ مِـنَّـا وفِـيـهِ ... مُـشَـلْـشِـلَـةٌ كَـحَـاشِـيـةِ الإزارِ[(٢)]
فَـعَـزَّ عَـلَـيَّ مَـا أَعْـجَـزْتَ مِـنِّـي ... وقـد أَقْـسَـمْـتُ لا يَـضْـرِبْـكَ ضَـارِ

فأجابه حاجز فقال: [الطويل]

إنْ تَـذْكُـروا يَـوْمَ الـقَـرِيِّ فَـإنَّـهُ ... بَـوَاءٌ بِـأَيَّـام كَـثِـيـرٍ عَـدِيـدُهَـا[(٣)]
فـنـحـنُ أَبَـحْـنَـا بِـالـشـخـيـصَـةِ وَاهِـنـاً ... جـهـاراً فَـجِـئْـنَـا بِـالـنِّـسَـاءِ نَـقُـودُهـا[(٤)]
ويَـومَ كِـرَاءٍ قـد تَـدَارَكَ رَكْـضُـنـا ... بَنِي مَالِكٍ والخَيْلُ صُعْرٌ خُدودُها[(٥)]
ويـومَ الأَرَاكَـاتِ الـلَّـواتِـي تَـأَخَّـرَتْ ... سَرَاةُ بَنِي لَهْبَانَ يَدْعُو شَرِيدُها[(٦)]
ونـحـنُ صَـبَـحْـنـا الـحَـيَّ يَـوْمَ تَـنُـومَـةٍ ... بِمَلْمُومَةٍ يُهْوِي الشُّجَاعَ وَئِيدُها[(٧)]
ويـومَ شَـرُوم قَـدْ تَـرَكْـنَـا عِـصَـابَـةً ... لَدَى جَانِبِ الطَّرْفَاءِ حُمْراً جُلودُها[(٨)]
فَمَا رَغِمتْ حِلْفاً لأمْرٍ يُصِيبُها ... مِنَ الذُّلِّ إلاَّ نحنُ رغماً نزيدُها

---

(١) المجاسد: الثياب المعصفرة بالزّعفران. والمشبوح الذراعين: الذي عَرُضَتْ ذراعاه وبَعُدَ ما بين منكبيه. والنازع: الغريب.
(٢) المشلشلة: الضربة التي تفيض دماً.
(٣) القَرِيّ: اسم لعدة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٤/ ٣٣٩). والبواء: المثيل والكفؤ.
(٤) الشخيصة: اسم مكان.
(٥) كِراء: ثنيّة بالطائف (معجم البلدان ٤/ ٤٤٢). وصَعَّر خدّه: أماله تكبّراً.
(٦) الأراك: وادٍ قرب مكة (معجم البلدان ١/ ١٣٥).
(٧) الملمومة: الكتيبة المجتمعة.
(٨) شَروم: قرية عامرة باليمن أهلها قَطّاعو طرق (معجم البلدان ٣/ ٣٣٩). والطَّرْفاء: نخل لبني عامر بن حنيفة باليمامة (معجم البلدان ٤/ ٣١).

وقال أبو عمرو: بينما حاجز في بعض غزواته إذ أحاطت به خثعم، وكان معه بشير ابنُ أخيه، فقال له: يا بشير، ما تشير؟ قال: دَعْهُمْ حتى يشربوا ويَقفلوا ويَمضُوا ونمضي معهم فيظنُّونا بعضهم. ففعلا، وكانت في ساق حاجز شامةٌ، فنظرتْ إليها امرأةٌ من خثعم، فصاحت: يا آل خثعم، هذا حاجز. فطاروا يتبعونه، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة: أكفيكم سلاحَه أو عَدْوه. فقالوا: لا نريد أن تكفينا عدوه فإنَّ معنا عوفاً وهو يعدو مثلَه، ولكنِ اكفينا سلاحه. فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوفُ بن الأغر بن همام بن الأسرّ بنِ عبدِ الحارثِ بنِ واهِب بنِ مالك بنِ صعب بنِ غنم بن الفزع الخثعمي، حتى قاربه، فصاحت به خثعم: يا عوف، ارم حاجزاً. فلم يُقدم عليه، وجبن، فغضِبوا وصاحوا: يا حاجزُ، لك الذمام، فاقتلْ عوفاً فإنه قد فضحنا. فنزع في قوسِه ليرميه، فانقطع وترُهُ، لأنّ المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه، فأخذ قوسَ بشير ابن أخيهِ فنزع فيها فانكسرت، وهربا من القوم ففاتاهم ووجد حاجز بعيراً في طريقِه فركِبه فلم يسر في الطرِيق الذي يريده ونحا به نحو خثعم، فنزل حاجز عنه، فمرَّ فنجا وقال في ذلك:

[الطويل]

فِدًى لَكُمَا رِجْلَيَّ أُمِّي وخَالَتِي ... بِسَعْيِكُمَا بَيْنَ الصَّفَا والأَثَائِبِ[1]

أَوَانَ سَمِعْتُ القَوْمَ خَلْفِي كَأَنَّهُمْ ... حَرِيقُ إِبَاءٍ فِي الرِّيَاحِ الثَّوَاقِبِ

سُيُوفُهُمُ تُغْشِي الجَبَانَ وَنبلُهُمْ ... يُضِيءُ لَدَى الأَقْوَامِ نَارَ الحُبَاحِبِ[2]

فَغَيْرُ قِتَالِي فِي المَضِيقِ أَغَاثَنِي ... ولَكِنْ صَرِيحُ العَدْوِ غَيْرُ الأَكَاذِبِ

نَجَوْتُ نجاءً لا أَبِيكَ تَبُثُّهُ ... ويَنْجُو بَشِيرٌ نَجْوَ أَزْعَرَ خَاضِبِ[3]

وَجَدْتُ بَعِيراً هَامِلاً فَرَكِبْتُهُ ... فَكَادَتْ تَكُونُ شَرَّ رِكْبَةِ رَاكِبِ[4]

وقال أبو عمرو: اجتاز قومٌ حُجّاجٌ من الأزدِ ببني هلال بن عامرِ بنِ صعصعة، فعرَفهم ضَمرة بنُ ماعِز سيّدُ بني هلال، فقتلهم هو وقومه، وبلغ ذلك

---

(١) الصَّفا: اسم لعدة مواضع. والأثائب: جمع الأثأب: شجر ينبت في بطون الأودية.

(٢) الحُباحب: ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسّراج، وقيل: هو اسم رجل بخيل كان لا يوقد ناراً إلا ضعيفة حتى لا يراها الضيفان فضربوا بها المثل.

(٣) لا أبيك: ربما أراد لا وأبيك. ونجاء: خلاصاً. والأزعر: القليل الشّعر.

(٤) الهامل: المتروك مهمَلاً.

حاجزاً، فجمع جمعاً من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم، وقال في ذلك يخاطِب ضمرة بن ماعِز: [الكامل]

يَا ضَمْرَ، هَلْ نِلْنَاكُمُ بِدِمَائِنَا ... أَمْ هَلْ حَذَوْنَا نَعْلَكُمْ بِمِثَالِ

تَبْكِي لِقَتْلِي مِنْ فُقَيْمٍ قُتِّلُوا ... فَاليَوم تَبْكِي صَادِقاً لِهِلالِ

ولَقَدْ شَفَانِي أَنْ رَأَيْتُ نِسَاءَكُمْ ... يَبْكِينَ مُرْدَفَةً عَلَى الأَكْفَالِ[١]

يا ضَمْرَ إنَّ الحَرْبَ أَضْحَتْ بَيننا ... لَقِحَتْ على الدِّكَاءِ بَعْدَ حِيالِ[٢]

[رثاء أخته له عند انقطاع أخباره]

قال أبو عمرو: خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يَعُدْ، ولا عُرِف له خبر، فكانوا يَرون أنه مات عطشاً أو ضلّ، فقالت أخته ترثِيه: [الوافر]

أَحَيٌّ حَاجِزٌ أَمْ لَيسَ حَيّاً ... فَيَسْلُكَ بَيْنَ جِنْدَفَ والبَهِيمِ[٣]؟

ويَشْرَبَ شَربةً مِنْ مَاءِ تَرْجٍ ... فيُصدرَ مِشْيَةَ السَّبعِ الكَلِيمِ[٤]

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حَدَّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة، قال: كان حاجز الأزدِي مع غاراتِه كثيرَ الفِرارِ، لقي عامراً فهرب منهم فنجا، وقال: [الكامل]

أَلاَ هَلْ أَتَى ذَاتَ القَلائِدِ فَرَّتي ... عَشِيَّةَ بَيْنَ الجُرْفِ والبَحْرِ مِنْ بَغْرِ[٥]

عَشِيَّةَ كَادَتْ عَامِرٌ يَقْتُلُونَنِي ... لَدَى طَرَفِ السَّلْمَاءِ رَاغِية البَكْرِ[٦]

فما الظَّبْيُ أَخْطَتْ خِلْفة الصَّقْرِ رِجْلَهُ ... وقد كَادَ يَلْقَى الموتَ في خِلْفة الصَّقْرِ[٧]

بِمِثْلِي غَدَاةَ القَوْمِ بَيْنَ مُقَنَّعٍ ... وآخرَ كالسَّكْرَانِ مُرْتَكِزٍ يَفْرِي

---

(١) المردَفة: التي ركبت خلف الراكب. والأكفال: جمع الكَفَل: العَجُز.

(٢) لقحت الحرب: هاجت بعد سكون. والدِّكَاء: الرابية من الطين ليست بالغليظة. والحِيال: العقَم.

(٣) جِنْدَف: جبل باليمن في ديار خثعم (معجم البلدان ٢/ ١٧٠). والبهيم: اسم جبل.

(٤) ترْج: جبل بالحجاز كثير الأُسد (معجم البلدان ٢/ ٢١). ويصدر: يرجع.

(٥) فرّتي: فراري. والجُرْف: اسم لعدة مواضع (معجم البلدان ٢/ ١٢٨). وبَغْر: موضع بين مكة واليمامة (معجم البلدان ١/ ٤٥٢).

(٦) السّلماء: الأرض. وراغية البكْر: صوته. والبَكْر: الفتيّ من الإبل ويراد به بكر ناقة صالح وهو مثل في الشؤم.

(٧) أخطت: أخطأت. وخلفة الصقر: اختلافه مرة بعد مرة.

وفَرَّ من خثعم وتبعه المرقع الخثعميّ ثم الأكلُبيّ، ففاته حاجز، وقال في ذلك: [الكامل]

وكَــأَنَّـمَــا تَـبِــعَ الـفَــوَارِسُ أَرْنَـبــاً ... أو ظَـبْـيَ رَابِـيَـةٍ خُـفَـافـاً أَشْـعَـبـا[1]

وكَــأَنَّـمــا طَــرَدُوا بِــذِي نَـمِــرَاتِـهِ ... صَـدَعـاً مِنَ الأَرْوَى أَحَسَّ مُـكَـلـبـا[2]

أَعْـجَـزْتُ مِـنْـهُـمْ والأَكُـفُّ تَـنَـالُـنـي ... ومَـضَـتْ حِـيَـاضُـهُـمُ وآبُـوا خُـيَّـبَـا

أَدْعُـوا شَـنُـوءَةَ غَـثَّـهـا وسَـمِـيـنَـهـا ... ودَعَـا الـمُـرَقِّـعُ يَـوْمَ ذلـكَ أَكْـلُـبـا[3]

وقال يخاطب عوض أمسى[4]: [الكامل]

أَبْـلِـغْ أُمَـيْـمَـةَ عـوض أَمْـسَـى بَـزَّنـا ... سَـلْـبـاً ومَـا إِنْ سَـرَّهـا أَنْ نُـنْـكَـبـا

لــولا تَــقَــارُبُ رَأْفَــةٍ وعُــيُــونُــهــا ... حــمــشــاً مــصــعّــداً ومُــصَــوِّبــا

صوت

[الكامل]

يــا دَارُ مِــنْ مَــاوِيَّ بِــالــسَّــهْــبِ ... بُـنِـيـتُ عـلى خَـطْـبٍ مِـنَ الـخَـطْـبِ[5]

إذ لا تَــــرَى إلاَّ مُـــقَـــاتَـــلَـــةً ... وعَـجَـانِـسـاً يُـرْقِـلْـنَ بِـالـرَّكْـبِ[6]

ومُـدَجَّـجـاً يَـسْـعَـى بِـشِـكَّـتِـهِ ... مُـحْـمَـرَّةٌ عَـيْـنَـاهُ كَـالـكَـلْـبِ[7]

ومَـعَـاشِـراً صَـدَأُ الـحَـدِيـدُ بِـهِـمْ ... عَـبَـقَ الـهِـنَـاءِ مَـخَـاطِـمَ الـجُـرْبِ[8]

الشعر للحارث بن الطفيل الدَّوْسِي، والغناءُ لمعبد، رمل بالبِنصرِ، من رواية يحيى المكي، وفيه لابن سريج خفيفُ ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصرِ عن إسحاق، واللَّه أعلم.

---

(١) الخُفَاف: الخفيف القلب المتوقّد. والأشعب: المنكسر القَرْن.
(٢) الصَّدع: الفتيّ من الأوعال. والأروى: أنثى الوعل.
(٣) شنوءة وأكلب: قبيلتان. والغثّ: المهزول.
(٤) عَوْض أمسى: قبيلة.
(٥) السَّهب: اسم موضع.
(٦) العجانس: جمع العجنس: الضخم الشديد من الإبل.
(٧) الشِّكّة: السّلاح.
(٨) عَبَق: لصق. والهِناء: القطران. والمخاطم: جمع المخطم: مقدّم الأنف والفم.

أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه

[توفي نحو ٣٠ هـ]

[اسمه ونسبه ووفود والده الطفيل على رسول الله ﷺ]

هو الحارثُ بنُ الطفيل بنِ عمرٍو بن عبد الله بن مالكِ بن فهم بن غنم بن دَوْس بن عبد الله بن عُدْثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالكِ بن نصر بن الأزدِ، شاعرٌ فارسٌ، من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام، وأبوه الطّفيل بن عمرو شاعر أيضاً، وهو أوّل مَنْ وفد من دوس على النّبيﷺ، فأسلم وعاد إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام.

أخبرني عمّي قال: حَدَّثنا الْحَزَنْبَلُ بن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، واللفظ في الخبر له، واللّه أعلم.

وأخبرني به محمد بن الحسن بن درَيْد قال: حَدَّثني عَمّي عن العباس بن هشام عن أبيه: أنّ الطفيل بن عمرو بنِ عبد الله بن مالك الدّوسيّ خرج حتى أتى مكّة حاجّاً، وقد بُعِثَ رسولُ اللهﷺ وهاجر إلى المدينة، وكان رجلاً يعصو ـ والعاصي البصير بِالجِراح، ولذلك يقال لولده: بنو العاصي ـ فأرسلته قريشٌ إلى النبيﷺ وقالوا: انظرْ لنا ما هذا الرجل، وما عِنده؟ فأتى النبيَّﷺ فعرض عليه الإسلام، فقال له: إنّي رجلٌ شاعر، فاسمعْ ما أقول. فقال له النبيﷺ: هات. فقال: [الطويل]

لا وإلَـهِ الـنّـاسِ نَـأْلَـمُ حَـرْبَـهُـمْ ... ولو حَارَبَتْنا مُنْهِبٌ وبَنُو فَهْم[1]
ولـمَّـا يَـكُـنْ يَـوْمٌ تَـزُولُ نُـجُـومُـهُ ... تَـطِـيـرُ بـهِ الـرُّكْـبَـانُ ذو نَـبَـأٍ ضَـخْـمِ

(١) مُنْهِب: بن دَوْس بن عُدْثان بن عبد الله بن زَهران بن كعب. وفَهم: بن غَنْم بن دَوْس بن عدْنان بن عبد الله بن زهران بن كعب (جمهرة أنساب العرب ص ٣٧٩).

أَسِلْماً على خَسْفٍ ولَسْتُ بِخَالِدٍ ... ومَالِيَ مِنْ وَاقٍ إذا جَاءَنِي حَتْمِي[١]

فلا سِلْمَ حَتَّى تُحْفِزَ النَّاسَ خِيفَةٌ ... ويُصْبِحَ طَيْرٌ كَانِسَاتٍ على لَحْمِ[٢]

فقال له رسول الله ﷺ: وأنا أقول فاستمع، ثم قال: ﴿**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**﴾[٣]. ثم قرأ ﴿**قل أعوذ بربّ الفلق**﴾[٤]، ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وعاد إلى قومِه، فأتاهم في ليلةٍ مطِيرةٍ ظلماءَ، حتى نزل بَرُوق، وهي قرية عظيمةٌ لدوس فيها مِنبر، فلم يبصِرْ أين يسلك، فأضاء له نور في طرفِ سوطه، فبهر النَّاسَ ذلك النُّورُ، وقالوا: نار أُحْدِثَتْ على القَدومِ ثم على بَرُوق لا تطفأ. فعلِقوا يأخذون بِسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم، فدعا أَبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمّه، ودعا قومه فلم يجبه إلاّ أبو هريرة، وكان هو وأهله في جبل يقال له ذو رِمَع[٥]، فلقيه بِطَرِيق يزحزح، وبلغنا أنه كان يزحف في العقبة من الظلمة ويقول: [الطويل]

يا طُولَهَا مِنْ لَيْلَةٍ وعَنَاءَها ... على أَنَّها مِنْ بَلْدَةِ الكفْرِ نَجَّتِ

ثم أتى الطفيلُ بنُ عمرو النبيَّ ﷺ ومعه أبو هريرة، فقال له: ما وراءك؟ فقال: بلادٌ حصينة وكفرٌ شديد. فتوضَّأ النبيُّ ﷺ ثم قال: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً**» ثلاث مراتٍ. قال أبو هريرة: فلمّا صَلّى النبيُّ ﷺ خِفْتُ أن يدعو على قومي فيهلِكوا، فصحْتُ: واقوماه! فلمّا دعا لهم سُرِّيَ عني، ولم يحبَّ الطفيل أن يدعو لهم لخلافِهم عليه، فقال له: لم أُحِبَّ هذا منك يا رسول الله. فقال له: إن فيهم مثلكَ كثيراً. وكان جندبُ بن عمرو بن حممة بن عوف بن غويَّة بن سعد بن الحارث بن ذبيان بن عوف بن مُنْهِب بن دوس يقول في الجاهلية: إنَّ للخلقِ خَالِقاً لا أعلمُ ما هو. فخرج حينئذ في خمسةٍ وسبعين رجلاً حتى أتى النبيَّ ﷺ، فأسلمَ وأسلموا. قال أبو هريرة: ما زلت ألوي الآجرّة بيدي، ثم لويتُ على وسطي حتى كَأَنّي بِجادٌ[٦] أسود، وكان جندب يقرّبهم إلى النبيّ ﷺ رجلاً رجلاً، فيسلمون.

---

(١) الخَسْف: الذُّلّ. والحَتْم: القضاء.

(٢) حفزَ يحفِزُ: دفعَ وأعجلَ. وكانسات: مقيمات.

(٣) سورة الإخلاص: الآيات من ١ ـ ٤.

(٤) سورة الفلق: الآية ١.

(٥) ذو رِمَع: موضع باليمين (معجم البلدان ٣/٦٨).

(٦) البِجاد: كساء مخطّط من أكسية العرب كانوا يشتملون به.

وهذه الأبيات التي فيها الغِناء من قصيدةٍ للحارثِ بن الطفيل، قالها في حربٍ كانت بين دَوس وبين بني الحارث بنِ عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دَهْمان بن نصرِ بن زهران.

وكان سبب ذلك فيما ذُكِرَ عن أبي عمرو الشّيبانيّ أن ضِماد بن مُسَرّح بن النعمان بن الجبّار بن سعدِ بنِ الحارث بنِ عبد الله بن عامرِ بن الحارثِ بن يشكر، سيّد آل الحارث، كان يقول لقومه: أُحَذِّرُكُم جرائرَ أحمَقَيْنِ من آل الحارثِ يُبطلانِ رياستكم. وكان ضِمَادٌ يتعيَّف[1]، وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلَّها، فكانت دوسٌ أتباعاً لهم، وكان القتيلُ من آلِ الحارثِ تؤخذ له دِيَتانِ، ويعطون إذا لزمهم عقلُ قتيل من دوس دِيةً واحدة، فقال غلامان من بني الحارث يوماً: ائتوا شيخَ بني دوس وزعيمَهم الذي ينتهون إلى أمرِهِ فلنقتله. فأتياه، فقالا: يا عمِّ، إنَّ لنا أمراً نريد أن تحكمَ بيننا فيه. فأخرجاه من منزِله، فلمَّا تَنَحَّيا به قال له أحدهما: يا عمّ، إنَّ رِجلي قد دخلت فيها شوكة، فأخرِجْها لي. فنكسَ الشيخُ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله، فعمَدتْ دوس إلى سيِّد بني الحارث، وكان نازلاً بقَنَوْنَى[2] فأقاموا له في غَيْضةٍ في الوادي، وسرحت إبله فأخذوا منها ناقة فأدخلوها الغيضة وعَقَلوها، فجعلت الناقةُ ترغو وتحِنُّ إلى الإبل، فنزل الشيخُ إلى الغيضة ليعرفَ شأنَ النّاقةِ، فوثبوا عليه فقتلوه، ثم أتَوا أهله، وعرفت بنو الحارثِ الخبر، فجمعوا لِدَوس وغَزَوْهُم فَنذِروا[3] بِهِم فقاتلوهم فتناصفوا، وظَفِرَتْ بنو الحارثِ بِغِلمَةٍ من دوس فقتلوهم، ثم إنّ دوساً اجتمع منهم تِسعةٌ وسبعون رجلاً، فقالوا: مَن يكلّمنا، مَنْ يُمانينا[4] حتّى نغزوَ أهل ضِماد؟ فكان ضِماد قد أتى عُكاظ، فأرادوا أن يخالِفوه إلى أهله، فمرّوا برجل من دوسٍ وهو يتغنّى: [الوافر]

فإنَّ السِّلْمَ زَائِدَةٌ نَوَاهَا ... وإنَّ نَوَى المحارِبِ لا تَرُوبُ[5]

فقالوا: هذا لا يتبعُكم، ولا ينفعكم إن تَبِعَكم، أما تسمعون غِناءه في السّلم. فأتوا حُمَمَة بن عمرو، فقالوا: أرسلْ إلينا بعض ولدك. فقال: وأنا إن شِئتم. وهو

(١) يتعيَّف: يعمل العيافة وهي زجر الطير.
(٢) قَنَوْنى: وادٍ من أودية السّراة في أرض اليمن من جهة مكة (معجم البلدان ٤/ ٤٠٩).
(٣) نَذِروا بهم: عَلِموا بهم فحذروهم.
(٤) يمانينا: ينتظرنا ويُدَارينا.
(٥) لا تروب: لا تفتر.

عاصبٌ حاجبَيه من الكِبر. فأخرج معهم ولَده جميعاً، وخرج معهم، وقال لهم: تفرَّقوا فِرقتين، فإذا عرفَ بعضُكم وجوه بعض فأغيروا، وإياكم والغارةَ حتّى تتفارقوا لا يقتلْ بعضكم بعضاً. ففعلوا، فلم يلتفِتوا حتّى قتلوا ذلك الحيَّ من آل الحارثِ، وقتلوا ابناً لضِمادٍ، فلمّا قدِمَ قطع أُذُنَيْ ناقتِه وذنبها، وصرخ في آل الحارث، فلم يزلْ يجمعُهم سبع سنين ودوسٌ تجتمع بإزائه، وهم مع ذلك يتغاورون ويتطرَّفُ بعضهم بعضاً[١]، وكان ضِماد قد قال لابن أخٍ له يكنى أبا سفيان لما أراد أن يأتي عكاظ: إنْ كنت تَحْرُز[٢] أهلي، وإلاّ أقمْتُ عليهم. فقال له: أنا أحرِزهم من مائة؛ فإنْ زادوا فلا. وكانت تحت ضِمادٍ امرأةٌ من دوس، وهي أخت مربان بن سعدِ الدوسِيّ الشاعر، فلما أغارت دوسٌ على بني الحارث قصَدها أخوها، فلاذت به، وضمّت فخِذَها على ابنها من ضِمادٍ، وقالت: يا أخي، اصرِفْ عنّي القوم، فإنيّ حائض لا يكشفوني. فنكزَ سِيَةِ[٣] القوس في دِرعِها، وقال: لستِ بحائِض، ولكن في دِرعِك سَخْلَةٌ[٤] بكذا مِن آل الحارِث، ثم أخرج الصبيَّ فقتله، وقال في ذلك: [الطويل]

أَلاَ هَـلْ أَتَـى أُمَّ الـحُـصَـيْـنِ ولـو نَـأَتْ ... خِـلاَفَـتُـنـا فـي أَهْـلِـهِ ابْـنُ مُـسَـرَّحِ
ونَـضْـرةُ تَـدْعُـو بِـالـفِـنَـاءِ وطَـلْـقُـهـا ... تَـرَائِـبُـهُ يَـنْـفَـحْـنَ مِـنْ كُـلِّ مَـنْـفَـحِ[٥]
وفَـرَّ أبـو سُـفْـيَـانَ لَـمَّـا بَـدَا لـنـا ... فِـرَارَ جَـبَـانٍ لأُمِّـهِ الـذُّلُّ مُـقْـرَحِ[٦]

[يوم حضرة الوادي وإبادة بني الحارث]

قال: فلم يزالوا يتغاورون حتّى كان يومُ حضرةِ الوادي، فتحاشَدَ الحيّان، ثم أتتهم بنو الحارث ونزلوا لقتالِهم، ووقف ضِماد بن مسرّح في رأسِ الجبل، وأتتهم دوس، وأنزل خالدُ بنُ ذي السبلة بناتِه هنداً وجندلةَ وفطيمة ونضرة، فبَنَيْنَ بيتاً، وجعلْنَ يَستقِين الماء، ويحضِّضْن[٧]. وكان الرجل إذا رجع فارّاً أعطيْنه مُكْحُلةً

(١) يتطرّفُ: يُغِيرُ بعضهم على بعض.
(٢) تحرز: تحفظ.
(٣) سِيَةُ القوس: ما عُطِفَ من طرفيها.
(٤) السَّخْلَة: ولد الشاة.
(٥) الطَّلق: الظَّبي. والترائب: جمع التريبة: عظام الصدر. وينفحنَ: ينضحن دماً.
(٦) مُقْرَح: مجروح.
(٧) يحضضن: يحثثن.

وَمِجْمراً[١]، وقلن: معنا فانزل ـ أي إنك من النساء ـ وجعلت هندُ بنت خالدٍ تحرّضهم وترتجز وتقول: [الرجز]

مَــنْ رَجُــلٌ يُـنَـازِلُ الـكَـتِـيـبَـهْ فَـذَلِـكُـمْ تَـزْنِـي بـه الـحَـبِـيـبَـهْ

فلمَّا التقَوا رمى رجلٌ من دوس رجلاً من آلِ الحارث، فقال: خُذْها وأنا أبو الزَّبْن[٢]، فقال ضِماد وهو في رأسِ الجبل وبنو الحارث بحضرة الواديٍ: يا قوم، زُبِنتم فارجعوا. ثم رجل آخر من دوس، فقال: خذها وأنا أبو ذِكْر[٣]. فقال ضِماد: ذهب القوم بذكرها، فاقبلوا رأيي وانصرِفوا، فقال: قد جُبِنْتَ يا ضِماد. ثم التقوا، فَأُبِيدَتْ بنو الحارث. هذه رواية أبي عمرو.

وأمّا الكلبيّ فإنه قال: كان عامر بن بكر بنِ يشكر يقال له الغِطرِيف ويقال لبنيه الغطاريف، وكان لهم دِيتان، ولسائر قومه دِيَةٌ، وكانت لهم على دَوْس إِتَاوةٌ يأخذونها كلَّ سنة، حتى إنْ كان الرجل منهم ليأتي بيت الدَّوْسِيّ فيضع سَهمه أو نعلَه على الباب، ثم يدخل، فيجيءُ الدَّوْسِيُّ، فإذا أبصر ذلك انصرف ورَجَعَ عن بيته، حتّى أدرك عمرو بن حُمَمَة بن عمرو فقال لأبيه: ما هذا التَّطَوُّلُ الَّذي يتطوَّلُ به إخواننا علينا؟ فقال: يا بُنَيَّ، إنَّ هذا شيءٌ قد مضى عليه أوائِلنا، فأعرِضْ عن ذكره. فأعرضَ عن هذا الأمر، وإنّ رجلاً من دَوْس عَرَّسَ بِابنةِ عم له، فدخل عليها رجل من بني عامرِ بنِ يَشكُر، فجاء زوجُها فدخل على اليشكريّ، ثم أتى عَمرو بنَ حممة فأخبره بذلك، فجمع دوساً وقام فيهم، فحرّضهم وقال: إلى كم تصبرون لهذا الذلّ، هذه بنو الحارثِ، تأتيكم الآن تقاتِلكم، فاصبروا تعيشوا كِراماً أو تموتوا كِراماً. فاستجابوا له، وأقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلوا، واقتتلوا، فظفِرَتْ بهم دوسٌ، وقتلتهم كيف شاءت، فقال رجل من دوس يومئذٍ: [الرجز]

قـد عَـلِـمَـتْ صَـفْـرَاءُ حَـرْشَـاءُ الـذَّيْـلْ شَـرَّابَـةُ الـمَـحْـضِ تَـرُوكُ لِـلـقَـيْـل[٤]

(١) المكحلة: وعاء الكحل ـ والمِجْمَر: ما يوضع فيه الجمر.
(٢) الزّبْن: الدفع.
(٣) الذِّكْر: الصِّيت والثناء.
(٤) الحرشاء: الخشنة، والمَحْض: اللبن الخالص. والقَيْل: اللبن يشرب في نصف النهار.

تُرْخِي فُروعاً مِثْلَ أَذْنَابِ الخَيْلْ إِنَّ بَرُوقاً دُونَها كَالوَيْل[1]
ودونها خَرْطُ القَتادِ بِاللَّيل[2]

وقال الحارث بن الطُّفيل بن عمرو الدّوسي في هذا اليوم، عن أبي عمرو:

[الكامل]

يا دَارَ مِن مَاوِيَّ بِالسَّهْبِ بُنِيَتْ على خَطْبٍ مِنَ الخَطْبِ[3]
إذ لا تَرَى إلاَّ مُقَاتِلَةً وعَجَانِساً يُرْقِلْنَ بِالرَّكْبِ[4]
ومُدَجَّجاً يَسْعَى بِشِكَّتِهِ مُحْمَرَّةً عَيْنَاه كَالكَلْبِ[5]
ومَعَاشِراً صَدَأُ الحَدِيدُ بِهِمْ عَبَقَ الهِنَاءِ مَخَاطِمَ الجُرْبِ
لَمَّا سَمِعْتُ نَزَال قَدْ دُعِيَتْ أَيْقَنْتُ أَنَّهُمُ بَنُو كَعْبِ
كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو لا لِكَعْبِ بَنِي الـ ـعَنْقَاءِ والتِّبْيَانُ في النَّسَبِ
فَرَمَيْتُ كَبْشَ القَوْمِ مُعْتَمِداً فَمَضَى ورَاشُوهُ بِذِي كَعْبِ[6]
شَكُّوا بِحَقْوَيْهِ القِدَاحَ كَمَا نَاطَ المُعَرِّضُ أَقْدُحَ القُضْبِ[7]
فكَأَنَّ مُهْرِي، ظَلَّ مُنْغَمِساً بِشَبَا الأَسِنَّةِ، مَغْرَةُ الجَأْبِ[8]
يا رُبَّ مَوضُوعٍ رَفَعْتُ ومَرْ فُوعٍ وَضَعْتُ بِمنزلِ اللُّصْبِ[9]
وحَلِيلِ غَانِيةٍ هَتَكْتُ قَرَارَها تَحْتَ الوَغَى بِشَدِيدَةِ العَضْبِ[10]
كَانَتْ على حُبِّ الحَيَاةِ فَقَدْ أَحْلَلْتُها في مَنْزِلٍ غَرْبِ[11]
«جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكِ وقَدْ تُعْدِي الصِّحَاحَ مَبارِكُ الجُرْبِ»[12]

---

(١) الفروع: جمع الفرع: الشعر.
(٢) القتاد: الشوك.
(٣) السَّهب: الفلاة وهي سبخة بين الحُمّتين والمضياعة تبيض فيها النعام (معجم البلدان ٣/ ٢٨٩).
(٤) العجانس: جمع العَجَنَّس: الجمل الضخم الصلب الشديد.
(٥) الشّكة: السلاح.
(٦) كبش القوم: سيّدهم. وراشوه: حابوه وصَانَعوه. وذو كعب: الرمح.
(٧) الحَقْوُ: الخصر. والقِداح: السهام. وناط: عَلَّقَ. والمُعَرِّض: الرامي الذي يعرّض القوس ويضجعها ويرمي عنها. والقُضب: جمع القضيب: القوس عُملت من قضيب أو من غصن غير مشقوق.
(٨) شبا الأسِنّة: حَدُّها. والمَغرة: لون مائل إلى الحمرة. والجَأب: موضع (معجم البلدان ٢/ ٩٠).
(٩) اللِّصب: مضيق الوادي.
(١٠) العَضْب: الطعن والقطع.
(١١) المنزل الغَرْب: البعيد.
(١٢) الصِّحاح: الإبل الصحيحة. والمبارك: المكان الذي تبرك فيه.

هذا البيت في الغناء في لحنِ ابنِ سُرَيج؛ وليس هو في هذه القصيدةِ، ولا وُجِد في الرواية، وإنما ألحقناه بالقصيدةِ لأنه في الغِناء كما تُضِيف المغنون شعراً إلى شعر، وإن لم يكن قائلهما واحداً إذ اختلف الرَّوِيّ والقافية.

صوت

[مجزوء الوافر]

صَرَفْتُ هَوَاكَ فَانْصَرَفا ولَمْ تَدَعِ الَّذِي سَلَفا
وبِنْتَ فَلَمْ أَمُتْ كَلِفَا عَلَيْكَ وَلَمْ تَمُتْ أَسَفَا
كِلانَا وَاجِدٌ في النَّا سِ مِمَّنْ مَلَّهُ خَلَفا

الشّعر لعبد الصّمد بن المعذّل، والغناء للقاسم بن زُرْزُور، رملٌ بالوسطى، وفيه لعمرَ الميداني هزجٌ.

أخبار عبد الصمد بن المُعَذَّل ونسبه

[توفي نحو ٢٤٠ هـ/ نحو ٨٥٤ م]

[نسبه وموقعه من الشعراء]

عبد الصَّمَد بن المُعَذَّل بن غَيْلان بن الحكم بن البَخْتريّ بن المختار بن ذَرِيح بن أوس بن هَمّام بن ربيعة بن بشيرِ بن حُمْرَان بنِ جِدرِجان بن عساس بن ليثِ بن حُدَاد بن ظالم بنِ ذُهل بن عجل بن عمرو بنِ وديعة بن لُكَيز بن أفصى بنِ عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جدِيلة بن أسد بنِ ربيعة بن نِزارٍ. وقيل: ربيعة بن ليث بن حمران.

وجدت في كتابٍ بخطّ أحمد بن كامل: حَدَّثني غيلانُ بن المعذل أخو عبد الصَّمد، قال: كان أبي يقول: أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بنُ جديلة بن أسد، وأفصى جدُّ بكر بن وائل هو أفصى بن دُعمِيّ. والنسابون يغلطون في قولهم عَبْدُ القيس بن أفصى بن دُعمِيّ. ويكنى عبد الصَّمد أبا القاسم، وأمّه أم ولد يقال لها: الزَّرقاء. شاعرٌ فصيح من شعراء الدولة العباسية، بصريّ المولد والمنشأ. وكان هَجَّاءً خبيثَ اللِّسان، شديد العارضة، وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً، إلاَّ أنه كان عفيفاً، ذا مروءة ودين وتقدّم في المعتزلة، وله جاه واسع في بلدِه وعند سلطانه، لا يقاربه عبد الصّمد فيه، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه، وعبد الصَّمد أشعرهما، وكان أبو عبدِ الصّمد المُعَذَّل وجَدّه غيلان شاعرَيْن، وقد رُوِيَ عنهما شيء من الأخبار واللّغةِ والحديث ليس بكثير، والمعذَّل بن غيلان هو الذي يقول: [الطويل]

إلَى اللّهِ أشْكُو لاَ إلى النَّاسِ أنَّنِي ... أرَى صَالِحَ الأعْمَالِ لا أسْتَطِيعُها

أرَى خَلَّةً فِي إخْوَةٍ وأقَارِبٍ ... وذِي رَحِمٍ مَا كَانَ مِثْلِي يُضِيعُها

فلو سَاعَدَتْنِي في المَكَارِمِ قُدْرَةٌ ... لَفَاضَ عَلَيْهِمْ بِالنَّوَالِ رَبِيعُها

أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش، عن المبرّد، وأنشدناه محمّدُ بنُ خلفِ بن المرزُبانِ عن الرّبعي أيضاً. قالا: وهو القائل: [الطويل]

ولَسْتُ بِمَيَّالٍ إلى جَانِبِ الغِنَى إذا كَانَتِ العَلْيَاءُ في جَانِبِ الفَقْرِ
وإنّي لَصَبَّارٌ على مَا يَنُوبُنِي وحَسْبُكَ أَنَّ اللَّهَ أَثْنَى على الصَّبْرِ

المهاجاة بينه وبين أبان اللاحقي وبعض أخباره

أخبرني محمد بن خلفٍ، قال: حَدَّثنا النَّخَعيّ وإسحاق، قال: هجا أبان اللاَّحقيّ المعذَّل بنَ غَيْلان، فقال: [الخفيف]

كُنْتُ أَمْشِي مَعَ المُعَذَّلِ يَوْماً فَفَسَا فَسْوَةً فَكِدْتُ أَطِيرُ
فَتَلَفَّتُّ هَلْ أَرَى ظَرِبَانَا مِنْ وَرَائِي والأَرْضُ بي تستديرُ[1]
فَإِذَا لَيْسَ غَيْرُهُ وإذا إغْـ ـصَارُ ذاكَ الفُسَاءِ مِنْه يَفُورُ
فتَعَجَّبْتُ ثُمّ قُلْتُ لَقَدْ أَغْـ ـرِفُ، هَذَا فِيمَا أَرَى خِنْزِيرُ

فأجابه المعذَّل فقال: [مجزوء الرمل]

صَحَّفَتْ أُمُّكَ إذْ سَمْـ ـمَتْكَ بِالمَهْدِ أَبَانَا
قد عَلِمْنَا مَا أَرَادَتْ لَمْ تُرِدْ إلاَّ أَتَانَا
صَيَّرَتْ بَاءً مَكَانَ الـ ـتَّاءِ واللَّهِ عِيَانَا
قَطَعَ اللَّهُ وَشِيكاً مِن مُسَمِّيكَ اللِّسَانَا

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا المبردُ قال: مرَّ المعذلُ بنُ غيلانَ بعبد الله بن سَوّار العنبريّ القاضي، فاستنزلَه عبدُ الله، وكان من عادة المعذَّل أن ينزل عنده، فأبى، وأنشده: [الوافر]

أَمِنْ حَقِّ المَوَدَّةِ أَنْ نُقَضِّي ذِمَامَكُمُ ولا تَقْضُوا ذِمَامَا
وقَدْ قَالَ الأَدِيبُ مَقَالَ صِدْقٍ رَآهُ الآخَرُونَ لَهُمْ إمَامَا
إذا أَكْرَمْتُكُمْ وأَهَنْتُمُونِي ولَمْ أَغْضَبْ لِذُلِّكُمُ فَذَاما[2]؟

قال: وانصرف، فبَكَّر إليه عبد الله بنُ سوار، فقال له: رأيتك أبا عمرو مُغْضَباً. فقال: أجل ماتت بنتُ أختي ولم تأتِني. قال: ما علمت ذلك. قال: ذَنْبُك

(١) الظَّرِبان: دويبة كالهرة منتنة إذا فستْ في ثوب لا تذهب رائحته أبداً.
(٢) ذا ما: أي ماذا يُسَمَّى ذلك؟

أشدُّ من عُذْرِكَ، وما لي أنا أعرف خَبَر حقوقك، وأنت لا تعرف خبرَ حقوقي؟! فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رَضِيَ عنه.

حَدَّثني الحسنُ بنُ علي الخَفَّاف، قال: حَدَّثنا ابن مهرويه عن الحَمْدوني، قال: كان شروينُ حسنَ الغناء والضَّرب، وكان من أراد أن يغنّيه حتى يخرج من جلده جاء بجويريةٍ سوداء فأمرها أن تطالعه، وتُلوّح له بخرقة حمراء، ليظنَّها امرأةً تطالِعه، فكان حينئذٍ يغنّي أحسَنَ ما يقدر عليه تصنُّعاً لذلك، فغضب عليه عبد الصَّمد في بعض الأمور، فقال يهجوه: [السريع]

مَنْ حَلَّ شَرْوِينُ له مَنْزِلاً ... فَلْتَنْهَهُ الأُولَى عَنِ الثَّانِيَهْ

فَلَيْسَ يَدْعُوهُ إِلى بَيْتِهِ ... إلاّ فَتًى في بَيْتِهِ زانِيَهْ

أخبرني الحسن، قال: حَدَّثنا ابن مَهرويه، قال: حَدَّثني أبو عمرو البصريّ، قال: قال عبدُ الصَّمد بن المعذَّل في رجلٍ زانٍ من أهلِ البصرة كانت له امرأةٌ تزني، فقال: [السريع]

إنْ كُنْتِ قَدْ صَفَّرْتِ أُذْنَ الفَتَى ... فَطَالَمَا صَفَّرَ أَذَانَا

لا تَعْجَبِي إنْ كُنْتِ كَشْخَنْتِهِ ... فَإِنَّما كَشْخَنْتِ كَشْخَانَا[1]

أخبرني جعفرُ بن قدامة بنِ زيادٍ الكاتب، قال: حَدَّثنا سَوّار بن أبي شُراعة، قال: كان بالبصرة رجلٌ يعرف بابن الجوهريّ، وكانت له جاريةٌ مغنّيةٌ حسنةُ الغناء، وكان ابنُ الجوهريّ شيخاً هِمّاً[2] قبيحَ الوجه، فتَعشَّقَتْ فتى كاتباً كان يعاشره ويدعوه، وكان الفتى نظيفاً ظريفاً، فاجتمعت معه مِراراً في منزله، وكان عبدُ الصَّمد يعاشره، فكان الفتى يكاتِمُه أمره، ويحلِفُ له أنّه لا يهواها، فدخلتُ عليهما ذاتَ يوم بغتةً، فبقِيَ الفتى باهتاً لا يتكلَّم، وتغير لونهُ وتخلَّج في كلامه، فقال عبد الصَّمد: [مجزوء المتقارب]

لِسَانُ الهَوَى يَنْطِقُ ... وَمَشْهَدُهُ يَصْدُقُ

لَقَدْ نَمَّ هَذَا الهَوَى ... عَلَيْكَ وما يُشْفِقُ

إذا لَمْ تَكُنْ عَاشِقاً ... فَقَلْبُكَ لِمْ يَخْفُقُ؟

ومَا لَكَ إمَّا بَدَتْ ... تَحَارُ فَلا تَنْطِقُ

---

(١) كشخن الرجل: اتُّهِمَ بالدِّياثة وعدم الغيرة على أهله.

(٢) الرجلُ الهِمُّ: الفاني.

أَشَمْسٌ تَجلَّتْ لَنَا أَمِ القَمَرُ المُشْرِقُ

الغناءُ في هذه الأبياتِ لرذاذٍ، ويقال للقاسم بن زرزور، رملٌ مطلقٌ قال: ثم طال الأمر بينهما، فهربتْ إليه جملةٌ، فقال عبد الصّمد في ذلك[1]:

إلى امرِىءٍ حَازِمٍ رَكِبَتْ أيَّ امرِىءٍ عَاجِزٍ تَرَكَتْ
فِتْنَةُ ابْنِ الجَوْهَرِيِّ لَقَدْ أَظْهَرَتْ نُصْحاً وقد أَفِكَتْ
أَكْذَبَتْها عَزْمَةٌ ظَهَرَتْ لا تُبَالِي نَفْسَ مَنْ سَفَكَتْ
ظَفِرَتْ فِيها بِمَا هَوِيَتْ ونَجَتْ مِنْ قُرْبِ من فَرِكَتْ[2]
ثمَّ خدودٌ بَعْدَها لُطِمَتْ وجُيوبٌ بَعْدَها هُتِكَتْ
وعُيونٌ لا يُرقَّأنَ على حُسْنِ وَجْهٍ فَاتَهُنَّ بَكَتْ[3]
خَرَجَتْ واللَّيلُ مُعْتَكِرٌ لم يَهُلْها أَيَّةً سَلَكَتْ
وعُيُونُ النَّاسِ قَدْ هَجَعَتْ وَدُجَى الظَّلْمَاءِ قَدْ حَلَكَتْ
لم تَخَفْ وَجْداً بِعَاشِقِها حُرمَةَ الشَّهْرِ الَّذي انْتَهَكَتْ
ورَأَتْ لَمَّا سَقَتْ كَمَداً أنَّها في دِينِها نَسَكَتْ
مُلِّئَتْ كَفٌّ بِها ظَفِرَتْ دُونَ هذا الخَلْقِ ما مَلَكَتْ
أيُّ مُلْكٍ إذَا خَلاَ وخَلَتْ فَشَكَا أَشْجَانَهُ وشَكَتْ
تَجْتَلِي مِنْ وَجهِهِ ذَهَباً وَهْوَ يَجْلُو فِضَّةً فَتَكَتْ
هَكَذا فِعْلُ الفَتَاةِ إذَا هِيَ في عُشَّاقِها مَحَكَتْ[4]

أخبرني الحسنُ بن علي، قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيه، قال: حَدَّثني بعض أصحابنا قال: نظر عبد الصَّمد بن المعذَّل إلى جارٍ له يخطِرُ في مِشيته خَطْرةً منكرة، وكان فقيراً رَثَّ الحال، فقال فيه: [الخفيف]

يَتَمَشَّى في ثَوْبِ عَصْبٍ مِنَ العُزْ يِ عَلَى عَظْمِ سَاقِهِ مَسْدُولِ[5]

---

(١) معظم أبيات هذه القصيدة على المديد والباقي على غير أوزان العرب.
(٢) فَرِكَتْ: كرهت.
(٣) لا يَرَقَّأن: لا تجفُّ دموعُها.
(٤) مَحكَتْ: لَجَّتْ وأمعنت.
(٥) العَصْب: ضربٌ من البرود.

دَبَّ فـي رَأسِـهِ خُـمَـارٌ مِـنَ الـجُـو ... عِ سُرَى خُمْرَةِ الرَّحِيقِ الشَّمُولِ[١]
فـبَـكَـى شَـجْـوَهُ وحَـنَّ إلـى الـخُـ ... ـبـزِ ونَـادَى بِـزَفْـرَةٍ وعَـويـلِ
مَـن لِـقَـلْـبٍ مُـتَـيَّـمٍ بِـرَغِـيـفَـيْـ ... ـنِ ونَـفْـسٍ تَـاقَـتْ إلى طِـفْـشِـيـلِ[٢]
لـيـسَ تَـسْـمُـو إلـى الـوَلائِـمِ نَـفْـسِـي ... جَـلَّ قَـدْرُ الأَعْـرَاسِ عـن تَـأْمِـيـلـي
هَـاتِ لَـوْنـاً وقُـلْ لِـتِـلْـكَ تُـغَـنِّـي ... لَـسْـتُ أَبْـكِـي لِـدَارِسَـاتِ الـطُّـلُـولِ

[عبد الصمد بن المعذّل يرثي أبا سلمة الطفيلي]

أخبرنا سَوّارُ بنُ أبي شُراعة، قال: كان بالبصرة طُفَيْلِيٌّ يُكَنَّى أبا سلمة، وكان إذا بلغه خَبرُ وليمة لبسَ لِبْسَ القضاةِ، وأخذ ابنَيْهِ معه وعليهما القلانِس[٣] الطِّوال، والطَّيالِسَةُ[٤] الرِّقاق، فيقدّم ابنيه، فيدقُّ البابَ أحدُهما ويقول: افتح يا غلام لأبي سلمة. ثم لا يُلبِث البوابَ حتى يتقدّم الآخرُ، فيقول: افتحْ ويلكَ فقد جاء أبو سلمة. ويتلوهم، فيدقُّون جميعاً الباب، ويقولون: بادِرْ ويلكَ، فإنَّ أبا سلمة واقفٌ، فإن لم يكن عَرَفهم فتح لهم، وهابَ منظرهم، وإن كانت معرفتُه إيّاهُم قد سبَقتْ لم يلتفِتْ إليهم، ومع كلِّ واحد منهم فِهْرٌ[٥] مدوَّر يسمونه «كَيسان»، فينتظِرون حَتَّى يجيءَ بعضُ من دُعِي، فيفتحُ له البابُ، فإذا فُتِحَ طرحوا الفِهْرَ في العتَبة حيث يدور البابُ، فلا يقدر البواب على غلقه، ويهجمُون عليه فيدخلون. فأكل أبو سلمة يوماً على بعضِ الموائد لُقمةً حارّة من فالوذج[٦]، وبَلعَها لشّدةِ حرارتها، فَجُمِعَتْ أحشاؤه فماتَ على المائدة، فقال عبدُ الصمد بنُ المعذل يرثيه:

[البسيط]

أحزانُ نَفْسِي عليها غَيْرُ مُنْصَرِمَهْ ... وأَدْمُعي مِنْ جُفونِي الدَّهْرَ مُنْسَجِمَهْ
على صَدِيقٍ ومَوْلًى لِي فُجِعْتُ بِهِ ... ما إنْ لهُ في جَمِيعِ الصَّالِحينَ لُمَهْ[٧]

---

(١) الخُمار: ألم الخمر وصداعها. والشَّمول: الباردة.
(٢) الطِّفشيل: نوع من الطعام أو المرق.
(٣) القلانس: جمع القَلَنْسُوة: نوع من الثياب يلبس على الرأس.
(٤) والطيالسة: جمع الطيلسان: هو لباس العلماء وهو كساء أخضر.
(٥) الفِهْر: الحجر قدر ما يملأ الكفّ.
(٦) الفالوذج: نوع من الحلوى الفارسية تصنع من الدقيق والعسل.
(٧) اللُّمَةُ: المِثْلُ.

كم جَفْنةٍ مِثلِ جَوْفِ الحَوْضِ مُتْرَعَةٍ كَوْمَاءَ جَاءَ بـهـا طَبَّاخُـهـا رَذِمَـهْ[١]
قـد كَلَّـلَـتْـهـا شُحُـومٌ مِـن قَلِيَّـتِـهـا ومِـنْ سَنَام جَزُورٍ غَـبْـطَـةٍ سَنِـمَـهْ[٢]
غُيِّبْتَ عَنـهـا فلـم تَعْـرِفْ لـه خَبَـراً لَـهْـفِـي عَلَـيْـكَ ووَيْـلِـي يـا أَبـا سَلَـمَـهْ
ولـو تـكـونُ لـهـا حَـيّـاً لَـمَـا بَـعُـدَتْ يوماً عليكَ ولو في جَاحِمٍ حُطَمَهْ[٣]
قـد كُـنْـتُ أعـلـمُ أَنَّ الأَكْـلَ يَـقـتُـلُـهُ لَكِنَّنِي كنتُ أَخْشَى ذَاكَ مِنْ تُخَمَهْ
إذا تَـعَـمَّـمَ فـي شِـبْـلَـيْـهِ ثُـمَّ غَـدَا فَإنَّ حَوزَةَ مَنْ يَأْتِيهِ مُصْطَلَمَهْ[٤]

[تعشّقه لفتى وقوله الشعر حين صدّ عنه]

أخبرني محمد بن خلف بنِ المرزُبانِ، قال: حدّثني أحمد بن يزيدَ المهلبي عن أبيه، قال: كان عبد الصَّمد بن المعذل يتعشَّقُ فتًى من المغنين، يقال له: أحمد، فغاضَبَه الفتى وهَجَره، فكتب إليه:

صوت

[المنسرح]

سَلْ جَزَعي مُذْ صَدَدْتَ عَنْ حَالِي هَـل خَـطَـرَ الـصَّـبْـرُ عـلـى بَـالِـي
لا غَـيَّـرَ الـلَّـهُ سُـوءَ فِـعْـلِـكَ بِـي إنْ كُـنْـتُ أَعْـتَـبْـتُ فـيـكَ عُـذَّالِـي
ولا ذَمَـمْـتُ الـبُـكَـا لـي عَـلَـيـكَ ولا حَـمِـدْتُ حُـسْـنَ الـسُّـلُـوِّ مِـنْ سَـالِ
لـو كُـنْـتُ أَبْـغِـي سِـوَاكَ مـا جَـهِـلَـتْ نَـفْـسِـيَ أَنَّ الـصُّـدُودَ أَعْـفَـى لِـي[٥]

لجحظةَ في هذه الأبيات رملٌ مطلق.

[هجاؤه وعتابه]

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا محمد بن القاسمِ بن مَهْرويه، قال: حدّثني عليُّ بنُ محمدٍ النَّوفلي، فقال: هجا عبدُ الصّمد بنُ المعذَّل قَيْنَةً بالبصرة قال فيها:

[البسيط]

تفتَرُّ عَنْ مَضْحَكِ السِّذْرِيِّ إنْ ضَحِكَتْ كَـرْفَ الأَتَـانِ رَأَتْ إِدْلاَءَ أَعْـيَـارِ[٦]

---

(١) الكوماء: المرتفعة. والرَّذِمَة: التي تسيل دسماً.
(٢) الغَبْطَة: التي ذُبِحَتْ من غير علّة. والسَّنمة: العظيمة السَّنام.
(٣) الجاحم الحُطَمَة: النار الشديدة.
(٤) المصطلمة: المستأصَلة.
(٥) أعفى: أطيب وأفضل.
(٦) السِّدريّ: عنى به أبا نبقة السّدريّ. وكَرْفُ الأتان: يقال كرف الحمارُ: شَمّ بولَ الأتان ثم رفع رأسه. وأدلى الفرسُ: أخرج ذَكَره ليبول. والأعيار: جمع العَيْر: الحمار.

يَفُوحُ رِيحُ كَنِيفٍ مِنْ تَرَائِبِهَا سَوْدَاءُ حَالِكَةٌ دَهْمَاءُ كَالقَارِ[١]

قال: فكَسَدت واللَّه تلك القينةُ بالبصرة، فلم تُدْعَ ولم تُسْتَتْبَعْ حتى أُخرِجَتْ عنها.

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفش، قال: حدّثنا المبرد، قال: كتب عبد الصّمد بن المعذل إلى بعض الأمراء رُقعةً فلم يُجِبْهُ عنها، لِشيء كان بلغه عنه، فكتب إليه: [الخفيف]

قد كتبتُ الكِتَابَ ثم مَضَى اليو مُ ولم أدرِ ما جَوَابُ الكِتَابِ

لَيْتَ شِعْرِي عَنِ الأميرِ لِمَاذا لا يَرَانِي أَهْلاً لِرَدِّ الجَوَابِ

لا تَدَعْني وأَنْتَ رَفَّعْتَ حَالِي ذا انْخِفَاضٍ بِهجرَتي واجْتِنَابِي

إنْ أَكُنْ مُذْنِباً فعِنْدِي رُجُوعٌ وبَلاءٌ بِالعُذْرِ والإعْتَابِ

وأَنَا الصَّادِقُ الوَفَاءِ وذُو العَهْـ ـدِ الوَثِيقِ المُؤَكَّدِ الأَسْبَابِ

أخبرني الحرميّ بن عليّ، قال: حدّثني أبو الشّبل، قال: كان بالبصرة رجلٌ من ولدِ المهلّب بن أبي صفرة، يقال له: صبيانة، وكان له بستان سِرِّيٌّ في منزله، فكان يدعو الفتياتِ إليه، فلا يعطيهنَّ شيئاً من الدَّراهم، ويُقْصِرُ بهنَّ على ما يحمِلْنه مِن البستانِ معهنَّ، مثلَ الرُّطب والبقول والرياحين، فقال فيه عبد الصمد قوله: [الرجز]

قَوْمٌ زُنَاةٌ مَا لَهُمْ دَرَاهِمُ جَذْرُهُمُ النَّمَّامُ والحَمَاحِمُ[٢]

أَنْذَلُ مَنْ تَجْمَعُهُ المَوَاسِمُ خَسُّوا وخَسَّتْ منهمُ المَطَاعِمُ

فعدلُهمْ إن قِسْتَه المَظَالِمُ

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني سَوّار بن أبي شُراعة، وأخبرنا به سوار إجازة، قال: حدّثني أبي، قال: لمَّا هجا الجمّاز عبدَ الصمد بنَ المعذَّل جاءني فقال لي: أنقِذني منه. فقلت له: أَمِثْلُكَ يَفْرَقُ من الجمّاز؟ فقال: نعم، لأنه لا يبالي بالهجاء ولا يفْرَقُ منه، ولا عِرْضَ له، وشِعره ينفُق[٣] على من لا يدري. فلم

(١) الكنيف: المرحاض. والترائب: جمع التريبة: الصدر.

(٢) الجَذْر: الأصل. والنّمّام: نبات عطريّ قويّ الرائحة. والحماحم: جمع حَمَاحمة: هو الحَبَق البستاني العريض الورق.

(٣) يَنْفُقُ: يروج وينتشر.

أزل حَتَّى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله[١] فيه: [المجتث]

ابْنُ الْمُعَذَّلِ مَنْ هُو وَمَنْ أَبُوه الْمُعَذَّلْ
سَأَلْتُ وَهْبَانَ عَنْهُ فَقَالَ بَيْضٌ مُحَوَّلْ[٢]

قال: وكان وَهْبان هذا رجلاً يبيع الحَمَامَ، فجمع جماعةً من أصحابه وجيرانه، وجَعَل يَغْشَى المجالسَ، ويَحْلِفُ أنّه ما قال: إن عبدَ الصَّمد بَيْضٌ مُحَوَّل، ويسألهم أن يعتذِرُوا إليه؛ فكان هذا منه قد صار بالبصرة طُرفةً ونادرة، فجاءني عبد الصَّمد يستغيثُ منه، ويقول لي: ألم أقُلْ لك إنَّ آفتي منه عظيمةٌ، واللَّه لدَوَرانُ وهبانَ على النّاس يحلف لهم إنه ما قال إني بيضٌ محوَّل، أشدُّ عَلَيَّ من هجائه لي. فبعثتُ إلى وَهبانَ فأحضرته، وقلت له: يا هذا، قد عَلِمْنا أنّ الجَمّازَ قد كَذَبَ عليك، وعَذَرناك فنحبُّ أن لا تَتَكَلّفَ العذرَ إلى النّاس في أمرنا، فإنّا قد عذرناك. فانصرَفَ وقد لَقِيَ عبد الصمد بلاء.

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ النحويّ صِهْر المبرد، قال: حدّثني إسحاق بن محمَّد النخعي قال: قال لي أبو شُرَاعةَ القيسيُّ: بَلَغَ أبا جعفر مَضْرَطان أن عبد الصَّمد بن المعذَّل هجاه، واجتمعا عند أبي واثِلَة السَّدوسيّ، فقال له مضرطان: بلغني أنك هَجَوْتَنِي. فقال له عبد الصَّمد: مَنْ أنتَ حتى أَهْجُوَكَ؟ قال: هذا شرٌّ مِن الهجاءِ. فوثب إلى عبدِ الصَّمدِ يضربه، فقال الحَمْدوِيّ، وهو إسماعيلُ بن إبراهيم بنِ حَمْدَوَيهِ، وحمدويهِ جدُّه، وهو الذي كان يقتل الزَّنادقة:

[مخلّع البسيط]

أَلَذُّ مِن صُحْبَةِ الْقَنَانِي أوِ اقْتِرَاحٍ عَلَى قِيَانِ[٣]
لَكْزُ فَتًى مِن بَنِي لُكَيْزٍ يُهْدَى لَه أهونَ الهَوَانِ[٤]
أَهْوَى لَه بَازِلٌ خِدَبٌّ يَطْحَنُ قَرْنَيْهِ بالجِرَانِ[٥]

---

(١) قوله: أي قول الجمّاز.
(٢) مُحَوَّل: أي حضنه غير أبويه.
(٣) القناني: قناني الخمر. والقِيان: جمع القينة: المغنيّة.
(٤) اللَّكز: الضرب. ولُكَيْز: هو ابن عبد القيس بن أفصى بن دعمي.
(٥) البازل: الذي دخل في سنته التاسعة من الإبل. والخِدَبُّ: الجمل الشديد الصلب. والقرنان: الجانبان. والجِران: مقدّم عنق البعير.

فَنَالَ مِنْهُ ثُؤُورَ قَومٍ ... بِاليَدِ طَوْراً وباللِّسَانِ[١]
وكانَ يَفْسُو فَصَارَ حَقّاً ... يَضْرِطُ مِنْ خوفٍ مَضْرَطَانِ

قال: وبلغ عبدَ الصَّمد شِعرُ الحمدويّ، فقال: أنا له، ففزع الحمدويُّ منه، فقال: [الكامل]

تَرَحْ طُعِنْتُ بِهِ وهَمٌّ وَارِدُ ... إذْ قِيلَ إنَّ ابْنَ المُعَذَّلِ وَاجِدُ
هَيْهَاتَ أنْ أَجِدَ السَّبِيلَ إلى الكَرَى ... وابنُ المُعَذَّلِ مِنْ مِزَاجِي حَارِدُ[٢]

فَرَضِيَ عنه عبدُ الصَّمد.

[رَدّه على الجمّاز]

أخبرني محمدُ بن عمران الصيرفيُّ قال: حدّثنا الْعَنَزِيّ، قال حَدَّثني إبراهيم ابنُ عُقبةَ اليشكريُّ، قال: قال لي عبد الصّمد بنُ المعذّل، هجاني الْجمّازُ بِبَيْتَيْن سخيفين فسارا في أفواهِ الناسِ، حتى لم يَبْقَ خاصٌ ولا عامٌّ إلا رواهما، وهما:

[المجتث]

ابنُ المُعَذَّلِ مَنْ هو ... ومَنْ أَبُوهُ المُعَذَّلْ
سَأَلْتُ وَهْبَانَ عَنْهُ ... فَقَالَ بَيْضٌ مُحَوَّلْ

فقلت أنا فيه شعراً تركتُه يتحاجَى[٣] فيه كلُّ أحدٍ، فما رواه أحد ولا فكَّر فيه، وذلك لِضِعَتِه، وهو قولي: [مجزوء الكامل]

نَسَبُ الجَمَّازِ مَقْصُو ... رٌ إليهِ مُنْتَهَاهُ
يَتَرَاءَى نَسَبُ النَّا ... سِ فَمَا يَخْفَى سِوَاهُ
يَتَحَاجَى في أبي الجَـ ... ـمَّازِ مِنْ هُوْ كاتِبَاهُ
لَيسَ يدري مَنْ أبو الجَـ ... ـمَّازِ إلاّ مَنْ يَرَاهُ

أخبرني الأخفش، قال: كان لعبدِ الصمدِ بستانٌ نظيف عامر، فأنشدَنا لنفسه فيه: [المتقارب]

---

(١) الثُّؤور: جمع الثأر.
(٢) الكرى: النوم. والحارد: الغضبان.
(٣) يتحاجى: يتّخذه أُحجيةً وهي اللغز في الكلام.

إذا لـم يَـزُرْنـيَ نَـدْمَـانِـيَـهْ ... خَـلَـوْتُ فـنَـادَمْـتُ بُـسْـتَـانِـيَـهْ
فـنَـادَمْـتُـهُ خَـضِـراً مُـؤْنِـقَـا ... يُـهَـيِّـجُ لـي ذِكْـرَ أَشْـجـانِـيَـهْ
يُـقَـرِّبُ مَـفْـرَحَـةَ الْـمُـسْـتَـلِـذِّ ... ويُـبْـعِـدُ هَـمِّـي وأَحْـزَانِـيَـهْ
أرى فـيـه مِـثْـلَ مَـدَارِي الـظِّـبَـاءِ ... تَـظَـلُّ لأَطْـلائِـهـا حَـانِـيَـهْ[1]
ونَـوْرَ أَقَـاحٍ شَـتِـيـتِ الـنَّـبَـاتِ ... كَـمَـا ابْـتَـسَـمَـتْ عَـجَـباً غَـانِـيَـهْ[2]
ونَـرْجِـسُـهُ مِـثْـلُ عَـيْـنِ الـفَـتَـاةِ ... إلـى وَجْـهِ عَـاشِـقِـهَـا رَانِـيَـهْ

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة بن زيادٍ الكاتبُ، قال: كان يزيد بن عبد الملك المسمعيُّ يهوَى جاريةً من جواري القِيان، يقال لها: عُلَيْم، وكان يعاشر عبدَ الصّمد، ويزيدُ يومئذٍ شابٌّ حديثُ السِّنِّ، وكان عبد الصَّمد يُسَمِّيه ابني، ويسمِّي الجارية ابنتي، فباع الفتى بستاناً له في مَعْقِل[3]، وضيعةً بالقِندَل[4]، فاشترى الجاريةَ بِثمنها، فقال عبد الصّمد: [مخلع البسيط]

بُـنَـيَّـتـي أَصْـبَـحَـتْ عَـرُوسـاً ... تُـهْـدَى مِـن ابـنـي إلـى عَـرُوسِ
زُفَّـتْ إلـيـه لِـخَـيْـرِ وَقْـتٍ ... فَـاجْـتَـمَـعـا لَـيْـلَـةَ الـخَـمـيـسِ
يـا مَـعْـشَـرَ الـعَـاشِـقـيـنَ أَنْـتُـمْ ... بِـالـمَـنْـزِلِ الأَرْذَلِ الـخَـسِـيـسِ
يَـزِيـدُ أَضْـحَـى لَـكُـمْ رَئِـيـسـاً ... فَـاتَّـبِـعُـوا مَـنْـهـجَ الـرَّئِـيـسِ
مَـنْ رَامَ بَـلاًّ لِـرَأْسِ أَيْـرٍ ... ذَلَّـلَ نَـفْـسـاً بِـحَـلِّ كِـيـسِ

أخبرني محمدُ بن خلفِ بن المرزبان، قال: حدّثني يزيد بن محمدٍ المهلبيّ، قال: بلغ عبدَ الصَّمد بنَ المعذل أنّ أبا قِلابة الجَرْميّ تَدَسَّسَ إلى الجمّاز لمّا بلغه تعرّضه له، وهجاؤه إيّاه، فحمله على الزيادة في ذلك، ويضمن له أن ينصرَه ويعاضِدَه، وقد كان عبد الصّمد هجا أبا قِلابةَ حتّى أفحمَه، فقال عبد الصّمد فيهما: [مجزوء الكامل]

يَـا مَـنْ تَـرَكْـتُ بِـصَـخْـرَةٍ ... صَـمَّـاءَ هَـامَـتَـهُ أَمِـيـمَـهْ[5]

(١) المداري والمدارى: جمع مِدْرى: القرن. والأطلاء: جمع طلا: ولد الظّبي ساعةَ يولَد.
(٢) النَّوْر: الزّهر. الشتيت: المُفَرَّق.
(٣) مَعْقِل: نهر معروف بالبصرة ينسب إلى معقل بن يسار المزني (معجم البلدان ٥/ ٣٢٣).
(٤) القِنْدَل: موضع بالبصرة (معجم البلدان ٤/ ٤٠٢).
(٥) الأميم: المشجوج الرأس.

إنَّ الَّـــذي عَـــاضَـــذتَـــهُ | أَشْبَـهْـتَـهُ خُـلُـقـاً وشِـيـمَـهْ
وكَـفِـعْـلِ جـدَّتـكَ الـحـديــ | ـثَـةِ فِـعْـلُ جَـدَّتِـهِ الـقَـدِيـمَـهْ
فـتَـنَـاصـرا، فَـابْـنُ الـلَّـئـيــ | ـمَـةِ نَـاصِـرٌ لابْـنِ الـلَّـئِـيـمَـهْ

حَدَّثني جعفرُ بنُ قدامةَ، قال: حدّثني أبو العيناء، قال: كان لعبد الصَّمد بن المعذَّل صديقٌ يعاشره ويأنَس به، فتزوَّج إليه أمير البصرة، وكان ولد سليمان بن عليّ، فَنَبُلَ الرَّجُلُ وعلا قدرُه، وولاّه المتزوِّج إليه عملاً، فكتب إليه عبدُ الصَّمد:

[المنسرح]

أَحُـلْـتَ عَـمَّـا عَـهِـدْتُ مِـنْ أَدَبِـكْ | أَمْ نِلْتَ مُـلْـكاً فَتِهْتَ في كُتُبِكْ
أم هـل تَـرَى أَنَّ فـي مُـنَـاصَـفَـةِ الــ | إِخْوَانِ نَـقْـصاً عليكَ في حَسَبِكْ
أم كَـانَ مـا كـانَ مـنـكَ عـن غَـضَـبٍ | فَـأَيُّ شَـيءٍ أَدْنَـاكَ مِـنْ غَـضَـبِكْ؟
إنَّ جَـفَـاءَ كِـتَـابَ ذِي ثِـقَـةٍ | يـكـونُ فـي صَـدْرِهِ «وأمـتـعَ بـكْ»
كـيـفَ بِـإنْـصَـافِـنـا لَـدَيْـكَ وقَـدْ | شَـارَكْـتَ آلَ الـنَّـبِـيِّ فـي نَـسَـبِكْ
قُـلْ لِـلْـوَفَـاءِ الَّـذِي تُـقَـدِّرُهُ | نفسكَ عِندي مَلِلتُ مِنْ طَلَبِكْ
أَتْـعَـبْـتَ كَـفَّـيْـكَ فـي مُـوَاصَـلَـتِي | حَسْبُكَ مَاذَا كفيتُ مِنْ تَعَبِكْ

فأجابه صديقُه: [المنسرح]

كـيـفَ يَـحُـولُ الإِخَـاءُ يَـا أَمَـلِـي | وكُـلُّ خَـيْـرٍ أَنَـالُ مِـنْ نَـسَـبِـكْ؟
إنْ يَـكُ جَـهْـلٌ أَتَـاكَ مِـن قِـبَـلِـي | فَـامْـنُـنْ بِـفَـضْـلٍ عَـلَـيَّ مِـنْ أَدَبِكْ
أَنْـكَـرْتَ شَـيْـئـاً فَـلَـسْـتُ فَـاعِـلَـهُ | ولا تَـرَاهُ يُـخَـطُّ فـي كُـتُـبِـكْ

حدّثني الأخفش، قال: حدّثنا المبرِّد، قال: كان لعبد الصمد بن المعذَّل صديقٌ كثيرُ الكذب، كان معروفاً بذلك، فوعده وعداً فأخلفه، ومَطَله به مَطْلاً طويلاً، فقال عبد الصمد: [المنسرح]

لـي صَـاحِـبٌ فـي حَـدِيـثِـهِ الـبَـرَكَـهْ | يَـزِيـدُ عِـنْـدَ الـسُّـكُـونِ والـحَـرَكَـهْ
لـو قـالَ «لا» فـي قَـلِـيـلِ أَحْـرُفِـهـا | لَـرَدَّهـا بِـالـحُـروفِ مُـشْـتَـبِـكَـهْ

[هجاؤه لبني المنجاب لميل يحيى الهاشميّ إليهم]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدّثني سوّار بن أبي شُراعة، قال: كان يحيى بن عبد السميع الهاشميّ يعاشِرُ عبدَ الصمد بن المعذّل، ويجتمِعان في دارِ رجلٍ من بني المِنجاب له جاريةٌ مُغَنِّيَةٌ، وكان ينزِلُ رحبةَ المنجاب بالبصرة، ثم

استبدّ بها الهاشميّ دون عبدِ الصَّمد، فقال فيهم عبد الصّمد: [الخفيف]

قُلْ لِيَحْيَى مَلِلْتُ مِنْ أَحْبَابِي فَلْيُنِكْهُمْ ما شَاءَ مِنْ أصحابِي
قد تَرَكْنا تَعَشُّقَ الْمُرْدِ لمَّا أَنْ بَلَوْنا تَنَعُّمَ العُزَّاب
وَشَنِئْنَا المُؤاجِرينَ فَمِلْنا بعد خُبْرٍ إلى وِصَالِ القِحَابِ[(١)]
حَبَّذا قَيْنَةٌ لأَهْلِ بِنِي المِنْـ ـجَابِ حَلَّتْ في رَحْبَةِ المِنجَاب
صَدَّقتَ إذ يقولُ لي خُلِقَ الأحـ ـراحُ ليس الفِقَاحُ لِلأَزْبَابِ[(٢)]
حَبَّذَا تلكَ إذ تُغَنِّيكَ يا يَحْـ ـيَى وتَسْقيكَ من ثَنَايَا عِذَاب
«ذَكَرَ القَلْبُ ذُكْرَةً أُمَّ زَيْدٍ والمَطَايا بِالسَّهْب سَهْبِ الرِّكابِ»[(٣)]
حَبَّذا إذ رَكِبْتَها فتَجَافَتْ تَتَشَكَّى إليكَ عِنْدَ الضِّرَابِ
وتَغَنَّتْ وأنتَ تَدْفَعُ فيها غَيْرَ ذِي خِيفَةٍ لهمْ وارْتِقَاب
«إنَّ جَنْبِي عَنِ الفِرَاشِ لَنَابِي كَتَجَافِي الأَسَرِّ فوق الظِّرَابِ»[(٤)]
ليتَ شِعْرِي هل أَسْمَعَنَّ إذا مَا زَاحَ عَنِّي وَسَاوِسُ الكُتَّابِ
مِنْ فَتَاةٍ كَأَنَّها خُوطُ بَانٍ مَجَّ فيها النَّعِيمُ مَاءَ الشَّبَابِ[(٥)]
إذْ تُغَنِّيكَ خَلْفَ سَجْفٍ رَقيقٍ نَغَمَاتٍ تُحِبُّها بِصَوابِ[(٦)]
شَفَّ عنها مُحَقَّقٌ جَنَدِيٌّ فَهْي كالشَّمسِ مِنْ خِلالِ سَحَابِ[(٧)]
رُبَّ شِعْرٍ قد قُلْتُهُ بِتَبَاهٍ ويُغَرَّى بِه ذَوُو الأَلْبابِ
قد تَرَكْتُ المُلَحِّنينَ إذا ما ذَكَرُوهُ قَامُوا على الأَذْنَابِ

قال: وشاعت الأبيات بالبصرة، فامتنع مولى الجارية مِنْ مُعاشرة الهاشميّ، وقطعه بعد ذلك.

أخبرني محمدُ بنُ عمران الصيرفيُّ وأحمدُ بن يحيى بن علي بن يحيى، قال:

(١) شَنِئنا: أبغضنا. والخُبْر: الاختبار.
(٢) الأحراح: الفروج. والفِقاح: جمع فَقْحَة: حلقة الدّبر.
(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه. وهو في معجم البلدان ٣: ٢٨٩.
(٤) البيت لمعديكرب المعروف بغَلفاء، في رثاء أخيه شُرحبيل. والأَسَرُّ: البعير الذي به ورم في جوفه. والظِّراب: جمع الظَّرِب: ما نتأ من الحجارة وكان طرفه حاداً.
(٥) الخوط: الغصن الناعم.
(٦) السَّجف: السِّتر.
(٧) المُحَقَّق: الثوب المحكَم النَّسج. والجَنَديّ: نسبة إلى الجَنَد: وهي مدينة في اليمن (معجم البلدان ١٦٩/٢).

حدّثنا الحسن بنُ عُلَيلٍ العَنَزيُّ، قال: حدّثني أحمد بن صالح الهاشميّ، قال: كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سليمان مائلاً إلى عبد الصَّمد بن المعذَّل، وكان عبد الصَّمد يهجو هِشاماً الكرنبانيّ، فجرى بين ابنَيْ هشام الكرنبانيّ - وهما أبو واثلةَ وإبراهيم - وبين الحرّ بن عبد الله، لحاءٌ في أمر عبد الصَّمد، لأنَّهما ذكراه وسَبَّاه، فامتعضَ له الحسين وسَبَّهما عنه، فرمَيَا الحسينَ بابن المعذَّل، ونسباه إلى أنَّ عبد الصَّمد يرتكبُ القبيح، وبلغ الحسينَ ذلك، فلقيهما في سكّة المِرْبَدِ، فشَدَّ عليهما بِسَوْطه وهو راكبٌ، فضربَهما ضَرْباً مُبَرِّحاً، وأُفْلِتَ أبو واثلة، ووقع سبيب[1] السَّوط في عين إبراهيم، فأثَّرَ فيها أثراً قبيحاً، فاستعان بمَشيخَةٍ مِنْ آل سليمان بن علي، وهرب أبو واثلةَ إلى الأمير عليِّ بن عيسى وهو والي البصرة، فوجَّه معه بكاتبه ابن فِراس إلى باب الحسين بن عبد الله، فطلبه وهربَ حسين إلى الْمُحدَثة[2]، فلمَّا كان من الغد جاء حسينٌ إلى صالح بن إسحاق بن سليمان، وإلى ابن يحيى بنِ جعفر بن سليمان، ومشيخةٍ من آل سليمان، فصاروا معَه إلى عليّ بن عيسى، وأقبل عبدُ الصَّمد بن المعذَّل لما رآهم، فدخل معهم لِنُصْرَةِ حسين، فكلَّموا عليَّ بنِ عيسى في أمره وقام عبد الصَّمد، فقال: أصلحَ اللَّهُ الأميرَ، هؤلاء أهلُكَ، وأَجِلَّةُ أهلِ مِصْرِكَ، تصدَّوا إليك في ابنهم وابنِ أخِيهم، وهو إن كان حدثاً لا ينبسطُ لِلحجَّة بحداثته، فإن هاهنا من يُعَبِّرُ عنه، وقد قلت أبياتاً، فإن رأى الأمير أن يأذنَ في إنشادها فَعَل. قال: قل. فأنشده عبد الصَّمد قوله: [الكامل]

يا بْنَ الخلائِفِ وابْنَ كُلِّ مُبارَكٍ ... رَأْسَ الدَّعائِمِ سَابِقَ الأَغْصانِ
إنَّ العُلوجَ على ابنِ عَمِّكَ أَصْفَقُوا ... فَأَتَوْكَ عنه بِأَعْظَمِ البُهْتَانِ[3]
قَرَفُوهُ عِنْدَكَ بِالتَّعَدِّي ظَالِماً ... وهُمُ ابْتَدَوْهِ بِأَعْظَمِ العُدوانِ[4]
شَتَموا له عِرْضاً أَغَرَّ مُهَذَّباً ... أَعْرَاضُهُمْ أَوْلَى بِكُلِّ هَوَانِ
وسَمَوْا بِأَجْسَامٍ إليه مَهِينَةٍ ... وُصِلَتْ بِأَلأَمِ أَذْرُعٍ وبَنَانِ
خُلِقَتْ لِمَدِّ القَلْسِ لا لِتَنَاوُلٍ ... عِرْضَ الشَّريفِ ولَا لِمَدِّ عنانِ[5]
لم يَحْفَظُوا قربَاهُ مِنْكَ فَينتَهُوا ... إذْ لم يَهَابُوا حُرْمَةَ السُّلطانِ

---

(١) سبيب السَّوْط: طَرَفُه.

(٢) المُحْدَثة: ماء ونخل في بلاد العرب (معجم البلدان ٥/ ٦٠).

(٣) العلوج: جمع العِلْج: هو الرجل من كفّار العجم. وأصفقوا: اجتمعوا.

(٤) قرفوه: اتّهموه.

(٥) القَلْسُ: الحبل الضخم من ليف أو غيره. أي إنهم ملاّحون ضعاف الشأن.

أَيُـذَلُّ مَـظْـلُـومـاً وَجِـدُّكَ جَـدُّه كَـيـمَـا يُـعَـزَّ بِـذُلِّـهِ عِـلْـجَـانِ
ويـنـالُ أَقْـلَـفُ، كَـرْبَـلاءُ بِـلادُه ذُلَّ ابْـنِ عَـمِّ خَـلِـيـفَـةِ الـرَّحْـمٰـنِ[1]
إِنّـي أُعِـيـذُكَ أَنْ تُـنَـالَ بِـكَ الَّـتـي تَـطْـغَـى الـعُـلُـوجُ بِـهـا عـلـى عَـدْنَـانِ

فدعا عليُّ بن عيسى حُسَيْناً، فضمَّه إليه، فقال: انصرِفْ مع مشايخك. ودعا بهشام الكرنبانيّ وابنَيْه، فَعَذَلَهُمْ في أمره، ثمَّ أصلح بينهم بعد ذلك.

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ، قال: حدّثنا محمدُ بنُ يزيد، قال: كان عبدُ الصَّمد ابنُ المعذَّل يعاشِرُ عبدَ اللَّه بنَ الْمُسَيَّب ويألفُه، فبلغه أنّه اغتابه يوماً وهو سكران، وعاب شيئاً أنشده من شعره، فقال فيه وكتب بها إليه: [الكامل]

عَـتْـبِـي عـلَـيْـكَ مُـقَـارِنُ الـعُـذْرِ قَـدْ زَالَ عِـنْـدَ حَـفِـيـظَـتـي صَـبْـرِي
لَـكَ شَـافِـعٌ مِـنِّـي إِلَـيَّ فَـمَـا يَـقْـضِـي عَـلَـيْـكَ بِـهَـفْـوَةٍ فِـكْـرِي
لَـمَّـا أَتَـانِـي مـا نَـطَـقْـتَ بِـه فـي الـسُّـكْـرِ قُـلْـتُ جِـنَـايَـةُ الـسُّـكْـرِ
حَـاشَـا لِـعَـبْـدِ الـلَّـهِ يَـذْكُـرُنِـي مُـسْـتَـعْـذِبـاً بِـنَـقِـيـصَـتـي ذِكْـرِي
إنْ عَـابَ شِـعْـرِي أَوْ تَـحَـيَّـفَـهُ فَـلْـيَـهْـنِـهِ مـا عَـابَ مِـن شِـعْـرِي
يَـابـنَ الـمُـسَـيَّـبِ قـد سَـبَـقْـتَ بِـمَـا أَصْـبَـحْـتَ مُـرْتَـهِـنـاً بـه شُـكْـرِي
فـمـتـى خُـمِـرْتَ فـأنـتَ فـي سَـعَـةٍ ومـتـى هَـفَـوتَ فـأنـتَ فـي عُـذْرِ
تَـرْكُ الـعِـتَـابِ إذا اسْـتَـحَـقَّ أَخٌ مِـنْـكَ الـعِـتَـابَ ذَرِيـعَـةُ الـهَـجْـرِ

أخبرني الأخفشُ، قال: حدّثنا الْمُبرِّدُ، قال: دعا عبدُ الصَّمد بن المعذَّل شَرْوِينَ الْمُغَنِّيَ، وكان مُحْسِناً متقدِّماً في صناعته، فتعالَلَ عليه ومضى إلى غيره، فقال عبدُ الصَّمد: واللَّه لأَسِمَنَّه مِيسَماً لا يدعوه بعدَه أحدٌ بالبصرة إلاَّ بعد أن يبذلَ عِرْضَه وحريمَه. فقال فيه: [السريع]

مَـنْ حَـلَّ شَـرْوِيـنُ لـه مَـنْـزِلاً فَـلْـتَـنْـهَـهُ الأُولـى عـن الـثَّـانِـيَـهْ
فـلـيـسَ يَـدْعُـوه إلـى بَـيْـتِـهِ إلاَّ فَـتًـى فـي بَـيْـتِـهِ زَانِـيَـهْ

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطرَّ إلى أن خرج إلى بغداد وسُرَّ مَنْ رأى.

---

(١) الأقلف: الذي لم يُخْتَنْ.

[هجاءُ أبي قلابة وعبد الصَّمد لأبي رهم]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصيرفيُّ وأحمدُ بنُ العباس العسكريُّ، قالا: حَدَّثنا الحسن بن عليل العنزيَّ، قال: حدّثنا الفضل بن أبي جرزة، قال: كان أبو قِلابة الجَرْميُّ وعبدُ الصَّمد بن المعذَّل وعبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلّبيّ أرادوا المسير إلى بيت بَحر البكراويّ، وكانت له جاريةٌ مغنّية، يقال لها: جبلةُ، وكان أبو رِهْم إليها مائلاً يتعشَّقها، ثم اشتراها بعد ذلك، فلمّا أرادوا الدُّخولَ إليها وافاهم أبو رِهْم، فأدخلوه وحدَه وحجبوهم، فانصرفوا إلى بستان ابنِ أبي عيينة، فقال أبو قلابة: لا بدّ أن نهجوَ أبا رِهم. فقالوا:

قل. فقال: [الهزج]

أَلاَ قُلْ لأَبِي رِهْم ... سَيَهْوَى نَعْتَكَ الوَصْفُ
كَمَا حَالَفَكَ الغيُّ ... كذا جَانَبَكَ الظَّرْفُ
أَتَانَا أَنَّهُ أَهْدَى ... إلى بَحْرٍ مِنَ الشَّغْفِ[1]
خُزَيْمَاتٍ مِنَ الصِّيرِ ... فَهَلاً مَعَهُ رُغْفُ؟[2]
فَنَادَوْا اقْسِمِي فِينا ... فَقَدْ جَاءَكُمُ اللُّطْفُ

فقال له عبد الصَّمد: سخنت عينُك أيْشٍ هذا الشعرُ، بمثل هذا يُهْجى مَنْ يُرَادُ به الفضيحة؟ فقال أبو قلابة: هذا الّذي حضرني، فقل أنت ما يحضرك. فقال: أفعله وأَجُوِّد. فكان هذا سببَ هجاءِ عبد الصمد أبا رِهم، وأوّلُ قصيدةٍ هجاهُ بها قوله: [الوافر]

دَعُوا الإِسلامَ وانتَحِلُوا المَجُوسَا ... وأَلقُوا الرَّيْطَ واشتَمِلُوا القُلُوسَا[3]
بَنِي العَبْدِ المُقيمِ بِنَهْرِ تِيرَى ... لَقَدْ أَنْهَضْتُ طَيْرَكُمُ نَحُوسا[4]
حَرَامٌ أَنْ يَبِيتَ لَكُمْ نَزِيلٌ ... فلا يُمْسِي بِأُمِّكُمُ عَرُوسَا
إذا رَكَدَ الظَّلامُ رَأَتْ عُسَيْلاً ... يَحُثُّ على نَدَامَاهُ الكُؤوسا[5]

---

(١) الشَّغَف: أن يبلغ الحبّ شغاف القلب، وفي البيت إقواء.

(٢) الصِّير: سمكات مملوحات.

(٣) الرَّيْط: جمع الرَّيْطة: الملاءة قطعة واحدة. والقلوس: جمع القَلْس: الحبل الضخم من حبال السفينة.

(٤) نهر تيرى: بلد من نواحي الأهواز (معجم البلدان ٥/٣١٩).

(٥) عُسَيل: اسم علم.

ويُـذْكِـرُهُـمْ أَبُـو رِهْـم بِـهَـجْـوٍ فَيَسْتَدْعِي إلى الحُرَمِ النُّفُوسا
ويُـخْـلِـيـهِـمْ هِـشَـامٌ بِـالـغَـوَانِـي ويُحْمِي الفَضْلُ بَيْنَهُمُ الوَطِيسا[١]
فتسمعُ في البيوتِ لَهُمْ هَبِيباً كما أَهْمَلْتَ في الزَّرْبِ التُّيُوسا[٢]
لَـقَـد كَـانَ الـزُّنَـاةُ بِـلا رَئِـيـسٍ فـقـد وَجَـدَ الـزُّنَـاةُ بـهـمْ رَئـيـسـا
هُـمُ قَـبِـلُـوا الـزِّنَـاءَ وأَنْـشَـأُوهُ وهُمُ وَسَمُوا بِجَبْهَتِهِ حَبِيسا[٣]
لَـئِـنْ لـم تَـنْـفِ دَعْـوَتَـهُـمْ سَـدُوسٌ لـقـد أَخْـزَى الإلـهُ بـهـمْ سَـدُوسـا

وقال فيه: [السريع]

لَـو جَـادَ بِـالـمَـالِ أَبُـو رِهْـم كَـجُـودِهِ بِـالأُخْـتِ والأُمّْ
أَضْـحَـى ومَـا يُـعْـرَفُ مِـثْـلٌ لَـهُ وقِـيـلَ أَسْـخَـى الـعُـرْبِ والـعُـجْـمِ
مَـنْ بَـرَّ بِـالـحُـرْمَـةِ إِخْـوَانَـهُ أَحَـقُّ أَنْ يُـشْـكَـرَ بِـالـشَّـتْـمِ

وله فيه من قصيدة طويلة: [مجزوء الخفيف]

هُـوَ والـلَّـهِ مُـنْـصِـفٌ زَوْجُـهُ زَوْجُ زَوْجَـتِـهْ
يُـقْـسِـمُ الأَيْـرَ عَـادِلاً بـيـن حِـرْهَـا وفُـقْـحَـتِـهْ

حَدَّثني أحمد بن عبيد الله بنِ عمارٍ، قال: حدّثنا العَنَزيّ، قال: حدّثني أبو الفضلِ بن عبدان، قال: خرج عبد الصمد بن المعذَّل مع أهله إلى نزهة وقال:

[الخفيف]

قـد نَـزَلْـنـا بِـرَوْضَـةٍ وغَـدِيـرٍ وَهَجَرْنا القَصْرَ المُنيفَ المَشِيدَا
بِـعَـرِيـشٍ تَـرَى مِـنَ الـزَّادِ فـيـه زُكْـرَتَـيْ خَـمْـرَةٍ وصَـقْـراً صَـيُـودا[٤]
وغَـرِيـرَيْـنِ يُـطْـرِبـانِ الـنَّـدَامَـى كُـلَّـمَـا قُـلْـتُ أَبْـدِيـا وأَعِـيـدَا
غَـنِّـيـانـي، فَـغَـنَّـيَـانِـي بِـلَـحْـنٍ سَلِسِ الرَّجْعِ يَصْدَعُ الجلمودا
«لا ذَعَـرْتُ الـسَّـوَامَ فـي فَـلَـقِ الـصُّبْـ ـحِ مُـغِـيـراً ولا دُعِـيـتُ يَـزِيـدا»
حَـيِّ ذا الـزَّوْرَ وانْـهَـهُ أَنْ يَـعُـودا إِنَّ بِـالـبـابِ حَـارِسَـيْـنِ قُـعُـودا[٥]

(١) حَمِيَ الوطيسُ: اشتدّت الحرب.
(٢) الهبيب: صوت التيس عند السِّفاد. والزَّرْب: موضع الغنم.
(٣) الحبيس: الموقوف، أي وضعوا علامة على وجهه ليعلم أنه حبيس.
(٤) الزُّكْرَة: زِقّ صغير للخمرة.
(٥) الزَّوْر: الزّائر.

مَـنْ يَـزُرْنـا يَـجِـدْ شِـوَاءَ حُـبَـارَى ... وقَـدِيـراً رَخـصـاً وخَـمْـراً عَـتِـيـدا[١]

وكِـرَامـاً مُـعَـذَّلِـيـنَ وبِـيـضـاً ... خَـلَـعوا الـعُـذْرَ يسحبونَ البُـرودا[٢]

لَـسْـتُ عَـنْ ذَا بِـمُـقْـصِـرٍ مـا جَـزَائِـي ... قَـرَّبَـتْ لـي كـرِيـمَـةٌ عُـنـقـودا

[تغزّله بالأفشين]

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثنا محمدُ بنُ يزيد المبرد، قال: نظر عبد الصَّمد بن المعذَّل إلى الأفشِين بِسُرَّ من رأى وهو غلامٌ أمرد، وكان من أحسنِ الناس، وهو واقفٌ على بابِ الخليفةِ مع أولادِ القوّاد، فأنشدنا لنفسِه فيه، قال:

[الخفيف]

أَيُّـهَـا الـلاَّحِـظِـي بِـطَـرْفٍ كَـلِـيـلِ ... هـل إلى الـوَصْـلِ بيننا مِنْ سَبيـلِ؟

عَـلِـمَ الـلَّـهُ أَنَّـنِـي أَتَـمَـنَّـى ... زَوْرَةً مِـنْـكَ عِـنْـدَ وَقـتِ الـمَـقِـيـلِ

بعد ما قد غَدَوْتَ في القُرْطَقِ الجَو ... نِ تَـهَـادَى وفي الحُسَامِ الصَّقِيـلِ[٣]

وتَـكَـفَّـيْـتَ فـي الـمَـوَاكِـبِ تَـخْـتَـا ... لُ عـلـيـهـا تَـمِـيـلُ كُـلَّ مَـمِـيـلِ[٤]

وأَطَـلْـتَ الـوُقُـوفَ مِـنْـكَ بِـبـابِ الـ ... قَـصْـرِ تَـلْـهُـو بِـكُـلِّ قَـالٍ وقِـيْـلِ

وتَـحَـدَّثْـتَ فـي مُـطَـارَدَةِ الـصَّـيْـ ... ـدِ بِـخُـبْـرٍ بـه ورَأْيٍ أَصِـيـلِ

ثُـمَّ نَـازَعْـتَ فـي الـسِّـنَـانِ وفـي الـرُّمْـ ... ـحِ وعِـلْـمٍ بِـمُـرْهَـفـاتِ الـنُّـصُـولِ

وتَـكَـلَّـمْـتَ فـي الـطِّـرَادِ وفـي الـطَّـعْـ ... ـنِ وَوَثْـبٍ عـلـى صِـعَـابِ الـخُـيـولِ

فـإذا مـا تَـفَـرَّقَ الـقَـوْمُ أَقْـبَـلْـ ... ـتَ كَـرَيْـحَـانَـةٍ دَنَـتْ لِـذبـولِ

قـد كَـسَـاكَ الـغُـبَـارُ مِـنْـه رِدَاءً ... فـوقَ صُـدْغٍ وجَـفْـنِ طَـرْفٍ كَـحِـيـلِ

وبَـدَتْ وُرْدَةُ الـقَـسَـامَـةِ مـن خَـ ... ـدِّكَ فـي مُـشْـرِقٍ نَـقِـيٍّ أَسِـيـلِ[٥]

تَـرْشَـحُ الـمِـسْـكَ مـنـه سَـالِـفَـةُ الـظَّـبْـ ... ـيِ وجِـيـدُ الأُدْمَـانَـةِ الـعُـطْـبُـولِ[٦]

---

(١) القدير: ما يُطْبَخ في القِدْر. والرَّخصُ: اللّيِّن.

(٢) المُعَذَّل: الذي يُعْذَلُ لكثرة جوده. وخلعوا العُذرَ: تركوا الحياءَ.

(٣) القُرْطَق: ثوب يُلبس فوق الثياب. والجون: من الأضداد: الأبيض والأسود.

(٤) تَكَفَّيتَ: تمايلتَ.

(٥) الوُردة: الحُمرة. والقسامة: الحسن. والخدّ الأسيل: ؛ الناعم الأملس.

(٦) السّالفة: ما تقدّم من العنق. والجيد: العنق. والأدمانة: الشديدة السُّمرة. والعُطبول: المرأة الفتيّة الممتلئة الطويلة العنق.

فَـأَسُـوفُ الـغـبـارَ سَـاعَـةَ أَلْـقَـاكَ ... بِـرَشْـفِ الـخَـدَّيْـنِ والـتَّـقـبِـيـلِ[١]
وأُحُـلُّ الـقَـبَـاءَ والـسَّـيْـفَ مِـنْ خَـصـ ... ـرِكَ رِفْـقـاً بِـالـلُّـطـفِ والـتَّـغْـلِـيـلِ[٢]
ثُـمَّ تُـؤْتَـى بِـمَـا هَـوِيـتَ مـن الـتَّـشْـ ... ـرِيـفِ عِـنْـدِي والـبـرِّ والـتَّـبْـجِـيـلِ
ثُـمَّ أَجْـلُـوكَ كـالـعَـروسِ عـلـى الـشَّـرْ ... بِ تَـهَـادَى فـي مُـجْـسَـدٍ مَـصْـقُـولِ[٣]
ثـم أَسـقـيـكَ بـعـدَ شُـرْبِـيَ مِـنْ رِيـ ... ـقِـكَ كَـأساً مِـنَ الـرَّحِـيـقِ الـشَّـمُـولِ[٤]
وأُغَـنِّـيـكَ إنْ هَـوِيـتَ غِـنَـاءً ... غَـيْـرَ مُـسْـتَـكْـرَهٍ ولا مَـمْـلُـولِ
لا يَـزَالُ الـخَـلْـخَـالُ فـوقَ الـحَـشَـايـا ... مِـثْـلُ أَثْـنَـاءِ حَـيَّـةٍ مَـقْـتُـولِ
فـإذا ارْتَـاحَـتِ الـنُّـفُـوسُ اشْـتِـيَـاقـاً ... وتَـمَـنَّـى الـخَـلِـيـلُ قُـرْبَ الـخَـلِـيـلِ
كَـانَ مـا كـانَ بَـيْـنَـنَـا، لا أُسَـمِّـيـ ... ـهِ ولَـكِـنَّـهُ شِـفَـاءُ الـغَـلِـيـلِ[٥]

[شعره في متيّم واستشهاده بيحيى بن أكثم]

أخبرني أحمدُ بن عبيدِ اللَّه بنِ عمار، قال: حَدَّثني الحسن بن عُلَيلٍ العنزيّ والمبرّد وغيرهما، قالوا: كانت مُتَيَّمُ جاريةً لبعضِ وجوه أهل البصرة، فعلِقها عبد الصَّمد بن المعذَّل وكانت لا تخرج إلاَّ مُنْتَقِبةً، فخرج عبد الصمد يوماً إلى نزهةٍ، وقَدِمَتْ متيَّمُ إلى عبيدِ الله بنِ الحسنِ بن أبي الحرّ القاضي، فاحتاج إلى أن يُشهِدَ عليها، فأمرها بأن تُسفِرَ، فلمّا قدم عبدُ الصَّمد قيل له: لو رأيْتَ مُتَيَّمَ وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئاً حسناً لم يُرَ مثله. فقال عبد الصمد قوله: [الطويل]

ولَـمَّـا سَـرَتْ عَـنْـهَـا الـقِـنَـاعَ مُـتَـيَّـمٌ ... تَـرَوَّحَ مِـنْـهَـا الـعَـنْـبَـرِيُّ مُـتَـيَّـمـا
رَأَى ابـنُ عُـبَـيْـدِ الـلَّـهِ وهـو مُـحَـكَّـمٌ ... عـلـيـهـا لـهـا طَـرْفـاً عـلـيـه مُـحَـكَّـمـا
وكـانَ قَـدِيـمـاً كَـالِـحَ الـوَجْـهِ عَـابِـساً ... فـلـمَّـا رَأَى مـنـهـا الـسُّـفُـورَ تَـبَـسَّـمـا
فَـإنْ يَـصْـبُ قَـلْـبُ الـعَـنْـبَـرِيِّ فـقَـبْـلَـهُ ... صَبَا بِالْيَتَامَى قَلْبُ يَحْيَى بنِ أَكْثَمَا[٦]

---

(١) أسوف: أشمّ.
(٢) القباء: ثوب يُلبس فوق الثياب.
(٣) الشَّرْب: جماعة الشاربين. والمُجْسَد: الثوب المعصفر بالزعفران.
(٤) الرَّحيق: الخمر. الشَّمول: الباردة.
(٥) الغليل: حرارة الحبّ.
(٦) يحيى بن أكثم: قاضٍ رفيع الشأن من نبلاء الفقهاء. اتّصلَ بالمأمون فولاّه قضاء البصرة سنة ٢٠٢. (ت ٢٤٢ هـ/ ٨٥٧ م). ترجمته في (وفيات الأعيان ٢/ ٢١٧ والنجوم الزاهرة ٢/ ٢١٧، والكامل لابن الأثير حوادث سنة ٢٤٢).

فبلغ قولُه يحيى بنَ أكثم، فكتب إليه: عليكَ لعنة اللَّه، أيَّ شيء أردت مِنِّي حتى أتاني شِعرك مِن البصرة؟ فقال لِرسوله: قل له: متيَّمٌ أعدَتْك على طريق القافية!

أخبرني عَمّي، قال: حَدَّثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حَدَّثني عبد الله بن أحمد العبديّ، قال: حَدَّثني الأنيسيّ، قال: كنت عِند إسحاق بن إبراهيم وزاره أحمدُ بن المعذَّل، وكان خرج مِن البصرة على أن يغزو، فلمَّا دخل على إسحاق بنِ إبراهيم أنشده: [البسيط]

أَفْضَلْتَ نُعْمَى على قَوْم رَعَيْتَ لَهُمْ ... حَـقّـاً قَـدِيـمـاً مِـنَ الـوُدِّ الَّـذي دَرَسـا
وحُـرْمَـةَ الـقَـصْـدِ بِـالآمَـالِ إِنَّـهُـمُ ... أَتَـوْا سِـوَاكَ فَـمَـا لاقَـوْا بـه أَنَـسـا
لأَنْـتَ أَكْـرَمُ مـنـه عِـنْـدَ رفـعـتِـهِ ... قَـوْلاً وفِـعـلاً وأخـلاقـاً ومُـغْـتَـرَسَـا[1]

فأمر له بخمسمائة دينارٍ، فقبضها ورجع إلى البصرة، وكان خرج عنها ليجاور في الثَّغر، وبلغ عبدَ الصَّمد خبرهُ، فقال فيه: [البسيط]

يُـرِي الـغُـزَاةَ بِـأَنَّ الـلَّـهَ هِـمَّـتُـهُ ... وإنَّـمـا كَـانَ يَـغْـزُو كِـيـسَ إسـحـاقِ
فَـبَـاعَ زُهْـداً ثَـوَابـاً لا نَـفَـادَ لَـهُ ... وابْـتَـاعَ عَـاجِـلَ رِفْـدِ الـقَـوْمِ بِـالـبَـاقـي

فبلغ إسحاق بن إبراهيم قوله، فقال؛ قد مسَّنا أبو السمّ عبدُ الصمد بشيءٍ من هجائه. وبعث إليه بمائة دينار، فقال له موسى بن صالح: أبَى الأميرُ إلاّ كرماً وظَرْفاً.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ، قال: حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ، قال: حَدَّثني الحسن الأسدي، قال: قدم أبو نيقةَ من البحرينِ وقد أهدى إلى قوم من أهلِ البصرة هداياه، ولم يُهدِ إلى عبد الصَّمد شيئاً فكتب إليه: [الطويل]

أَمَا كـانَ فـي قَـسْـبِ الـيَـمَـامَـةِ والـتَّـمْـرِ ... وفـي أَدَمِ الـبَـحْـرَيْـنِ والـنَّـبَـقِ الـصُّـفْـرِ[2]
ولا فِـي مَـنَـادِيـلٍ قَـسَـمـتَ طَـرِيـفَـهـا ... وأَهْـدَيْـتَـهـا حَـظٌّ لَـنَـا يـا أَبَـا بَـكْـرِ
سَـرَتْ نَـحْـوَ أَقْـوَام فَـلاَ هَـنَـأَتْـهُـمُ ... ولـم يَـنْـتَـصِـفْ منها الْمُقِلُّ ولا الْمُثْري
أَأَنْـتَ إلـى طَـالُـوتَ ذِي الـوَفْـرِ والـغِـنـى ... وآلِ أبـي حَـرْبٍ ذَوِي الـنَّـشَـبِ الـدَّثْـرِ[3]؟

---

(١) المغترَس: الأصل.
(٢) القَسْب: التمر اليابس. والنَّبَق: جمع النبقة: حمل شجر السّدر.
(٣) النَّشَب: المال الأصيل من نقود وماشية. والدَّثْر: المال الكثير.

ولـم تَـأتِـنـي ولا الـرِّيَـاشِـيَّ تَـمْـرَةٌ غَصِصْتَ بِبَاقِي ما ادَّخرْتَ مِنَ التَّمْرِ
ولـم يُـعْـطَ مِـنْـهـا الـنَّـهْـشَـلِـيُّ إدَاوةً تكونُ له في القَيْظِ ذُخْراً مَدَى الدَّهْرِ(١)
أَقُـولُ لِـفـتـيـانٍ طَـوَيْـتُ لِـطَـيِّـهِـم عُرَى البِيدِ، مَنْشُورَ المَخَافَةِ والذُّعْرِ(٢)
لَئِنْ حُكْمَ السّدْرِيُّ بِالعَدْلِ فِيكُمُ لَمَا أَنْصَفَ السّدرِيُّ في ثَمَرِ السِّدْرِ
لَئِنْ لم تَكُنْ عَيْنَاكَ عُذْرَكَ لَمْ تَكُنْ لَـدَيْـنَـا بِـمَـحْـمُـودٍ ولا ظَاهِـرِ الـعُـذْرِ

أخبرني الحسن بن عُليلٍ، قال: حدّثنا أحمد بن يزيدَ المهلبيّ، قال: وقع بين أبي وبين عبد الصَّمد بنِ المعذل تباعُدٌ، فهجاه ونسبه إلى الشؤم، وكان يقال ذلك في عبد الصَّمد، فقال فيه: [الوافر]

يَـقُـولُ ذَوُو الـتَّـشَـؤُّم مـا لَـقِـيـنـا كَـمَـا لَـقِـي ابْـنُ سَـهْـلٍ مِـنْ يَـزِيـدِ
أَتَـتْـهُ مَـنِـيَّـةُ الـمَـأْمُـونِ لَـمَّـا أَتَـاهُ يَـزِيـدُ مِـنْ بـلَـدٍ بَـعِـيـدِ
فـصَـيَّـرَ مِـنْـهُ عَـسْـكَـرَهُ خَـلاءً وفَـرَّقَ عَـنْـهُ أَفْـوَاجَ الـجُـنُـودِ
فـقـلـتُ لَـهُـمْ وكَـمْ مَـشْـؤوم قَـوْمٍ أَبَـادَ لَـهُـمْ عَـدِيـداً مِـنْ عَـدِيـدِ
رَأَيـتَ ابْـنَ الـمـعـذَّلِ يَـالَ عَـمْـرٍو بِـشُـؤْم كَـانَ أَسْـرَعَ فـي سَـعِـيـدِ
فـمِـنْـهُ مَـوْتُ جِـلَّـةِ آلِ سَـلْـمٍ ومِـنْـهُ قَـضُّ آجَـام الـبَـرِيـدِ(٣)
ولَـمْ يَـنْـزِلْ بِـدَارٍ ثُـمَّ يُـمْـسِـي ولَـمَّـا يَـسْـتَـمِـعْ لَـطْـمَ الـخُـدُودِ
وكُـلُّ مَـدِيـحِ قَـوْمٍ قَـالَ فِـيـهِـمْ فَـإِنَّ بِـعَـقْـبِـهِ «يَـا عَـيْـنُ جُـودِي»
إذا رَجُـلٌ تَـسَـمَّـعَ مِـنْـهُ مَـدْحـاً تَـنَـسَّـمَ مِـنْـهُ رَائِـحَـةَ الـصَّـعِـيـدِ(٤)
فـلـو حَـصْـفُ الَّـذِيـن يُـبِـيـحُ فِـيـهِـمْ أَثَـاروا مِـنْـهُ رَائِـحَـةَ الـطَّـرِيـدِ(٥)
فـلـيـسَ الـعِـزُّ يَـمْـنَـعُ مِـنْـهُ شُـؤْمـاً ولا عَـتَـبـاً بِـأَبْـوَابِ الـحَـدِيـدِ(٦)

حدّثني الأخفش، قال: حدّثنا المبرد، قال: مرّ أحْمد بن المعذّلِ بأخيه عبدِ الصّمدِ وهو يَخطِرُ، فأنشأ يقول: [مجزوء الخفيف]

إنَّ هَـــــذَا يَـــــرَى أُرَى أَنَّـــهُ ابْـــنَ الـــمُـــهَـــلَّـــبْ

(١) الإداوة: الوعاء الذي يُتَطَهَّرُ به.
(٢) الطَّيُّ: النيّة. وطويتُ عُرى البيد: قطعتها.
(٣) القَضُّ: الهدم. والآجام: الحصون.
(٤) الصعيد: القبر.
(٥) الحصف: الإقصاء والطَّرْد.
(٦) العَتَبُ: جمع العتبة: خشبة الباب، وهنا يريد عتبات السجن.

أَنْــتَ والـــلَّــهِ مُــعْــجِــبٌ ولَــنَــا غَــيْــرُ مُــعْــجِــب

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بنِ مهرويه، قال: حدّثنا أبي وغيره، وحدّثني به بعض آل المعذّل، قال: مَرَّ عبدُ الصَّمد بن المعذل بغلام يقال له: المغيرةُ، حسنِ الصوتِ حسن الوجهِ، وهو يقرأ ويقول القصائد، فأُجب به، وقال فيه: [مجزوء الرمل]

أَيُّــهــا الــرَّافِــعُ فــي الــمَــسـ ـجِــدِ بِــالــصَّــوْتِ الــعَــقِــيــرَهْ[1]
قَــتَــلَــتْــنِــي عَــيْــنُــكَ الــنَّــجـ ـلاءُ والــقَــتْــلُ كَــبِــيــرَهْ
أَيُّــهــا الــحُــكَّــامُ أَنْــتُــمْ فَــاصِــلُــو حُــكْــمِ الــعَــشِــيــرَهْ
أَحَــلالاً مــا بِــقَــلْــبِــي صَــنَــعَــتْ عَــيْــنَــا مُــغِــيــرَهْ؟

شِعره في وصف الحُمَّى

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثنا زكريا بن مهران بن يحيى، قال: جاءنا عبد الصَّمد بن المعذّل إلى منزلِ محمدِ بنِ عمر الجرجرائيّ، فأنشدَنا قصيدةً له في صفة الحُمَّى، فقال لي محمد بن عمر: امضِ إلى منزلِ عبدِ الصمد حتى تكتبها. فمضيْتُ إليه حتى كتبتها، وهي: [المتقارب]

هَــجَــرْتُ الــصِّــبَــا أَيَّــمــا هَــجْــرَهْ وعِــفْــتُ الــغَــوَانِــيَ والــخَــمْــرَهْ
طَــوَتْــنــيَ عــن وَصْــلِــهــا سَــكْــرَهْ بِــكَــأْسِ الــضَّــنَــا أَيَّــمــا سَــكْــرَهْ

أخبرني الحسنُ بن علي، قال: حدّثنا ابنُ مهرويه، قال: حدّثني عبد الله بن يزيد الكاتب، قال: جَمَعَ بين أبي تمّامٍ الطائيِّ وبين عبدِ الصَّمد بنِ المعذّل مجلسٌ، وكان عبدُ الصَّمد سريعاً في قولِ الشّعر، وكان في أبي تمام إبطاء، فأخذ عبدُ الصّمد القرطاسَ وكتبَ فيه: [الخفيف]

أَنْــتَ بــيــنَ اثْــنَــتَــيْــنِ تَــبْــرُزُ لِــلــنَّــا سِ، وكِــلْــتَــاهُــمَــا بِــوَجْــهٍ مُــذَالِ[2]
لَــسْــتَ تَــنْــفَــكُّ طَــالِــبــاً لِــوُصْــلَــةٍ مِــنْ حَــبِــيــبٍ أو طَــالِــبــاً لِــنَــوَالِ
أَيُّ مَــاءٍ لِــحُــرِّ وَجْــهِــكَ يَــبْــقَــى بَــيْــنَ ذُلِّ الــهَــوَى وذُلِّ الــسُّــؤَالِ

---

(١) العقيرة: صوت القارىء والباكي والمغنّي.

(٢) المُذَال: المُهَان.

قال: فأخذ أبو تمامٍ القرطاسَ وخلا طويلاً، وجاء به وقد كتب فيه: [البسيط]

أَفِيَّ تَـنْـظِـمُ قَـوْلَ الـزُّورِ والـفَـنَـدِ ... وأَنْتَ أَنْزَرُ مِنْ لاَ شَيءَ في العَدَدِ[1]

أَشْرَجْتَ قَلْبَكَ مِنْ بُغْضِي عَلَى حُرَقٍ ... كَأَنَّها حَرَكَاتُ الرُّوحِ في الجَسَدِ[2]

فقال له عبد الصَّمد: يا ماصَّ بَظْرِ أمّه، يا غثُّ، أخبرْني عن قولك «أنزر مِن لا شيء»، وأخبرني عن قولك «أشرَجْتَ قلبك»، قلبي مِفرشٌ أو عَيْبة أو حِرْحٌ[3] فأُشرِجُه، عليك لعنة اللَّه فما رأيت أغثَّ منك. فانقطع أبو تمامٍ انقطاعاً ما يُرَى أقبحُ منه، وقام فانصرف، وما راجَعَه بحرف.

قال أبو الفرج الأصبهاني: كان في ابنِ مهرويه تحاملٌ على أبي تمّامٍ لا يضرُّ أبا تمامٍ هذا منه، وما أقلَّ ما يقدح مثلُ هذا في مثل أبي تمام.

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي، قال: حدّثني الْعَنَزِيُّ، قال: كان عبد الصَّمدِ بن المعذَّل يستثقِلُ رجلاً من ولدِ جعفر بنِ سليمان بنِ عليّ يُعرَف بالفَرّاش، وكان له ابنٌ أثقلُ منه، وكانا يفطران عند المنذرِ بنِ عمرو ـ وكان يخلفُ بعضَ أمراءِ البصرة ـ وكان الفرّاش هذا يصلّي به، ثم يجلس فيفطرُ هو وابنه عندَه، فلما مَضَى شهرُ رمضان انقطع ذلك عنهما، فقال عبد الصّمد بن المعذَّل: [الكامل]

غَـدَرَ الـزَّمَـانُ وَلَـيْـتَـهُ لَـمْ يَـغْـدِرِ ... وحَدَا بِشَهْرِ الصَّوْمِ فِطْرُ المُفْطِرِ

وثَـوَتْ بِـقَـلْـبِـكَ يَـا مُـحَـمَّـدُ لَـوْعَـةٌ ... تَمْرِي بَوَادِرَ دَمْعِكَ المُتَحَدِّرِ[4]

وَتَـقَـسَّـمَـتْـكَ صَـبَـابَـتَـانِ لِـبَـيْـنِـهِ ... أَسَفُ المَشُوقِ وخَلَّةُ المُتَفَكِّرِ[5]

فاسْتَبْقِ عَيْنَكَ واحْشُ قَلْبَكَ يَأْسَهُ ... واقْرَ السَّلاَمَ على خُوَانِ المُنْذِرِ

سَـقْـيـاً لِـدَهْـرِكَ إِذْ تَـرَوَّحَ يَـوْمُـهُ ... والشَّمْسُ في علْيَاءَ لم تَتَهَوَّرِ

حَـتَّـى تُـنِـيـخَ بِـكَـلْـكَـلٍ مُـتَـزَاوِرٍ ... وَتُمَدَّ بُلْعُوماً قَمُوصَ الحَنْجَرِ[6]

---

(١) الفَنَد: الكذب. وأنزر: أقلّ.

(٢) أشرجت قلبك على حرقٍ: ضَمَّنته عليها.

(٣) الحِرْحُ: فَرْج المرأة.

(٤) تمري: تستدرُّ.

(٥) الخَلَّة: الخصلة.

(٦) الكلكل: الصدر. والمتزاور: المنحرف. والقموص: السريع.

وَتَـرُودُ مِـنْـكَ عـلـى الـخِـوَانِ أَنَـامِـلٌ تَـدَعُ الـخـوَانَ سَـرَابَ قَـاعٍ مُـقْـفِـرِ[1]
وَيْـحَ الـصِّـحَـافِ مِـن ابْـنِ فَـرَّاشٍ إذا أَنْحَى عَلَيْهَا كَالهِزَبْرِ الْهَيْصَرِ[2]
ذُو دُرْبَـةٍ طَـبٌّ إذا لَـمَـعَـتْ لَـهُ بُـشُـرُ الـخُـوانِ بَـدَا بِـحَـلِّ الـمِـئْـزَرِ
وَدَّ ابْـنُ فَـرَّاشٍ وفَـرَّاشٌ مَـعـاً لَـوْ أَنَّ شَـهْـرَ الـصَّـوْم مُـدَّةُ أَشْـهُـرِ
يُـزْرِي عَـلَـى الإِسْـلاَمِ قِـلَّـةَ صَـبْـرِهِ وتَـرَاهُ يَـحْـمَـدُ عِـدَّةَ الْـمُـتَـنَـصِّـرِ
لا تَـهْـلِـكَـنَّ عـلـى الـصِّـيَـام صَـبَـابَـةً سَـيَـعُـودُ شَـهْـرُكَ قَـابِـلاً فَـاسْـتَـبْـشِـرِ
لا دَرَّ دَرُّكَ يـا مُـحَـمَّـدُ مِـنْ فَـتًـى شَـيْـنِ الـمَـغِـيـبِ وغَـيْـرِ زَيْـنِ الـمَـحْـضَـرِ

أخبرني محمد بن خلفِ بنِ المرزبان، حدّثني محمد البصريّ وكان جاراً لعبد الصمد بن المعذَّل، قال: كان يزيد بن محمدٍ المهلبيّ يُعادِي عبدَ الصمد ويهاجيه ويسابُّه، ويرمي كلُّ واحد منهما صاحبَه بالشُّؤم، وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولَّى نهر تِيرَى ونواحِيهَا، فقال عبد الصمد يهجوه: [الوافر]

أَبُـوكَ أَمِـيـرُ قَـرْيَـةِ نَـهْـرِ تِـيـرَى ولَـسْـتَ عَـلَـى نِـسَـائِـكَ بِـالأَمِـيـرِ
وأَرْزَاقُ الـعِـبَـادِ عَـلَـى إلـهٍ لَـهُـمْ وعَـلَـيْـكَ أَرْزَاقُ الأَيْـورِ
فَـكَـمْ فِـي رِزْقِ رَبِّـكَ مِـنْ فَـقِـيـرٍ ومَـا فِـي أَهْـلِ رِزْقِـكَ مِـنْ فَـقِـيـرِ

أخبرني محمد بن خلفِ بنِ المرزبانِ، قال: حدّثني محمد بن عبدِ الرحمٰن، قال: حدّثني أحمد بن منصور، قال: شرب علي بن عيسى بن جعفر، وهو أمير البصرة، الدُّهْنَ، فدخل إليه عبدُ الصَّمَد بن المعذّل بعد خروجه عنه، فأنشده قوله:

[الوافر]

بِـأَيْـمَـنِ طَـائِـرٍ وَأَسَـرِّ فَـالِ وأَعْـلَـى رُتْـبَـةٍ وَأَجَـلِّ حَـالِ
شَـرِبْـتَ الـدُّهـنَ ثـم خَـرَجْـتَ عَـنْـهُ خُـروجَ الـمَـشْـرِفِـيِّ مِـنَ الـصِّـقَـالِ
تَـكَـشَّـفَ عَـنْـكَ مـا عَـانَـيْـتَ عَـنْـهُ كَـمَـا انْـكَـشَـفَ الـغَـمَـامُ عَـنِ الـهِـلاَلِ
وقَـدْ أَهْـدَيْـتُ رَيْـحَـانـاً طَـرِيـفـاً بِـهِ حـاجَـيْـتُ مُـسْـتَـمِـعـاً سُـؤالِـي
ومَـا هُـوَ غَـيْـرَ يَـاءٍ بَـعْـدَ حَـاءٍ وقَـدْ سُـبِـقَـا بِـمِـيـمٍ قَـبْـلَ دَالِ[3]
وريـحَـانُ الـشَّـبَـابِ يَـعِـيـشُ يَـوْمـاً ولَـيْـسَ يَـمُـوتُ ريـحَـانُ الـمَـقَـالِ

---

(١) ترود: تذهب وتجيء. والخِوان: ما يوضع عليه الطعام. والسّراب: ما يُرَى في الصحراء في منتصف النهار وتظنّه ماءً.

(٢) الصِّحاف: مناقع صغيرة للماء. والهِزَبْر: الأسد. والهيصر: الأسد يهصر فريسته.

(٣) أراد كلمة (مدحي).

ولَـمْ يَـكُ مُـؤْثِـراً تُـفَّـاحَ شَـمٍّ ... عـلـى تُـفَّـاحِ أَسْـمَـاعِ الـرِّجَـالِ

أخبرني جحظة، قال: حدّثني ميمون بنِ مهران، قال: حدّثني أحمد بن المغيرةِ العجليُّ، قال: كنت عند أبي سهل الإسكافيّ وعنده عبدُ الصمد بن المعذَّل، فرفع إليه رجلٌ رقعة، فقرأها فإذا فيها: [البسيط]

هذا الرَّحِيلُ فَهَلْ في حَاجَتِي نَظَرُ؟ ... أَوْ لاَ فَـأَعْـلَـمَ مَـا آتِـي ومَـا أَذَرُ(١)

فدفَعها إلى عبد الصَّمد، وقال: الجواب عليك. فكتب فيها: [البسيط]

النَّفْسُ تَسْخُو ولَكِنْ يَمْنَعُ العُسُرُ ... والـحُـرُّ يَـعْـذِرُ مَنْ بِـالـعُـسْـرِ يَـعْـتَـذِرُ

ثم قال عبد الصمد لعليّ بن سهل: هذا الجوابُ قولاً، وعليك أعزك اللّه الجوابُ فِعْلاً، ونُجْحُ سَعْي الآمِلِ حقٌّ واجب على مثلك. فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار.

[ابن أخيه الثقيل وهجاؤه له]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ وعلي بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا محمد بن يزيد الأزديّ، قال: كان لابن المعذَّل ابنٌ ثقيلٌ تيّاهٌ شديدُ الذَّهاب بنفسه، وكان مُبغَضاً عند أهل البصرة، فمرّ يوماً بعمِّه عبد الصَّمد، فلما رآه قال لمن معه:

[مجزوء الخفيف]

إنَّ هَـــذَا يَـــرَى أُرَى ... أَنَّـــهُ ابْـــنُ الـــمُـــهَـــلَّـــب
أَنْـــتَ والـــلَّـــهِ مُـــعْـــجِـــبٌ ... ولَـــنَـــا غَـــيْـــرُ مُـــعْـــجِـــب

قال: وقال فيه أيضاً:

لو كَانَ يُعطَى المُنَى الأَعْمَامُ في ابْنِ أَخٍ ... أَصْبَحْتَ في جَوْفِ قُرْقُوزٍ إلى الصِّينِ(٢)
قَـد كَـانَ هَـمّـاً طَـويـلاً لا يُـقَـامُ لَـه ... لَـوْ كَـانَ رُؤْيَـتُـنـا إيَّـاكَ فـي الـحِـيـنِ
فكيفَ بِالصَّبرِ إذْ أَصْبَحْتَ أَكْثَرَ فِي ... مَـجَـالِ أَعْـيُـنِـنـا مِـنْ رَمْـلِ يَـبْـرِيـنِ(٣)
يـا أَبْـغَـضَ الـنَّـاسِ فـي عُـسْـرٍ ومَـيْـسَـرةٍ ... وأَقْـذَرَ الـنَّـاسِ فـي دُنْـيَـا وفـي دِيـنِ

---

(١) ما أذر: ما أتركُ.
(٢) القرقوز: ضرب من السفن العظيمة.
(٣) يَبرين: اسم لعدة مواضع منها في أصقاع البحرين (معجم البلدان ٥/ ٤٢٧).

لـو شَـاءَ رَبِّـي لأَضْـحَـى وَاهِـبـاً لأَخِـي بِـمُـرِّ تُـكْـلِـكَ أَجْـراً غَـيْـرَ مَـمْـنُـونِ
وكَـانَ خَـيْـراً لَـه لَـو كَـانَ مُـؤْتَـزِراً في السَّالِفَاتِ على غُرْمُولِ عِنِّينِ[1]
وقَـائِـلٍ لِـيَ مـا أَضْـنَـاكَ قُـلْـتُ لَـهُ شَخْصٌ تَرَى وَجْهَهُ عَيْنِي فَيُضْنِيني
إنَّ القُلُوبَ لَتُطْوَى مِنْكَ يابْنَ أَخِي إذا رَأَتْـكَ عـلـى مِـثْـلِ الـسَّـكَـاكِـيـنِ

صوت

[الوافر]

أَتَـتْـكَ الـعِـيـسُ تَـنْـفُـخُ فـي بُـرَاهـا تَـكَـشَّـفُ عَـنْ مَـنَـاكِـبِـهـا الـقُـطُـوعُ[2]
بِـأَبْـيَـضَ مِـنْ أُمَـيَّـةَ مَـضْـرِحِـيٍّ كَـأَنَّ جَـبِـيـنَـهُ سَـيْـفٌ صَـنِـيـعُ[3]

الشعر لعبدِ الرحمٰن بنِ الحكم بنِ أبي العاص، والغناء لابن المهربد، رمل بالبِنصر عن الهشامي والله أعلم.

---

(١) الغُرمول: الذَّكَر أو الضخم الرخو. والعنّين: الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن.
(٢) البُرَى: جمع بُرَة: حلقة من نحاس تُجعل في أنف البعير. والقُطوع: جمع قِطْع: البساط يكون تحت الرّاكب.
(٣) المضرِحيّ: السيد الكريم. والصَّنيع: السيف المجرّب المجلوّ.

أخبار عبد الرحمٰن ونسبه

هو عبد الرحمٰن بنِ الحكم بنِ أبي العاص بن أمية بنِ عبد شمس بن عبد منافٍ. وأمّه أمّ أخيه مروان، آمنة بنت صفوان بنِ أمية بنِ محرِّث بنِ شِق بنِ رقبة بن مخدج من بني كِنانة، ويكنى عبد الرحمٰن أبا مطرف. شاعر إسلامي متوسِّط الحال في شعراءِ زمانه، وكان يهاجِي عبدَ الرحمٰن بنَ حسّان بنِ ثابت فيقاومُه وينتصِفُ كلٌّ واحدٍ منهما من صاحبه.

[قدومه على معاوية وعتابه له]

أخبرني محمد بن العبّاس العسكريُّ قال: حدّثنا الحسن بن عليل العَنَزيّ، عن العمريّ، عن العتبيّ والهيثم بنِ عدي، عن صالح بنِ حسان.

وأخبرني به عَمّي عن الكرانيّ، عن العمريّ، عن الهيثم، عن صالح بن حسانٍ قال: قَدِمَ عبدُ الرحمٰن بن الحكم على معاوية بنِ أبي سفيان، وقد عزل أخاه مروانَ عن الحجاز وولّى سعيدَ بنَ العاص، وكان مروانُ وَجَّهَ به وقال له: إلقَه أمامي فعاتبْه لي واستصلحْه. وقال عمّي في خبره: كان عبد الرحمٰن بدِمشق، فلمّا بلغه خبرُ أخيه خرج إليه فتلقّاه، وقال له: أقِمْ حتى أدخلُ إلى الرجل، فإن كانَ عَزَلك عن موجِدَةٍ دخلْتَ إليه منفرداً، وإن كان عن غير مَوجدة دخلتَ إليه مع الناس. قال: فأقام مروانُ ومضى عبد الرحمٰن أمامَه، فلمّا قدم عليه دخَلَ إليه وهو يُعَشِّي الناس، فأنشأ يقول: [الوافر]

أَتَتْكَ العِيسُ تَنفُخُ في بُرَاها ... تَكَشَّفُ عَنْ مَنَاكِبِها القُطُوعُ
بَأَبْيَضَ مِنْ أُمَيَّةَ مَضْرِحِيٍّ ... كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَنِيعُ

فقال معاوية: أزائراً جئتَ أم مُفاخِراً أم مُكاثِراً؟ فقال: أيّ ذلك شئتَ. فقال له: ما أشاء من ذلك شيئاً، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عنّ له، فقال:

على أيِّ الظَّهر أتَيْتنا؟ قال: على فرسي. قال: وما صِفَته؟ قال: «أجشُّ هزِيم»[١]، يعرِّضُ بقول النَّجَاشيّ[٢] له: [الطويل]

ونَجَّى ابْنُ حَرْبٍ سَابِحٌ ذُو عُلالَةٍ ... أَجَشُّ هَزِيمٌ والرِّمَاحُ دَوَانِي[٣]

إذا خِلْتَ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ تَنَالُهُ ... مَرَتْهُ بِهِ السَّاقَانِ والقَدَمَانِ[٤]

فغضِبَ معاوية، وقال: أمَا إنَّه لا يركبه صاحبُه في الظُّلَم إلى الرِّيَبِ، ولا هو ممَّن يتسوّر على جاراته ولا يتوثَّب على كنائنه بعد هجعة الناس ـ وكان عبد الرحمٰن يُتَّهَم بذلك في امرأةِ أخيه ـ فخجل عبدُ الرحمٰن وقال: يا أمير المؤمنين، ما حَمَلك على عزل ابنِ عَمِّكَ، ألِجنَايةٍ أَوْجَبَتْ سُخطاً، أم لِرَأْيٍ رأيتَه، وتدبيرٍ استصلحتَه؟ قال: لتدبير استصلحتُه. قال: فلا بأس بذلك، وخَرج من عنده فلقي أخاه مروان، فأخبره بما جَرَى بينه وبين معاويةَ، فاستشاط غيظاً، وقال لعبد الرحمٰن: قَبَّحَكَ اللَّهُ، ما أضعَفَك، أَعَرَّضْتَ للرجلِ بما أغضَبَه حتَى إذا انتصفَ منك أحجمْتَ عنه؟ ثم لبِسَ حُلَّته، وركبَ فرسَه، وتقلَّدَ سيفَه، ودخل على معاوية، فقال له حين رآه وتبيَّنَ الغضَبَ في وجهه: مرحباً بأبي عبد الملك، لقد زُرْتَنا عند اشتياق منّا إليك. قال: لاهَا[٥] اللَّه ما زرْتُك لذلك، ولا قَدِمْتُ عليك فألفيتك إلاَّ عاقّاً قاطعاً، واللَّه ما أنصفْتَنا ولا جَزَيتَنا جزاءَنا. لقد كانت السَّابقةُ من بني عبد شمس لآلِ أبي العاص، والصِّهر برسول اللهﷺ لهم، والخلافةُ فيهم، فوصلوكم يا بني حرب وشَرَّفوكم، وولَّوكم فما عزَلُوكم ولا آثَرُوا عليكم، حتَّى إذا وُلِّيتُمْ وأفضَى الأمرُ إليكم، أبيْتُم إلاَّ أَثَرَةً وسوءَ صنيعة، وقُبْحَ قطيعة، فرُويداً رُويداً، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيِّفاً وعشرين، وإنَّما هي أيّامٌ قلائل حتّى يُكمِلوا أربعين ويعلم امرؤٌ أين يكون منهم حينئذٍ، ثم هم للجزاء بالحُسْنى وبالسوء بالمرصاد.

قال عَمِّي في خبره: فقال له معاوية: عَزَلْتُكَ لثلاثٍ لو لم يكنْ منهنّ إلاّ واحدةٌ لأوجَبتْ عزلَك: إحداهنّ أنِّي أَمَّرْتُكَ على عبد الله بن عامر وبينكما ما

(١) الهَزيم: الفرس الشديد الصوت.

(٢) النجاشيّ: هو قيس بن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب، كانت أمّه حبشيّة فنُسِبَ إليها (ت ٤٥ هـ) ترجمته في الشعر والشعراء ١/٢٤٦.

(٣) ابن حرب: كنية معاوية. والسابح: الفرس السريع كأنه يسبح. والأجش: الغليظ الصهيل.

(٤) مَرَته: استدرَّتْ جَرْيَهُ.

(٥) ها: للتنبيه، دخلت على حرف القسم المحذوف.

بينكما، فلم تستطعْ أن تشتفيَ منه. والثانية كَرَاهَتُكَ لأمرِ زياد. والثالثة أن ابنتي رَملةَ استعدَتْك على زوجها عمرِو بن عثمان فلم تُعْدِها[١]. فقال له مروان: أمّا ابنُ عامرٍ فإنّي لا أنتصر في سلطاني، ولكن إذا تساوت الأقدامُ عَلِمَ أين موقعُه. وأمّا كراهتي أمرَ زياد فإنّ سائر بني أمية كرهوه، ثم جعل اللّه لنا في ذلك الكُره خيراً كثيراً. وأما استعداء رملةَ على عمرو فواللّه إنّي لتأتي عليَّ سنةٌ أو أكثرُ وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً - يعرِّض بأن رملة إنما تستعدي عليه طلباً للنكاح - فقال له معاوية: يا بن الوَزَغ[٢]، لستَ هناك. فقال له مروان: هو ذاك الآن، واللّه إني لأبو عَشَرة وأخو عشرة وعمُّ عشرة، وقد كاد ولدي أن يُكملوا العِدّة - يعني أربعين - ولو قد بلغوها لعلمْتَ أين تقع منِّي! فانخزل معاوية ثم قال: [الوافر]

فَـإنْ أَكُ فِـي شِـرَارِكُـمُ قَـلِـيـلاً ... فَـإنِّـي فـي خِـيَـارِكُـم كَـثِـيـرُ

بُـغَـاثُ الـطَّـيْـرِ أَكْـثَـرُهـا فِـرَاخـاً ... وأُمُّ الـصَّـقْـرِ مِـقْـلاتٌ نَـزُورُ[٣]

قال: فما فرغَ مروانُ من كلامه حتّى استخذى[٤] معاويةُ في يده وخَضَع له، وقال: لك العُتْبَى، وأنا رادُّك إلى عملك. فوثب مروان وقال له: كَلاَّ والله وعَيشِكَ لا رأيتَني عائداً إليه أبداً. وخرج، فقال الأحنف لمعاوية: ما رأيت لك قطُّ سَقْطَةً مِثلَها، ما هذا الخضوعُ لمروان؟ وأيُّ شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين؟ وأيَّ شيءٍ تخشاه منهم؟ فقال له: أُدْنُ منِّي أُخبِرْكَ بذلك. فدنا منه، فقال له: إنَّ الحكمَ بنَ أبي العاص كان أحدَ مَن وفد مع أختي أُمِّ حبيبة لما زُفَّت إلى النبيّ ﷺ، وهو الذي تولّى نقلها إليه، فجعل رسول الله ﷺ يُحِدُّ النّظرَ إليه، فلما خَرَج من عنده قيل له: يا رسول الله، لقد أحدَدْتَ النَّظرَ إلى الحكم! فقال: «ابن المخزوميّة؛ ذلك رجلٌ إذا بلغ ولده ثلاثين - أو قال: أربعين - ملكوا الأمر بعدِي». فواللّه لقد تلقَّاها مَروانُ من عينٍ صافية. فقال له الأحنف: لا يسمعَنَّ هذا أحدٌ منك، فإنَّك تضع من قدْرك وقدرِ ولدِك بعدَك، وإنْ يَقْضِ اللّه عزّ وجلّ أمراً يَكُنْ. فقال له معاوية: فاكتُمْها عَلَيَّ يا أبا بحر إذاً، فقد لَعَمْرِي صَدَقْتَ ونَصَحْتَ.

---

(١) لم تُعْدِها: لم تنصرها.

(٢) الوَزَغ: الرجل الجبان المتراخي عند حرب أو شدّة.

(٣) بُغاث الطير: أضعفها. والمِقلات: التي تضع واحداً فقط. والنزور: القليلة النَّسل.

(٤) استخذى: خضع.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال: حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال: حدّثني يعقوب بن القاسم الطَّلْحي قال: حدّثني ثِمالٌ عن أيوب بن دِرْباسٍ بنِ دَجاجة قال: شَخَصَ مروانُ بنِ الحكم ومعه أخوه عبدُ الرحمٰن، إلى معاوية. ثم ذكر نحواً من الحديث الأوّل، ولم يَذكُرْ فيه مخاطبةَ معاوية في أمرهم للأحنف، وزاد فيه: فقال عبد الرحمٰن في ذلك: [الطويل]

أَتَـقْـطُـرُ آفَـاقُ الـسَّـمَـاءِ لـه دَمـاً ... إذا قِيلَ هـذا الطِّرْفُ أَجْردُ سَابِحُ[١]؟
فَـحَـتَّـى مَـتَـى لا نَـرْفَـعُ الـطَّـرْفَ ذِلَّـةً ... وحَتَّى مَتَى تَعْيَا عَليكَ المَنَادِحُ[٢]

[شعره عندما رأى رأس الحسين عليه السلام بين يدي يزيد]

أخبرني عَمّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد قال: حدّثنا عليّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ عن أبيه، قال: كان عبد الرحمٰن بنِ الحكمِ بن أبي العاصي عند يزيد بن معاوية، وقد بعث إليه عُبيد الله بن زِياد برأس الحسين بن عليّ عليه السلام فلمّا وُضِعَ بين يدي يزيدَ في الطَّشْت بكى عبدُ الرحمٰن ثم قال: [الطويل]

أَبْـلِـغْ أَمِـيـرَ الـمُـؤمِـنـيـنَ فَـلا تَـكُـنْ ... كَـمُـوْتِـرِ أَقْـوَاسٍ ولَـيْـسَ لـهـا نَـبْـلُ[٣]
لَـهَـامٌ بِـجَـنْـبِ الـطَّـفِّ أَدْنـى قَـرَابَـةً ... مِنِ ابْنِ زِيادٍ الوَغْدِ ذِي الحَسَبِ الرَّذْلِ[٤]
سُـمَـيَّـةُ أَمْـسَـى نَـسْـلُـهـا عَـدَدَ الـحَـصَـى ... وبِـنْـتُ رَسُـولِ الـلّـهِ لَـيْـسَ لـهـا نَـسْـلُ

فصاح به يزيد: اسْكُتْ يا بن الحمقاء، وما أنتَ وهذا؟

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال: حدّثنا عمر بن شبّةَ قال: حدّثني هارون بن معروف قال: حدّثنا بشر بن السّريّ قال: حدّثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال: رأيتهم - يعني بني أميَّةَ - يتتايعُون[٥] نحو ابنِ عبّاسٍ حين نفى ابنُ الزبير بني أميّة عن الحِجاز، فذهبْتُ معهم وأنا غلامٌ، فلقينا رجلاً خارجاً من عندِه، فدخلْنا عليه، فقال له عُبيد بن عُمير، ما لي أراكَ تذرِفُ عيناك؟ فقال له: إن هذا -

---

(١) الطِّرْف: الكريم من الخيل. والأجرد: القصير الشعر.
(٢) المنادح: جمع المندوحة: المتّسع من الأرض.
(٣) موتر الأقواس: الذي يُوتِرُها أي يشدّ وترها.
(٤) الهام: جمع الهامة: الرأس والشريف.
(٥) تتايع: أسرع.

يعني عبد الرحمٰن بن الحكم ـ قال بيتاً أبكاني، وهو: [الطويل]

وما كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَرَى الذُّلَّ نِسْوَتِي ... وعَبْدُ مُنَافٍ لم تَغُلْها الغَوائِلُ

فذكر قرابةً بيننا وبين بني عَمِّنا بني أميّة، وإنّا إنّما كنّا أهلَ بيتٍ واحد في الجاهلية، حتّى جاء الإسلام فدخَلَ الشيطان بيننا أيّما دخل.

أخبرني عَمّي قال: حدّثنا الكراني قال: حدّثنا العمريّ عن الهيثم قال: حدّثني أخي عباسٌ أنّ عبدَ الرحمٰن بن الحكم كان يُولَع بجاريةٍ لأخيه مروان يقال لها «شنْباء» ويهيم بمحبّتها، فبلغ ذلك مروانَ، فشتَمَه وتوعّده، وتحفَّظ منه في أمر الجارية، وحَجَبها، فقال فيها عبد الرحمٰن: [الطويل]

لَعَمْرُ أَبِي شَنْبَاءَ إِنِّي بِذِكْرِها ... وإنْ شَحَطَتْ دَارٌ بِهَا لَحَقِيقُ

وإنِّي لها، لا يَنْزِعُ اللّٰهُ مَا لَها ... عَلَيَّ وإنْ لَمْ تَرْعَهُ، لَصَدِيقُ

ولَمَّا ذَكَرْتُ الوَصْلَ قَالَتْ وأَعْرَضَتْ ... مَتَى أَنْتَ عَنْ هَذَا الحَدِيثِ مُفِيقُ؟

[معاوية يغضب على عبد الرحمٰن لهجائه زياداً]

أخبرني عَمّي قال: حدّثنا الكُرَاني قال: حدّثنا الخليل بن أسد عن العمريّ، ولم أسمعه من العُمريّ، عن الهيثم بن عَدِيّ قال: لمّا ادّعى معاويةُ زياداً قال عبد الرحمٰن بن الحكم في ذلك ـ والناس ينسبونها إلى ابن مفرّغ لكثرة هجائه إلى زياد، وذلك غلط ـ قال: [الوافر]

أَلاَ أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الهِجَانِ(1)

أَتَغْضَبُ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَفٌّ ... وتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانِ

فَأَشْهَدُ أَنَّ رِحْمَكَ مِنْ زِيادٍ ... كَرِحْمِ الفِيلِ مِنْ وَلَدِ الأَتَانِ

وأَشْهَدُ أَنَّهَا وَلَدَتْ زِيَاداً ... وصَخْرٌ مِنْ سُمَيَّةَ غَيْرُ دَانِي

فبلغ ذلك معاوية بن حرب، فحلف ألاَّ يرضى عن عبد الرحمٰن حتى يرضى عنه زياد، فخرج عبد الرحمٰن إلى زياد، فلمّا دخل عليه قال له: إيه يا عبد الرحمٰن، أنت القائل:

أَلاَ أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الهِجَانِ

(1) المغلغلَة: القصيدة التي تنتشر من بلد إلى آخر. والهِجان: الكريم الأصل.

قال: لا أَيُّها الأمير، ما هكذا قلت: ولَكِنِّي قلت: [الوافر]

أَلاَ مَــنْ مُــبْــلِــغٌ عَــنِّــي زِيَــاداً ... مُــغَــلْــغَــلَــةً مِــنَ الــرَّجُــلِ الــهِــجَــانِ

مِــنِ ابْــنِ الــقَــرْمِ قَــرْمِ بَــنِــي قُــصَــيٍّ ... أَبِــي الــعَــاصِــي بْــنِ آمِــنَــةَ الــحَــصَــانِ[1]

حَــلَــفْــتُ بِــرَبِّ مَــكَّــةَ والــمُــصَــلَّــى ... وبِــالــتَّــوْرَاةِ أَحْــلِــفُ والــقُــرَانِ

لأَنْــــتَ زِيَــــادَةٌ فِــــي آلِ حَــــرْبٍ ... أَحَــبُّ إِلَــيَّ مِــنْ وُسْــطَــى بَــنَــانِــي

سُــرِرْتُ بِــقُــرْبِــهِ وفَــرِحْــتُ لَــمَّــا ... أَتَــانِــي الــلَّــهُ مِــنْــهُ بِــالــبَــيَــانِ

وقُــلْــتُ لَــهُ أَخُــو ثِــقَــةٍ وعَــمٌّ ... بِــعَــوْنِ الــلَّــهِ فــي هَــذَا الــزَّمَــانِ

كَــذَاكَ أَرَاكَ والأَهْــوَاءُ شَــتَّــى ... فَــمَــا أدرِي بِــغَــيْــبٍ مــا تَــرَانِــي

فرضيَ عنه زيادٌ، وكتب له بذلك إلى معاوية، فلما دخَل عليه بالكتاب قال: أنشِدْني ما قلْتَ لزياد. فأنشدَه، فتبسَّم ثم قال: قَبَح اللَّه زياداً، ما أَجْهَلَه، واللَّه لَمَا قلتَ له أخيراً حيث تقول:

لأَنْــــتَ زِيَــــادةٌ فــــي آلِ حَــــرْبٍ

شَرٌّ مِن القول الأوّل، ولكنّكَ خدعْتَه فجازت خديعتك عليه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عُمَر بن شبّة قال: استعمل معاويةُ بن أبي سفيان الحارثَ بن الحكم بن أبي العاصي على غُزَاة البحر، فنكَص واستعفى، فوجَّه مكانه ابنَ أخيه عبدَ الملك بن مروان، فمضى وأبْلَى وحَسُنَ بلاؤه، فقال عبد الرحمٰن بن الحكم لأخيه الحارث: [الوافر]

شَــنِــئْــتُــكَ إِذْ رَأَيْــتُــكَ حَــوْتَــكِــيًّــا ... قَــرِيــبَ الــخُــصْــيَــتَــيْــنِ مِــنَ الــتُّــرَابِ[2]

كَــأَنَّــكَ قَــمْــلَــةٌ لَــقِــحَــتْ كِــشَــافــاً ... لِــبُــرغُــوثٍ بِــبَــعْــرَةٍ أو صُــؤَابِ[3]

كَــفَــاكَ الــغَــزْوُ إذا أَحْــجَــمْــتَ عَــنْــهُ ... حَــدِيــثُ الــسِّــنِّ مُــقــتــبــلُ الــشَّــبَــابِ

فَــلَــيْــتَــكَ حَــيْــضَــةٌ ذَهَــبَــت ضَــلالاً ... ولَــيْــتَــكَ عِــنْــدَ مُــنــقَــطَــعِ الــسَّــحَــابِ

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: لَطَمَ عبدُ الرَّحمٰن بن الحكم مولًى لأهل المدينة حَنَّاطاً، وأخوه مروانُ يومئذٍ والٍ

(١) الحَصَان: العفيفة المصونة.

(٢) الحَوتكيّ: القصير الضاوي، أو هو الذي يأكل كثيراً.

(٣) الكِشَاف: التي تلقح في زمان لقاحِها. والصُّؤاب: جمع صُؤابة: بيضة القملة.

لأهل المدينة، فاستعداه الحنّاط عليه، فأجلسَهُ مروانُ بين يديه وقال له: الطِمْه ـ وهو أخو مروان لأبيه وأمّه ـ فقال الحنّاط: واللّهِ ما أردْتُ هذا، وإنّما أردْت أن أُعْلِمه أنَّ فوقَه سلطاناً ينصرُني عليه، وقد وَهَبْتُها لك. قال: لسْتُ أقبلُها منك فخُذْ حَقَّكَ. فقال: واللّهِ لا ألطمُه، ولكنّي أهبها لك. فقال له مروان: إن كنْتَ تَرى أن ذلك يُسْخِطُني فواللّه لا أسخَطُ، فخذْ حقَّك. فقال: قد وَهَبْتُها لك، ولسْت واللّهِ لاطِمَه. قال: لستُ واللّه قابِلَها، فإن وهبْتَها فَهَبْها لمن لَطَمَكَ، أو للّه عزَّ وعلا. فقال: قد وهبْتُها للّه تعالى. فقال عبد الرحمٰن يهجو أخاه مروان: [الطويل]

كُلُّ ابْنِ أُمٍّ زَائِدٌ غَيْرُ نَاقِصٍ ... وأنتَ ابْنُ أُمٍّ نَاقِصٌ غَيْرُ زَائِدِ
وَهَبْتُ نَصِيبي مِنْكَ يَامَرْوَ كُلَّهُ ... لِعَمْرٍو وعُثْمَانَ الطَّوِيلِ وخَالِدِ

[رثاؤه لقتلى يوم الجمل]

أخبرني هاشم بن محمدٍ أبو دلفٍ الخزاعيّ، قال: حدّثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: نظر عبدُ الرحمٰن بن الحكَم إلى قتلَى قريشٍ يومَ الجملِ فبكى، وأنشأ يقول: [المتقارب]

أَيَا عَيْنِ جُودِي بِدَمْعٍ سَرَبْ ... على فِتْيَةٍ مِنْ خِيَارِ العَرَبْ[1]
ومَا ضَرَّهُمْ، غَيْرَ حَيْنِ النُّفُوسِ ... أَيُّ أَمِيرَيْ قُرَيْشٍ غَلَبْ[2]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثني عمر بن شَبّة قال: حدّثني المدائني عن شيخ من أهل مكة قال: عَرَضَ معاويةُ على عبدِ الرحمٰن بنِ الحكم خيلَه، فمرَّ به فرسٌ فقال له: كيف تراه؟ فقال: هذا سابح. ثم عرض عليه آخر فقال: هذا ذو عُلالةٍ. ثم مرَّ به آخر فقال: وهذا أجشُّ هزيم. فقال له معاوية: قد علمْتُ ما أردْتَ، إنّما عَرَّضْتَ بقول النجاشِيّ فِيَّ: [الطويل]

وَنجّى ابْنَ حَرْبٍ سَابِحٌ ذُو عُلالَةٍ ... أَجَشُّ هَزِيمٌ والرِّمَاحُ دَوانِي
سَلِيمُ الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسا ... كَسِيدِ الغَضَى بَاقٍ عَلَى النَّسَلانِ[3]

---

(١) السَّرَب: السائل بغزارة.

(٢) الحَيْن: الهلاك.

(٣) الشَّظى: عظم دقيق صغير لازق بالرُّكبة، والعَبْل: الضخم. والشَّوَى: الأيدي والأرجل والأطراف وهو كل ما كان غير مقتل من الأعضاء، والنَّسَا: عرق يخرج من الورك إلى الكعب. والسِّيد: الذئب. والنَّسَلان: الإسراع.

اخرج عنِّي فلا تُسَاكِنِّي في بلدٍ، فَلَقِيَ عبدُ الرحمٰن أخاه مروانَ فشكا إليه معاوية، وقال له عبدُ الرحمٰن: وحتَّى متى نُسْتَذَلُّ ونُضَامُ؟ فقال له مروان: هذا عملك بنفسك. فأنشأ يقول: [الطويل]

أَتَــقْــطُــرُ آفَــاقُ الــسَّــمَــاء لَــنَــا دَمــاً ... إذا قُــلْــتُ هَــذَا الــطَّــرْفُ أَجْــرَدُ سَــابِــحُ؟
فَــحَــتَّــى مَــتَــى لا نَــرْفَــعُ الــطَّــرْفَ ذِلَّــةً ... وحَــتَّــى مَــتَــى تَــعْــيَــا عَــلــيــكَ الــمَــنَــادِحُ

فدخل مروانُ على معاويةَ، فقال له مَروان: حتَّى متى هذا الاستخفاف بآل أبي العاصي؟ أَمَا واللَّهِ إنَّك لَتَعْلَمُ قولَ النَّبيِّ ﷺ فينا، ولقَلَّ ما بَقِيَ من الأجل. فضَحِكَ معاوية وقال: لقد عَفَوْتُ لك عنه يا أبا عبدِ الملك. واللَّه أعلم بالصَّواب.

صوت

[البسيط]

قُــولاَ لِــنَــائِــلَ مَــا تَــقْــضِــيــنَ فــي رَجُــلٍ ... يَــهْــوَى هَــواكِ ومــا جَــنَّــبْــتِــهِ اجْــتَــنَــبــا
يُمْسِي مَعِي جَسَدِي والقَلْبُ عِنْدَكُمُ ... فــمــا يَــعِــيــشُ إذا مــا قَــلْــبُــهُ ذَهَــبــا

الشعر لمسعدة بن البَختريّ، والغناء لعَبادل، ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مَجرَى الوسطى عن إسحاق، وفيه لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ آخرَ عن ابن المعتزّ، ولها فيه أيضاً خفيفُ رملٍ عنه.

أخبار مسعدة ونسبه

[نسبه وقصته مع نائلة بنت عمرو الأسيديّ]

هو مَسعدةُ بن البَختريّ بنِ المغيرةِ بن أبي صُفرة بنِ أخي المهلَّب بن أبي صفرة. وقد مضَى نسبُه متقدِّماً في نسبِ يزيد بنِ محمدٍ المهلبيّ وابنِ أبي عُيَينة وغيرهما. وهٰذا الشعر يقوله في نائلة بنتِ عمرَ بنِ يزيد الأُسَيْدِيّ وكان يهواها.

أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل تِينة، عن القحذميّ قال: كان مسعدةُ بن البَختريّ بن المغيرةِ بن أبي صُفرة، يُشَبِّبُ بنائلةَ بنتِ عُمَر بنِ يزيد الأُسَيْديّ أحدِ بني أُسَيدِ بنِ عمرِو بن تميم، وكان أبوها سَيِّداً شريفاً، وكان على شُرَطِ العراقِ مِن قِبَلِ الحَجَّاجِ، وفيها يقول: [مجزوء الوافر]

أَنَـــائِـــلَ إنَّـــنِـــي سَـــلْـــمٌ لأَهْـلِـكِ فَـاقْـبَـلِـي سَـلْـمِـي

قال القَحذميّ: وأمُّ نائلة هذه عاتكةُ بنت الفُراتِ بنِ معاوية البَكّائيّ، وأمُّها المُلاءة بنت زُرارةَ بن أوفَى الجُرَشِيّة، وكان أبوها فقيهاً مُحَدِّثاً من التابعين. وقد شَبَّبَ الفرزدقُ بالملاءة وبعاتِكةَ ابنتها.

[نائلة وأمُّها وجدّتها]

قال عيسى: فحدّثني محمّد بن سلام قال: لا أعلم أنّ امرأةً شُبِّبَ بها وبأمّها وجَدَّتها غير نائلة. فأمّا نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة، وأمّا عاتكة فإنّ يزيد بن

المهلّب تزوّجها؛ فقُتِلَ عنها يوم العَقْر[١]، وفيها يقول الفرزدق: [الطويل]

إذا ما المَزُونِيّاتُ أَصْبَحْنَ حُسَّراً ... وبَكَّيْنَ أَشْلاَءً على غير نَائِلِ[٢]

فكم طَالِبٍ بِنْتَ المُلاَءَةِ إنّها ... تَذَكُّرُ رَيْعَانَ الشَّبَابِ المُزَايِلِ[٣]

وفي الملاءة أُمِّها يقول الفرزدق: [البسيط]

كم لِلمُلاَءَةِ مِنْ طَيْفٍ يُؤَرِّقُني ... إذا تَجَرْثَمَ هَادِي اللَّيْلِ واعْتَكَر[٤]

[عاتكة بنت الملاءة تثأر للنساء من الرجال]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاءِ قال: حدّثني الزُّبير بن بكّارٍ قال: حدّثني عبد الرحمٰن بن عبد الله قال: خرجَتْ عاتكةُ بنت المُلاءةِ إلى بعضِ بَوادِي البَصْرة فلَقِيتْ بدويّاً معه سمن فقالت له: أتبيعُ هذا السَّمن؟ فقال: نعم. قالت: أرِنَاه. ففتح نِحْياً فنظرَتْ إلى ما فيه، ثم ناولَتْه إياه وقالت: افتحْ آخَر. ففتح آخَرَ فنظرَتْ إلى ما فيه ثم ناولته إيّاه، فلمّا شَغَلَتْ يديه أمرَتْ جوارِيَها فجعلْنَ يَرْكُلْنَ في اسْتِه وجعلت تنادي: يا لَثَاراتِ ذاتِ النِّحْيَيْن!

قال الزُّبير: تَعنِي ما صُنِعَ بذاتِ النِّحْيين في الجاهلية؛ فإنّ رجلاً يقال له خَوَّات بن جُبير رأى امرأةً معها نِحْيَا سمنٍ فقال: أرِيني هذا. ففتحت له أحَدَ النِّحْيين، فنظر إليه ثم قال: أرِيني الآخر. ففتحَتْه، ثم دفَعه إليها، فلما شَغَل يديها وقَعَ عليها، فلا تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهبَ السمن، فضربت العربُ المثلَ بها، وقالت: «أشغَلُ مِنْ ذاتِ النِّحْيينِ». فأرادت عاتكةُ بنت الملاءةِ أنَّ هذا لم يفعلْه أحدٌ من النساءِ برجلٍ كما يفعله الرّجلُ بالمرأة غيرها، وأنّها ثأرَتْ للنِّساء ثأرَهُنَّ من الرِّجال بما فعلَتْه.

[عمر بن أبي ربيعة وخبره مع الملاءة]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدّثنا أبو هِفّان عن إسحاقَ الموصِلي

---

(١) العَقْر: موضع ببابل قرب كربلاء من الكوفة (معجم البلدان ٤/ ١٣٦).

(٢) الحُسَّر: كاشفات الوجوه.

(٣) تذكُّرُ: تتذكّرُ. والمزايل: المفارق.

(٤) تجرثم: اجتمع. وهادي الليل: أوّله. واعتكر: اشتدّ ظلامه.

عن الزّبير والمسيبيّ ومحمَّد بن سلام وغيرهِم من رجاله: أنَّ المُلاءة بنت زُرارة لَقِيَتْ عمرَ بن أبي ربيعة بمكة وحوله جماعةٌ ينشدهم، فقالت لجاريةٍ: مَنْ هذا؟ قالت: عمرُ بن أبي ربيعةَ، المنتقلُ من منزله من ذاتِ وِدادٍ إلى أُخرَى، الذي لم يَدُمْ على وَصْلٍ، ولا لقوله فَرعٌ ولا أصل، أمَا واللَّهِ لو كنتُ كبعضِ مَنْ يواصِلُ لما رَضِيتُ منه بما تَرْضَيْن، وما رأيت أدنَا مِن نساءِ أهلِ الحجازِ ولا أقرَّ منهنَّ بخَسْفٍ، واللَّه لأمةٌ من إمائنا آنفُ منهنّ! فبلغ ذلك عمرَ عنها، فراسَلَها فراسلَتْه، فقال: [الكامل]

حَيِّ المَنَازِلَ قد عَمِرْنَ خَرَابَا ... بَيْنَ الجُرَيْنِ وبين رُكْنِ كُسابا[1]

بِالثِّنْيِ من مَلِكَانَ غَيَّرَ رَسْمَهَا ... مَرُّ السَّحَابِ المُعْقِبات سَحَابا[2]

وذُيولُ مُعْصِفَةِ الرِّياحِ تَجُرُّها ... دُقَقاً فَأَصْبَحَتِ العِرَاصُ يَبَابا[3]

ولقد أَرَاهَا مَرَّةً مَأْهُولَةً ... حَسَناً جَنَابُ مَحَلِّها مِعْشَابا[4]

دَارُ الَّتي قَالَتْ، غَدَاةَ لَقِيتُها ... عِنْدَ الجِمَارِ فما عَيِيتُ جَوَابا

هذا الَّذي بَاعَ الصَّدِيقَ بِغَيْرِهِ ... ويُريدُ أَنْ أَرْضَى بِذَاكَ ثَوَابَا

قلتُ: اسْمَعِي مِنِّي المَقَالَ ومَن يُطِعْ ... بِصَدِيقِهِ المُتَمَلِّقَ الكَذَّابَا

[وتَكُنْ لَدَيْهِ حِبَالُهُ أُنْشوطَةً ... في غيرِ شَيءٍ يَقْطَعِ الأَسْبابا][5]

إنْ كُنْتِ حَاوَلْتِ العِتَابَ لِتَعْلَمِي ... ما عِنْدَنا فلقَدْ أَطَلْتِ عِتَابا

أوِ كَانَ ذلكَ لِلبِعَادِ فَإِنَّهُ ... يَكْفِيكِ ضَرْبُكِ دُونَكِ الجِلْبابا[6]

وأَرَى بِوَجْهِكِ شَرْقَ نُورٍ بَيِّنٍ ... وبِوَجْهِ غَيْرِكِ طَخْيَةً وضَبابا[7]

---

(١) الجُرَيْن: موضع بين سُواج والنير باللعباء من أرض نجد (معجم البلدان ٢/ ١٣٢). وكُساب: موضع، وكَساب: جبل في ديار هذيل (معجم البلدان ٤/ ٤٥٩).

(٢) الثِّنْيُ: المنعطَف. ومَلِكان: وادٍ لهذيل على ليلة من مكة (معجم البلدان ٥/ ١٩٤).

(٣) الدُّقق: جمع الدُّقَّة: التراب اللّيّن كسحته الريح. والعراص: جمع العَرْصة: الساحة. واليباب: الخراب.

(٤) الجناب: الناحية والفناء. وفي الديوان: «حسناً نبات محلّها».

(٥) التكملة من ديوان الشاعر ص ٤٦. والأنشوطة: عقدة يسهل انحلالها. والأسباب: الحبال.

(٦) في الديوان: «دوننا الجلبابا».

(٧) الطَّخية: الظلمة.

صوت

[الخفيف]

أَسْعِدَانِي يا نَخْلَتَيْ حُلْوَانِ ... وارْثِيا لي مِنْ رَيْبِ هَذا الزَّمانِ
واعْلَمَا أنَّ رَيْبَهُ لم يَزَلْ يَفْـ ... ـرُقُ بَيْنَ الأُلَّافِ والجِيرَانِ
أَسْعِدَانِي وأيْقِنَا أنَّ نَحْساً ... سَوْفَ يَلْقَاكُما فتَفْتَرِقَانِ
ولَعَمْرِي، لو ذُقْتُمَا أَلَمَ الفُرْ ... قَةِ أَبْكَاكُما كَمَا أَبْكَانِي
كم رَمَتْني به صُرُوفُ اللَّيَالي ... مِنْ فراقِ الأَحْبَابِ والخُلَّانِ

الشعر لمطيع بنِ إياس، والغناء لحكمِ الواديِّ، هزج بالوسطى عن عمرٍو الهِشامي.

أخبار مطيع بن إياس ونسبه

[توفي ١٦٦ هـ/ ٧٨٣ م]

[اسمه ونسبه]

هو مُطِيع بن إياس الكناني، ذكر الزُّبير بن بكارٍ أنه من بني الدِّيل بنِ بكرِ بنِ عبدِ مناة بنِ كنانة، وذكر إسحاقُ الموصليُّ عن سعيدِ بن سَلْم أنه من بني ليثِ بن بكرٍ. والدِّيل وليث أخوانِ لأبٍ وأمٍّ، أمُّهما أمّ خارجة، واسمها عَمْرَة بنت سعدِ بنِ عبد الله بنِ قُرادِ بنِ ثعلبة بنِ معاوية بن زيدِ بن الغوث بنِ أنمارِ بنِ أراشِ بن عمرِو بنِ الغوثِ بنِ نبتِ بن مالكِ بنِ زيدِ بنِ كهلان بنِ سبأ بنِ يشجب بنِ يعرب بنِ قحطان. وهي التي يضرب بها المثل فيقال: «أَسْرَعُ مِن نِكاحِ أُمِّ خارجةَ»[1]. وقد وَلَدَتْ عِدّةَ بطونٍ من العرب حتّى لو قال قائل: إنه لا يكاد يتخلَّصُ من وِلادتها كبير أحدٍ منهم لكان مقارِباً، فممَّن ولدت الدِّيل وليث والحارث وبنو بكر بنِ عبدِ مناة بنِ كنانة، وغاضرة بن مالكِ بن ثعلبة بنِ دُودان بنِ أسدِ بنِ خزيمة، والعنبر وأُسيِّد والهُجيم، بنو عمرِو بنِ تميم، وخارجة بن يشكر ـ وبه كانت تكنى ـ ابن سعدِ بنِ عمرِو بنِ ربيعة بنِ حارثة بنِ مزيقيا، وهو أبو المصطلق.

قال النسّابون: بلغ من سرعةِ نكاحِها أنَّ الخاطب كان يأتيها فيقول لها: خِطْبٌ، فتقول له: نِكْحٌ.

وزعموا أنّ بعضَ أزواجِها طَلَّقها فرحل بها ابنٌ لها عن حَيِّهِ إلى حيِّها، فلقيها راكبٌ فلمّا تَبيَّنَتْه قالت لابنها: هذا خاطبٌ لي لا شَكَّ فيه، أَفَتَرَاهُ يُعجِلني أن أنزلَ عن بعيري؟ فجعل ابنُها يَسُبُّها.

(١) المثل في مجمع الأمثال للميداني ص ٣٤٨.

ولا أعلم أنِّي وجدْتُ نسبَ مطيع مُتَّصلاً إلى كِنانة في روايةِ أحدٍ إلاَّ في حديثٍ أنا ذاكرهُ؛ فإنَّ راويَه ذَكَر أن أبا قَرْعة الكنانيَّ جَدُّ مطيع، فلا أعلَمُ أهو جدُّه الأدنى فأصِلَ نسبَه بِهِ، أم هو بعيدٌ منه، فذكرتُ الخبَرَ على حاله.

[تشاحن جدّ مطيع مع ابن الزبير]

أخبرني به عيسى بن الحسنِ الورّاق قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم بنِ فراس قال: حدّثني العُمريّ وأبو فراس عَمِّي جميعاً، عن شُراحِيل بنِ فراس، أنَّ أبا قرعة الكنانيّ، واسمه سلمى بن نوفلٍ ـ قال: وهو جدُّ مطيع بنِ إياس الشَّاعر ـ كانت بينه وبين ابنِ الزُّبير قبل أن يلي مقارضة[١]، فدخل سلمى وابنُ الزبير يخطبُ الناس، وكان منه وَجِلاً، فرماه ابنُ الزُّبير ببصره حتَّى جلس، فلما انصرف من المجلس دعا حَرَسِيّاً[٢] فقال: امضِ إلى موضع كذا وكذا من المسجد، فادْعُ لي سلمى بن نوفلٍ. فمضَى فأتاه به، فقال له الزُّبير: إيْهاً أيُّها الضّبُّ. فقال: إنِّي لستُ بِالضبِّ ولكنّ الضَّبَّ بِالضَّمر من صخر. قال: إيْهاً أيُّها الذِّيخ[٣]. قال: إنَّ أحداً لم يبلُغْ سِنِّي وسِنَّكَ إلاَّ سُمِّي ذِيخاً. قال: إنّك لها هنا يا عاضَّ بظرِ أمِّه. قال: أُعيذكَ باللَّه أن يتحدّث العرب أنَّ الشيطان نَطَقَ على فِيكَ بما تنطقُ به الأَمَةُ الفَسْلَةُ[٤]، وايْمُ اللَّهِ ما ها هنا داد أُريده[٥] على المجلس أحدٌ إلاّ قد كانت أمُّه كذلك.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا علي بن محمد بن سليمان النوفليّ عن أبيه قال: كان إياسُ بن مسلم، أبو مطيع بن إياسٍ شاعراً، وكان قد وفد إلى نصر بن سَيّار بخراسان فقال فيه: [الطويل]

إذا مَا نِعالِي مِنْ خُرَاسَانَ أَقبلَتْ ... وجَاوزْتُ منها مَخْرَماً ثمَّ مَخْرَما[٦]
ذَكَرْتُ الَّذي أَوْلَيْتَنِي ونَشَرْتُهُ ... فإنْ شِئْتَ فاجْعَلني لِشُكْرِكَ سُلَّما

فأما نسَب أبي قُرعة هذا فإنه سلمَى بن نوفلِ بنِ معاوية بنِ عُروة بنِ

---

(١) المقارضة: تبادل الذمّ أو المدح.
(٢) الحَرَسِيُّ: الواحد من الحرس.
(٣) الذِّيخ: الذئب الجريء، أو هو ذكر الضّباع.
(٤) الفَسْلَة: الضعيفة الرّذلة.
(٥) كذا وردت العبارة في الأصل.
(٦) المَخْرَم: الطريق في الجبل.

صخرِ بنِ يحمر بن نُفاثة بنِ عديّ بن الدِّيل بن بكر بنِ عبد مناة. ذكر ذلك المدائني. وكان سلمى بن نوفل جواداً، وفيه يقول الشاعر: [الطويل]

يُسَوَّدُ أقْوَامٌ ولَيْسُوا بِسَادةٍ بَلِ السيِّدُ المَيْمُونُ سَلْمى بن نوفلِ

رجع الخبر إلى سياقة نسب مطيع بن إياس وأخباره وصلته بالخلفاء

وهو شاعرٌ من مخضرَمي الدّولتين الأمويّة والعباسية، وليس من فحولِ الشعراء في تلك، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حُلو العِشرةِ، مليحَ النّادرة، ماجِناً متَّهَماً في دينه بالزَّندقة، ويكنى أبا سُلْمَى. ومولده ومنشؤه الكوفة، وكان أبوه مِن أهل فِلَسطِينَ الذين أمَدَّ بهم عبدُ الملك بن مروان الحجّاجَ بنَ يوسف في وقت قتالة ابنَ الزبير وابنَ الأشعث، فأقام بالكوفة وتَزَوَّجَ بها، فوُلِدَ له مُطيع.

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى، عن حمّادٍ عن أبيه، وكان منقطعاً إلى الوليد بنِ يزيد بن عبدِ الملكِ، ومتصرِّفاً بعدَه في دولتهم، ومع أوليائهم وعُمَّالهم وأقارِبهم لا يَكْسُدُ عند أحدٍ منهم، ثم انقطع في الدولة العباسيّة إلى جعفر بنِ أبي جعفر المنصورِ، فكان معه حتّى مات، ولم أسمع له مع أحدٍ منهم خبراً إلاّ حكايةً بوفوده على سليمان بن علي، وأنّه ولاّه عملاً، وأحسَبه ماتَ في تلك الأيام.

حدّثني عَمّي الحسن بن محمد، قال: حدّثني محمد بن سعد الكرانيُّ عن العمريّ عن العُتبيّ عن أبيه قال: قدمَ البصرةَ علينا شيخٌ من أهل الكوفة لم أَرَ قَطُّ أَظْرَفَ لِساناً ولا أَحْلَى حديثاً منه، وكان يُحَدِّثني عن مُطيعِ بن إياس، ويحيى بن زِيداً، وحَمَّادِ الراويةِ، وظرفاء الكوفة، بأشياءَ من أعاجيبهم وطُرَفهم، فلم يكنْ يحدِّث عن أحدٍ بأحسنَ مما كان يحدِّثني عن مطيع بنِ إياس، فقلت له: كنتُ واللَّه أشتهي أن أرى مُطيعاً، فقال: واللَّه لو رأيْتَه لَلقِيتَ منه بلاءً عظيماً. قال: قلت: وأيُّ بلاءٍ ألقاه من رجل أراه؟ قلت: كُنْتَ ترى رجلاً يصبر عنه العاقلُ إذا رآه، ولا يصحبه أحدٌ إلاَّ افتضح به.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا أبو سعيدِ السكرِي عن محمد بن حبيب قال: سألْتُ رجلاً من أهل الكوفةِ كان يَصْحَب مطيعَ بنِ إياسٍ عنه فقال: لا تُرِدْ أن تسألني عنه. قلت: ولم ذاك؟ قال: وما سؤالك إيّايَ عن رجلٍ كان إذا حَضَر مَلَكك، وإذا غابَ عنك شاقَكَ، وإذا عُرِفتَ بصحبته فَضَحَكَ.

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال: حدّثني محمد بن القاسم بنِ مهرويه

قال: حدّثني عبد الله بن عمرو قال: حدّثني أبو توبةَ صالحُ بنَ محمدٍ عن محمدِ بن جبير، عن عبد الله بنِ العباس الرّبيعيّ قال: حدّثني إبراهيم بن المهدي قال: قال لي جعفر بن يحيى: ذكر حكمٌ الواديّ، أنه غنَّى الوليدَ بن يزيدَ ذاتَ ليلةٍ وهو غلامٌ حديث السنّ، فقال: [مجزوء الرجز]

إكْليلُها ألْوَانُ ووَجْهُها فَتَّانُ
وخَالُها فَرِيدٌ ليسَ لها جِيرَانُ
إذا مَشَتْ تَثَنَّتْ كَأنَّها ثُعْبَانُ

فطرِبَ حتَّى زحف عن مجلسه إليّ، وقال: أعِدْ فَدَيْتُكَ بحياتي. فأعدتُه حتى صَحِلَ[1] صوتي، فقال لي: ويحكَ، من يقول هذا؟ فقلت: عبدٌ لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك. فقال: ومَنْ هو فديتُك؟ فقلت: مطيع بن إياسٍ الكناني، فقال: وأين محلّه؟ قلت: الكوفة. فأمر أن يُحمَل إليه على البريد، فحُمِلَ إليه، فما أشعر يوماً إلاّ برسوله قد جاءني، فدخلْتُ إليه ومطيعُ بن إياسٍ واقفٌ بين يديه، وفي يد الوليدِ طاسٌ من ذهب يشربُ به، فقال له: غَنِّ هذا الصّوت يا واديُّ فغنَّيْتُه إياه، فشَرِبَ عليه، ثم قال لمطيع: مَن يقول هذا الشّعر؟ قال: عبدكَ أنا يا أمير المؤمنين. فقال له: ادْنُ مِنّي. فدنا منه، فضمَّه الوليد وقبَّل فاه وبينَ عينيه، وقَبَّلَ مطيعٌ رِجْلَه والأرضَ بين يديه، ثم أدناه منه حتَّى جلس أقربَ المجالسِ إليه، ثم تَمَّ يومُه فاصطبح أسبوعاً متواليَ الأيام على هذا الصوت.

لحنُ هذا الصّوتِ هزَجٌ مطلقٌ في مجرى البِنْصر، والصنعة لحكم. وقد حَدَّثني بخبره هذا مع الوليد جماعةٌ على غير هذه الرواية، ولم يذكروا فيها حضورَ مطيع.

حدّثني به أحمد بن عُبيدِ الله بن عَمّارٍ قال: حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال: بلغَني عن حكم الواديِّ، وأخبرني الحسين بن يحيى، ومحمد بن مزيدِ بن أبي الأزهر قالا: حدّثنا حماد بن إسحاق قال: حَدَّثني أحمد بن يحيى المكي عن أمِّه عن حكم الواديّ قال: وَفَدْتُ على الوليد بن يزيد مع المغنِّين، فخرج يوماً إلينا وهو راكبٌ على حمارٍ، وعليه دُرَّاعةٌ[2] وَشْي، وبيده عقد جوهرٍ، وبين يديه كيسٌ فيه ألفُ دينارٍ، فقال: مَنْ غَنَّاني فأطْرَبَني فله ما عليّ وما معي.

---

(١) صَحِلَ: بُحّ.
(٢) الدُرّاعة: جبّة مشقوقة المقدّم.

فغنَّوه فلم يطربْ، فاندفعْتُ وأنا يومئذٍ أصغرُهم سنّاً فغنّيتُه: [مجزوء الرجز]

إكْليلُها أَلْوانُ ووَجْهُها فَتّانُ
وخالُها فَريدٌ ليسَ لَهُ جِيرانُ
إذا مَشَتْ تَثَنَّتْ كأنَّها ثُعْبانُ

فرمَى إليه بما معه من المال والجوهر، ثم دخلَ فلم يلبَثْ أن خرج إليَّ رسوله بما عليه من الثِّياب والحمارِ الذي كان تحته.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال: كان مطيعُ بن إياسٍ، ويحيى بن زيادٍ الحارثيُّ، وابنُ المقفَّع ووالبةُ بن الحُبابِ يتنادَمون ولا يفترقون، ولا يستأثر أحدُهم على صاحبِه بمال ولا مِلكٍ، وكانوا جميعاً يرْمَون بالزَّندقة.

[أخباره مع عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب]

حدّثني أحمد بن عبيدِ الله بنِ عمارٍ قال: حدّثني عليُّ بن محمدٍ النوفليّ عن أبيه وعُمومته، أنَّ مطيعَ بن إياسٍ وعُمارة بن حمزة من بني هاشِم، وكانا مَرْمِيَّين بالزندقة، نزعا إلى عبدِ الله بنِ معاوية بنِ جعفر بن أبي طالب لمَّا خرج في آخر دولة بني أميّة، وأوّلِ ظهورِ الدّولة العباسية بخُراسان، وكان ظَهَر على نواحٍ من الجبل: منها أصبهان وقُمّ ونَهاوَند، فكان مطيعٌ وعُمارة ينادمانِه ولا يفارقانه.

قال النوفليّ: فحدّثني إبراهيم بن يزيد بن الخشكِ قال: دخل مطيعُ بن إياس على عبد الله بن معاوية يوماً وغلامٌ واقف على رأسه يَذُبُّ عنه بمنديلٍ ولم يكن في ذلك الوقت مَذابٌ، إنّما المذابُّ عباسيّة - قال: وكان الغلام الذي يَذُبُّ أمْرَدَ حسَنَ الصُّورة، يروقُ عينَ النَّاظر، فلمّا نظَرَ مطيعٌ إلى الغلام كادَ عقلُه يذهَب، وجعل يكلِّم ابن معاوية ويُلَجْلِجُ، فقال: [المنسرح]

إنِّي ومَا أعْمَلَ الحَجِيجُ لَه أَخْشَى مُطِيعَ الهوى على فَرَجْ[1]
أَخْشَى عليه مُغَامِساً مَرِساً ليس بِذِي رِقْبَةٍ ولا حَرَجْ[2]

أخبرني أحمد بن عبيد الله قال: حدّثنا عليُّ بن محمد النوفلي قال: حدّثني

(١) الحجيج: جماعة الحجّاج.

(٢) المغامِس: الشديد الشجاع. والمَرِسُ: الشديد. والرِّقبة: التحفّظ.

أبي عن عَمّه عيسى قال: كان لابن معاوية صاحِبُ شُرطة يقال له: قيس بن عيلان العنسيّ النوفليّ وعيلان اسم أبيه، وكان شيخاً كبيراً دَهْرياً لا يؤمن بالله، وكان إذا عَسَّ[١] لم يَبْقَ أحدٌ إلا قتلَه، فأقبلَ يوماً فنظر إليه ابنُ معاوية ومعه عُمارة بن حمزة ومطيع بن إياس، قال: [الخفيف]

إنَّ قيساً وإنْ تَقَنَّعَ شَيْباً ... لَخَبِيثُ الهَوَى على شَمَطِهْ[٢]

أجز يا عُمارة. فقال:

ابنُ سَبْعِينَ مَنْظَراً ومَشِيباً ... وابنُ عَشْرٍ يُعَدُّ في سَقَطِهْ[٣]

فأقبل على مطيع فقال: أجزْ. فقال:

ولَه شُرَطَةٌ إذا جَنَّهُ اللَّيـ ... ـلُ فعُوذوا بِاللَّهِ مِنْ شُرَطِهْ

قال النوفليُّ: وكان مطيعٌ فيما بلغَني مأبوناً، فدخل عليه قومُه فلامُوه على فِعله، وقالوا له: أنت في أدبك وشرفك وسُؤددِك وشَرفك تُرمَى بهذه الفاحشة القَذِرة؟ فلو أقصرتَ عنها! فقال: جَرِّبوه أنتم ثم دَعُوا إن كنتم صادقين. فانصرفوا عنه، وقالوا: قَبَح اللّه فعلَك وعُذْرَك، وما استقبلتَنا به.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا حمّاد عن أخيه عن النضر بن حديد قال: أخبرني أبو عبد الملك المروانيّ قال: حدّثني مطيع بن إياس قال: قال لي حمّاد عجردٍ: هل لك في أن أُرِيَك خُشَّةَ صديقي[٤]، وهي المعروفة بظَبْيَة الوادي؟ قلت: نعم. قال: إنّك إن قعَدْتَ عنها وخَبُثَتْ عينُك في النّظر أفسدْتَها عليّ. فقلت: لا واللّه لا أتكلّمُ بكلمةٍ تسوؤك، ولأَسُرَنَّكَ. فمضى وقال: واللّه لا أتكلّم، لئن خَالفْتَ ما قلْتُ لأُخرِجَنَّكَ. قال: قلت: إنْ خالفتُ ما تكْرهُ فاصنَعْ بي ما أحببْتَ. قال: امضِ بنا. فأدخلني على أظرفِ خَلْق الله وأحسنهم وجهاً، فلما رأيتُها أخذَني الزَّمَع[٥] وفطِنَ لي: فقال: أُسكنْ يابن الزانية. فسكنْتُ قليلاً، فلحظتْنِي ولحظْتُها أُخرى، فغضِبَ ووضع قُلَنسِيتَه عن رأسه، وكانت صَلَعَته حمراء

---

(١) عَسّ: طاف بالليل للحراسة.

(٢) الشَّمَط: اختلاط بياض الشَّعر بسواده.

(٣) السَّقَط: الخطأ في الأفعال والأقوال.

(٤) صديقي: صاحبتي.

(٥) الزَّمع: شبه الرِّعدة تأخذ الإنسان.

كأنّها استُ قرْدٍ، فلما وضعها وجدتُ للكلام موضعاً فقلت: [مجزوء الوافر]

عَنْ خُشَّنَةْ ءَ يا حَمَّادُ وَارِ السَّوْأَةَ السَّوْآ
عَنِ الأَتْرُجَّةِ الغَضَّـ ـةِ والتُّفَّاحَةِ الهَشَّةْ

فالتفت إليَّ، وقال: فعلتَها يابن الزَّانية؟ فقالت له: أحسن والله، ما بلغ صفتَكَ بعد، فما تريد منه؟ فقال لها: يا زانية! فقالت له: الزانية أمُّك! وثاورته[1] وثاوَرَها، فشقّت قميصَه، وبَصَقت في وجهه، وقالت له: ما تصادِقُك وتدعُ مثلَ هذا إلاّ زانية! وخرجْنا وقد لَقِيَ كُلٌّ بلاء، وقال لي: ألم أَقُلْ لك يابنَ الزَّانيةِ: إنّك ستفسِدُ عليَّ مجلسي. فأمسكْتُ عن جوابه، وجعل يهجوني ويسبُّني، ويشكوني إلى أصحابنا، فقالوا لي: أُهْجُه ودعنا وإيّاه. فقلت فيه: [مجزوء الوافر]

أَلاَ يا ظَبْيَةَ الوَادِي وذَاتَ الجَسَدِ الرَّادِ[2]
وزَيْنَ المِصْرِ والدَّارِ وزَيْنَ الحَيِّ والنَّادِي
وذَاتَ المَبْسِمِ العَذْبِ وذاتَ المِيسَمِ البَادي[3]
أَمَا بِاللَّهِ تَسْتَحْيِيْـ نَ مِنْ خُلَّةِ حَمَّادِ
فحَمَّادٌ فَتًى لَيسَ بِذِي عِزٍّ فتَنْقَادِي
ولا مَالٍ ولا عِزٍّ ولا حَظٍّ لِمُزْتَادِ
فَتُوبِي واتَّقِي اللَّهَ وَبُتِّي حَبْلَ جَرَّادِ[4]
فقد مُيِّزْتِ بِالحُسْنِ عَنِ الخَلْقِ بِإفْرَادِ
وهذا البَيْنُ قد حُمَّ فَجُودِي مِنْكِ بِالزَّادِ

ـ في الأوّل والثاني والسابع والثامن مِن هذه الأبيات لحكمِ الواديِّ رمَلٌ.

قال: فأخذ أصحابُنا رقاعاً فكتبوا الأبيات فيها، وأَلْقَوْها في الطريق، وخَرجْتُ أنا فلم أدخلْ إليهم ذلك اليوم، فلما رآها وقرأها قال لهم: يا أولادَ الزّنا، فَعَلَها ابنُ الزانية، وساعدتموه عليّ!

قال: وأخذها حكمُ الواديُّ فغنّى فيها، فلم يَبْقَ بالكوفة سَقّاءٌ ولا طَحّان ولا

---

(١) ثاورته: واثبته.
(٢) الرّاد: الرّخص اللّيّن.
(٣) الميسم: أثر الجمال.
(٤) الجَرّاد: الذي يجلي آنية الصّفرة.

مُكارٍ إلاّ غنَّى فيها، ثم غَنِيتُ[١] مُدةً وقَدِمْتُ، فأتاني فما سلَّمَ عليّ حتّى قال لي: يابنَ الزانية، ويلك أمَا رحِمْتَني من قولك لها:

أَمَـا بِـالـلَّـهِ تَـسْـتَـحْـيِـيـ ـنَ مِـــنْ خُـــلَّـــةِ حَـــمَّـــادِ

باللَّه قتلْتَني قَتَلك اللَّه! واللَّه ما كلَّمتني حتّى الساعة. قال: قلت: اللَّهُمَّ أَدِمْ هجرَها له وسوءَ آرائها فيه، وآسِفْه[٢] عليها، وأغرِه بها! فشتمني ساعةً. قال مطيع: ثم قلت له: قمْ بنا حتى أمضيَ بك فأُريَك أختي. قال مطيع، فمضيْنا فلمّا خرجَتْ إلينا دعوت قَيِّمةً لها فأسررْتُ إليها في أنْ تصلحَ لنا طعاماً وشراباً، وعرّفْتُها أنَّ الذي معي حمّاد. فضحِكَتْ ثم أخذَتْ صاحبتي في الغناء، وقد علمَتْ بموضعه وعَرَفَتْه، فكان أوّلَ صوت غنت:

أَمَـا بِـالـلَّـهِ تَـسْـتَـحْـيِـيـ ـنَ مِـــنْ خُـــلَّـــةِ حَـــمَّـــادِ

فقال لها: يا زانية! وأقبل عليَّ فقال لي: وأنت يا زاني يا بن الزَّانية. وشاتَمْته صاحبتي ساعةً، ثم قامت فدخلت، وجعل يتغيَّظ عليّ فقلت: أنتَ ترى أنّي أمرْتُها أن تغنِّي بما غنَّت؟ قال: أرى ذلك وأظنُّه ظنّاً، لا والله، ولكنّي أتيَقَّنُه! فحلفْتُ له بالطلاق على بُطلان ظَنِّه، فقالت: وكيف هذا؟ فقلت: أراد أن يفسد هذا المجلس مَنْ أفسد ذلك المجلس. فقالت: قد واللَّه فَعَلَ. وانصرفنا.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حَدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حَدَّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجلٍ من أصحابه قال: قال يحيى بن زيادٍ الحارثيُّ لمطيع بن إياس: انطلِقْ بنا إلى فلانة صديقتي؛ فإنَّ بيني وبينها مُغاضَبة، لتُصلِحَ بيننا، وبِئْسَ المُصْلِحُ أنت. فدخلا إليها فأقبلا يتعاتبان، ومطيعٌ ساكت، حتَّى إذا أكْثَرَ قال يحيى لمطيع: ما يُسكتك، أسكتَ اللَّه نَأْمَتك[٣]؟ فقال لها مطيع: [الخفيف]

أَنْـتِ مُـعْـتَـلَّـةٌ عـلـيـه ومـا زَا لَ مُـهِـيـنـاً لِـنَـفْـسِـهِ فـي رِضَـاكِ

فأعجب يحيى ما سمع، وهَشَّ له مطيع:

(١) غنيتُ مدّة: أقمتُ.
(٢) آسَفَ: أغضبَ.
(٣) النأمة: الصوت.

فَـدَعِـيـهِ وَوَاصِـلـي ابْـنَ إيـاسٍ جُـعِـلَـتْ نَـفْـسِـيَ الـغَـدَاةَ فِـدَاكِ

فقام يحيى إليه بوسادة في البيت، فما زال يَجلِد بها رأسَه ويقول: ألهذا جئْتُ بك يابن الزانية! ومطيع يُغوِّث[1] حتَّى ملَّ يحيى، والجارية تضحكُ منهما، ثم تركه وقد سَدِرَ[2].

حَدَّثني الحسنُ بن عليّ الخفّاف قال: حَدَّثنا محمد بن القاسم بنِ مهرويه قال: حَدَّثني محمد بن عُمر الجُرجاني قال: مرِضَ حمّاد عجرد، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلاّ مطيعَ بنَ إياس، وكان خاصَّةً به، فكتب إليه حَمَّاد: [الوافر]

كَـفَـاكَ عِـيـادَتِـي مَـنْ كَـانَ يَـرْجـو ثَـوَابَ الـلّـهِ فـي صِـلَـةِ الـمَـرِيـض

فَـإِنْ تُـحْـدِثْ لـكَ الأَيَّـامُ سُـقْـمـاً يَـحُـولُ جَـرِيـضُـهُ دُونَ الـقَـرِيـضِ[3]

يَـكُـنْ طُـولُ الـتَّـأَوُّهِ مِـنْـكَ عِـنْـدِي بِـمَـنْـزِلَـةِ الـطَّـنِـيـنِ مِـنَ الـبَـعُـوضِ

أخبرني محمد بن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه قال: قدم مطيع بن إياسٍ من سفر فقدِم بالرغائب، فاجتمع هو وحَمّادُ عجردٍ بصديقته ظَبيةِ الوادي، وكان عجرد على الخروج مع محمد بن أبي العباس إلى البصرة، وكان مطيعٌ قد أعطى صاحبتَه من طرائفِ ما أفاد، فلما جلسوا يشربون غَنَّتْ ظبية الوادي فقالت: [الطويل]

أَظُـنُّ خَـلِـيـلـي غُـدْوةً سَـيَـسِـيـرُ ورَبِّـي عـلـى أَنْ لا يَـسِـيـرَ قَـدِيـرُ

فما فَرَغت من الصوتِ حتَّى غنَّت صاحبةُ مطيع: [الخفيف]

مَـا أُبَـالِـي إذا الـنَّـوَى قَـرَّبَـتْـهُـمْ ودَنَـوْنـا مَـنْ حَـلَّ مِـنْـهُـمْ وسَـارُوا

فجعل مطيعٌ يضحك وحماد يشتمها.

نسبة هذا الصوت

صوت

[الطويل]

أَظُـنُّ خَـلِـيـلـي غُـدْوَةً سَـيَـسِـيـرُ ورَبِّـي عـلـى أن لا يَـسِـيـرَ قَـدِيـرُ

---

(١) يُغَوِّث: يقول: واغوثاه.

(٢) سَدِر: تَحَيَّر.

(٣) يحول: يمنع، الجَرِيض: الرِّيق الذي يُغَصُّ به. والقريض: الشعر. وفي المثل: «حال الجريض دون القريض» أي حال الغَمّ والغصص دون الشعر والطرب.

عَجِبْتُ لِمَنْ أَمْسَى مُحِبّاً ولم يَكُنْ ... لـه كَـفَـنٌ فـي بَـيْـتِـهِ وسَـرِيـرُ

غَنَّى في هذين البيتين إبراهيمُ الموصليُّ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسّبَّابة في مجرى البِنصر، وفيهما لحنٌ يمانٍ قديمٌ خفيفُ رمل بالوسطى.

حَدَّثني الحسن قال: حَدَّثني ابن مهرويه قال: حَدَّثني إبراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجاني قال: كان لمطيع بن إياس صديقٌ يقال له: عُمَر بنُ سعيد، فعاتبَه في أمر قينةٍ يقال لها «مكنونة» كان مطيعٌ يهواها حتى اشتُهِر بها، وقال له: إنّ قومك يشكونك ويقولون: إنّك تفضحهم بشُهرتك نفسَك بهذه المرأة، وقد لحِقَهم العيبُ والعارُ من أجلها! فأنشأ مطيع يقول: [المنسرح]

قـد لاَمَـنـي فـي حَـبِـيـبَـتـي عُـمَـرُ ... والـلَّـوْمُ فـي غَـيْـرِ كُـنْـهِـهِ ضَـجَـرُ

قَـالَ أَفِـقْ، قُـلْـتُ لا، قـالَ بَـلَـى ... قد شَاعَ في النَّاسِ عَنْكُمَا الخَبَرُ

قُـلْـتُ قـد شَـاعَ فَـاعْـتِـذَارِي مِـمَّـا ... لـيـسَ لـي فـيـه عِـنْـدَهـم عُـذُرُ

عَـجْـزٌ لَـعَـمْـرِي ولـيـسَ يَـنْـفَـعُـنـي ... فَـكُـفَّ عَـنّـي الـعِـتَـابَ يـا عُـمَـرُ

وارجِـعْ إلـيـهـم وقُـلْ لـهُـمْ قـد أَبَـى ... وقـال لـي لا أُفِـيـقُ فـانْـتَـحِـروا[1]

أَعْـشَـقُ وَخِـدِي فَـيُـؤخَـذونَ بـه ... كَـالـتُّـرْكِ تَـغْـزُو فَـيُـقْـتَـلُ الـخَـزَرُ[2]

[قوله في النساء]

أخبرني الحسن قال: حَدَّثنا ابن مهرويه قال: حَدَّثني ابن أبي أحمد عن أبي العِبَر الهاشميّ قال: حَدَّثني أبي أنَّ مطيع بن إياس مرّ بيحيى بنِ زيادٍ، وحماد الراويةِ وهما يتحدَّثان، فقال لهما: فيم أنتما؟ قالا: في قَذْف المحصَنات. قال أَوَفي الأرض محصَنة فتقذِفانِها؟!

[ابتداعه الحديث عن الرسولﷺ وجعل العباس بن محمد يشهد بصدقه]

حَدَّثني عيسى بن الحسنِ الورّاق قال: حَدَّثني عُمَر بن محمدِ بنِ عبدِ الملك الزياتِ. وحدّثنيهِ الحسنُ بن عليّ عن ابن مهرويه عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حَدَّثني محمد بن هارون قال: أخبرني الفضل بن إياس الهذليُّ الكوفيّ أن المنصورَ كان يريد البيعةَ للمهديّ، وكان ابنه جعفرٌ يعترض عليه في

(١) انتحر القوم على الشيء: تخاصموا عليه وحرصوا.

(٢) الخزر: اسم جيل من الناس عيونهم ضيّقة وصغيرة.

ذلك، فأمَرَ بإحضار الناس فحضَروا، وقامت الخطباء فتكلَّموا، وقالت الشعراء فأكثَرُوا في وصف المهديّ وفضائِله، وفيهم مطيعُ بن إياسٍ، فلما فَرَغَ من كلامِه في الخطباءِ وإنشادِه في الشعراء قال للمنصور: يا أمير المؤمنين، حَدَّثنا فلانٌ عن فلانٍ أنّ النبيﷺ قال: «المهديُّ منا محمد بن عبد الله وأمّه من غيرنا، يملؤها عدلاً كما مُلِئت جَوْراً» وهذا العباسُ بن محمدٍ أخوك يشهد على ذلك. ثم أقبل على العباس، فقال له: أَنشُدُكَ اللَّه هل سمعْتَ هذا؟ فقال: نعم. مخافةً من المنصور. فأمر المنصورُ الناس بالبيعة للمهديّ.

قال: ولمَّا انقضى المجلسُ، وكان العباس بن محمد لم يأنَسْ به، قال: أرأيتم هذا الزنديقَ إذْ كذَبَ على اللَّه عزّ وجلّ ورسولِهﷺ حَتَّى استشهدني على كِذْبه، فشهدْتُ له خوفاً، وشَهِدَ كلُّ مَن حَضَر عليَّ بأني كذاب؟! وبلغ الخبرُ جعفرَ بن أبي جعفر، وكان مطيعٌ منقطعاً إليه يخدُمه، فخافه، وطرده عن خدمته. قال: وكان جعفرٌ ماجناً، فلما بلغه قولُ مطيع هذا غاظه، وشَقَّتْ عليه البيعةُ لمحمدٍ، فأخرج أيره ثم قال: إنْ كان أخي محمدٌ هو المهديُّ فهذا القائمُ من آلِ محمدٍ.

[المنصور يخشى على ابنه جعفر من مطيع]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: كان مطيعُ بن إياسٍ يخدُم جعفرَ بن أبي جعفر المنصور وينادمُه، فكره أبو جعفرٍ ذلك، لِما شُهِر به مطيعٌ في الناس وخشيَ أن يُفسِدَه، فدعا بمطيع وقال له: عزمت على أن تفسِدَ ابني عليَّ وتعلِّمَه زندقتَك؟ فقال: أعيذك باللَّه يا أمير المؤمنين من أن تظنَّ بي هذا، واللَّه ما يسمع منِّي إلا ما إذا وعاه جَمَّله وزيَّنَه ونَبَّله! فقال: ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلا ما يضُرُّه ويغرُّه. فلما رأى مطيعٌ إلحاحه في أمره قال له: أتُؤمِنُني يا أمير المؤمنين عن غضبك حتّى أصدُقَك؟ قال: أنت آمن. قال: وأيُّ مُستصلَح فيه؟ وأيُّ نهايةٍ لم يبلُغْها في الفساد والضَّلال؟ قال: ويلك، بأيّ شيء؟ قال: يزعم أنَّه لَيعشقُ امرأةً من الجنّ وهو مجتهدٌ في خِطْبتها، وجَمْع أصحاب العزائِم عليها، وهم يُغرونه ويَعِدُونه بها ويمنُّونه، فواللَّه ما فيه فضلٌ لغير ذلك من جِدٍّ ولا هَزْل ولاكُفْرٍ ولا إيمان. فقال له المنصور: ويلك، أتدري ما تقول؟ قال: الحقّ واللَّه أقول. فسلِ عن ذلك، فقال له: عُد إلى صحبته واجتهدْ أن تُزيلَه عن هذا الأمر، ولا تعلمه أنّي علمْتُ بذلك حتَّى أجتهد في إزالته عنه.

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثني الكرَاني عن ابن عائشة قال: كان مطيعُ بن إياسٍ

منقطعاً إلى جعفرِ بن أبي جعفر المنصورُ، فدخل أبوه المنصور عليه يوماً، فقال لمطيع: قد أفسدْتَ ابني يا مطيع. فقال له مطيع: إنَّما نحن رعيّتُك فإذا أمرْتَنا بشيءٍ فَعلْنا.

قال: وخرج جعفرٌ من دار حَرَمِه فقال لأبيه: ما حَملك على أن دخلْتَ داري بغير إذن؟ فقال له أبو جعفر: لَعَن اللّه من أشْبَهَك، ولعَنَك! فقال: واللّه لأنا أشبه بك منك بأبيك ـ قال: وكان خليعاً ـ فقال: أريد أن أتزوَّج امرأةً من الجنّ! فأصابه لمم[1]، فكان يُصرَع بين يَديْ أبيه والربيعُ واقف، فيقول له: يا ربيع، هذه قدرةُ اللّه..

[رثاؤه ليحيى بن زياد]

وقال المدائنيُّ في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه: فأصاب جعفراً من كثرة وَلعِهِ بالمرأة التي ذكر أنه يتعشَّقُها من الجِنِّ صَرْعٌ، فكان يُصرَع في اليوم مَرّاتٍ حتى مات، فحزن عليه المنصورُ حُزناً شديداً، ومشى في جِنازته، فلما دُفِن وسوِّي عليه قبره قال للربيع: أنشِدْني قول مُطيع بن إياس في مرثِيَة يحيى بن زيادٍ. فأنشده: [المنسرح].

يـا أَهْـلِـيَ ابْـكُـوا لِـقَـلْـبِـيَ الـقَـرِحِ	ولِـلـدُّمُـوعِ الـذَّوَارِفِ الـسُّـفُـحِ
رَاحُـوا بِـيَـحْـيَـى ولـو تُـطَـاوِعُـنِـي الـ	أَقْـدَارُ لـم يَـبْـتَـكِـرْ ولـم يَـرُحِ[2]
يـا خَـيْـرَ مَـنْ يَـحْـسُـنُ الـبُـكَـاءُ لـه الـ	يَـومَ ومَـنْ كَـانَ أَمْـسِ لِـلْـمَـدَحِ

قال: فبكى المنصور، وقال: صاحبُ هذا القبر أحقُّ بهذا الشعر.

أخبرني به عمّي أيضاً عن الخرّاز عن المدائني، فذكر مثله.

[تغزّله بجارية خرجت من قصر الرصافة]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال: حَدَّثني يعقوب بن إسرائيلَ قال: حَدَّثني المغيرةُ بن هشام الرَّبعيّ قال: سمعت ابن عائشة يقول: مرّ مطيعُ بن إياسٍ بالرُّصافة، فنظَرَ إلى جاريةٍ قد خرجَتْ من قصر الرُّصافة كأنَّها الشمسُ حسناً، وحوالَيْها وصائفُ يرفَعْنَ أذيالَها، فوقف ينظرُ إليها إلى أن غابتْ عنه، ثم التفَتَ إلى رجلٍ كان معه وهو يقول: [مجزوء الكامل]

(١) اللَّمَم: طرف من الجنون يلمُّ بالإنسان.

(٢) لم يبتكر: لم يخرج بكرة. ولم يَرُحْ: لم يرجع في الرّواح.

لَـمَّـا خَـرَجْـنَ مِـنَ الـرُّصَـا فَـةِ كَـالـتَّـمـاثِـيـلِ الـحِـسَـانِ
يَـخْـفُـفْـنَ أَخْـوَرَ كـالـغَـزَا لِ يَـمِـيـسُ فـي جُـدُلِ الـعِـنَـانِ[1]
قَـطَّـعْـنَ قَـلْـبِـي حَـسْـرَةً وتَـقَـسَّـمـاً بـيـنَ الأَمَـانِـي
وَيْـلِـي عـلـى تِـلْـكَ الـشَّـمـا ئِـلِ والـلَّـطِـيـفِ مِـنَ الـمـعـانـي
يـا طُـولَ حَـرِّ صَـبَـابَـتِـي بَـيْـنَ الـغَـوَانِـي والـقِـيَـانِ

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدَّثنا ابن مهرويه قال: حَدَّثني عبد الله بن أبي سعد، عن ابن توبة صالح بن محمد، قال: حَدَّثني بعضُ ولدِ منصور بن زياد عن أبيه قال: قال محمَّدُ بن الفضل بن السَّكونيّ: رَحَل مطيعُ بن إياسٍ إلى هشام بن عمرو وهو بالسِّند مستميحاً له، فلما رأته بنتُه قد صَحَّ العزم على الرّحيل بَكت، فقال لها: [الخفيف]

أُسْكُتي قد حَزَزْتِ بِالدَّمْعِ قَلبي طَالَـمـا حَزَّ دَمْـعُـكُـنَّ الـقُـلُـوبـا
وَدَعِـي أَنْ تُـقَـطِّـعـي الآن قَـلْـبـي وتُـرِيـنِـي فـي رِحْـلَـتِـي تَـغْـذِيـبـا
فَـعَـسـى الـلَّـهُ أَنْ يُـدَافِـعَ عَـنِّـي رَيْـبَ مـا تَـحْـذَرِيـنَ حَـتَّـى أَؤُوبـا
لـيـسَ شَـيءٌ يَـشَـاؤُهُ ذو الـمَـعَـالـي بِـعَـزِيـزٍ عـلـيـه فَـادْعِـي الـمُـجِـيـبـا
أَنَـا فـي قَـبْـضَـةِ الإلــهِ إذ مـا كـنـتُ بُـعـداً أو كـنـت مـنـكِ قَـرِيـبـا[2]

ووجدْتُ هذه الأبيات في شعر مطيعٍ بغير رواية، فكانَ أوّلها:

ولَـقَـدْ قُـلْـتُ لابْـنَـتِـي وَهْـيَ تَـكْـوِي بـانْـسِـكَـابِ الـدُّمُـوعِ قَـلـبـاً كَـئِـيـبـاً

وبعده بقية الأبياتِ.

أخبرني الحسن بن علي الخَفّاف قال: حَدَّثنا محمد بن القاسِم بنِ مهرويه قال: حَدَّثني عليُّ بن محمدٍ النوفليّ، عن صالح الأصمّ قال: كان مطيعُ بن إياسٍ مع إخوانٍ له على نبيذٍ، وعِندهم قَيْنَةٌ تغنيهِم، فأومأ إليها مُطيعٌ بقُبلةٍ، فقالت له: تُراب! فقال مطيع.

صوت

[مجزوء الرمل]

إنَّ قَـلْـبِـي قَـدْ تَـصَـابَـى بَـعْـدَمـا كَـانَ أَنَـابـا

(١) الجُدُل: جمع الجديل: الزمام المجدول. والعِنان: هو سير اللجام، وعنى هنا دقّة الخصر.
(٢) بُعْداً: بعيداً.

ورَمَــاهُ الــحُــبُّ مِــنْــهُ بِــسِــهَــامٍ فَــأَصَــابــا
قــد دَهَــاهُ شَــادِنٌ يَــلْــبَسُ فــي الــجِــيــدِ سِــخَــابــا(١)
فَــهْــوَ بَــدْرٌ فــي نِــقَــابِ فَــإِذا أَلْــقَــى الــنِّــقَــابَــا
قُــلْــتُ شَــمْــسٌ يَــوْمَ دَجْــنٍ حَــسَــرتْ عَــنْــهــا الــسَّــحَــابَــا
لَــيْــتَــنِــي مــنــه عــلــى كَــشْــحَــيْــنِ قــد لاَنَــا وطَــابــا(٢)
أَحْــضَــرُ الــنَّــاسِ بــمــا أَكْــرَهُــهُ مِــنْــهُ جَــوَابــا
فَــإذا قُــلْــتُ أَنِــلْــنِــي قُــبْــلَــةً قــال تُــرَابــا

لحكمِ الواديِّ في هذه الأبياتِ هزجٌ بالبِنصر، من رواية الهشاميّ.

[مطيع بن إياس وسرعة بديهته ونوادره]

أخبرنا أبو الحسن الأسدِي قال: ذكر موسى بن صالح بن سنح بن عميرة أنَّ مطيعَ بنَ إياسٍ كان أحضَرَ الناس جواباً ونادرة، وأنّه ذاتَ يوم كانَ جالساً يعدِّد بطونَ قريشٍ ويذكر مآثِرَها ومَفاخرَها، فقيل له: فأين بنو كنانة؟ قال: [الخفيف]

بِــفِــلَــسْــطِــيــنَ يُــسْــرِعــونَ الــرُّكُــوبــا

أراد قول عبيدِ الله بنِ قيسِ الرقياتِ:

حَــلَــقٌ مــن بَــنِــي كِــنَــانَــةَ حَــوْلــي بِــفِــلَــسْــطِــيــنَ يُــسْــرِعــونَ الــرُّكُــوبــا

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا الكُراني عن العُمَري عن العتبيّ قال: كان أبو دُهْمان صديقاً لمطيع، وكان يُظهر للناس تَألُّهاً ومروءةً وسمتاً(٣) حسناً، وكان ربّما دعا مُطيعاً ليلةً من اللَّيالي أن يصير إليه، ثم قَطَعه عنه شُغْل، فاشْتَغَل وجاء مطيعٌ فلم يَجِدْه، فلما كان من الغدِ جلس مطيعٌ مع أصحابه، فأنشدهم فيه: [المجتثّ]

وَيْــلِــيَ مِــمَّــنْ جَــفَــانــي وحُــبُّــهُ قــد بَــرَانــي
وطَــيْــفُــهُ يَــلْــقَــانــي وشَــخْــصُــهُ غــيــرُ دَانِ
أَغَــرُّ كــالــبَــدْرِ يَــغْــشَــى بِــحُــسْــنِــهِ الــعَــيْــنَــانِ
جَــارَيَّ لا تَــعْــذِلانــي فــي حُــبِّــهِ ودَعَــانــي

(١) الشّادن: ولد الظبية. والسِّخاب: القلادة من القرنفل.
(٢) الكشح: الخاصرة.
(٣) التألّه: التعبّد والتنسّك. والسّمت: المذهب.

فَــرُبَّ يَــوْمٍ قَــصِــيــرٍ فــي جَــوْسَــقٍ وجِــنَــانِ[١]
بِــالــرَّاحِ فــيــه يُــحَــيَّــا والــقَــصْــفِ والــرَّيْــحَــانِ[٢]
وعِــنْــدَنــا قَــيْــنَــتَــانِ وَجْــهَــاهُــمَــا حَــسَــنَــانِ
عُــودَاهُــمَــا غَــرِدَانِ كَــأَنَّــمــا يَــنْــطِــقَــانِ
وعــنْــدَنــا صَــاحِــبَــانِ لِــلــدَّهْــرِ لا يَــخْــضَــعَــانِ
فــكُــنْــتُ أَوَّلَ حَــامٍ وأَوَّلَ الــسَّــرَعَــانِ[٣]
فــي فِــتْــيَــةٍ غَــيْــرِ مِــيــلٍ عِــنْــدَ اخْــتِــلافِ الــطِّــعَــانِ
مِــنْ كُــلِّ خَــوْفٍ مُــخِــيــفٍ فــي الــسِّــرِّ والإعــلانِ
حَــمَّــالِ كُــلِّ عَــظِــيــمٍ تَــضِــيــقُ عــنــه الــيَــدَانِ
وإنْ أَلَــحَّ زَمــانــاً لــم يَــسْــتَــكِــنْ لِــلــزَّمَــانِ
فــزَالَ ذَاكَ جــمــيــعــاً وكُــلُّ شَــيءٍ فَــانِ
مَــنْ عَــاذِرِي مِــن خَــلِــيــلٍ مُــوَافِــقٍ مِــلْــدَانِ[٤]
مُــدَاهِــنٍ مُــتَــوَانٍ يُــكْــنَــى أَبَــا دُهْــمَــانِ
مَــتَــى يَــعِــدْكَ لِــقَــاءً فَــالــنَّــجْــمُ والــفَــرْقَــدَانِ
ولــيــسَ يُــعْــتِــمُ إلاَّ سَــكْــرَانَ مَــعْ سَــكْــرَانِ[٥]
يَــسْــقِــيــهِ كُــلُّ غُــلامٍ كَــأَنَّــهُ غُــصْــنُ بَــانِ
مِــن خَــنْــدَرِيــسٍ عُــقَــارٍ كَــحُــمْــرَةِ الأرجُــوانِ[٦]

قال: فلقيه بعد ذلك أبو دُهمان، فقال: عليك لعنةُ اللّه فضحتني، وهَتفْتَ بي، وأذَعْتَ سرِّي، لا أُكلِّمُك أبداً، ولا أُعاشِرُكَ ما بقيت، فما تفرُق بين صديقك وعدوِّك.

أخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العِجليّ العطّار بالكوفة، قال: حَدَّثني عليُّ بن عُمْروسٍ عن عمِّه عليِّ بن القاسم قال: كنتُ آلَفُ مطيع بنَ إياس، وكان جاري، وعنَّفَنِي في عشرته جماعةٌ، وقالوا لي: إنه زنديق. فأخبرْتُه بذلك، فقال: وهل سمعْتَ منِّي أو رأيتَ شيئاً يدلُّ على ذلك، أو هل وجدْتَني أُخِلُّ بالفرائض في

(١) الجَوْسَق: القصر.
(٢) الراح: الخمر. والقَصْف: الإقامة في الأكل والشرب واللّهو.
(٣) سرَعان القوم: أوائلهم.
(٤) المِلدان: اللّيّن الناعم.
(٥) يُعْتِم: يدخل في العتمة.
(٦) الخندريس: الخمرة القديمة. والعُقّار: الخمرة التي تفقد العقل وتذهب الوعي.

صلاةٍ أو صوم؟ فقلت له: واللّه ما اتهمتُكَ ولكنّي خَبَّرتك بما قالوا، واستحْيَيْت منه. فعجل علَى السكر ذاتَ يوم في منزِله، فنمْتُ عنده ومُطِرنا في جوف اللَّيل وهو معي، فصاح بي مَرَّتين أو ثلاثاً، فعلمْتُ أنّه يريد أن يَصطَبح، فكَسِلْتُ أن أُجيبَه، فلما تيقَّن أنّي نائمٌ جعل يردِّد على نَفْسه بيتاً قاله، وهو قوله: [الكامل]

أَصْبَحْتُ جَمّ بلابلِ الصَّدْرِ عَضراً أُكَاتِمُه إلى عَصْرِ[1]

فقلت في نفسي: هذا يَعمَل شعراً في فنّ من الفُنون. فأضاف إليه بيتاً ثانياً، وهو قوله:

إنْ بُحْتُ طُلَّ دَمِي وإنْ تُرِكَتْ وَقَدَتْ عَلَيَّ تَوَقُّدَ الجَمْرِ[2]

فقلت في نفسي: ظفِرْتَ بمطيع. فتنحنحْتُ، فقال لي: أما ترى هذا المطر وطِيبَه، اقعد بنا حتَّى نشربَ أقداحاً. فاغتنمْتُ ذلك، فلما شرِبْنا أقداحاً قلت له: زعمْتُ أنّكَ زنديق. قال: وما الذي صَحَّحَ عندك أنّي زنديق؟ قلت: قولك: «إن بُحْتُ طُلَّ دمي»، وأنشدتُه البيتين، فقال لي: كيف حفظْتَ البيتين ولم تحفظ الثالث؟ فقلت: والله ما سمعْتُ منك ثالثاً. فقال: بلى قد قلت ثالثاً. قلت: فما هو؟ قال:

مِمَّا جَنَاهُ عَلَى أَبِي حَسَنٍ عُمَرٌ وصَاحِبُهُ أبو بكرِ[3]

وحَدَّثني الحسن بن علي قال: حَدَّثنا محمد بن القاسم بنِ مهرويه قال: حَدَّثني إبراهيم بن المدبّر قال: حَدَّثني محمد بن عمر الجرجاني قال: جاء مطيع بن إياسٍ إلى إخوان له وكانوا على شَراب، فدخَلَ الغلامُ يستأذِنُ له، فلمّا سمع صاحبُ البيت بذِكره خرج مبادراً، فسمعه يقول:

أَمْسَيْتُ جمّ بَلابِلِ الصَدْرِ دَهْراً أُزَجِّيهِ إلى دَهْرِ
إنْ فُهْتُ طُلَّ دَمِي وإنْ كُتِمَتْ وقَدَتْ عَلَيَّ تَوَقُّدَ الجَمْرِ

فلمّا أحسَّ مطيعٌ بأنْ صاحبَ البيت قد فَتَح له استدرك البيتين بثالث فقال:

مِمّا جَنَاهُ عَلَى أَبِي حَسَنٍ عُمَرٌ وصَاحِبُهُ أبو بَكْرِ

وكان صاحبُ البيتِ يتشيَّع، فأكبَّ على رأسِه يُقَبِّله ويقول: جَزَاك الله يا أبا مسلم خيراً!

---

(١) الجَمّ: الكثير. والبلابل: الوساوس والهموم.
(٢) طُلّ دمي: أُبيحَ.
(٣) أبو حسن: كنية علي بن أبي طالب عليه السلام.

وذكر أحمدُ بنُ إبراهيم بنِ إسماعيل الكاتب: أنَّ الرشيد أُتِيَ ببنت مطيع بن إياس في الزَّنادقة، فقرأتْ كتابَهُمْ واعترفَتْ به، وقالت: هذا دِينٌ علَّمَنِيه أبي، وتُبْتُ منه. فقبِل توبتَها وردّها إلى أهلها.

قال أحمد: ولها نَسْلٌ بجبلٍ في قريةٍ يقال لها: «الفراشية» قد رأيتُهم، ولا عقب لمطيع إلاّ منهم.

[دعوته يحيى بن زياد للشرب واللَّهو]

أخبرني عمّي قال: حَدَّثنا الكراني عن ابن عائشة قال: كان مطيع بن إياس نازلاً بكرخ بغداد، وكان بها رجلٌ يقال له: الفهميّ، مغنٍّ مُحسِّن، فدعاه مطيعٌ ودعا بجماعةٍ من إخوانه وكتب إلى يحيى بن زيادٍ يدعوه بهذه الأبيات. قال:

[مجزوء الرمل]

عِـنْـدَنـا الـفَـهْـمِـيُّ مَـسـرُو ... رٌ وزَمَّـارٌ مُـجِـيـدُ
ومُـعَـاذٌ وعِـيَـاذٌ ... وعُـمَـيْـرٌ وسَـعـيـدُ
ونَـدَامَـى يُـعْـمِـلـونَ الـ ... ـقَـلْـزَ والـقَـلْـزُ شـديـدُ
بَـعْـضُـهُـمْ ريـحـانُ بَـعْـضٍ ... فَـهُـمُ مِـسْـكٌ وعُـودُ

قال: فأتاه يحيى، فأقام عندَه وشرِبَ معهم، وبلغت الأبيات المهديّ، فضحك منها، وقال: تنايَكَ القومُ وربِّ الكعبة.

قال الكراني: القَلْز: المبادلة.

وجدتُ هذا الخبر بخطِّ ابن مهرويه، عن إبراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجاني. فذكر أنَّ مطيعاً اصطبَحَ يوم عَرفة وشرب يومَه وليلتَه واصطبح يوم الأضحى، وكتب إلى يحيى من الليل بهذه الأبيات: [مجزوء الرمل]

قَـد شَـرِبْـنَـا لَـيْـلَـةَ الأَضْـ ... ـحَـى وسَـاقِـيـنـا يَـزِيـدُ
عِـنْـدَنـا الـفَـهْـمِـيُّ مَـسْـرو ... رٌ وزَمَّـارٌ مُـجِـيـدُ
وسُـلَـيـمـانُ فَـتَـانـا ... فَـهْـو يُـبْـدِي ويُـعِـيـدُ
ومُـعَـاذٌ وعِـيَـاذٌ ... وعُـمَـيْـرٌ وسَـعـيـدُ
ونَـدَامَـى كُـلُّـهُـمْ يَـقْـ ... ـلِـزُ والـقَـلْـزُ شـديـدُ
بَـعْـضُـهُـمْ ريـحـانُ بـعـضٍ ... فَـهُـمُ مِـسْـكٌ وعُـودُ

غَالَتِ الأَنْفُسُ عَنْهُمْ وتَلَقَّتْهُمْ سُعُودُ
فَتَرى القَوْمَ جُلوساً والخَنَى عَنْهُمْ بَعِيدُ[١]
ومُطِيعُ بْنُ إِيَاسٍ فَهْوَ بِالقَصْفِ وَلِيدُ
وعَلَى كَرِّ الجَدِيدَيْنِ وما حَلَّ جَلِيدُ[٢]

ووجدت في كتاب بِعقبِ هذا: وذكر محمد بن عمر الجرجاني أنَّ عوف بن زياد كتب يوماً إلى مطيع: «أنا اليومَ نشيطٌ للشُّرب، فإن كنْتَ فارغاً فَسِرْ إليّ، وإن كان عندك نبيذٌ طيِّب، وغناءٌ جَيِّد جِئْتُك». فجاءته رقعتُه وعنده حمادٌ الراويةُ وحكمٌ الواديّ، وقد دَعَوْا غلاماً أمْرَدَ، فكتب إليه مطيع: [مجزوء الرجز]

نَعَمْ لَنَا نَبِيذٌ وَعِنْدَنَا حَمَّادُ
وخَيْرُنَا كَثِيرٌ والخَيْرُ مُسْتَزَادُ
وكُلُّنَا مِنْ طَرَبٍ يَطِيرُ أو يَكَادُ
وعِنْدَنَا وادِيُّنَا وهْو لَنَا عِمَادُ
ولَهْوُنَا لَذِيذٌ لَمْ يَلْهُهُ العِبَادُ
إنْ تَشْتَهِ فَسَاداً فَعِنْدَنَا فَسَادُ
أو تَشْتَهِ غُلاماً فَعِنْدَنَا زِيَادُ
ما إنْ بِهِ الْتِوَاءٌ عَنَّا ولا بِعَادُ

قال: فَلَمّا قرأ الرقعة صار إليهم، فأتم به يومه معهم.

[شعره في مدح الغمر بن يزيد]

أخبرنا محمد بن خلفِ بن الْمَرْزُبان قال: حَدَّثني أبو بكرٍ العامريُّ عن عنبسة القرشيِّ الكُرَيزيّ عن أبيه قال: مدح مطيعُ بن إياس الغمرَ بن يزيدَ بقصيدته التي يقول فيها: [مجزوء الكامل]

لا تَلْحَ قَلْبَكَ في شَقَائِهْ ودَعِ المتَيَّم في بلائِهْ[٣]
كَفْكِفْ دُمُوعَكَ أَنْ يَفِضْـ نَ بِنَاضِرٍ غَرِقٍ بِمَائِهْ
وَدَعِ النَّسِيبَ وذِكْرَهُ فَبِحَسْبِ مِثْلِك من عَنَائِهْ

---

(١) الخنى: الفحش في الكلام والفعل.
(٢) الجديدان: الليل والنهار.
(٣) لا تَلْحَ: لا تَلُمْ.

كـم لَـذَّةٍ قـد نِـلْـتَـهـا ونَـعِـيـم عَـيْـشٍ فـي بَـهَـائِـهْ
بِـنَـوَاعِـم شِـبْـهِ الـدُّمَـى والـلَّـيْـلُ فـي ثِـنْـيَـيْ عَـمَـائِـهْ[1]
واذْكُـرْ فَـتًـى بِـيَـمِـيـنِـهِ حَـتْـفُ الـزَّمَـانِ لَـدَى الـتـوائِـهْ
وإذا أُمَـيَّـةُ حُـصِّـلَـتْ كـانَ الـمُـهَـذَّبَ فـي انـتـمـائِـهْ
وإذا الأُمُـورُ تَـفَـاقَـمَـتْ عِـظَـمـاً فـمَـصْـدَرُهـا بِـرَائِـهْ[2]
وإذا أَردْتَ مَـدِيـحَـهُ لـم يُـكْـدِ قَـوْلُـكَ فـي بِـنَـائِـهْ[3]
فـي وَجْـهِـهِ عَـلَـمُ الـهُـدَى والـمَـجْـدُ فـي عِـطْـفَـيْ رِدَائِـهْ
وكَـأَنَّـمـا الـبَـدْرُ الـمُـنِـيـرُ مُـشَـبَّـهٌ بِـهِ فـي ضِـيَـائِـهْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّلَ قصيدة أخذ بها جائزة سنية، وحرّكته وَرَفَعَتْ من ذكره، ثم وصله بأخيه الوليد فكان من نُدَمائه.

[استعطافه ليحيى بن زياد ورثاؤه له]

أنشدني محمدُ بن العباس اليزيديُّ عن عمِّه، لمطيع بن إياسٍ يستعطفُ يحيى ابنَ زياد في هِجْرةٍ[4] كانت بينهما وتباعُد: [الخفيف]

يـا سَـمِـيَّ الـنَّـبِـيِّ الَّـذي خَـصَّ بـه الـلَّـهُ عَـبْـدَهُ زَكَـرِيَّـا
فَـدَعَـاهُ الإلٰـهُ يَـحْـيَـى ولـم يَـجْـعَـلْ لـه الـلَّـهُ قَـبْـلَ ذَاكَ سَـمِـيَّـا
كُـنْ بِـصَـبٍّ أَمْـسَـى بِـحُـبِّـكَ بَـرّاً إنَّ يَـحـيـى قـد كـانَ بَـرّاً تَـقِـيَّـا

وأنشدني له يرثي يحيى بعد وفاته: [المديد]

قـد مَـضَـى يَـحْـيَـى وغُـودِرْتُ فَـرْداً نُـصْـبَ مـا سَـرَّ عُـيـونَ الأَعَـادي
وأَرى عَـيْـنِـيَ مُـذْ غَـابَ يَـحْـيَـى بُـدِّلَـتْ مِـنْ نَـوْمِـهـا بِـالـسُّـهَـادِ
وَسَّـدَتْـهُ الـكَـفُّ مِـنِّـي تُـرَابـاً ولَـقَـدْ أَرْثِـي لـه مِـنْ وِسَـادِ
بَـيْـنَ جِـيـرَانٍ أَقَـامُـوا صُـمُـوتـاً لا يُـحِـيـرونَ جـوابَ الـمُـنَـادِي
أَيُّـهـا الـمُـزْنُ الَّـذِي جَـادَ حَـتَّـى أَعْـشَـبَـتْ مِـنْـهُ مُـتُـونُ الـبَـوَادي

---

(١) في ثنيَيْ عَمائه: كناية عن شدّة الظلام وازدواجه.
(٢) برائه: برأيه، أي تصدر برأيه.
(٣) لم يُكْدِ: لم يخبْ.
(٤) الهِجْرة: الهجرَان والجفاء.

اسْقِ قَبْراً فيه يَحْيَى فَإِنِّي ... لَكَ بِالشُّكْرِ مُوَافٍ مُغَادِ[١]

[شعره في جوهر]

نسختُ من نسخةٍ بخط هارُونَ بنِ عبدِ الملك قال: لمّا بِيعَتْ جوهرُ التي كان مطيع بن إياس يُشَبِّب بها قال فيها ـ وفيه غناء من خفيفِ الرملِ أظنه لحكَم ـ

صَاحَ غُرَابُ البَيْنِ بِالبَيْنِ ... فَكِدْتُ أَنْقَدُّ بِنِصْفَيْنِ[٢]

قد صارَ لي خِذْنَانِ مِن بَعْدِهِم ... هَمٌّ وغَمٌّ شَرُّ خِذْنَيْنِ[٣]

أَفْدِي الَّتي لم أَلْقَ مِن بَعْدِها ... أُنْساً وكَانَتْ قُرَّةَ العَيْنِ

أَصْبَحْتُ أَشْكُو فرقةَ البَيْنِ ... لَمَّا رَأَتْ فُرْقَتَهُمْ عَيْنِي

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخزاعي قال: حَدَّثنا العباس بنُ ميمون بن طائع قال: حَدَّثني ابنُ خرداذبة قال: خرجَ مطيعُ بن إياس، ويحيى بن زيادٍ حاجَّيْن، فقَدَّما أثقالَهما وقال أحدُهما للآخر: هل لك في أن نمضِيَ إلى زُرارةَ فنقصفَ ليلتنا عنده، ثم نَلْحَقَ أثقالنا؟ فما زال ذلك دأبَهم حتَّى انصرف الناس من مكة. قال: فركبا بعيريْهِما وحلقا رؤوسهما ودخلا مع الحجّاج المنصرفين. وقال مطيعٌ في ذلك:

أَلم تَرَنِي ويَحْيَى قد حَجَجْنا ... وكَانَ الحَجُّ مِنْ خَيْرِ التِّجَارَهْ

خَرَجْنا طَالِبَيْ خَيْرٍ وبِرٍّ ... فَمَالَ بنا الطَّرِيقُ إلى زُرَارَهْ

فعادَ الناس قد غنموا وحَجُّوا ... وأُبْنَا مُوقَرَيْنَ مِنَ الخسارَهْ

وقد رُوِي هذا الخبرُ لبشّارٍ وغيره.

[شعره في ريم]

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدَّثنا الفضل بن محمدٍ اليزيديُّ عن إبراهيم الموصليِّ عن محمّدِ بن الفضل قال: خرج جماعةٌ من الشُّعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلبِ المعاشِ، فخرج يحيى بن زيادٍ إلى محمّد بن العباس وكنت في

(١) المغادي: الذي يباكر.
(٢) انقدّ: انشقّ.
(٣) الخِذْن: الصاحب والرفيق.

صحابتِه، فمضى إلى البصرة، وخرج حمادُ عجردٍ إليها معه، وعاد حمّادٌ الراويةُ إلى الكوفة، وأقام مطيع بن إياس ببغداد وكان يهوَى جاريةً يقال لها: «ريم» لبعض النخاسين وقال فيها: [الكامل]

لـولا مَـكَـانُـكِ فـي مَـدِينَـتِـهِـمْ لَـظَـعَـنْـتُ في صَـحْـبِي الأُلَى ظَعَنُـوا
أَوْطَـنْـتُ بَـغْـدَاداً بِـحُـبِّـكُـمُ وبِـغَـيْـرِهـا لَـوْلاكُـمُ الـوطـنُ

قال: وقال مطيعٌ في صَبُوح اصطَبَحَه معها: [الطويل]

ويَـوْمٍ بـبـغـدادٍ نَـعِـمْـنَـا صَـبَـاحَـهُ علـى وَجْـهِ حَـوْرَاءِ الـمَـدَامِـعِ تُـطْـرِبُ
بِـبَـيْـتٍ تَـرَى فـيـه الـزُّجَـاجَ كَـأَنَّـه نُجُـومُ الـدُّجَى بـيـنَ الـنَّـدَامَى تَـقَـلَّـبُ
يُـصَـرِّفُ سَـاقِـيـنـا ويـقـطـبُ تَـارةً فـيـا طِـيـبَـهـا مَـقْـطُـوبَـةً حِـيـنَ يَـقْـطِـبُ[1]
عـلـيـنـا سَـحِـيـقُ الـزَّعْـفَـرَانِ وفَـوْقَـنـا أَكَـالِـيـلُ فـيـهـا الـيَـاسَـمِـيـنُ الْـمُـذَهَّـبُ
فـمَـا زِلْـتُ أُسْـقَـى بـيـن صَـنْـجٍ ومِـزْهَـرٍ مِنَ الرَّاحِ حتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ[2]

وفيها يقول: [مجزوء الرجز]

أَمْـسَـى مُـطِـيـعٌ كَـلِـفَـا صَـبّـاً حَـزِيـنـاً دَنِـفَـا
حُـرٌّ لِـمَـنْ يَـعْـشَـقُـهُ بِـرِقِّـهِ مُـعْـتَـرِفَـا
يـا رِيـمُ فَـاشْـفِـي كَـبِـداً حَـرَّى وقَـلْـبـاً شُـغِـفَـا
ونَـوِّلِـيـنِـي قُـبْـلَـةً وَاحِـدَةً ثُـمَّ كَـفَـى

قال: وفيها يقول: [السريع]

يـا رِيـمُ قـد أَتْـلَـفْـتِ رُوحِـي فَـمَـا مِنْـهَـا مَـعِـي إلاَّ الـقَـلِـيـلُ الـحَـقِـيـرْ
فَـأَذْنِـبِـي إنْ كُـنْـتِ لـم تُـذْنِـبِـي فِـيَّ ذُنُـوبـاً إنَّ رَبِّـي غَـفُـورْ
مـاذا عـلـى أَهْـلِـكِ لـوَجُـدْتِ لِـي وزُرْتِـنـي يـا رِيـمُ فِـيـمَـنْ يَـزُورْ
هـل لـكِ فـي أَجْـرٍ تُـجَـازَيْ بـه في عَـاشِـقٍ يُـرضِـيـهِ مِـنْـكِ الـيَـسِـيـرْ
يَـقْـبَـلُ مـا جُـدْتِ بـه طَـائِـعـاً وهـو وإنْ قَـلَّ لَـدَيْـهِ الـكَـثِـيـرْ
لَـعَـمْـرِيَ مَـنْ أَنْـتِ لـه صَـاحِـبٌ مـا غَـابَ عـنـه فـي الـحَـيـاةِ الـسُّـرُورْ

(١) يقطب: يمزج.
(٢) الصنج: آلة بأوتار يُضرَب بها. والمزهر: العود.

قال: وفيها يقول: [مجزوء الرجز]

يـا رِيـمُ يـا قـاتِـلَـتِـي إنْ لـم تَـجُـودِي فَـعِـدِي
بَـيَّـضْـتِ بِـالـمَـطْـلِ واخْـ ـلافِـكِ وَعْـدِي كَـبِـدي(١)
حَـالَـفَ عَـيْـنـي سُـهُـدِي ومـا بـهـا مِـنْ رَمَـدِ
يـا لَـيْـتَـنـي فـي الأحـد أبـلـيـتِ مِـنِّـي جـسـدي
لِـمَـنْ بـه مِـنْ شِـقْـوَتِـي أَخَـذْتُ حَـتْـفـي بِـيَـدِي

أنشدني علي بنُ سليمان الأخفشُ قال: أنشدني محمدُ بن الحسن بن الحرونِ عنِ ابن النّطّاحِ لمطيعِ بن إياس، يقوله في جوهر جاريةِ بَربَر: [السريع]

يَـا بِـأَبِـي وَجْـهُـكِ مِـنْ بَـيْـنِـهِـمْ فَـإِنَّـهُ أَحْـسَـنُ مـا أُبْـصِـرُ
يَـا بِـأَبِـي وَجْـهُـكِ مِـنْ رَائِـعٍ يُـشْـبِـهُـهُ الـبَـدْرُ إذا يَـزْهَـرُ(٢)
جَـارِيـةٌ أَحْـسَـنُ مِـنْ حَـلْـيِـهَـا والـحَـلْـيُ فـيـه الـدُّرُ والـجَـوْهَـرُ
وجِـرْمُـهـا أَطْـيَـبُ مِـنْ طِـيـبِـهـا والـطِّـيـبُ فـيـه الـمِـسْـكُ والـعَـنْـبَـرُ(٣)
جـاءت بـهـا بَـرْبَـرُ مَـكْـنُـونَـةً يـا حَـبَّـذا مـا جَـلَـبَـتْ بَـرْبَـرُ
كَـأَنَّـمـا رِيـقَـتُـهـا قَـهْـوَةٌ صُـبَّ عـلـيـهـا بَـارِدٌ أَسْـمَـرُ(٤)

أخبرني الحسين بن القاسم قال: حَدَّثنا ابن أبي الدّنيا قال: حَدَّثني منصورُ بن بشر العُمركي عن محمد بن الزّبرقانِ قال: كان مطيعُ بن إياسٍ كثيرَ العبثِ، فوقَفَ على أبي العمير رجلٍ من أصحاب المُعَلَّى الخادم، فجعل يعبثُ به ويمازحُه إلى أن قال: [الوافر]

أَلاَأَبـلِـغْ لَـدَيْـكَ أبـا الـعُـمَـيْـرِ أَرَانِـي الـلّـهُ في اسْتِـيـكَ نِـصْـفَ أَيْـرِ

فقال له أبو العُمَير: يا أبا سلمى، لو جُدْتَ لأحد بِالأَيرِ كُلِّه لَجُدْتَ به إلى ما بيننا من الصَّداقة، ولكنك بِحُبِّكَ لا نريدُه كلَّه إلاَّ لك. فأفحَمه، ولم يُعَاوِدِ العبثَ به. قال: وكان مطيع يُرْمى بالأبنةِ.

---

(١) المَطْل: المماطلة.
(٢) زَهَر البدر: تلألأ.
(٣) الجِرْم: الجسم.
(٤) القهوة: الخمر. والأسمر البارد: الماء البارد.

[مدحه جرير بن يزيد القسريّ]

قال: وسقَط لمطيع حائط، فقال له بعضُ أصدقائه: أحْمَدُ اللَّهَ على السلامة! قال: أحمد اللَّه أنت الذي لم ترُعْكَ هَدَّتُه، ولم يُصِبْكَ غبارُه، ولم تَعدَم أُجرةَ بنائه.

أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليَسَع الشِّيعِيّ قال: حَدَّثنا عُمَر بن شبّة قال: وفد مطيعُ بن إياسٍ إلى جريرِ بنِ يزيد بن خالدِ بن عبد الله القسريّ وقد مدحَه بقصيدته: [المتقارب]

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَزَمْتَ البُكُورَا ... ولم تَلْقَ لَيْلَى فَتَشْفِي الضَّمِيرَا
وقد كُنْتَ دَهْرَكَ فِيما خَلا ... لِلَيْلَى وجَارَاتِ لَيْلَى زَؤُورَا
لَيَالِيَ أَنْتَ بها مُعْجَبٌ ... تَهِيمُ إليها وتَعْصِي الأَمِيرَا
وإذْ هِيَ حَوْرَاءُ شِبْهُ الغَزَا ... لِ تُبْصِرُ في الطَّرْفِ منها فُتُورَا
تقولُ ابْنَتِي إذْ رَأَتْ حَالَتِي ... وقَرَّبْتُ لِلبَيْنِ عَنْساً وكُورَا[1]
إلى مَنْ أراكَ، وَقَتْكَ الحُتُو ... فَ نَفْسِي، تَجَشَّمْتَ هذا المَسِيرَا
فَقُلْتُ: إلى البَجَلِيِّ الَّذي ... يَفُكُّ العُنَاةَ ويُغْنِي الفَقِيرَا[2]
أَخِي العُرْفِ أَشْبَهَ عِنْدَ النَّدَى ... وحَمْلِ المِئِينَ أَبَاهُ جَدِيرَا
عِشِيرِ النَّدَى ليس يُرْضِي النَّدَى ... يَدَ الدَّهْرِ بعدَ جَرِيرٍ عَشِيرَا
إذا اسْتَكْثَرَ المُجْتَدُونَ القَلِيـ ... لَ لِلمُعْتَفِينَ اسْتَقَلَّ الكَثِيرَا
إذا عَسُرَ الخَيْرُ في المُجْتَدِيـ ... نَ كانَ لَدَيْهِ عَتِيداً يَسِيرَا
ولَيْسَ بِمَانِعِ ذِي حَاجَةٍ ... ولا خَاذِلٍ مَنْ أَتَى مُسْتَجِيرا
فَنَفْسِي وَقَتْكَ أَبَا خَالِدٍ ... إذا ما الكُمَاةُ أغاروا النُّمُورَا[3]
إلى ابنِ يَزِيدَ أَبِي خَالِدٍ ... أَخِي العُرْفِ أَعْمَلْتُها عَيْسَجُورَا[4]
لِنَلْقَى فَوَاصِلَ مِنْ كَفِّهِ ... فَصَادَفْتُ مِنْهُ نَوَالاً غَزِيرا
فإنْ يَكُنِ الشُّكْرُ حُسْنَ الثَّنَا ... ءِ بِالعُرْفِ مِنِّي تَجِدْنِي شَكُورَا

---

(١) العَنْس: الناقة الصلبة الشديدة. والكُور: الرَّحل.
(٢) العناة: جمع العاني، الأسير.
(٣) الكُماة: جمع الكَمِيّ: الشجاع المدَجّج بالسلاح.
(٤) العُرْف: المعروف والجود. والعيسجور: الناقة الصلبة السريعة.

بَصِيراً بِمَا يَسْتَلِذُّ الرُّوَا ... ةُ مِنْ مُحْكَمِ الشِّعْرِ حَتَّى يَسِيرَا

فلمّا بلغ يزيدَ خبرُ قدومِه دعا به ليلاً، ولم يعلمْ أحد بحضوره، ثم قال له: قد عرفتُ خبرَك، وإنِّي متعجِّلٌ لكَ جائزتَك ساعتي هذه، فإذا حضرْتَ غداً فإني سأخاطبك مخاطبةً فيها جفاء، وأزوِّدُك نفقة طريقِك وأصرِفُك، لئلاً يبلغَ أبا جعفرٍ خبري فيُهلكنِي. فأمر له بمائتي دينار، فلمّا أصبَحَ أتاه، فاستأذنه في الإنشاد، فقال له: يا هذا، لقد رَمَيْتَ بآمالك غير مرمىً، وفي أيِّ شيء أنا حتَّى ينتجِعَني الشّعراء؟ لقد أسأتَ إليَّ لأني لا أستطيع تبليغك مَحَابَّك[1]، ولا آمَنُ سُخطَكَ وذَمَّكَ. فقال له: تسمع ما قلتُ فإنِّي أقبل ميسورَك، وأبسطُ عُذْرَك. فاستَمَعَ منه كالمُتَكَلِّف المتكره، فلما فَرَغ قال لغلامه: يا غلامُ، كم يبلغ ما بقي من نفقتنا؟ قال: ثلاثمائةِ درهم. قال: أعطه مائة درهم لنفقةِ طريقهِ، ومائة درهم ينصرف بها إلى أهله، واحتبِس لنفقتنا مائة درهم. ففعل الغلام ذلك، وانصرفَ مطيعٌ عنه شاكراً، ولم يعرف أبو جعفرٍ خبره.

أنشدني وكيع عن حمّاد بنِ إسحاق عن أمِّه، لمطيعِ بن إياسٍ، وفيه غناء:

[المنسرح]

وَاهاً لِشَخْصٍ رَجَوْتُ نَائِلَه ... حَتَّى انْثَنَى لي بِوُدِّهِ صَلَفَا
لانَتْ حَوَاشِيهِ لي وأَطْمَعَنِي ... حَتَّى إذا قُلْتُ نِلْتُهُ انْصَرَفَا

قال وأنشدَني حمّاد أيضاً عن أبيه، لمطيع بن إياسٍ، وفيه غناءٌ أيضاً:

[مجزوء الوافر]

خَلِيلِي مُخْلِفٌ أَبَدَا ... يُمَنِّينِي غَداً فَغَدَا
وبَعْدَ غَدٍ وبَعْدَ غَدٍ ... كَذا لا يَنْقَضِي أَبَدَا
لَهُ جَمْرٌ عَلَى كَبِدِي ... إذا حَرَّكْتُهُ وَقَدَا
ولَيْسَ بِلاَبِثٍ جَمْرُ الـ ... غَضَى أَنْ يُحْرِقَ الكَبِدا[2]

وفي هذه الأبياتِ لعَريب هزج.

أخبرني أحمد بن العبَّاس العسكري قال: حَدَّثنا العنزيُّ عن مسعودِ بن بشرٍ

(١) مَحَابُّك: ما تحبّ وتتمنّى.
(٢) اللابث: المتوقّف. والغَضا: شجر خشبُه صلبٌ وفحمه شديد الالتهاب ولا ينطفىء بسرعة.

قال: قال الوليد بنُ يزيدَ لمطيع بنِ إياسٍ: أيُّ الأشياء أطيبُ عندك؟ قال: «صهباءُ صافية، تمزجها غانية، بماءِ غادية». قال: صدقت.

أخبرني محمد بن خلفِ بنِ المرزُبانِ قال: حَدَّثنا أبو عبد الله التميمي قال: حَدَّثنا أحمدُ بنُ عبيدٍ. وأخبرني عمّي قال: حَدَّثنا الكرانيّ عن العمَريّ عن العُتْبي قال: سَكِرَ مطيعُ بن إياسٍ ليلةً، فعربد على يحيى بنِ زيادٍ عربدة قبيحة وقال له وقد حلَف بالطَّلاق: [مجزوء الكامل]

لا تَــحْــلِــفــا بِــطَــلاقِ مَــنْ ... أَمْــسَــتْ حَــوافِــرُهــا رَقِــيــقَــهْ
مَــهْــلاً فــقــدْ عَــلِــمَ الأَنَــا ... مُ بِــأَنَّــهــا كَــانَــتْ صَــدِيــقَــهْ

فهجره يحيى وحَلَف ألاَّ يكلِّمه أبداً، فكتب إليه مطيع: [الخفيف]

إنْ تَصِلْنِي فَمِثْلُكَ اليومَ يُرْجَى ... عَفْوُهُ الذَّنْبَ عَنْ أَخِيهِ وَوَصْلُهْ
ولَئِنْ كُنْتَ قد هَمَمْتَ بِهَجْرِي ... لِلَّذي قد فَعَلْتُ إِنِّي لأَهْلُهْ
وأَحَقُّ الرِّجَالِ أَنْ يَغْفِرَ الذَّنْـ ... ـبَ لإِخْوَانِهِ المُوَفَّرُ عَقْلُهْ
الكَرِيمُ الَّذي له الحَسَبُ الثَّا ... قِبُ في قَوْمِهِ ومَنْ طَابَ أَصْلُهْ
ولَئِنْ كُنْتَ لا تُصَاحِبُ إلاَّ ... صَاحِباً لا تَزِلُّ، ما عَاشَ، نَعْلُهْ
لا تَجِدْهُ وإنْ جَهِدْتَ، وأَنَّى ... بِالَّذِي لا يَكَادُ يُوجَدُ مِثْلُهْ
إنَّما صَاحِبِي الَّذي يَغْفِرُ الذَّنْـ ... ـبَ ويَكْفِيهِ مِنْ أَخِيهِ أَقَلُّهْ
الَّذي يَحْفَظُ القَدِيمَ مِنَ العَهْـ ... ـدِ وإنْ زَلَّ صَاحِبٌ قَلَّ عَذْلُهْ
ورَعَى ما مَضَى مِن العَهْدِ مِنْهُ ... حِينَ يُؤْذِي مِنَ الجَهَالَةِ جَهْلُهْ
لَيسَ مَن يُظْهِرُ المَوَدَّةَ إِفْكاً ... وإذا قَالَ خَالَفَ القَوْلَ فِعْلُهْ
وَصْلُهُ لِلصَّدِيقِ يَوْماً فَإِنْ طَا ... لَ فَيَوْمَانِ ثم يَنْبَتُّ حَبْلُهْ

قال: فصالحه يحيى وعاوَدَ عِشرته.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا هارون بن محمدِ بن عبدِ الملك قال: حَدَّثني أبو أيُّوبَ المدينيّ قال: حَدَّثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ الكاتب قال: حَدَّثني أبي عن رجلٍ من أهلِ الشأم قال: كنتُ يوماً نازلاً بدَيْر كعب، قد قَدِمْتُ من سفرٍ، فإذا أنا برجلٍ قد نزل الدَّير ومعه ثَقَلٌ وآلةٌ وعَيْبة[1]، فكان قريباً من موضعي، فدعا

(١) الثَّقَل: المتاع. والعَيْبَة: ما تُصان به الثياب وتُحفَظ.

بطعام فأكل، ودعا الرَّاهبَ فوهَبَ له دينارين، وإذا بينَه وبينه صداقةٌ، فأخرج له شراباً فجلس يشربُ ويُحَدِّثُ الراهب، وأنا أراهما، إذْ دخل الدَّير رجلٌ فجلس معهما، فقطع حدِيثَهما وثَقُلَ في مجلِسِه، وكان غَثَّ الحديث(١)، فأطال. فجاءني بعض غِلمانِ الرجلِ النَّازِلِ فسألتُه عنه، فقال: هذا مطيعُ بن إياس. فلمّا قام الرجُل وخرج كتب مطيعٌ على الحائِط شيئاً، وجعل يشرب حتَّى سَكِرَ، فلمّا كان من غدٍ رَحَل، فجئت موضِعَه فإذا فيه مكتوب: [الخفيف]

طَـرْبـةً مـا طَـرِبْـتُ فـي دِيْـرِ كَـعْـبِ ... كِدْتُ أَقْضِي من طَرْبَتي فيه نَحْبِي
وتَــذَكَّــرْتُ إِخْــوَتــي ونَــدَامَــا ... يَ فـهـاجَ الـبُـكَـاءَ تَـذْكَـارُ صَـحْـبِـي
حيـنَ غَـابُـوا شَـتَّـى وأَصْـبَـحْـتُ فَـرْداً ... ونَـأَوْا بـيـنَ شَـرْقِ أرضٍ وغَـرْبِ(٢)
وهُـمُ مـا هُـمُ، فـحَـسْـبِـيَ لا أَبْـ ... ـغِي بَـدِيلاً بِـهِـمْ لَـعَـمْـرُكَ حَـسْـبِـي
طَـلْـحَـةُ الـخَـيْـرِ مِـنْـهُـمُ وأَبُـو الـمُـنْـ ... ـذِرِ خِـلِّـي ومَـالِـكٌ ذَاكَ تِـرْبِـي(٣)
أيُّـهـا الـدَّاخِـلُ الـثَّـقِـيـلُ عَـلَـيـنـا ... حِينَ طَابَ الحَدِيثُ لي ولِصَحْبي
خِـفَّ عَـنَّـا فـأَنْـتَ أَثْـقَـلُ والـلَّـ ... ـهِ عَـلـيـنـا مِـنْ فَـرْسَـخَـيْ دَيْـر كَـعْـب
ومِـنَ الـنَّـاسِ مَـنْ يَـخِـفُّ ومِـنْـهُـمْ ... كَـرَحـى الـبَـزْرِ رُكِّـبَـتْ فَـوقَ قَـلْـبِـي(٤)

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا عمر بن محمد قال: حدّثنا الحسين بن إياس، ويحيى بن زيادٍ، وزاد العمل حتَّى حَلَف يحيى بن زياد على بُطلانِ شيء كلَّمه به مما دار بينهما، فقال مطيع: [مجزوء الكامل]

لا تَـحْـلِـفَـا بِـطَـلاقِ مَـنْ ... أَمْـسَـتْ حَـوافِـرُهـا رَقـيـقَـهْ
هَـيْـهَـاتَ قـد عَـلِـمَ الأمـيـ ... ـرُ بـأنَّـهـا كـانـت صَـدِيـقَـهْ

فغَضِبَ يحيى وحَلَف ألاَّ يُكلِّمَ مطِيعاً أبداً، وكانا لا يكادانِ يفترقانِ في فَرَحٍ ولا حُزْنٍ، ولا شِدّةٍ ولا رخاء، فتباعدَ ما بين يحيى وبينه وتجافَيَا مدّة، فقال مطيعٌ في ذلك، وندم على ما فَرَط منه إلى يحيى؛ فكتب إليه بهذا الشِّعر، قال: [السريع]

كُـنْـتُ وَيَـحْـيَـى كَـيَـدٍ وَاحِـدَهْ ... نَـرْمِـي جَـمِـيـعـاً وتَـرَانـا مَـعَـا

(١) غثّ الحديث: رديئه وفاسده.
(٢) شَتَّى: متفرّقون.
(٣) الخِلّ: الصاحب. والتِّرْب: الذي يماثلك في السنّ.
(٤) البَزْر: الحبّ الذي يُلقى في الأرض متفرّقاً.

إنْ عَضَّني الدَّهرُ فقد عَضَّهُ يَوْجِعُنا مَا بَعْضَنا أوْجَعا[١]
أو نامَ نامَتْ أعْيُنٌ أرْبَعٌ مِنَّا وإنْ أسْهَرْ فلن يَهْجَعا
يَسُرُّني الدَّهرُ إذا سَرَّهُ وإن رَمَاهُ فَلَنَا فَجَّعا
حَتَّى إذا ما الشَّيْبُ في مَفرِقي لاحَ وفي عَارِضِهِ أسْرَعا[٢]
سَعَى وُشَاةٌ فَمَشَوا بيننا وكَادَ حَبْلُ الوُدِّ أن يُقْطَعا
فَلَمْ أَلُمْ يَحْيَى على فِعْلِه ولم أقُلْ مَلَّ ولا ضَيَّعا
لكِنَّ أعْدَاءَ لَنَا لم يَكُنْ شَيْطَانُهُمْ يَرَى بنا مَطْمَعا
بينا كذا غَاش على غِرَّةٍ فَأوْقَدَ النِّيرَانَ مُسْتَجْمِعا
فلم يَزَلْ يُوقِدُها دَائِباً حَتَّى إذا ما اضطَرَمَتْ أقْلَعا

أخبرنا الحسين بن يحيى المِرداسيّ، عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السّكوني. وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حَدَّثنا عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه. قال إسحاق في خبره: «دخل على إخوانٍ يشربون»، وقال الأصمعي: دخل سُراعة بن الزندبور على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد، وعندهما قَيْنة تغنِّيهما، فسقَوه أقداحاً وكان على الريق، فاشتدَّ ذلك عليه، فقال مطيعٌ للقينة: غَنِّي سُراعة[٣]. فقالت له: أيَّ شيءٍ تختار؟ فقال: غَنِّي: [المتقارب]

طَبِيبَيَّ دَاوَيْتُما ظَاهِراً فَمَنْ ذا يُدَاوِي جَوًى بَاطِناً[٤]

ففطِن مطيعٌ لمعناه، فقال: أَبِكَ أكل؟ قال: نعم. فقدَّم إليه طعاماً فأكل ثم شرب معهم. والله أعلم.

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدَّثنا ابن مهرويه قال: حَدَّثني محمد بن هارون الأزرَقيّ مولى بني هاشم أخي أبي عشانة قال: حَدَّثني الفضل بن محمد بنِ الفضلِ الهاشمي عن أبيه قال: كان مطيع بن إياس يهوَى ابنَ مولى لنا يقال له محمد بن سالم، فأخرجْتُ أباه إلى ضيعة لي بالريّ لينظر فيها، فأخرجه أبوه معه، ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حَتَّى أتاني، فأنشدني لنفسه: [الطويل]

(١) عَضّه الدّهر: اشتدّ عليه.
(٢) العارضان: جانب الوجه.
(٣) سُرَاعة: بسرعة.
(٤) الجوى: شدّة الوجد والاحتراق.

أَيَا وَيْحَهُ لا الصَّبْرُ يملكُ قَلْبَهُ فيَصْبِرَ لَمَّا قِيلَ سَارَ مُحَمَّدُ
فلا الحزنُ يُفنِيهِ ففي الموتِ رَاحةٌ فحَتَّى متى في جهدِه يَتَجَلَّدُ
قَدَ اضحَى صَرِيعاً بَادِياتٍ عِظَامُه سِوَى أنَّ رُوحاً بَيْنَها تَتَرَدَّدُ
كَئِيباً يُمَنِّي نَفْسَه بِلِقَائِه على نَأْيِهِ واللّهُ بالحزنِ يَشْهَدُ
يقولُ لها صَبْراً عَسَى اليومَ آيِبٌ بِالْفِكَ أو جَاءٍ بِطَلْعَتِهِ الغَدُ
وكنتَ يَداً كانَتْ بها الدَّهرَ قُوَّتي فَأَصْبَحْتُ مُضْنًى منذ فارقني يَدِي

في أخبار مطيع التي تقدّم ذكرها آنفاً أغانٍ أغفَلْتُ عن نِسبتها حتى انتهيت إلى هذا الموضع فنسبتها فيه:

صوت

[المتقارب]

طَبِيبَيَّ دَاوَيْتُما ظَاهِراً فَمَنْ ذا يُدَاوِي جَوَى بَاطِنِنا
فَقُومَا اكْوِيَانِي ولا تَرْحَمَا مِنَ الكَيِّ مُسْتَحْصِفاً رَاصِنا[1]
ومُرَّا على منزلٍ بِالغُمَيمِ فَإنِّي عَهِدْتُ به شَادِنا[2]
فَتُوْرَ القِيامِ رَخِيمَ الكَلاَ مِ كَانَ فُؤادي به رَاهِنا

الشعر فيما ذكر عبدُ الله بن شبيبٍ عن الزّبير بنِ بَكارٍ، لعمرِو بنِ سعيدِ بنِ زيدِ بن عمرو بنِ نُفيلٍ القرشيّ العدويّ، والغناء لمعبدٍ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق وعمرو، وفيه لأبي العبيس بنِ حمدون ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر، وهو من صدور أغانيه ومختارِها وما تَشبَّه فيه بالأوائل. ولو قال قائل: إنه أحسَنُ صنعةٍ له صَدَق.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، أنَّ غيْلان بن خرشةَ الضَّبِّيَّ دخل إلى قومٍ من إخوانه وعندهم قينة، فجلس معهم وهو لا يدري فيم هُمْ، حتَّى غَنَّت القينة:

طَبِيبَيَّ دَاوَيْتُما ظَاهِراً فَمَنْ ذا يُدَاوِي جَوَى بَاطِنَنا

وكان أعرابياً جافياً به لُوثة[3]، فغضِبَ ووَثَب وهو يقول: السَّوْطُ وربِّ غيلانَ يُداوِي ذلك الجوى! وخرج من عندهم.

---

(١) المستحصف: الشديد. والرّاصن: الرّصين.
(٢) الغُميم: وادٍ في ديار بني حنظلة (معجم البلدان ٤/ ٢١٥).
(٣) اللُّوثة: مسّ الجنون أو طرفه.

وهذا الخبر مذكورٌ في أخبار معبدٍ من كتابي هذا وغيرِه، ولكنَّ ذكرَه هاهنا حسن فذكرته.

ومما فيها من الأغاني قول مطيع

صوت

[الكامل]

أَمْسَيْتُ جَمَّ بَلابِلِ الصَّدْرِ دَهْراً أُزَجِّيهِ إلى دَهْرِ
إنْ فُهْتُ طُلَّ دَمِي وإنْ كُتِمَتْ وَقَدَتْ عَلَيّ تَوَقُّدَ الجَمْرِ

الغناء لحكم الواديّ، هزج بالبنصرِ عن حَبَشٍ والهشاميّ.

[شعره في جوهر المُغنيّة]

أخبرني ابن الحسين قال: حَدَّثنا حماد بن إسحاق عن صباح بنِ خاقان قال: دخلتْ علينا جوهر المغنيّة جاريةُ بربر، وكانت محسنةً جميلة ظريفة، وعندنا مطيع ابنُ إياسٍ وهو يلعب بالشطرنج، وأقبل عليها بنظره وحديثه، ثم قال:

[مجزوء الخفيف]

وَلَقَدْ قُلْتُ مُعْلِناً لِسَعِيدٍ وجَعْفَرِ
إنْ أَتَتْنِي مَنِيَّتِي فدَمِي عِنْدَ بربرِ
قَتَلَتْنِي بِمَنْعِها لِيَ مِنْ وَصْلِ جَوْهَرِ

قال: وجوهر تضحك منه.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد عن أبي توبة قال: بلغ مطيعَ بن إياسٍ أن حمّادَ عجردٍ عابَ شعراً ليحيى بن زيادٍ قاله في مُنقذ بن بدرٍ الهلاليّ، فأجابهُ منقِذٌ عنه بجوابٍ، فاستخفَّهما حَمَّاد عجرد، وطعن عليهما، فقال فيه مطيع:

[مجزوء الخفيف]

أَيُّها الشَّاعِرُ الَّذي عَابَ يَحْيَى ومُنْقِذَا
أَنْتَ لو كُنْتَ شَاعِراً لم تَقُلْ فِيهِمَا كَذا
لَسْتَ واللَّهِ فاعْلَمَنْ لِذي النَّقْدِ جِهْبِذَا[1]

---

(١) الجِهبِذ: الخبير بالأمور المميِّز بين جيّدها ورديئها.

تَعْدِلُ الصَّبْرَ بِالرِّضَى شَائِبَ الصَّفْوِ بِالقَذَى[1]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الأحدب. قال: كنت جالساً مع مطيع بن إياس، فمرّت بنا مكنونة جارية المروانيّةِ، وكان مطيعٌ وأصحابنا يألفونها، فلم تسلِّمْ، وعبث بها مطيعُ بنُ إياسٍ فشتمته، فالتفت إليّ وأنشأ يقول: [المجتث]

فَدَّيْتُ مَنْ مَرَّ بِنَا يَوْماً ولم يَتَكَلَّمْ
وكانَ فيما خَلا منه كُلَّما مَرَّ سَلَّمْ
وإنْ رآنِيَ حَيَّا بِطَرْفِهِ وتَبَسَّمْ
لَقَدْ تَبَدَّلَ - فيما أَظُنُّ - واللَّهُ أَعْلَمْ
فَلَيْتَ شِعْرِيَ مَاذا عَلَيَّ في الوُدِّ ينقِمْ
يَا رَبِّ إِنَّكَ تَعْلَمْ أَنّي بِمَكْنُونَ مُغْرَمْ
وأَنَّني في هَوَاهَا أَلْقَى الهَوَانَ وأَعْظَمْ
يا لائِمِي في هَوَاهَا إحْفَظْ لِسَانَكَ تَسْلَمْ
واعْلَمْ بأَنَّكَ مَهْمَا أَكْرَمْتَ نَفْسَكَ تُكْرَمْ
إنَّ المَلُولَ إذا مَا مَلَّ الوِصَالَ تَجَرَّمْ[2]
أولا فَمَا لِيَ أُجْفَى مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وأُحْرَمْ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان مطيع بن إياس يألف جواري بربر، ويهوى منهنّ جاريتها المسمّاة جوهر، وفيها يقول: ولحكم فيه غناء -: [مجزوء الوافر]

خَافِي اللَّهَ يا بَرْبَرْ لقد أَفْسَدْتِ ذا العَسْكَرْ
إذا مَا أَقْبَلَتْ جَوْهَرْ يَفُوحُ المِسْكُ والعَنْبَرْ
وجَوْهَرُ دُرَّةُ الغَوَّا صِ مَنْ يَمْلُكها يُحْبَرْ[3]
لها ثَغْرٌ حَكَى الدُّرَّ وعَيْنَا رَشَإٍ أَحْوَرْ[4]

(١) القَذَى: ما يقع في الشراب من تبنة أو قشّة.

(٢) تَجَرَّمَ: ادّعى ذنباً لم يكن.

(٣) يُحْبَرُ: يُسَرُّ.

(٤) الرَّشأ: الظَّبي إذا قَوِيَ وتحرّك.

في هذه الأبيات هزج لحكمٍ الواديّ. قال: وفيها يقول: [الرمل]

أنتِ يا جَوْهَرُ عِندِي جَوْهَرَهْ فِي قِيَاسِ الدُّرَرِ المُشْتَهِرَهْ
أو كَشَمْسٍ أشْرَقَتْ في بَيْتِها قَذَفَتْ في كُلِّ قَلْبٍ شَرَرَهْ
وكَأنِّي ذَائِقٌ مِنْ فَمِها كُلَّمَا قَبَّلْتُ فَاهَا سُكَّرَهْ
وكَأنِّي حِينَ أخْلُو مَعَها فَائِزٌ بالجَنَّةِ المُخْتَضِرَهْ

قال: فجاءها يوماً، فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها، فعرف أنَّ فتى مِن أهلِ الكوفة يقال له ابنُ الصَّحَّاف يهواها مُتَخَلٌّ[1] معها، فقال مطيع يهجوها: [الخفيف]

نَاكَ واللَّهِ جَوْهَرَ الصَّحَّافُ وعَلَيها قَمِيصُها الأَفْوَافُ[2]
شَامَ فِيها أَيْراً له ذا ضُلُوعٍ لم يَشِنْهُ ضُعْفٌ ولا إخْطَافُ[3]
جَدَّ دَفْعاً فيها فقالَتْ تَرَفَّقْ مَا كَذا يا فَتَى تُنَاكُ الظِّرَافُ

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدَّثنا هارونُ بن محمد بن عبدِ الملك قال: قال محمد بن صالح بن النطاح: أُنشِد المهديُّ قولَ مطيع بنِ إياسٍ:

[مجزوء الوافر]

خَافِي اللَّهَ يا بَرْبَرْ لَقَدْ أَفْتَنْتِ ذا العَسْكَرْ
بِرِيحِ المِسْكِ والعَنْبَرْ وظَبْيٍ شَادِنٍ أَحْوَرْ
وجَوْهَرُ دُرَّةُ الغَوَّا صِ مَنْ يَمْلُكُها يُخْبَرْ
أمَا واللَّهِ يا جَوْهَرْ لقد فُقْتِ على الجَوْهَرْ
فلا واللَّهِ ما المَهْدِيُّ أَوْلَى مِنْكِ بالمِنْبَرْ
فَإنْ شِئْتِ فَفِي كَفَّيْـ ـكِ خَلْعُ ابنِ أبي جَعْفَرْ

فقال المهدي: اللهم العنهما جميعاً، ويلكم! اجمَعوا بين هذين قبل أن تخلَعنا هذه القحبة، وجعل يضحك من قول مطيع. وَوَجَدْتُ أبياتَ مطيع الثلاثة التي هجا بها جوهرَ في رواية يحيى بن علي أتمّ من رواية إسحاق وهي بعد البيتين الأولين: [الخفيف]

(١) متخلّ معها: متفرّغ.
(٢) الأفواف: الرقيق.
(٣) شام: أدخل. والإخطاف: الضمور.

زَعَمُوها قَالَتْ وقد غَابَ فيها ... قَائِماً في قِيَامِهِ اسْتِخْصَافُ
وهو في جَارَةِ اسْتِها يتلظَّى ... يا فَتَى هكذا تُنَاكُ الظِّرَافُ
نَاكَها ضَيْفُها وقَبَّلَ فَاهَا ... يا لَقَومِي لقد طَغَى الأضيافُ
لم يَزَلْ يَرْهَزُ الشَّهِيَّةَ حَتَّى ... زالَ عنها قَمِيصُها والعِطَافُ(١)

وقال هارون بن محمدٍ في خبره: بِيعت جوهرُ جارية بربر، فاشترتها امرأة هاشمية من ولدِ سليمان بنِ علي كانت تغني بالبصرةِ وأخرجتها، فقال مطيع فيها:

[مجزوء الكامل]

لا تَبْعدِي يا جوهرُ ... عَنَّا وإنْ شَطَّ المَزَارُ(٢)
وَيْلِي لَقَدْ بَعُدَتْ دِيا ... رُكِ سُلِّمَتْ تلكَ الدِّيَارُ
يُشْفَى بِرِيقَتِها السَّقَا ... مُ كَأَنَّ رِيقَتَها العُقَارُ(٣)
بَيْضَاءُ واضحةُ الجَبِيـ ... ـنِ كَأَنَّ غُرَّتَها نَهَارُ
القَلْبُ قَلْبِي وَهْوَ عِنْـ ... ـدَ الهَاشِمِيَّةِ مُسْتَعَارُ

[هجاؤه لبلدة كَلْواذى]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال: حَدَّثنا العَنَزي قال: حَدَّثنا علي بن منصورٍ المؤدّب أنَّ صديقاً لمطيع دعاه إلى بستانٍ له بِكَلْواذى(٤)، فمضى إليها، فلم يستطِبْها، فقال يهجوها:

[الخفيف]

بَلْدَةٌ تُمْطِرُ التُّرَابَ على النَّا ... سِ كما يُمْطِرُ السَّمَاءُ الرَّذَاذا
وإذا ما أَعَاذَ رَبِّي بِلاداً ... مِنْ خَرَابٍ كَبَعْضِ ما قَدْ أَعَاذا
خَرِبَتْ عَاجِلاً، ولا أُمْهِلَتْ يَوْ ... ماً ولا كَانَ أَهْلُها كَلْواذَى

أخبرني محمد بن جعفرٍ النحويّ قال: حَدَّثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحي قال: حَدَّثني عافية بن شبيب بن خاقان التميميّ أبو معْمَر قال: كان لمطيع بن إياسٍ مُعامِل من تجار الكوفةِ، فطالت صحبته إياه وعشرته له حتى شرب النبيذ، وعاشر تلك الطبقة، وأفسدوا دينه، فكان إذا شرِب يعمل كما يعملون،

(١) يرهز: يحرّك. والعِطاف: الرّداء.
(٢) شَطَّ: بَعُدَ.
(٣) السَّقام: المرض، والعُقار: الدواء.
(٤) كَلْواذى: ناحية الجانب الشرقي من مدينة بغداد. (معجم البلدان ٤/ ٤٧٧).

وقال كما يقولون، وإذا صحا تهيّب ذلك وخافه، فمرّ يوماً بمطيع بنِ إياسٍ وهو جالِس على باب دارِه، فقال له: مِن أين أقبلت؟ قال: شيَّعْتُ صديقاً لي حَجَّ، ورجعْتُ كما ترى ميّتاً من ألمِ الحرِّ والجوعِ والعطشِ. فدعا مطيع بغلامه وقال له: أيّ شيء عندك؟ فقال له: عندي من الفاكهة كذا، ومن البوارِدِ والحارّ كذا، ومن الأشربةِ والثلجِ والرياحين كذا، وقد رُشَّ الخَيْشُ وفُرِغَ مِن الطعام. فقال له: كيف ترى هذا؟ فقالَ: هذا واللّه العيشُ وشِبْهُ الجنّةِ. قال: أنتَ الشريك فيه على شريطةٍ إن وفَيْتَ بها وإلا انصرفْتَ. قال: وما هي؟ قال: تشتِمُ الملائكة وتنزل. فنفَر التاجرُ وقال: قَبَح اللّهُ عِشرتَكم قد فضحتموني وهتكتموني. ومضى فلم يبعدْ حتى لقيه حمّادُ عجردٍ فقال له: ما لي أراك نافراً جَزِعاً؟ فحدّثه حديثَه. فقال: أساءَ مطيْعٌ ـ قبَحه اللّه ـ وأخطأ، وعندي واللّه ضِعْفُ ما وَصَفَ لك؛ فهل لك فيه؟ فقال: أجَلْ، بي واللّه إليه أعظمُ فاقة. قال: أنت الشريك فيه على أن تشتمَ الأنبياء فإنّهم تَعبَّدونا بكل أمرٍ مُعنِتٍ مُتعِبٍ، ولا ذنب للملائكةِ فنشتمَهم. فنفر التاجر وقال: أنت أيضاً فقبحَك اللّه، لا أدخلُ! ومضى فاجتاز بيحيى بنِ زيادِ الحارثيّ فقال له: ما لي أراك يا أبا فلان مُرْتاعاً؟ فحدّثه بقصّتِه. فقال: قَبحَهمَا اللّه لقد كلّفاك شَطَطاً[١]، وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما، وعندي واللّه أضعافُ ما عندهما، وأنت الشَّريكُ فيه على خصلةٍ تنفعك ولا تضرُّك، وهي خلاف ما كَلَّفاكَ إيَّاهُ من الكفر. قال: وما هي؟ قال: تصلّي ركعتين تُطِيلُ ركوعَهما وسجودَهما، وتصليهما وتجلس، فنأخذ في شأننا. فضجِرَ التاجرُ وتأفّفَ وقال: هذا شرٌّ من ذاك، أنا تعِبٌ ميِّتٌ، تُكَلِّفني صلاةً طويلةً في غير بِرٍّ ولا لإِطَاعةٍ يكون ثمنُها أكلَ سُحتٍ[٢] وشربَ خمرٍ وعِشرةَ فَجَرَةٍ وسماعَ مغنّياتٍ قِحَابٍ. وسَبَّه وسَبَّهما ومضى مُغْضَباً. فبعث خلفَه غلاماً وأمره بردّه، فردّه كَرْهاً، وقال: انزلِ الآن على ألا تُصلِّيَ اليوم بتةً. فشتمه أيضاً وقال: ولا هذا. فقال: انزل الآن كيف شئْتَ وأنت ثقيل غيرُ مُساعِدٍ، فنزل عِنده. ودعا يحيى مطيعاً وحماداً، فعَبِثا بالتاجر ساعة وشتماه، ثم قُدِّمَ الطّعام، فأكلوا وشربوا وصلى التاجر الظهر والعصر، فلما دبّت الكاس فيه قال له مطيع: أيُّما أحبُّ إليك: تشتم الملائكة أو تنصرف؟ فشتمهم. فقال له حماد: أيُّمَا أحبُّ إليك: تشتم الأنبياء أو تنصرف؟ فشتمهم. فقال له يحيى: أيُّما أَحَبُّ إليكَ: تصلي ركعتين أو تنصرف؟ فقام فصلّى

(١) الشَّطَط: مجاوزة الحدّ والتباعد عن الحقّ.

(٢) السُّحت: الحرام.

الركعتين، ثم جلس فقالوا له: أَيُّمَا أَحَبُّ إليك: تترك باقيَ صلاتك اليوم أو تنصرف؟ قال: بل أتركها يا بَني الزانيةِ ولا أنصرف. فعمل كلَّ ما أرادوه منه.

[المهدي يتعاطف معه ويعفو عنه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضلِ السَّكوني قال: رفعَ صاحب الخبرِ إلى المنصور أنَّ مطيع بن إياسٍ زِنْديقٌ، وأنه يعاشر ابنَه جعفراً وجماعةً من أهلِ بيته، ويُوشِكُ أن يفسِدوا أديانهم ويُنسَبوا إلى مذهبه. فقال له المهدي: أنا به عارف، أمّا الزَّندقةُ فليس من أهلها، ولكِنّه خبيثُ الدِّين فاسق مُسْتحِلٌّ للمحارم. قال: فأحضِرْهُ وانهَهُ عن صحبةِ جعفر وسائرِ أهله. فأحضره المهديُّ وقال له: يا خبيثُ يا فاسق، قد أفسدْتَ أخي ومَنْ تَصْحَبُه من أهلي، واللَّه لقد بلغني أنهم يتقَادَعون[1] عليك، ولا يتِمّ لهم سرورٌ إلاّ بكَ، فقد غَرَّرْتَهم وشهّرتهم في الناس، ولولا أني شَهِدْت لك عند أميرِ المؤمنين بالبراءة مِما نُسِبْتَ إليه بالزندقة، لقد كان أمر بضربِ عُنقِكَ. وقال للربيع: اضربه مائتي سَوْطٍ واحبِسه. قال: ولِمَ يا سيدي؟ قال: لأنك سِكّير خِمِّير قد أفسدتَ أهلي كلّهم بصحبتك. فقال له: إن أَذِنْتَ وسَمِعْتَ احتججتُ. قال: قل. قال: أنا امرؤ شاعر، وسُوقِي إنَّما تنفُقُ مع الملوك، وقد كسدت عندكم، وأنا في أيّامكم مُطَّرَحٌ[2]، وقد رَضِيتُ فيها مع سعتها لِلنّاس جميعاً بالأكل على مائدة أخيك، لا يتبع ذلك عَشيرة، وأصفيْتُه على ذلك شكري وشِعرِي، فإن كان ذلك عائباً عندك تبْتُ منه. فأطرق، ثم قال: قد رفعَ إليّ صاحب الخبر أنك تتماجَنُ على السُّؤالِ وتضحك منهم. قال: لا، واللَّه ما ذلك من فعلي ولا شأني، ولا جرى مني قطُّ إلاّ مَرَّة؛ فإنّ سائلاً أعْمَى اعترضني ـ وقد عَبَرْتُ الجسرَ على بغلتي ـ وظَنَّنِي من الجُندِ، فرفع عصاه في وجهي ثم صاح: اللّهُمَّ سَخِّرِ الخليفةَ لأن يُعطِيَ الجندَ أرزاقَهم، فيشتروا من التجّار الأمتِعةَ، ويربحَ التجّار عليهم فتكثرَ أموالهم، فتجبَ فيها الزّكاة عليهم، فيَصَّدَّقُوا عَلَيَّ منها. فنفرْتُ بقلبي من صياحِه ورفعِه عصاه في وجهي حتى كِدْتُ أسقط في الماء، فقلت: يا هذا، ما رأيتُ أكثرَ فضولاً منك، سَلِ اللَّهَ أن يرزقَكَ ولا تجعل هذه الحَوَالاَتِ والوسائطَ التي لا يُحتاج إليها، فإن هذه المسائلَ فضول، فضحك الناس منه، ورُفِعَ عليّ في الخبر قولي له

---

(١) يتقادعون: يتهافتون.

(٢) مُطَّرَحٌ: مُبْعَدٌ.

هذا. فضحك المهديُّ وقال: خَلُّوه ولا يُضرَب ولا يُحبَس. فقال له: أدخل عليك لِمَوْجِدة وأخرج عن رِضًى وتبرأُ ساحتي من عَضِيهة[1] وأنصرف بلا جائزة؟ قال: لا يجوز هذا، أعطوه مائتي دينارٍ ولا يعلم بها الأمير، فيتجدّد عنده ذنوبُه. قال: وكان المهدي يشكر له قيامه في الخطباء ووضعَه الحديثَ لأبيه في أنه المهديُّ. فقال له: اخْرُجْ عن بغداد ودَعْ صحبة جعفر حتى ينساكَ أمير المؤمنين غداً. فقال له: فأين أقصد؟ قال: أكتُب لك إلى سليمان بنِ علي فيولّيك عملاً ويُحسِنُ إليك. قال: قد رضيتُ. فوفد إلى سليمانَ بكتابِ المهدي، فولاّه الصَّدَقة بالبصرةِ وكان عليها داود بن أبي هند، فعزله به.

حَدَّثني محمد بن هاشم بنِ محمد الخزاعيّ قال: حَدَّثنا عيسى بن إسماعيل تِينَة عن ابن عائشة أن مطيع بن إياسٍ قدِم على سليمان بنِ علي بالبصرةِ ـ وواليها على الصدقة داود بن أبي هند ـ فعزله وولّى عليها مطيعاً.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثني أبو توبة عن بعض البصريين قال: كان مالك بن أبي سَعدة عمّ جابرِ الشّطرنجيّ جميلَ الوجه حسنَ الجسم، وكان يعاشر حمّادَ عجردٍ ومطيعَ بن إياس وشرب معهما فَأُفْسِدَ بينهما وبينه وتباعدوا فقال حمّادُ عجردٍ يهجوه: [المتقارب]

أَتُـوبُ إلـى الـلَّـهِ مِـنْ مَـالِـكٍ ... صَـدِيـقـاً ومِـنْ صُـحْـبَـتِـي مَـالِـكـا

فَـإنْ كُـنْـتُ صَـاحَـبْـتُـهُ مَـرَّةً ... فَـقَـدْ تُـبْـتُ يـا رَبِّ مِـنْ ذَلِـكـا

قال: وأنشدها مطيعاً، فقال له مطيع: سَخِنَتْ عينُكَ! هكذا تَهجو الناس؟ قال: فكيف كنتُ أقول؟ قال: كنتَ تقول: [مجزوء الخفيف]

نَـظْـرَةً مـا نَـظَـرْتُـهـا ... يـوم أَبْـصَـرْتُ مَـالِـكـا

فـي ثِـيَـابٍ مُـعَـصْـفَـرا ... تٍ عـلـى الـوَجْـهِ بَـارِكـا

تَـرَكَـتْـنِـي أَلُـوطُ مِـنْ ... بَـعْـدِ مـا كُـنْـتُ نَـاسِـكَـا

نَـظْـرَةً مـا نَـظَـرْتُـهـا ... أَوْرَدَتْـنِـي الـمَـهَـالِـكَـا

[مطيع وأصحابه يشكون القلّة أيام بني العباس]

أخبرني عيسى بنُ الحسين قال: حَدَّثنا حمّاد عن أبيه عن الهيثم بنِ عدي

---

(١) العضيهة: الإفك والبهتان.

قال: كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بنِ المنصورِ، فطالت صحبتُه له بغير فائدة، فاجتمع يوماً مطيعٌ وحمّاد عجرد ويحيى بن زياد، فتذاكروا أيام بني أميّة وسَعَتها ونَضرتَها وكثرةَ ما أفادوا فيها، وحسْنَ مملكتِهم وطيبَ دارهم بالشأم، وما هم فيه ببغداد من القحط في أيام المنصورِ، وشدّة الحرّ، وخشونة العيش، وشكوا الفَقْرَ فأكثروا، فقال مطيع بن إياس: قد قلتُ في ذلك شعراً فاسمعوا. قالوا: هات. فأنشدهم: [الخفيف]

حَبَّذَا عَيْشُنا الَّذي زَالَ عَنَّا ... حَبَّذَا ذاكَ حِين لا حَبَّذَا ذا

أين هَذا مِنْ ذاكَ؟ سَقْياً لِهَذا ... كَ ولَسْنا نقولُ سَقْياً لِهَذا

زادَ هذا الزَّمَانُ عُسْراً وشَرّاً ... عِنْدنا إذ أَحَلَّنا بَغْدَاذَا

بَلْدَةٌ تُمْطِرُ التُّرَابَ على النَّا ... سِ كما يُمْطِرُ السَّمَاءُ الرَّذَاذا

خَرِبَتْ عَاجِلاً وأَخْرَبَ ذو العَرْ ... شِ بِأَعْمَالِ أَهْلِها كَلْوَاذَى

[شعرٌ في مجالس اللّهو والشرب]

أخبرني عيسى بن الحسين عن حمادٍ عن أبيه قال: لما خرج حماد بن العباس إلى البصرة، عاشر جماعةً من أهلها وأدبائها وشعرائها، فلم يجدْهم كما يريد، ولم يستطِبْ عِشرتَهم واستغلظ طبْعَهم، وكان هو ومطيعُ بن إياسٍ وحمّادٌ الراويةُ ويحيى بن زيادٍ كأنّهم نفْس واحدة، وكان أشدَّهم أُنساً به مطيع بن إياس، فقال حمادٌ يتشوَّقه: [مجزوء الرمل]

لَسْتُ والله بِنَاسِ ... لِمُطِيعِ بْنِ إِيَاسِ

ذَاكَ إِنْسَانٌ لَه فَضْـ ... ـلٌ عَلى كُلِّ أُنَاسِ

غَرَسَ اللَّهُ لَه فِي ... كَبِدِي أَحْلَى غِرَاسِ

فَإِذَا ما الكَأسُ دَارَتْ ... واحْتَسَاهَا مَنْ أُحَاسِي

كَانَ ذِكْرَانَا مُطِيعاً ... عِنْدَهَا رَيْحَانَ كَاسِي

حَدَّثنا عيسى بن الحسين عن حمادٍ عن أبيه قال: دعا مطيعُ بن إياسٍ صديقاً له من أهل بغداد إلى بستانٍ له بالكرخ، يقال له بستان صَبَّاح، فأقام معه ثلاثة أيام في فتيانٍ من أهلِ الكرخِ مُرْدٍ وشبَّان، ومغنِّين ومُغنّيات، فكتب مطيع إلى يحيى بنِ زيادٍ الحارثي يخبره بأمره ويتشوّقه، قال: [السريع]

كَمْ لَيْلَةٍ بِالكَرْخِ قد بِتُّها ... جَذْلانَ فِي بُسْتَانِ صَبَّاحِ

فِـي مَـجْـلِـسٍ تَـنْـفَـحُ أَرْواحُـهُ ... يـا طِـيْـبَـهـا مِـنْ رِيـحِ أَرْواحِ
يُـدِيـرُ كَـأسـاً فـإذَا مـا دَنَـتْ ... حُـفَّـتْ بِـأَكْـوَابٍ وأَقْـداحِ
فـي فِـتْـيَـةٍ بِـيْـضٍ بَـهَـالِـيـلَ مـا ... إنْ لَـهُـمُ فـي الـنَّـاسِ مِـنْ لاَحِ[١]
لـم يَـهْـنِـنِـي ذاكَ لِـفَـقْـدِ امْـرِئٍ ... أَبْـيَـضَ مِـثْـلِ الـبَـدْرِ وَضَّـاحِ
كَـأنَّـمـا يُـشْـرِقُ مـن وَجْـهِـهِ ... إذا بَـدَا لِـي ضَـوْءُ مِـصْـبَـاحِ

قال: فلمَّا قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته، فركب إليهم، وحمل إليهم ما يُصلِحُهم من طعام وشراب وفاكهة، فأقاموا فيه أياماً على قصْفهم حتى ملّوا، ثم انصرفوا.

أخبرني محمد بن خلفِ بنِ المرزُبانِ قال: حَدَّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمدِ بن الفضلِ قال: قال مطيع بن إياس: جلسْتُ أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصَّبْوةِ ويكتم ذاك، ففاوضناه وأخذنا في أشعار العربِ ووصفِها البيدَ وما أشبه ذلك، فقال: [الطويل]

لأَحسَنُ من بِيدٍ يَحَارُ بِها القَطَا ... ومِن جَبَلَيْ طَيٍّ ووَصْفِكُما سَلْعا[٢]
تَلاحُظُ عَيْنَيْ عَاشِقَيْن كِلاَهُما ... لـه مُقْلَةٌ في وَجْهِ صَاحِبِهِ تَرْعَى

أخبرني محمد بن خلفِ بنِ المرزُبان قال: حَدَّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حَدَّثني أبو المَضاء قال: عاتب المهدي مطيع بن إياس في شيءٍ بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كان ما بلغك عَنّي حَقّاً فما تُغني المعاذيرُ، وإن كان باطلاً فما تضرُّ الأباطيل. فقبِلَ عُذْرَهُ وقال: فإنَّا ندعُك على حملتِك ولا نكشفك. واللَّه أعلم.

حَدَّثني عَمّي الحسن بن محمدٍ قال: حَدَّثنا الكُرَانِيّ قال: حَدَّثنا العُمري عنِ الهيثم بن عَدَيّ قال: اجتمع حماد الراوية ومطيع بن إياسٍ ويحيى بن زيادٍ وحكَمٌ الواديُّ يوماً على شراب لهم في بستانٍ بالكوفة، وذلك في زمنِ الربيع، ودعَوْا جوهرَ المغنية، وهي التي يقول فيها مطيع: [الرمل]

أَنـتِ يـا جَـوْهَـرُ عِـنْـدِي جَـوْهَـرَهْ ... فـي قِـيـاسِ الـدُّرِرِ الـمُـشْـتَـهِـرَهْ

فشربوا تحت كرْمٍ معروشٍ حتى سكِروا، فقال مطيع في ذلك:

---

(١) البهاليل: جمع البُهلول: السّيد الجامع لكلّ خيرٍ. ولاحٍ: لائم.

(٢) القَطا: جمع القطاة: طائر في حجم الحمام يعيش في الصحراء خصوصاً. وسَلْع: جبل في المدينة (معجم البلدان ٣/ ٢٣٦).

صوت

[مجزوء الوافر]

خَـرَجْـنَـا نَـمْـتَـطِـي الـزُّهَـرَا ... ونَـجْـعَـلُ سَـقْـفَـنـا الـشَّـجَـرَا
ونَـشْـرَبُـهـا مُـعَـتَّـقَـةً ... تَـخَـالُ بِـكَـأْسِـهـا شَـرَرا
وجَـوْهَـرُ عِـنْـدَنـا تَـحْـكِـي ... بِـدَارَةِ وَجْـهِـهـا الـقَـمَـرا[١]
يَـزِيـدُكَ وَجْـهُـهـا حُـسْـنـا ... إذا مـا زِدْتَـهُ نَـظَـرا
وجَـوْهَـرُ قـد رَأَيْـنَـاهـا ... فـلـم نَـرَ مِـثْـلَـهـا بَـشَـرا

غَنَّى فيه حكم غناءً خفيفاً، فلم يزالوا يشربون عليه بقية يومهم. وقد رُوي أن بعض هذا الشعر للمهدي وأنه قال منه واحداً، وأجازه بالباقي بعض الشعراء. وهذا أصح. لحنُ حكمٍ في هذا الشعر خفيفُ رملٍ بالوسطى.

حَدَّثنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال: حَدَّثني حمادٌ عن أبيه قال: كان مطيع بن إياس عاقّاً بأبيه شديدَ البغض له وكان يهجوه، فأقبل يوماً من بُعْد، ومطيع يشرب مع إخوان له، فلمَّا رآه أقبل على أصحابه فقال: [مجزوء الكامل]

هَـذَا إِيَـاسٌ مُـقْـبِـلاً ... جَـاءَتْ بـه إحـدى الـهَـنَـاتْ[٢]
هَـوَّزُ فُـوهُ وأَنْـفُـهُ ... كَـلَـمُـنٌ فـي إحـدى الـصِّـفَـاتْ
وكَـأَنَّ سَـعْـفَـصَ بَـطْـنُـه ... والـثَّـغْـرَ شِـيْـنُ قُـرَيِّـشَـاتْ[٣]
لَـمَّـا رَأَيْـتُـكَ آتِـيَـاً ... أَيْـقَـنْـتُ أَنَّـكَ شَـرُّ آتْ

حَدَّثني جعفر بنُ قدامة بن زيادٍ الكاتب قال: حَدَّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضلِ السكونيّ قال: مدح مطيع بن إياس معنَ بن زائدة بقصيدته التي أوّلها: [المنسرح]

أَهْـلاً وسَـهْـلاً بِـسَـيِّـدِ الـعَـرَبِ ... ذِي الـغُـرَرِ الـوَاضِـحَـاتِ والـنُّـجُـبِ
فَـتَـى نِـزارٍ وكَـهْـلِـهـا وأَخِـي الـ ... جُـودِ حَـوَى غَـايَـتَـيْـهِ مِـنْ كَـثَـبِ
قِـيـلَ أَتَـاكُـمْ أبـو الـوَلِـيـدِ فَـقَـا ... لَ الـنَّـاسُ طُـرّاً في السَّهْلِ والرَّحَبِ[٤]

---

(١) تحكي: تشبه.
(٢) الهَنَات: جمع الهَنَة: خصلة الشرّ والفساد.
(٣) يذكر الشاعر أبجد وأخواتها في هذا البيت والذي يسبقه. وقُرَيِّشات: تصغير / قرشت).
(٤) طُرّاً: جميعاً.

أَبُو العُفَاةِ، الَّذي يَلُوذُ بِه مَنْ كَانَ ذا رَغْبَةٍ وذا رَهَبِ[١]
جَاءَ الَّذي تُفْرَجُ الهُمومُ بِه حِينَ يُلَزُّ الوَضِينُ بِالْحَقَبِ[٢]
جَاءَ وجاءَ المَضَاءُ يَقْدُمُه رَأْيٌ إذا هَمَّ غَيْرُ مُؤْتَشِبِ[٣]
شَهْمٌ إذا الحَرْبُ شَبَّ دَائِرُها أَعَادَها عَوْدَةً على القُطُبِ
يُطْفِىءُ نِيرَانَها ويُوقِدُها إذا خَبَتْ نَارُها بِلا حَطَبِ
إلاّ بِوَقْعِ المُذَكَّرَاتِ يُشَبِّهْنَ إذا ما انتُضِينَ بِالشُّهُبِ[٤]
لم أرَ قِرْناً له يُبَارِزُه إلاّ أرَاهُ كالصَّقْرِ والخَرَبِ[٥]
لَيْثٌ بِخَفَّانَ قد حَمَى أَجَماً فَصَارَ مِنْها في مَنْزِلٍ أَشِبِ[٦]
شِبْلاهُ قد أُدِّبَا بِه فَهُمَا شِبْهَاهُ في جِدِّهِ وفي لَعِبِ
قد وَمِقَا شَكْلَهُ وسِيرَتَه وأَحْكَمَا منه أَكْرَمَ الأَدَبِ[٧]
نِعْمَ الفَتَى تُقْرَنُ الصِّعَابُ بِه عِنْدَ تَجَاثِي الخصُوم لِلرُّكَبِ
ونِعْمَ ما لَيْلَةُ الشِّتَاءِ إذا اشْتُنْبِحَ كَلْبُ القِرَى فلَم يُجِبِ
لا ونَعَمْ عِنْدَهُ مُخَالِفَة مثل اختلافِ الصُّعودِ والصَّبَبِ[٨]
يَحْصَرُ مِنْ لا فلا يُهِمُّ بها ومنه تُضْحَى نَعَمْ على أَرَبِ[٩]
تَرَى له الحِلْمَ والنُّهَى خُلُقاً في صَوْلَةٍ مِثْل جَاحِمِ اللَّهَبِ
سَيْفُ الإمَامَيْنِ ذَاكَ وذَا إذا قَلَّ بُنَاةُ الوَفاءِ والحَسَبِ
ذا هَوْدَةٍ لا يُخَافُ نَبْوَتُها ودِينُهُ لا يُشَابُ بِالرِّيَبِ[١٠]

فلمّا سمعها مَعْنٌ قال له: إن شئْتَ مدحناك كما مَدَحْتَنا وإن شئْتَ أَثَبْناك.

---

(١) العفاة: جمع عافٍ: الضيف وكل طالب رزق.
(٢) يُلَزّ: يُقْرَن. والوَضين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر، وهو للهودج بمنزلة الحزام للسَّرْج. والحَقَب: الحزام الذي يلي حقو البعير.
(٣) المَضَاء: العَزم. وغير مؤتشب: غير مختلِط.
(٤) المُذَكَّرَات: جمع المُذكَّر: السيف الصارم القاطع.
(٥) القِرن: المثيل. والخَرَب: ذَكَر الحُبَارى.
(٦) خَفَّان: موضع قريب من الكوفة تكثر فيه الأسود (معجم البلدان ٢/ ٣٧٩) والأَجَم: جمع الأجمة: الشجر الكثيف الملتفّ. والأشِبُ: الكثير الشجر.
(٧) وَمِقَ: أحبّ.
(٨) الصَّبَب: ما انحدر من الأرض.
(٩) يحصر: يضيق صدره.
(١٠) الهودة: الرجوع إلى الحقّ.

فاستحيا مطيع من اختيار الثوابِ على المديح وهو محتاج إلى الثواب، فأنشأ يقول لمعنٍ: [الوافر]

ثَـنَـاءٌ مِـنْ أَمِـيـرٍ خَـيْـرُ كَـسْـبٍ ... لِـصَـاحِـبِ فَـاقَـةٍ وأَخِـي ثَـرَاءِ
ولـكِـنَّ الـزَّمَـانَ بَـرَى عِـظَـامِـي ... ومـا مِـثْـلُ الـدَّرَاهـم مِـنْ دواءِ

فضحك معن حتى استلقى وقال: لقد لَطَفْتَ حتى تخلَّصْتَ منها، صدقت، لَعَمري ما مِثل الدَّراهِم من دواء! وأمر له بثلاثين ألف درهمٍ، وخلَع عليه وحمَلَه[١].

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال: حَدَّثني المهلّبي عن أبيه عن إسحاق قال: كان لمطيع بن إياس صديق من العرب يُجالسُه، فضرِط ذات يومٍ وهو عنده، فاستحيا وغاب عنِ المجلس. فتفقّده مطيع وعرفَ سبب انقطاعه، فكتبَ إليه وقال: [البسيط]

أَظْـهَـرْتَ مـنـكَ لـنـا هَـجْـراً ومَـقْـلِـيـةً ... وغِـبْـتَ عَـنَّـا ثَـلاثـاً لَـسْـتَ تَـغْـشَـانـا[٢]
هَـوِّنْ عـلـيـكَ فـمـا فـي الـنَّـاسِ ذو إِبِـلٍ ... إلاَّ وأَيْـنُـقُـهُ يَـشْـرُدْنَ أَحْـيَـانـا[٣]

[مجونه في الصلاة مع أصحابه وشعره في ذلك]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ قال: حَدَّثني العباس بن ميمون طائع قال: حَدَّثنا بعض شيوخنا البصريين الظّرفاء وقد ذكرنا مطيع بن إياس، فحَدَّثنا عنه قال: اجتمع يحيى بن زيادٍ ومطيع بن إياس وجميع أصحابهم، فشربوا أياماً تباعاً، فقال لهم يحيى ليلة من اللّيالي وهم سُكارى: وَيْحَكُم! ما صَلَّيْنا منذ ثلاثةِ أيامٍ فقوموا بنا حتى نصلّي. فقالوا: نعم. فقام مطيع فأذَّنَ وأقام، ثم قالوا: مَنْ يتقدَّم؟ فتدافعوا ذلك، فقال مطيع لِلْمُغَنِّية: تَقَدَّمي فَصَلِّي بنا. فتقدَّمَتْ تُصَلِّي بهم عليها غلالةٌ رقيقة مُطَيَّبَةٌ بلا سراويل، فلما سَجَدَتْ بان فَرْجُها، فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبَّله وقطع صَلاَتَهُ، ثم قال: [المتقارب]

ولَـمَّـا بـدا فَـرْجُـهـا جَـاثِـمـاً ... كَـرَأْسِ حَـلِـيـقٍ ولـم نَـعْـتَـمِـدْ

(١) حمله: أعطاه دابّة تحمله.
(٢) المقلية: البغض.
(٣) الأَيْنُق: جمع النّاقة.

سَجَدْتُ إليهِ وقَبَّلتُهُ كما يَفْعَلُ السَّاجِدُ المُجْتَهِدْ

فقطعوا صلاتهم، وضحكوا وعادوا إلى شربهم.

[شعره بين يدي المهدي]

حَدَّثني عَمّي الحسن بن محمدٍ قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدَّثني محمد بن القاسم مولى موسى الهادي قال: كتب المهدي إلى أبي جعفر يسأله أن يُوَجِّهَ إليه بابنه موسى، فحمله إليه، فلمّا قدم عليه قامتِ الخطباء تهنّئه، والشّعراء تمدحه، فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه، فقام مطيع بن إياس فقال: [مجزوء الرمل]

أَحْمَدُ اللَّهَ إلهَ الـ خَلْقِ رَبَّ العَالمِينَا
الَّذي جَاءَ بِموسَى سَالِماً في سَالِمينا
الأَمِيرِ ابنِ الأَميرِ ابـ نِ أَمِيرِ المُؤْمِنينا

فقال المهدي: لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع. فأمسك الناس، وأمر له بصلة.

[وشايته بيحيى بن زياد]

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب لأبي سعيدٍ السُّكريّ بِخَطِّه، قال: حَدَّثني ابن أبي فنن، أخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيما أجاز لنا أن يرويه عنه عن أبي أيوب المدائني عن ابن أبي الدواهي، وخبر السكري أتم واللفظ له، قال: كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبغ له قِيانٌ، وكان له ابنٌ وضِيء حسن الصّورة يقال له الأصبغ، لم يكن بالكوفة أحسنُ وجهاً منه، وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحمّاد عجردٍ وضرباؤهم[١] يألفونه ويعشقونه ويُطرِفونه[٢]، وكلّهم كان يعشق ابنه أصبَغ، حتى كان يوم نَوْروز[٣] وعزم أبو الأصبغ على أن يصطبحَ مع يحيى بن زِياد، وكان يحيى قد أهدى له من اللّيل

(١) الضُّرَباء: جمع الضَّريب: المِثْل.
(٢) يُطرِفونه: يهدونه الطريف. والطَّريف: هو كل ما يُهدَى من مال أو ثمر أو غيره.
(٣) يوم النوروز: هو أول يوم من السنة الشمسية، وهو عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل.

جِداءً ودجاجاً وفاكهة وشراباً، فقال أبو الأصبغ لجواريه: إن يحيى بن زيادٍ يزورنا اليوم، فأعدِدْن له كلَّ ما يصلح لمثلِهِ. ووجَّهَ بغلمانٍ له ثلاثةٍ في حوائجه، ولم يَبْقَ بين يديه أحدٌ، فبعث بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه ويسأله التعجيل، فلمّا جاءه استأذن له الغلام، فقال له يحيى: قل له يدخل، وتَنَحَّ أنتَ وأَغْلِقِ البابَ ولا تَدَعِ الأصبغ يخرج إلاّ بإذني. ففعل الغلام ودخل الأصبغ، فأدّى إليه رسالة أبيه، فلَمّا فرغ راودَه يحيى عن نفسه، فامتنع، فثاوره[1] يحيى وعاركه حتى صرعه، ثم رام حَلّ تِكّته[2]، فلم يقدر عليها، فقطعها وناكه، فلما فرغ أخرج من تحت مُصَلاّه أربعين ديناراً، فأعطاه إياها، فأخذها، وقال له يحيى: امضِ فإنّي بالأثَرِ. فخرج أصبغُ من عنده، فوافاه مطيع بن إياس، فرآه يتبخَّرُ ويتطيّبُ ويتزيّن، فقال له: كيف أصبحْتَ؟ فلم يُجبه، وشَمَخ بأنفه، وقطّبَ حاجبيه، وتفخّم؛ فقال له: ويحكَ ما لكَ؟ أنزل عليك الوحي؟ أَكَلَّمَتْكَ الملائكة؟ أبويعَ لك بالخلافة؟ وهو يومئ برأسه: لا، لا، في كلِّ كلامه، فقال له: كأنك قد نكْتَ أصبغ بن أبي الأصبَغ. قال: إي واللّه الساعة نِكْتُه، وأنا اليوم في دعوة أبيه. فقال مطيع: فامرأتُه طالق إن فارقتك أو نقبّل متاعَكَ. فأبداه له يحيى حتى قَبّله، ثم قال له: كيف قدَرْتَ عليه؟ فقال يحيى ما جرى وحدّثه بالحديث، وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبَغ، فتبعه مطيعٌ، فقال له: ما تصنعُ معي والرجل لم يَدْعُكَ؟ وإنما يريد الخَلوة. فقال: أُشَيِّعُكَ إلى بابه ونتحدَّثُ. فمضى معه، فدخل يحيى وردّ الباب في وجه مطيع، فصبرَ ساعة، ثم دقّ البابَ فاستأذنَ، فخرج إليه الرسول، وقال له: يقول لك أنا اليوم على شغُل لا أتفرَّغ معه لك. فتعذّر. قال: فابعث إليّ بدواةٍ وقرطاس، فكتب إليه مطيع: [الرمل]

يَا أَبَا الأَصْبَغِ، لا زِلْتَ عَلَى ... كُلِّ حَالٍ نَاعِماً مُتَّبَعَا
لا تُصَيِّرْنِيَ فِي الوُدِّ كَمَنْ ... قَطَعَ التِّكَّةَ قَطْعاً شَنِعَا
وأَتَى مَا يَشْتَهِي لم يَثْنِهِ ... خِيفَةٌ أو حِفْظُ حَقٍّ ضَيَّعَا
لَو تَرَى الأَصْبَغَ مُلْقَى تَحْتَهُ ... مُسْتَكِيناً خَجِلاً، قد خَضَعَا
ولَهُ دَفْعٌ عَلَيْهِ عَجِلٌ ... شَبِقٌ شَاءَكَ مَا قد صَنَعَا[3]

(١) ثاوره: واثبه.
(٢) التِّكّة: رباط السّروال.
(٣) الشَّبق: الشديد الشهوة. شاءك: أحزنك.

فَـادْعُ بِـالأَصْـبَـغِ واعْـلَـمْ حَـالَـهُ ... سَـتَـرى أَمْـراً قـبـيـحـاً شَـنِـعـا

قال: فقال أبو الأصبغ ليحيى: فَعَلْتَها يابنَ الزَّانية؟ قال: لا والله فضرب بيده إلى تِكَّةِ ابنه، فرآها مقطوعة، وأيقن يحيى بالفضيحة، فتلكَّأ الغلام، فقال له يحيى: قد كان الَّذي كان، وسعى بي إليك مطيعٌ ابن الزانية، وهذا ابني وهو والله أَفْره[١] من ابنك، وأنا عربيّ ابن عربيّة وأنتَ نَبَطيٌّ ابن نَبَطِية، فنِكْ ابني عشر مرات مكان المرّة التي نِكْتُ ابنك، فتكونَ قد ربحْتَ الدّنانير، وللواحد عشرة. فضحك وضحك الجواري، وسكن غضبُ أبي الأصبغ، وقال لابنه: هات الدنانير يابن الفاعلة. فرمى بها إليه، وقام خَجِلاً، وقال يحيى: واللّه لا أُدْخِلَ مطيعٌ السّاعي ابن الزانية. فقال أبو الأصبغ وجواريه: والله لَيَدْخُلَنَّ، فقد نصَحَنا وغَشَشْتنا. فأدخلناه وجلس يشرب ومعهم يحيى يشتمهم بكلِّ لسان، وهو يضحك، والله أعلم.

أخبرني عمّي الحسن بن محمدٍ قال: حَدَّثنا الكُرَاني عن العُمَريّ عن العتبِيّ قال: حضر مطيع بن إياس وشُراعةُ بن الزندبوذ ويحيى بن زيادٍ ووالبة بن الحُبابِ وعبد الله بن العيّاشِ المنتوف وحمّاد عجرد، مَجلِساً لأميرٍ من أمراءِ الكوفةِ، فتكايدوا جميعاً عنده، ثم اجتمعوا على مطيع يكايدونه ويهجونه فغلبهم جميعاً، حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين وهما: [البسيط]

وخَـمْـسَـةٍ قـد أَبَـانُـوا لـي كِـيَـادَهُـمُ ... وقـد تَـلَـظَّـى لـهـمْ مِـقْـلًـى وطِـنْـجِـيـرُ[٢]
لـو يـقـدرونَ عـلـى لَـحْـمِـي لَـمَـزَّقَـهُ ... قِـرْدٌ وكـلـبٌ وجِـرْوَاهُ وخِـنْـزِيـرُ

أخبرني وكيعٌ عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمدِ بن الفضلِ قال: دخل صديق لمطيع بن إياس، فرأى غلاماً تحته ينيكه، وفوق مطيع غلام له يفعل كذلك، فهو كأنه في تخت[٣]، فقال له: ما هذا يا أبا سلمى؟ قال: هذه اللَّذَّة المضاعفة.

[حَمَّاد يُعرِّض بمطيع]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال: كان حمّادُ الراوية قد هجر مطيعاً لشيء بلغه عنه، وكان مطيع حَلَقياً، فأنشد شعراً ذات يوم وحماد حاضر، فقيل له: مَنْ يقول هذا يا أبا سلمى؟ قال: الحطيئة. قال حَمّاد: نعم هذا شعر

(١) الأفره: الأفضل في حُسْنِ وجهه.
(٢) الطّنجير: وعاء لصنع الحلوى المخبوصة.
(٣) التخت: صندوق تُحفظ فيه الثياب.

الحطيئة لمّا حضر الكوفة وصار بها حَلَقياً. يعرّض حماد بأنه كَذّاب، وأنه حَلَقِيّ، فأمسك مطيع عن الجواب وضحك.

حَدَّثني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حَدَّثني محمد بن إسحاق البغويّ قال: حَدَّثنا ابن الأعرابي عن الفضل قال: جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال: قد جئتك خاطباً. قال: لمن؟ قال: لِمودّتك. قال: قد أَنْكَحتكها وجعلت الصَّداق ألاّ تقبلَ فِيّ قولَ قائل؟

ويقال إن الأبيات التي فيها الغناء المذكور بِذكرها أخبار مطيع بن إياسٍ يقولها في جارية له يقال لها جُوْدانة كان باعها فندم، فذكر الجاحظ أن مطيعاً حلفَ أنها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كَتِفاها ومَأكمتاها[1]، فتدحرج تحتها الرمانَ فينفذ إلى الجانب الآخر. ويقال إنه قالها في امرأة من أبناء الدَّهاقين كان يهواها، وشعره يدلُّ على صحة هذا القول، والقول الأوّل غلط.

[بيعه جاريته جودانة وشوقه إليها]

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الأسديّ قال: حَدَّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالم قال: أخبرني مطيع بن إياس اللّيثيّ ـ وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجّاج بن يوسف ـ أنه كان مع سُلَم بن قتيبة، فلمّا خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسنِ بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ﷺ، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجلٍ على عمله والقدوم عليه في خاصَّتِه على البريد، قال مطيع: وكانت لي جارية يقال لها جُودانة كنتُ أُحبّها، فأمرني سَلَم بالخروج معه، فاضطررْتُ إلى بيع الجارية، فبعْتُها وندمْتُ على ذلك بعد خروجي وتمنّيتُ أن أكون أقمْتُ، وتتبَّعتْها نفسي، ونزلنا حلوان، فجلست على العقبة أنتظر ثَقَلي وعنانُ دابّتي في يدي وأنا مستندٌ إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أُخرى، فتذكّرت الجاريةَ واشتقْتُها وقلت: [الخفيف]

أَسْعِدَانِي يا نَخْلَتَيْ حُلْوانِ ... وابْكِيا لي من رَيْبِ هذا الزَّمَانِ

واعْلَمَا أنَّ رَيْبَهُ لم يَزَلْ يَفْـ ... ـرُق بينَ الأُلاَفِ والجِيرانِ

ولَعَمْرِي، لو ذُقْتُما أَلَمَ الفُرْ ... قَةِ أَبْكَاكُما الّذي أَبْكَاني

(١) المأكمة: لحمة على رأس الورك.

أَسْعِدَانِي وأيْقِنا أَنَّ نَحْساً سَوْفَ يَلْقَاكُما فتَفْتَرِقانِ
كم رَمَتْني صُروفُ هَذِي اللَّيَالِي بِفراقِ الأَحْبَابِ والخُلاَّنِ
غَيْرَ أَنِّي لم تَلْقَ نَفْسِي كَمَا لا قَيتُ من فُرْقَةِ ابْنَةِ الدُّهْقَانِ
جَارةٍ لي بالرَّيِّ تُذْهِبُ هَمِّي ويُسَلِّي دُنُوُّهَا أَحْزَانِي
فَجَعَتْنِي الأَيَّامُ، أغبطَ ما كنْـ ـتُ، بِصَدْعٍ لِلْبَيْنِ غَيْرَ مُدانِ
وبِرغمِي أَنْ أَصْبَحَتْ لا تراها الـ ـعينُ مِنِّي، وأَصْبَحَتْ لا تَرانِي
إنْ تَكُنْ وَدَّعَتْ فقد تَرَكَتْ بي لَهَباً في الضَّمِيرِ ليسَ بِوَانِ
كحريقِ الضِّرامِ في قَصَبِ الغَا بِ زَفَتْهُ رِيحَانِ تختلفانِ[1]
فعَلَيْكِ السَّلامُ مِنِّيَ ما سَا غَ سَلاماً عَقْلِي وفَاضَ لِسَانِي

هكذا ذكر أبو الحسن الأسديُّ في هذا الخبر وهو غلط.

نسخت خبر هذا من خطِّ أبي أيوب المدائني عن حماد، ولم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال: كانت لي بالرّي جارية أيام مُقامي بها مع سَلْم بن قتيبة، فكنْتُ أَتَسَتَّرُ بها، وكنتُ أتعشَّقُ امرأةً من بنات الدَّهاقين كنت نازلاً إلى جنبها في دار لها، فلمّا خرجْنا بِعْتُ الجارية وبقيتْ في نفسي علاقةٌ من المرأة التي كنت أهواها، فلما نزلنا عَقَبة حُلوان جلسْتُ مستنداً إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت:

أَسْعِداني يا نَخْلَتَيْ حُلْوانِ وارْثيا لي من رَيْبِ هذا الزَّمَانِ

وذكر الأبيات، فقال لي سَلْم: ويلك فيمن هذه الأبيات؟ أفي جاريتك؟ فاستحييتُ أن أصدُقَه فقلت: نعم، فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعها لي، فلم ألبَثْ أن ورد كتابه: إنّي وجدْتُها قد تداولها الرجال، فقد عزفَتْ نفسي عنها. فأمر لي بخمسة آلاف درهم، ولا واللَّه ما كان في نفسي منها شيء، ولو كنت أحبّها لم أُبالِ إذا رَجَعَتْ إليّ بمن تداولها، ولم أُبالِ لو ناكها أهلُ مِنَى كلُّهم.

أخبرني عَمّي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن الفضل الهاشميّ عن سلام الأبرش قال: لمَّا خرج الرشيد إلى طُوس[2] هاج به الدّم بِحُلوان، فأشار عليه الطّبيب أنْ يأكل جُمَّاراً[3]، فأحضر

(١) زفته: طردته واستخفته.
(٢) طُوس: مدينة بخراسان فتحت أيام عثمان بن عفان (معجم البلدان ٤/ ٤٩).
(٣) الجُمّار: شحم النخل.

دُهقان حلوان وطلب منه جُمَّاراً، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل، ولكن على العقبة نخلتان، فَمُرْ بقطع إحداهما. فقطعت، فأُتِيَ الرشيدُ بجُمَّارتها، فأكل منها وراح[1]. فلمّا انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأُخرى قائمة، وإذا على القائمة مكتوب:

أَسْعِدانِي يا نَخْلَتَيْ حُلْوانِ ... وابْكِيا لي من ريْبِ هذا الزَّمَانِ
أَسْعِدَانِي وأَيْقِنا أَنَّ نَحْساً ... سَوْفَ يَلْقَاكُما فتفترقانِ

فاغتمَّ الرشيد، وقال: يعزُّ عليّ أن أكون نَحْسَتُكما، ولو كنْتُ سمعْتُ بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا الحارثي بن أبي أسامة قال: حَدَّثني محمد بن أبي محمد القيسيّ عن أبي سمير عبد الله بن أيوب قال: لمّا خرج المهدي فصار بعقبة حُلوان استطاب الموضعَ فتغدَّى ودعا بحسنةَ فقال لها: أما ترينَ طِيبَ هذا الموضع؟ غَنِّيني بحياتي حتى أشربَ ها هنا أقداحاً، فأخذتْ مِحكّةً كانت في يده وأوقعتْ على مِخَدّة[2] وغنَّته: [الطويل]

أَيَا نَخْلَتَيْ وَادِي بُوَانَةَ حَبَّذا ... إذا نَامَ حُرَّاسُ النَّخِيلِ، جَنَاكُما[3]

فقال: أحسنْتِ، ولقد هَمَمْتُ بقطع هاتين النخلتين - يعني نخلتي حلوان - فمنعني منهما هذا الصوتُ. وقالت له حسنة: أُعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحسَ المفرِّق بينهما. فقال لها: وما ذاك؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه، فلما بلغت قوله: [الخفيف]

أَسْعِدَانِي وأَيْقِنا أَنَّ نَحْساً ... سَوْفَ يَلْقَاكُما فتفترقانِ

قال: أحسنْتِ واللّه فيما قلْتِ، إذ نَبَّهْتِني على هذا، والله لا أقطعهما أبداً، ولأُوكلَنّ بهما مَنْ يحفظهما ويسقيهما ما حَيِيتُ. ثم أمر بأن يُفعَل، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات.

---

(١) راح: ارتاح ونشط.
(٢) في معجم البلدان ٢: ٢٩٣: «على فخذه».
(٣) بُوانة: اسم لعدة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ١/ ٥٠٦).

نسبة هذا الصوت الذي غنَّته حسنة [الطويل]

أَيَـا نَـخْـلَـتَـيْ وَادِي بُـوَانَـةَ حَـبَّـذا ... إذا نَـامَ حُـرَّاسُ الـنَّـخِـيـلِ، جَـنَـاكُـمـا
فَطِيبكُما أَرْبَى على النَّخْلِ بَهْجَةً ... وزَادَ عـلـى طُـولِ الـفَـتَـاءِ فَـتَـاكُـمـا[1]

يقال إن الشعر لِعُمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وفيه لعطرد رمل بالوسطى من روايته ورواية الهشاميّ.

أخبرني عَمّي عن أحمد بن طاهر عن الخرّاز عن المدائنيّ أن المنصور اجتاز بنخلتي حُلْوان وكانت إحداهما على الطريق، فكانت تُضَيِّقه وتزحم الأثقال عليه، فأمر بقطعهما، فأُنشِدَ قولَ مطيع: [الخفيف]

واعْـلَـمَـا مـا بَـقِـيـتُـمـا أنّ نَـحْـسـاً ... سَـوْفَ يَـلْـقَـاكُـمـا فَـتَـفْـتَـرِقَـانِ

قال: لا والله ما كنت ذلك النّحس الذي يفرّق بينهما، وتركهما.

وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جده إسماعيل بن داود أن المهدي قال: قد أكثر الشعراء في نخلَتَيْ حُلْوان ولهممْتُ أن آمر بقطعهما. فبلغ قولُه المنصورَ، فكتب إليه: «بلغني أنك هممت بقطع نخلتي حلوان. ولا فائدة لك في قطعهما، ولا ضرر عليك في بقائهما، فأنا أعيذكَ بالله أن تكون النّحْسَ الذي يلقاهما، فتفرّق بينهما». يريد قول مطيع.

ومما قالت الشعراء في نخلتي حلوان قول حمّاد عجرد، وفيه غناء قد ذكرْتُه في أخبار حماد: [الخفيف]

جَـعَـلَ الـلّـهُ سِـدْرَتَـيْ قَـصـرِ شِـيـريـ ... ـنَ فِـدَاءً لِـنَـخْـلَـتَـيْ حُـلْـوَانِ[2]
جِـئْـتُ مُـسْـتَـسْـعِـداً فـلـم تُـسْـعِـدَانـي ... ومُـطِـيـعٌ بَـكَـتْ لـه الـنَّـخْـلَـتَـانِ

وأنشدني جحظةُ ووكيعُ عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء ولم يُسَمِّه: [الخفيف]

أَيُّـهـا الـعَـاذِلاَنِ لا تَـعْـذِلانِـي ... ودَعَـانـي مِـنَ الـمَـلام دَعَـانِـي
وابْـكِـيَـا لـي فَـإِنَّـنـي مُـسْـتَـحِـقٌّ ... مِـنْـكُـمـا بِـالـبُـكَـاءِ أن تُـسْـعِـدانـي
إنَّـنـي مـنـكُـمـا بـذلـكَ أَوْلَـى ... مِـنْ مُـطِـيـعٍ بِـنَـخْـلَـتَـيْ حُـلْـوانِ

---

(١) الفتاء: الشباب.
(٢) السِّدْرة: شجرة النبق.
وقصر شيرين: بين حلوان وهمذان. فيه أبنية عظيمة ضخمة (معجم البلدان ٤/ ٣٥٨).

فـهـمـا تَـجْـهَـلانِ مـا كَـانَ يَـشْـكُـو   مِــنْ هَــوَاهُ وأَنْــتُـمَـا تـعْـلَـمَــانِ

وقال فيهما أحمد بن إبراهيم الكاتبُ في قصيدة: [الخفيف]

وكَــذَاكَ الــزَّمَــانُ لَـيْـسَ وإنْ أَلَّــ   فَ يَـبْـقَـى عـلـيـه مُـؤْتَـلِـفَـانِ

سَـلَـبَـتْ كَـفُّـهُ الـغَـرِيَّ أخـاه   ثـم ثَـنَّـى بِـنَـخْـلَـتَـيْ حُـلْـوَانِ[1]

فَـكَـأَنَّ الـغَـرِيَّ قـد كَـانَ فَـرداً   وكَـأَنْ لـم تُـجَـاوِرِ الـنَّـخْـلَـتَـانِ

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدَّثنا أحمد بن زهير قال: حَدَّثني مصعب الزّبيري عن أبيه قال: جلس مطيع بن إياس في العلّة التي مات فيها في قبّة خضراء وهو على فُرُش خضر، فقال له الطبيب: أي شيء تشتهي اليوم؟ قال: أشتهي ألاّ أموت. قال: ومات في عِلَّته هذه، وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي.

قال أبو الفرج: ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع، قال:

صوت

[مجزوء الوافر]

أَمَــرَّ مُــدامــةً صِــرْفــاً   كَــأَنَّ صَــبِـيـبَـهـا وَدَجُ[2]

كَـأَنَّ الْـمِـسْـكَ نَـفْـحَـتُـهـا   إذا بُــزِلَــتْ لــهــا أَرَجُ

فَــظَــلَّ تَــخَــالُــهُ مَـلِـكـاً   يُــصَــرِّفُــهــا ويَــمْــتَــزِجُ

الغناء لإبراهيمَ، ثاني ثقيل بالخنصر والوسطى عن ابن المكي. وفيه لحن آخرُ لابن جامع. وهذه الطريقةُ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

صوت

[مجزوء الكامل]

جُـدِلَـتْ كَـجَـدْلِ الـخَـيْـزَرَا   نِ وثُـنِّـيَـتْ فَـتَـثَـنَّـتِ

وَتَـيَـقَّـنَـتْ أَنَّ الـفُـؤَا   دَ يُـحِـبُّـهـا فَـأَدَلَّـتِ[3]

الغناء لعبد الله بن عباس الربيعي خفيف رمل، وذكر حبش أنه لمقامة.

---

(١) الغَرِيّ: واحد الغريين: هما بناءان مشهوران بالكوفة (معجم البلدان ٤/١٩٦).

(٢) المدامة: الخمر. والصِّرْف: الصافية. والوَدَج: عِرق في العنق.

(٣) أَدَلَّتْ: تدلّلَتْ.

صوت

[الخفيف]

أيُّها المُبْتَغِي بِلَوْمي رَشَادِي ... أَلْهُ عَنِّي فَمَا عليكَ فَسَادي
أَنْتَ خِلْوٌ مِنَ الّذي بي وما يَعْـ ... ـلَمُ مَا بِي إلاَّ القَرِيحُ الفُؤادِ[١]

الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابه ورواية الهشامي.

صوت

[الطويل]

أَلاَ إنَّ أهْلَ الدَّارِ قد وَدَّعُوا الدَّارَا ... وقد كَانَ أَهْلُ الدَّارِ في الدَّارِ أَجْوَارا[٢]
يُبَكِّي على إِثْرِ الجَمِيعِ فلا يَرَى ... سِوَى نَفْسَهُ فيها مِنَ القَوْمِ دَيَّارا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وذكر ابن المكي أن فيه لابن سُرَيج لَحْناً من الثقيل الأوّل بالبنصر.

انقضت أخبار مطيع ولله الحمد

صوت

[المنسرح]

فِيَّ انْقِبَاضٌ وحِشْمَةٌ فَإذا ... صَادَفْتُ أَهْلَ الوَفَاءِ والكَرَمِ
أَرسَلْتُ نَفْسِي على سَجِيَّتِها ... وقُلْتُ ما قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

الشعر لمحمد بن كُناسة الأسديّ، والغناء لقلم الصّالحية، ثقيل أوّل بالوسطى، وذكر ابن خرداذبه أن فيه لإسماعيل بن صالح لحناً.

---

(١) القريح: الجريح.

(٢) الأجوار: جمع الجار: الجيران.

أخبار محمد بن كُنَاسة ونسبه

[اسمه ونسبه ورأيه بخاله إبراهيم بن أدهم]

هو محمد بنُ كُناسةَ، واسم كُناسة عبدُ الله بن عبد الأعلى بن عُبيد الله بن خليفة بن زهير بن نَضلة بن أُنَيف بن مازن بن صهبان ـ واسم صهبان كعب ـ بن دويبةَ بن أُسامة بن نصر بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة؛ ويكنى أبا يحيى. شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية، كوفيّ المولد والمنشأ، قد حُمِلَ عنه شيء من الحديث؛ وكان إبراهيمُ بن أدهم الزَّاهد خالَه، وكان امْرَأً صالحاً لا يَتَصَدَّى لِمدح ولا لهجاء؛ وكانت له جارية شاعرة مغنّية يقال لها دنانير؛ وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر.

أخبرني محمدُ بن خلف وكيعٌ قال: حَدَّثني إبراهيمُ بن أبي عثمان قال: حَدَّثني مصعب الزُّبيري قال: قلت لمحمد بن كناسة الأسدي ونحن بباب أمير المؤمنين: أأنتَ الّذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد: [الطويل]

رَأَيْتُكَ ما يُغْنِيكَ ما دُونَهُ الغِنَى ... وقد كَانَ يُغْنِي دُونَ ذَاكَ ابْنَ أَدْهَما

وكانَ يَرَى الدُّنْيَا صَغِيراً عَظِيمُها ... وكانَ لِحَقِّ اللَّهِ فيها مُعَظِّما

وأكْثَرُ ما تَلْقَاهُ في القَوْمِ صَامِتاً ... فَإنْ قَالَ بَذَّ القَائِلِينَ وأَحْكَما[1]

فقال محمد بن كناسة: أنا قلتها وقد تركْتَ أجودها. فقال:

أَهَانَ الهَوَى حَتَّى تَجَنَّبَهُ الهَوَى ... كما اجْتَنَبَ الجَانِي الدَّمَ الطَّالبَ الدَّمَا

(١) بَذَّ: غلبَ وفَاقَ.

[بعض أخباره وأقواله وتعريضه بزوجته]

أخبرني محمدُ بن خلف بنِ المرزُبان قال: حَدَّثني عليّ بن مسرور العَتَكيّ قال: حَدَّثني أبي قال: قال ابن كناسة: لقد كُنْتُ أتحدَّث بالحديث فلو لم يجدْ سَامِعُه إلاَّ القُطْنَ الَّذي على وجهِ أمّه في القبر لَتَعلَّل عليه حتى يستخرجَه ويهديَه إليّ، وأنا اليوم أتحدثُ بذلك الحديث فما أفرغُ منه حتى أُهَيِّىءَ له عذراً.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان إجازةً قال: حَدَّثنا ابن أبي سعد قال: حَدَّثني عبيد الله بن يحيى بن فَرْقَدٍ قال: سمعت محمد بن كناسة يقول: كنتُ في طريق الكوفة، فإذا أنا بجُوَيْرِيةٍ[1] تلعب الكِعاب[2] كأنها قضيب بانٍ، فقلت لها: أنتِ أيضاً لو ضِعْتِ لقالوا ضاعت جارية، ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدقَ. فقالت: ويلي عليك يا شيخ! وأنت أيضاً تتكلّم بهذا الكلام؟ فكُسِفْتُ والله إلى بالي ثم تراجعت فقلت: [الطويل]

وإنِّـي لَـحُـلْـوٌ مَـخْـبَـرِي إن خَـبِـرْتِـنـي ... ولَكِنْ يُغَطِّينِي ولا رَيْبَ بي شَيَخْ[3]

فقالت لي وهي تلعب وتبسَّمَت: فما أَصْنَعُ بك أنا إذاً؟ فقلْتُ: لا شيء. وانصرفتُ.

أخبرني ابن المرزُبان قال: حَدَّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر[4]: [الوافر]

إذا الـجَـوْزَاءُ أَرْدَفَـتِ الـثُّـرَيَّـا ... ظَـنَـنْـتُ بِـآلِ فَـاطِـمَـةَ الـظُّـنُـونَـا

فقال: يقول إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي تُرى فيه الثّريّا خِفْتُ تَفَرُّقَ الحيّ من مجمعهم؛ والثريّا تطلعُ بالغداة في الصيف، والجوزاء تطلعُ بعد ذلك في أوّل القيظ.

أخبرني ابن المرزبان قال: حَدَّثني ابن أبي سعد قال: حَدَّثني صالح بن

---

(١) الجويرية: تصغير الجارية.
(٢) الكِعاب: جمع الكَعْب: العظم الذي يلعب به.
(٣) شَيَخ: شيخوخة.
(٤) هو خزيمة بن مالك بن نهد كما في اللسان (ردف).

أحمد بن عباد قال: مَرَّ محمّد بن كناسة في طريق بغدادَ، فنظر إلى مصلوب على جِذْعٍ، وكانت عنده امرأة يبغضُها، وقد ثقل عليه مكانُها، فقال يَعْنيها: [الطويل]

أَيَا جِذْعَ مَصْلُوبٍ أَتَى دُونَ صَلْبِهِ ثَلاثُونَ حَوْلاً كَامِلاً هَلْ تُبَادِلُ؟
فَمَا أَنْتَ بِالحِمْلِ الَّذي قد حَمَلْتَهُ بِأَضْجَرَ مِنّي بِالَّذِي أَنَا حَامِلُ

أخبرني ابن المرزبانِ قال: حَدَّثنا عبد الله بن محمد وأخبرني الحسن بن علي عن ابن مهْرويْه عن محمد بن عمران عن عُبيد بن حسن قال: رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيده بطْنَ شاة، فقال: هاته أحمِلْه عنك. فقال: لا. ثم قال: [الرجز]

لا يَنْقُصُ الكَامِلَ مِنْ كَمَالِهِ مَا جَرَّ مِنْ نَفْعٍ إلى عِيَالِهِ

[فهم دنانير وسرعة بديهتها]

أخبرني وكيعٌ قال: أخبرني ابن أبي الدّنيا قال: حَدَّثني محمد بن علي بن عثمان عن أبيه قال: كنت يوماً عند ابن كناسة، فقال لنا: أعرّفُكم شيئاً من فهم دنانير؟ يعني جاريته. قلنا: نعم. فكتب إليها: «إنَّكِ أَمَةٌ ضَعِيفةٌ لَكْعَاءُ[1]، فإذا جاءكِ كتابي هذا فَعَجِّلي بِجوابي. والسلام». فكتبت إليه: «ساءني تَهْجِينُك إياي عند أبي الحسين[2]، وإنّ من أعيا العيّ الجوابَ عما لا جواب له. والسلام».

أخبرني وكيعٌ قال: أخبرني ابن أبي الدّنيا قال: كتب إليّ الزبيرُ بن بَكّار أخبرني عليّ بن عثمان الكِلابيُّ قال: جئت يوماً إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجدْه، ووجدْتُ جاريتَه دنانيرَ جالسة، فقالت لي: ما لكَ محزوناً يا أبا الحسين؟ فقلْتُ: رَجَعْتُ من دفْنِ أخٍ لي من قريش. فسكتتْ ساعة ثم قالت: [الوافر]

بَكَيْتَ على أَخٍ لَكَ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَبْكَانَا بُكَاؤُكَ يا عَلِيُّ
فَمَاتَ وما خَبَرْنَاهُ ولَكِنْ طَهَارةُ صَحْبِهِ الخُبْرُ الجَلِيُّ

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف قال: حَدَّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال: حَدَّثني محمد بنِ عمران الضبيّ قال: أَمْلَقَ محمد بن كناسة فلامه قومُه في

(١) اللَّكعاء: اللئيمة.
(٢) التهجين: التقبيح، وأبو الحسين: كنية علي بن عثمان.

القعود عن السّلطان وانتجاعِه الأشرافَ بأدبِه وعلمِه وشعرِه، فقال لهم مجيباً عن ذلك: [الطويل]

تُؤَنِّبُني، أَنْ صُنْتُ عِرْضِي، عِصَابَةٌ لها بَيْنَ أَطْنَابِ اللِّئَام بَصِيصُ[1]
يقولونَ لو غَمَّضْتَ لأَزْدَدْتَ رِفْعَةً فَقُلْتُ لَهُمْ إِنِّي إذنْ لَحَرِيصُ[2]
أَتَكْلِمُ وَجْهِي لا أَبَا لأَبِيكُمُ مَطَامِعُ عَنْها لِلْكِرَام مَحِيصُ[3]
مَعَاشِي دُوَيْنَ القُوتِ والعِرْضُ وَافِرٌ وبَطْنِيَ عَنْ جَدْوَى اللِّئَامِ خَمِيصُ[4]
سَأَلْقَى المَنَايَاَ لم أُخَالِطْ دَنِيَّةً ولم تَسْرِ بي في المُخْزِيَاتِ قَلُوصُ[5]

حَدَّثنا الحسن بن علي قال: حَدَّثني ابن مهرويه قال: حَدَّثني محمد بن عمر الجرجاني قال: حَدَّثني إسحاق الموصلي قال: أنشدني محمد بن كناسة لنفسه قال: [المنسرح]

فِيَّ انْقِبَاضٌ وحِشْمَةٌ فَإِذا صَادَفْتُ أَهْلَ الوَفَاءِ والكَرَمِ
أَرْسَلْتُ نَفْسِي على سَجِيَّتِها وقُلْتُ ما قُلْتُ غيرَ مُحْتَشِمِ[6]

قال إسحاق: فقلت لابن كناسة: وَدِدْتُ أنه نقصَ من عمري سنتان وأني كنت سبقتُك إلى هذين البيتين فقلتهُما.

[رثاؤه إبراهيم بن أدهم]

حَدَّثني الحسن قال: حَدَّثنا ابن مهرويه قال: حَدَّثني محمد بنِ عمران الضّبيّ قال: حَدَّثني محمد بن المِقدام العِجْليّ قال: كانت أم محمد بن كناسةَ امرأةً من بني عجل، وكان إبراهيم بن أدهمَ خالَه أو ابنَ خالِه، فحَدَّثني ابن كناسة أنَّ إبراهيمَ بن أدهمَ قدم الكوفة فوجّهت أمُّه إليه بهديّة معه، فقبِلها ووهَبَ له ثوباً، ثم مات إبراهيم، فرثاه ابن كناسة فقال: [الطويل]

رَأَيْتُكَ ما يَكْفِيكَ ما دُونَهُ الغِنَى وقد كَانَ يَكْفِي دونَ ذَاكَ ابْنَ أَدْهَمَا

---

(١) العصابة: الجماعة من الرجال. والأطناب: جمع الطُّنُب: هو حبل الخباء. والبصيص: البريق.
(٢) غمّض عن الإساءة وغيره: أغضى.
(٣) المَحِيص: المهرب.
(٤) الجدوى: العطيّة. والخميص: الضامر.
(٥) القلوص من الناقة: الشابّة الفتية.
(٦) على سجيّتها: على طبيعتها.

وكَانَ يَرَى الدُّنْيَا قَلِيلاً كَثِيرُها ... فَكَانَ لأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا مُعَظِّما
أَمَاتَ الهَوَى حتى تَجَنَّبَهُ الهَوَى ... كَمَا اجْتَنَبَ الجَانِي الدَّمَ الطَّالِبَ الدَّمَا
ولِلْحِلْمِ سُلطانٌ على الجَهْلِ عِنْدَهُ ... فَمَا يَسْتَطِيعُ الجَهْلُ أَنْ يَتَرَمْرَما[1]
وأَكْثَرُ مَا تَلْقَاهُ في القَوْمِ صَامِتاً ... وإنْ قَالَ بَذَّ القَائِلِينَ وأَحْكَمَا
يُرَى مُسْتَكِيناً خَاضِعاً مُتَواضِعاً ... ولَيْثاً إذا لاَقَى الكَتِيبَةَ ضَيْغَمَا
على الجَدَثِ الغَرْبِيِّ مِنْ آلِ وَائِلٍ ... سَلامٌ وَبِرٌّ مَا أَبَرَّ وأَكْرَمَا

[ردّه على عتاب صديقه، ورأيه في الدنيا]

أخبرني الحسن قال: حَدَّثنا ابن مهرويه قال: حَدَّثني زكريا بن مهران قال: عاتَب محمدَ بنَ كناسةَ صديقٌ له شريفٌ كان ابنُ كناسةَ يزوره ويألفُه على تأخّره عنه، فقال ابن كناسة: [الطويل]

ضَعُفْتُ عَنِ الإخوانِ حَتَّى جَفَوْتُهُمْ ... على غَيْرِ زُهْدٍ في الوَفَاءِ ولا الوُدِّ
ولَكِنَّ أَيَّامِي تَخَرَّمْنَ مُنَّتِي ... فَمَا أَبْلُغُ الحَاجَاتِ إلاَّ على جَهْدِ[2]

حَدَّثني الحسنُ بن عليّ قال: حَدَّثنا ابن مهرويه قال: حَدَّثني محمد بن عمران الضَّبِّيُّ قال: أنشدني ابن كناسة ـ قال الضَّبِّيُّ: وكان يحيى يستحسنها ويعجب بها ـ: [الطويل]

ومِنْ عَجَبِ الدُّنْيَا تَبقِّيكَ لِلبِلَى ... وأَنَّكَ فِيهَا لِلْبَقَاءِ مُرِيدُ
وأَيُّ بَنِي الأَيَّام إلاَّ وعِنْدَهُ ... مِنَ الدَّهْرِ ذَنْبٌ طَارِفٌ وتَلِيدُ
ومَنْ يَأْمَنِ الأَيَّامَ أَمَّا انْبِيَاعُهَا ... فَخَطْرٌ وأَمَّا فَجْعُهَا فَعَتِيدُ[3]
إذا اعْتَادَتِ النَّفْسُ الرِّضَاعَ مِنَ الهَوَى ... فَإنَّ فِطَامَ النَّفْسِ عَنْهُ شَدِيدُ

حَدَّثني الحسن قال: حَدَّثنا ابن مهرويه قال: حَدَّثني محمد بن عمران الضّبيّ قال: قال لي عُبَيد بنُ الحسن: قال لي ابنُ كناسة ذات يوم في زمن الربيع: اخْرُجْ بنا ننظر إلى الحِيرةِ فإنها حسنة في هذا الوقت. فخرجْتُ معه حتى بلغنا الخورنق[4]، فلم يزلْ ينظر إلى البرِّ وإلى رياض الحيرة وحمرة

(١) ترمرم: تحرّك للكلام ولكنه لم يتكلّم.
(٢) تَخَرَّم: تقطّع. والمُنَّة: القوّة.
(٣) الأنبياع: الوثوب بعد سكون.
(٤) الخورنق: قصر بظهر الحيرة (معجم البلدان ٢/ ٤٠١).

الشقائق، فأنشأ يقول: [الكامل]

الآنَ حِينَ تزيّن الظَّهر ... مَيثاؤه وبِرَاقُهُ العُفْرُ(١)
بَسطَ الرَّبيعُ بها الرِّيَاضَ كما ... بُسِطَتْ قُطُوعَ اليَمْنَةِ الخمْرُ(٢)
بَرِّيَّةٌ في البَحْرِ نَابِتَةٌ ... يُجْبَى إليها البَرُّ والبَحْرُ
وجَرَى الفُرَاتُ على مَيَاسِرِهَا ... وجَرَى على أَيْمَانِها الزَّهْرُ
وبَدَا الخَوَرْنَقُ في مَطَالِعها ... فرداً يَلُوحُ كَأَنَّه الفَجْرُ
كَانَتْ مَنَازِلَ لِلمُلُوكِ ولَمْ ... يُعْلَمْ بها لِمُمَلَّكٍ قَبْرُ

قال: ثم قال يصفُ تلك البلاد: [مجزوء الرمل]

سَفُلَتْ عَنْ بَرْدِ أَرْضٍ ... زَادَها البَرْدُ عَذَابا
وعَلَتْ عن حَرٍّ أُخْرَى ... تُلْهِبُ النَّارَ الْتِهَابَا
مُزِجَتْ حِيناً بِبَرْدٍ ... فَصَفَا العَيْشُ وطَابَا

[نصحه لابنه]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصَّيْرفيُّ قال: حَدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال: حَدَّثني إسحاق بن محمد الأسديّ قال: حَدَّثني عبد الأعلَى بنُ محمد بن كناسة قال: رآني أبي مع أحْداثٍ لم يرضَهُم، فقال لي: [مجزوء الكامل]

يُنْبِيكَ عَنْ عَيْبِ الفَتَى ... تَرْكُ الصَّلاَة أو الخَدِينُ
فإذا تَهَاوَنَ بالصَّلا ... ةِ فَما لَهُ في النَّاسِ دِينُ
ويُزَنُّ ذو الحَدَثِ المُرِيـ ... ـبِ بِمَا يُزَنُّ به القَرِينُ(٣)
إنَّ العَفِيفَ إذا تَكَنَّـ ... ـفَهُ المرِيبُ هو الظَّنِينُ

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاقُ قال: حَدَّثني ابن مهرويه قال: حَدَّثني أحمد بن خَلاَّد قال: أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة ـ قال: كان محمد بن كناسة عمّ أبيه ـ قال: كان يجيءُ إلى محمّد بن كناسة رجل من عشيرتِه فيجالسه، وكان يكتب الحديث ويتفقّه ويظهر أدباً ونُسكاً؛ وظهر محمد بن كناسة

---

(١) الميثاء: الأرض السهلة. والبِراق: جمع البرقاء: الأرض الغليظة المختلطة بحجارة ورمل.
(٢) قطوع اليمنة: بسط اليمن.
(٣) يُزَنُّ: يُتَّهَم.

منه على باطنٍ يخالف ظاهرَه، فلمّا جاءه قال له: [الكامل]

مَا مَنْ رَوَى أَدَباً فلم يَعْمَلْ به ... ويَكُفُّ عَنْ دَفْعِ الهَوَى بِأَدِيبِ
حَتَّى يَكُونَ بِمَا تَعَلَّمَ عَامِلاً ... مِنْ صَالِحٍ فيكونَ غَيْرَ مَعِيبِ
ولَقَلَّمَا يُغْنِي إِصَابَةُ قَائِلٍ ... أَفْعَالُهُ أَفْعَالُ غَيْرِ مُصِيبِ

[خبره مع طبيبة بني أود]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حَدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جده قال: أتيْتُ امرأةً من بني أَوْدٍ تكحلُني من رمدٍ كان أصابني، فكحلتني ثم قالت: اضطجعْ قليلاً حتى يدور الدّواء في عينك، فاضطجعت، ثم تمثلت قول الشاعر: [الطويل]

أَمُخْتَرِمي رَيْبُ المَنُونِ ولم أَزُرْ ... طَبِيبَ بَنِي أَوْدٍ على النَّأْيِ زَيْنَبا[1]

فضحكتُ ثم قالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قلْتُ: لا والله. فقالت: فِيَّ واللَّه قِيلَ، وأنا زينبُ التي عناها، وأنا طبيب أَوْد، أفتدري من الشاعر؟ قلت: لا. قالت: عَمُّكَ أبو سماك الأسديّ.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاقُ قال: حَدَّثنا الزبيرُ بن بكّار قال: أخبرني عليّ بن عَثّام الكلابيُّ قال: كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنّية، يقال لها دنانير، وكان له صديق يكنى أبا الشَّعْثاء، وكان عفيفاً مزّاحاً، فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرّض لها بأنه يهواها، فقالت فيه: [الرمل]

لأَبِي الشَّعْثَاءِ حُبٌّ بَاطِنٌ ... لَيسَ فيه نَهْضَةٌ لِلمُتَّهِمْ
يَا فُؤَادِي فَازْدَجِرْ عَنْهُ ويَا ... عَبَثَ الحُبُّ به فَاقْعُدْ وقُمْ
زَارَنِي مِنْهُ كَلامٌ صَائِبٌ ... وَوَسِيلاتُ المُحِبِّينَ الكَلِمْ[2]
صَائِدٌ تَأْمَنُهُ غِزْلانُهُ ... مِثْلَ ما تَأْمَنُ غِزْلانُ الحَرَمْ
صَلِّ إنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُعْطَى المُنَى ... يَا أَبَا الشَّعْثَاءِ لِلَّهِ وصُمْ
ثُمَّ مِيعَادُكَ يَوْمَ الحَشْرِ في ... جَنَّةِ الخُلْدِ إنِ اللَّهُ رَحِمْ
حَيْثُ أَلْقَاكَ غُلاماً نَاشِئاً ... يَافِعاً قد كَمُلَتْ فيه النِّعَمْ

---

(١) اخترمه: أهلكه. وريب المَنون: حوادث الدهر ومصائبه.

(٢) الكَلِمُ: جمع الكلمة.

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدّبُ قال: حَدَّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: حَدَّثنا أحمد بن محمد الأسديّ قال: حَدَّثني جدي موسى بن صالح قال: ماتت دنانير جارية ابن كُناسة، وكانت أديبةً شاعرة، فقال يرثيها بقوله:

[المنسرح]

الحَمْدُ لِلَّهِ لا شَرِيكَ لَهُ ... يَا لَيْتَ ما كَانَ مِنْكِ لم يَكُنِ
إنْ يَكُنِ القَوْلُ قَلَّ فِيكِ فَمَا ... أفْحَمَنِي غَيْرُ شِدَّةِ الحَزَنِ[1]

[بعض الأحاديث التي رواها]

قال أبو الفرج: وقد روى ابن كناسة حديثاً كثيراً، وروى عنه الثقاتُ من المحدّثين؛ فمِمَّنْ روى ابن كناسة عنه سليمانُ بنُ مهران الأعمش، وإسماعيلُ بنُ أبي خالد، وهشام بن عُروة بن الزُّبير، ومِسْعَر بن كِدام، وعبد العزيز بن أبي داود، وعُمَر بن ذر الهمْداني، وجعفر بن بُرْقان، وسفيان الثَّوْري، وفِطْر بن خليفة ونظراؤهم.

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حَدَّثنا محمد بنُ سعد العوفِيّ قال: حَدَّثنا محمد بن كناسة قال: حَدَّثنا الأعمشُ عن شقيق بن سَلَمة عن أبي موسى الأشعريّ قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ الرَّجلَ يحبُّ القومَ ولم يَلحَقْ بهم. قال: «**المرء مع مَنْ أَحَبَّ**».

أخبرني الحسن قال: حَدَّثنا محمد بن سعد قال: حَدَّثنا محمد بن كناسة قال: حَدَّثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول اللهﷺ: «**خير نسائها مريمُ بنتُ عمران، وخيرُ نسائنا خديجةُ**». والله أعلم.

أخبرني الحسن قال: حَدَّثنا محمد بن سعد قال: حَدَّثنا ابن كناسة قال: حَدَّثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زِرّ بن حُبَيْش قال: كانت في أبيّ بن كعب شراسةٌ، فقلت له: يا أبا المنذر، اخْفِضْ[2] جناحك يَرْحَمْكَ اللَّهُ، وأخبرنا عن ليلة القدر. فقال: هي ليلة سبع وعشرين. وقد روى حديثاً كثيراً ذكرت منه هذه الأحاديث فقط، ليعلم صحّة ما حكيته عنه، وليس استيعاب هذا الجنس مِمّا يصلُح هاهنا.

---

(١) أفحمني: أسكتني.
(٢) اخفض جناحكَ: تواضعْ وارفق بالغير.

أخبار قلم الصّالحيّة

[قلم الصالحية وإعجاب الواثق بها]

كانتْ قلمُ الصَّالِحيَّة جاريةً مُوَلَّدَة صفراءَ حُلوةً حَسَنَةَ الغناء والضَّرب حاذقةً، قد أخذت عن إبراهيمَ وابنهِ إسحاق، ويحيى المكيّ، وزُبَيْر بن دحْمان. وكانت لصالح بن عبد الوهّاب أخِي أحمد بن عبد الوهّاب كاتب صالح بن الرّشيد، وقيل: بل كانت لأبيه. وكانت لها صنْعَةٌ يسيرة نحو عشرين صوتاً، واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار.

فأخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال: حَدَّثني رذاذُ أبو الفضل المُغنّي مولى المتوكّل على الله، قال: حَدَّثني أحمد بن الحسين بن هشام، قال: كانت قلمُ الصَّالحيّة جاريةُ صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنّيات المحسِنات المتقدّمات، فَغُنِّيَ بين يدي الواثق لَحْنٌ لها في شعر محمد بن كناسة، قال: [المنسرح]

فِيَّ انْقِبَاضٌ وَحِشْمَةٌ فَإذا صَادَفْتُ أَهْلَ الوَفَاءِ والكَرَمِ

أَرْسَلْتُ نَفْسِي على سَجِيَّتِها وقُلْتُ ما قُلْتُ غيرَ مُحْتَشِمِ

فسأل: لمن الصّنعة فيه؟ فقيل: لقلم الصّالحية جاريةِ صالح بن عبد الوهّاب. فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيّات فأحضره. فقال: ويلك! من صالحُ بن عبد الوهاب هذا؟ فأخبره. قال: أين هو؟ قال: إبعث فأشخِصْه وأشخِصْ معه جاريتَه. فَقَدِما على الواثق، فدخلت عليه قلم، فأمرها بالجلوس والغناء، فغنّت، فاستحسنَ غِناءها وأمرَ بابتياعها. فقال صالح: أبيعها بمائة ألف دينارٍ وولايةِ مصر. فغضِبَ الواثق من ذلك، وردّ عليه. ثمّ غنى بعد ذلك زُرْزُورٌ الكبيرُ في مجلس الواثق

صوتاً، الشعر فيه لأحمدَ بن عبد الوهاب أخِي صالح، والغناء لِقَلَم، وهو: [الوافر]

أَبَــتْ دَارُ الأَحِــبَّــةِ أَنْ تَــبِــيــنَــا أَجِــدَّكَ مــا رَأَيْــتَ لــهــا مُــعِــيــنَــا[١]؟
تَــقَــطَّــعُ نَــفْــسُــهُ مِــنْ حُــبِّ لَــيْــلَــى نُــفُــوسـاً مَــا أُثِــبْــنَ ولا جُــزِيــنَــا

فسأل: لِمن الغناء؟ فقيل: لقلم جاريةِ صالح. فبعث إلى ابن الزيَّات: أَشخِصْ صالحاً ومعه قلم. فلمّا أشخصهما دخلت على الواثق، فأمرها أن تُغَنِّيه هذا الصّوتَ، فغنّته، فقال لها: الصّنعةُ فيه لك؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: باركَ الله عليك. وبعث إلى صالح فَأُحْضِرَ، فقال: أما إذا وقعت الرّغبةُ فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملِكَ شيئاً له فيه رغبة، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين، فإنَّ من حَقِّها عَلَيَّ إذا تناهيْتُ في قضائه أن أُصَيِّرَهَا ملكه، فبارك الله له فيها. فقال له الواثق: قد قَبِلتها. وأمر ابنَ الزّيّات أن يدفَعَ إليه خمسةَ آلاف دينار، وسَمَّاها احتياطاً. فلم يعطه ابنُ الزّيّات المالَ ومطَلَه[٢] به، فوجّه صالح إلى قلم مَنْ أعلمها ذلك، فغنَّتِ الواثقَ وقد اصْطَبَح صوتاً، فقال لها: بارك الله فيكِ وفيمن ربّاكِ. فقالت: يا سيّدي، وما نفع من رَبَّاني منّي إلاَّ التعبُ والغرْمُ[٣] عليّ والخروج منّي صِفْراً؟[٤] قال: أوَ لم آمُرْ له بخمسةِ آلاف دينار؟ قالت: بلى! ولكنّ ابنَ الزيّاتِ لم يُعْطِهِ شيئاً. فدعا بخادم من خاصَّةِ الخدم ووَقَّعَ إلى ابن الزّيات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه، وخمسة آلاف دينارِ أخرى معها. قال صالح: فصِرْتُ مع الخادم إليه بالكتاب، فقرّبني وقال: أما الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت، والخمسة الآلاف الأُخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة. فقمت، ثم تَناساني كأنه لم يعرفني، وكتبْتُ أَقْتضِيه، فبعثَ إليّ: أُكْتُبْ لي قبْضاً[٥] بها وخذها بعد جمعة. فكرهْتُ أن أكتب قَبْضاً بها فلا يَحصُل لي شيء، فاستترْتُ وهو في منزل صديق لي؛ فلما بلغه استِتَاري خاف أن أشكوه إلى الواثق، فبعث إليّ بالمالِ وأخذ كتابي بالقبض. ثم لقيني الخادمُ بعد ذلك فقال لي: أمرني أمير المؤمنين أن أصيرَ إليك فأسألك، هل قبضْت المال؟ قلت: نعم قد قبضْتُه. قال صالح: وابتعت

(١) أَجِدَّكَ: أي أحقاً ما تقولُ.
(٢) مَطَله حَقَّه: سَوَّفه وأَجَّلَ وفاءه مرّة بعد أُخرى.
(٣) الغُرْم: الضرر والمشقّة.
(٤) صِفْراً: خالياً.
(٥) القبض: ربما أراد وصلاً بالمبلغ.

بالمال ضيعة وتعلّقت بها وجعلتها مَعاشِي[١]، وقعدت عن عمل السلطانِ فما تعرضت منه لشيء بعدها.

أخبرني محمد بن يحيى قال: أخبرني ابن إسحاق الخراسانيّ. قال: وحَدَّثني محمد بن مُخارق قال: لمّا بُويعَ الواثقُ بالخلافة دخل عليه عليّ بن الجهم فأنشده قوله: [السريع]

قـد فـازَ ذو الـدُّنـيَـا وذُو الـدِّيـنِ ... بِـدَوْلَـةِ الـوَاثِـقِ هَـارُونِ
وعَـمَّ بِـالإِحْـسَـانِ مِـنْ فِـعْـلِـهِ ... فَـالـنَّـاسُ فـي خَـفْـضٍ وفـي لِـيـنِ[٢]
مـا أكْـثَـرَ الـدَّاعِـي لـه بِـالـبَـقَـا ... وأكْـثَـرَ الـتَّـالِـي بِـآمِـيـنِ

وأنشده أيضاً قوله فيه: [مجزوء الرمل]

وَثِـقَـتْ بِـالـمَـلِـكِ الـوَا ... ثِـقِ بِـالـلَّـهِ الـنُّـفُـوسُ
مَـلِـكٌ يَـشْـقَـى بـه الـمَـا ... لُ ولا يَـشْـقَـى الـجَـلِـيـسُ
أَسَـدٌ تَـضْـحَـكُ عَـنْ شَـدْ ... اتِـهِ الـحَـرْبُ الـعَـبُـوسُ
أَنِـسَ الـسَّـيْـفُ بـه واسْـ ... تـوْحَـشَ الـعِـلْـقُ الـنَّـفِـيـسُ[٣]
يـا بَـنـي الـعَـبَّـاسِ يَـأْبَـى الـ ... لـلَّـهُ إلاّ أنْ تَـسُـوسُـوا

قال: فَوصَله الواثقُ صِلَةً سَنِيّة.

وتَغَنَّتْ قَلَمُ جاريةُ صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين، فسمع الواثق الشِّعرَيْن واللَّحْنَيْن من غيرها فأراد شراءَها، وأمر محمدَ بن عبد الملك الزيات بإحضارِ مولاها وإحضارها، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار.

صوت

[الطويل]

وكُنْتُ أُعِيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى ... فَأَنْتَ عَلَى مَنْ مَاتَ قَبْلَكَ شَاغِلُهْ
سَقَى جَدَثاً أَعْرَافُ غَمْرَةَ دُونَهُ ... بِبِيشَةَ دِيمَاتُ الرَّبِيعِ ووَابِلُهْ[٤]

---

(١) المَعَاش: ما يُعَاش به من المال.

(٢) الخَفْض: سعة العيش.

(٣) العِلْقُ: النفيس من كل شيء.

(٤) الأعراف: جمع العُرْف: ما ارتفع من الرمل. وغمرة: جبل (معجم البلدان ٤/ ٢١٢). وبِيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن (معجم البلدان ١/ ٥٢٩). وديمات: جمع دِيمة: المطر يدوم في سكون.

ومـا بِـي حُـبُّ الأَرْضِ إلاّ جِـوارُهـا صَـدَاهُ وقَـوْلٌ ظَـنَّ أَنِّـيَ قَـائِـلُـهْ

الشعر للشَّمردل بن شَرِيك من قصيدةٍ طويلةٍ مشهورةٍ يرثي بها أخاه، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أوّل بالوسطى، ابتداؤه نشيد، ولمقاسة بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعاً عن الهشامي، وذكر حبش أن خفيف الرمل لخزرج.

أخبار الشَّمَرْدل ونسبه

[توفي نحو ٨٠ هـ/ نحو ٧٠٠ م]

[اسمه ونسبه وهجاؤه لوكيع بن أبي سود]

الشَّمردَل بن شُرَيكِ بن عبد الملك بن رؤبة بن سلمة بن مكرم بن ضِبارى بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع، وهو شاعر إسلامي من شعراءِ الدولة الأموية، كان في أيام جرير والفرزدق.

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حَدَّثنا أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى قال: كان الشَّمردل بن شَرِيك شاعراً من شعراء بني تميم في عهد جرير والفرزدق، وكان قد خرج هو وإخوته حكم ووائل وقُدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سُود، فبعث وكيع أخاه وائلاً في بعث لحرب التُّرك، وبعث أخاه قدامة إلى فارس في بعث آخر، وبعث أخاه حكماً في بعث إلى سجستان، فقال له الشَّمردل: إن رأيت أيُّها الأمير أن تُنفِذَنا معاً في وجه واحد، فإنّا إذا اجتمعنا تعاوَنّا وتناصرنا وتناسبْنا. فلم يفعل ما سأله، وأنفذهم إلى الوجوه التي أرادها، فقال الشَّمردل يهجوه، وكتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بني جشم بن أُدّ بن طابخة: [الكامل]

إنّـي إلـيـكَ إذا كَـتَـبْـتُ قَـصِـيـدةً ... لـم يَـأْتِـنـي لِـجَـوابِـهـا مَـرْجُـوعُ

أَيُـضِـيـعُـهـا الـجُـشَـمِـيُّ فـيـمـا بَـيْـنَـنـا ... أَمْ هَـلْ إذا وَصَـلَـتْ إلـيـكَ تَـضِـيـعُ؟

ولَـقَـدْ عَـلِـمْـتُ وأَنْـتَ عَـنّـي نَـازِحٌ ... فـيـمـا أَتَـى كِـبْـدُ الـحِـمَـارِ وَكِـيـعُ[1]

وَبَـنُـو غُـدَانَـةَ كـان مَـعْـرُوفـاً لـهـمْ ... أَنْ يُـهْـضَـمُـوا ويَـضِـيـمَـهُـمْ يَـربـوعُ[2]

---

(١) نازح: بعيد.

(٢) أن يهضَموا: أن يُظْلَمُوا ويغتصب حقّهم.

وعُمَارَةُ العَبْدُ المُبَيَّنُ إنَّهُ ... واللُّؤْمُ في بَدَنِ القَمِيصِ جَمِيعُ

قال أبو عبيدة: ولم يَنْشَب[1] أن جاءه نعيُ أخيه قدامةَ من فارس؛ قتله جيش لَقَوْهم بها، ثم تلاه نعيُ أخيه وائل بعده بثلاثة أيام، فقال يرثيهما: [الطويل]

أَعَاذِلُ، كم مِنْ رَوْعَةٍ قد شَهِدْتُهَا ... وغُصَّةِ حُزْنٍ في فِرَاقِ أَخٍ جَزْلِ[2]

إذا وَقَعَتْ بين الحَيَازِيم أَسْدَفَتْ ... عَلَيَّ الضُّحى حتّى تُنَسِّيَنِي أَهْلِي[3]

وما أنا إلاّ مِثْلُ مَنْ ضُرِبَتْ له ... أُسَى الدَّهْرِ عن ابْنَيْ أَبٍ فارقا مثلي[4]

أقولُ إذا عَزَّيْتُ نَفْسِي بإِخْوَةٍ ... مَضَوْا لا ضِعَافٍ في الحَيَاةِ ولا عُزْلِ

أَبَى المَوْتُ إلاّ فَجْعَ كُلِّ بَنِي أبٍ ... سَيُمْسُونَ شَتَّى غيرَ مُجْتَمِعِي الشَّمْلِ

سَبِيل حَبِيبَيَّ اللَّذَيْنِ تَبَرَّضَا ... دمُوعِيَ حَتَّى أَسْرَعَ الحُزْنُ في عَقْلِي[5]

كَأَنْ لم نَسِرْ يَوْماً ونَحْنُ بِغِبْطَةٍ ... جَميعاً ويَنْزِلْ عِندَ رَحْلَيْهِما رَحْلِي

فَعَيْنَيَّ إنْ أَفْضَلْتُما بعدَ وَائِلٍ ... وصَاحِبِهِ معاً فَعُودَا على الفَضْلِ

خلِيلَيَّ مِنْ دُونِ الأَخِلاَّءِ أَصْبَحا ... رَهِينَيْ وَفَاءٍ مِنْ وَفَاةٍ ومِنْ قَتْلِ

فلا يبعدا لِلدَّاعِيَيْنِ إليهما ... إذا اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ مِنَ المَحْلِ

فقد عَدِمَ الأَضْيَافُ بَعْدَهُمَا القِرَى ... وأَخْمَدَ نَارَ اللَّيْلِ كُلُّ فَتًى وَغْلِ[6]

وكانا إذا أَيْدِي الغِضَابِ تَحَطَّمَتْ ... لِوَاغِرِ صَدْرٍ أو ضَغَائِنَ مِنْ تَبْلِ[7]

تَحَاجَزُ أَيْدِي جُهَّلِ القَوْمِ عَنْهُمَا ... إذا أتعبَ الحِلْمَ التَّتَرُّعُ بالجَهْلِ[8]

كَمُسْتَأْسِدَي عَرِيسَةٍ لَهُمَا بِها ... حِمًى هَابَهُ مَنْ بِالحُزُونَةِ والسَّهْلِ[9]

ومنها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره.

(١) لم ينشب: لم يلبث.
(٢) الرَّوعة: الفزعة. والجَزْل: الكريم العاقل.
(٣) الحيازيم: جمع الحيزوم: وسط الصدر. وأسدفت: أظلمت.
(٤) الأُسى: جمع أُسوة: ما يتأسّى به الحزين ويتعزّى.
(٥) تَبَرَّضَ الدموعَ: استنزفها قليلاً قليلاً.
(٦) الوَغْل: النذل السّاقط من الرجال.
(٧) الصدر الواغر: المُتَّقِد من الغيظ. والتَّبْل: العداوة.
(٨) تحاجزُ: تتحاجز. والتترّع: التسُّرع.
(٩) العِرِّيس: مأوى الأسد. والحُزونة: الأرض الغليظة.

قال أبو عبيدة: وقال يرثي أخاه وائلاً، وهي من مختار المراثي وجيد شعره:

[الطويل]

لَعَمْري لَئِنْ غالَتْ أَخِي دَارُ فُرْقَةٍ ... وآبَ إلَيْنا سَيْفُهُ ورَوَاحِلُهْ
وحَلَّتْ به أَثْقالَها الأرضُ وانْتَهى ... بِمَثْوَاهُ منها وَهْوَ عَفٌّ مَآكِلُهْ[1]
لقد ضُمِّنَتْ جَلْدَ القُوَى كانَ يُتَّقَى ... به جَانِبُ الثَّغْرِ المَخُوفِ زلازِلُهْ
وَصُولٌ إذا اسْتَغْنَى وإنْ كانَ مُقْتِراً ... مِنَ المَالِ لم يُحْفِ الصَّدِيقَ مَسَائِلُهْ[2]
مُحِلٌّ لأَضْيَافِ الشِّتَاءِ كأَنَّما ... هُمُ عِنْدَهُ أَيْتَامُهُ وأرامِلُهْ
رَخِيصُ نَضِيجِ اللَّحْمِ مُغْلٍ بِنِيئِهِ ... إذا بَرَدَتْ عِنْدَ الصَّلاَءِ أَنَامِلُهْ
أقولُ وقد رَجَّمْتُ عنه فأَسْرَعَتْ ... إلَيَّ بِأَخْبَارِ اليَقِينِ مَحَاصِلُهْ[3]
إلى اللَّهِ أَشْكُو لا إلى النَّاسِ فَقْدَهُ ... وَلَوْعَةَ حُزْنٍ أَوْجَعَ القَلْبَ دَاخِلُهْ
وتَحْقيقُ رُؤْيَا في المَنَامِ رَأَيْتُها ... فكانَ أَخِي رُمْحاً تَرَفَّضَ عامِلُهْ[4]
سَقَى جَدَثاً أَعْرافُ غَمْرَةَ دُونَهُ ... بِبيشَةَ دِيمَاتُ الرَّبِيعِ ووَابِلُهْ
بِمَثْوَى غَرِيبٍ ليسَ مِنَّا مَزَارُهُ ... بِدَانٍ ولا ذُو الوُدِّ مِنَّا مُوَاصِلُهْ
إذا مَا أَتَى يَوْمٌ مِنَ الدَّهْرِ دُونَهُ ... فَحَيَّاكَ عَنَّا شَرْقُهُ وأَصَائِلُهْ
سَنَا صُبْحِ إِشْرَاقٍ أَضَاءَ ومَغْرِبٌ ... مِنَ الشَّمْسِ وَافَى جُنْحَ لَيْلٍ أَوَائِلُهْ
تَحِيَّةَ مَنْ أَدَّى الرِّسَالَةَ حُبِّبَتْ ... إليهِ ولم تَرْجِعْ بِشَيءٍ رَسَائِلُهْ
أَبَى الصَّبْرَ أَنَّ العَيْنَ بَعْدَكَ لم يَزَلْ ... يُخَالِطُ جَفْنَيْها قَذًى لا يُزَايِلُهْ
وكُنْتُ أُعِيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى ... فَأَنْتَ على مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِلُهْ
يُذَكِّرُني هَيْفُ الجنوبِ ومُنْتَهَى ... مَسِيرِ الصَّبا رَمْساً عليه جَنَادِلُهْ[5]
وهَتَّافَةٌ فَوقَ الغُصُونِ تَفَجَّعَتْ ... لِفَقْدِ حَمَامٍ أَفْرَدَتْها حَبَائِلُهْ
مِنَ الوُرْقِ بالأَصْيافِ نَوَّاحَةِ الضُّحَى ... إذا الغَرْقَدُ الْتَفَّتْ عليهِ غَيَاطِلُهْ[6]

---

(١) حَلَّت: زيّنت به موتاها من الحلي.
(٢) لم يُحْفِ: لم يجعله يكثر الطلب والإلحاح.
(٣) رَجَّمَ: قذف بالغيب والظنّ.
(٤) عامل الرمح: صدره. وترفّض: تكسّر.
(٥) الهَيْفُ: ريح حارة تأتي من ناحية اليمن. والصَّبا: ريح مهبُّها من مطلع الثريّا إلى بنات نعش. والجنادل: الحجارة.
(٦) الغرقد: شجر. وغياطله: ما اجتمع عليه والتفّ.

وسَوْرَةُ أَيْدِي القَوْمِ إذ حُلَّتِ الحُبَا ... حُبَا الشَّيبِ واسْتَغْوَى أخا الحِلْمِ جَاهِلُهْ[(١)]
فعَيْنَيَّ إذ أَبْكَاكُمَا الدَّهرُ فَابْكِيا ... لِمَنْ نَصْرُهُ قد بانَ مِنَّا ونَائِلُهْ[(٢)]
إذا اسْتَعْبَرَتْ عُوذُ النِّساءِ وشَمَّرَتْ ... مَآزِرُ يومٍ ما تَوَارَى خَلاخِلُهْ[(٣)]
وأَصْبَحَ بيتُ الهَجْرِ قد حَالَ دُونَهُ ... وغَالَ امْرأً ما كانَ يُخْشَى غَوائِلُهْ
وَثِقْنَ به عندَ الحَفِيظَةِ فارْعَوَى ... إلى صَوْتِه جَارَاتُهُ وحَلائِلُهْ[(٤)]
إلى ذَائِدٍ في الحَرْبِ لم يَكُ خَامِلاً ... إذا عَاذَ بالسَّيفِ المُجَرَّدِ حَامِلُهْ
كما ذَادَ عن عِرِّيسَةِ الغِيلِ مُخْدِرٌ ... يَخَافُ الرَّدَى رُكْبَانُهُ ورَوَاجِلُهْ[(٥)]
فما كنتُ أُلفِي لامرئٍ عِنْدَ مَوطِنٍ ... أَخاً بِأَخِي، لو كَان حَيّاً أُبَادِلُهْ
وكنتُ به أَغْشَى القِتَالَ فعَزَّنِي ... عَلَيْهِ مِنَ المقدارِ مَنْ لا أُقَاتِلُهْ[(٦)]
لَعَمْرُكَ إنَّ المَوْتَ مِنَّا لَمُولَعٌ ... بِمَنْ كَانَ يُرْجَى نَفْعُهُ ونَوَافِلُهْ
فمَا البُعْدُ إلاَّ أَنَّنَا بعدَ صُحْبَةٍ ... كَأَنْ لم نُبَايِتْ وَائِلاً ونُقَايِلُهْ[(٧)]
سَقَى الضَّفِرَاتِ الغَيْثُ ما دَامَ ثَاوِياً ... بِهِنَّ وَجَادَتْ أَهْلَ شُوْكٍ مَخَايِلُهْ[(٨)]
ومَا بِيَ حُبُّ الأرْضِ إلاَّ جِوَارُهَا ... صَدَاهُ وقَوْلٌ ظَنَّ أَنِّي قَائِلُهْ

قال أبو عبيدة: ثم قُتِلَ أخوه حكم أيضاً في وجهه، وبرز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله، وأتى أخاه الشمردَل أيضاً نَعْيُه فقال يرثيه: [الوافر]

يقولونَ احْتَسِبْ حَكَماً ورَاحُوا ... بِأَبْيَضَ لا أَرَاهُ ولا يَرَانِي
وقَبْلَ فِراقِهِ أَيْقَنْتُ أَنِّي ... وكُلُّ ابْنَيْ أَبٍ مُتَفَارِقَانِ
أَخٌ لِيَ لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي ... وكُنْتُ مُجِيبَهُ أَنَّى دَعَانِي
فقد أَفْنَى البُكَاءُ عليه دَمْعِي ... ولَوْ أَنِّي الفَقِيدُ إذاً بَكَانِي

(١) الحُبَا: جمع الحبوة: الثوب يُحتَبى به. وحُلَّت الحبا: كناية عن الاستعداد للحرب. واستغوى: نعق بالفتنة.
(٢) بان: بَعُدَ.
(٣) العوذ: جمع العائذ: الأنثى التي وضعت حملها.
(٤) ارعوى: رجع. والحلائل: جمع الحليلة: الزوجة.
(٥) العِرِّيسة: مأوى الأسد. والغِيل: أيضاً مأوى الأسد. والمُخْدِر: الأسد في خِدره.
(٦) أغشى القتالَ: آتي القتالَ. وعَزَّني: غلبني.
(٧) نبايت: نبيتُ معه. ونقايله: نقضي معه وقت القيلولة.
(٨) الضَّفِرات: جمع ضَفِرَة: الرمل العظيم المتجمِّع. وشُوك: ناحية نجدية قريبة من الحجاز (معجم البلدان ٣/ ٣٧٣).

مَضَى لِسَبِيلِهِ لم يُعْطَ ضَيْماً ولم تَرْهَبْ غَوَائِلَهُ الأَدَانِي[1]
قَتَلْنا عَنْهُ قَاتِلَهُ وكُنّا نَصُولُ به لَدَى الحَرْبِ العَوَانِ[2]
قَتِيلاً لَيسَ مِثْلَ أَخِي إذا ما بَدَا الخَفِرَاتُ مِنْ هَوْلِ الجَنانِ[3]
وكُنْتَ سِنَانَ رُمْحِي مِنْ قَنَاتِي ولَيسَ الرُّمْحُ إلاَّ بِالسِّنَانِ
وكُنْتَ بَنَانَ كَفِّي مِنْ يَمِينِي وكيفَ صَلاَحُها بعدَ البَنانِ؟
وكَانَ يَهَابُكَ الأَعْدَاءُ فِينَا ولا أَخْشَى وَرَاءَكَ مَنْ رَمَانِي
فَقَدْ أَبْدَوْا ضَغَائِنَهُمْ وشَدُّوا إلَيَّ الطَّرْفَ واغْتَمَزُوا لَيَانِي[4]
فَذَاكَ أَخٌ نَبَا عَنْهُ غَنَاهُ ومَوْلَى لا تَصُولُ له يَدَانِ

[الفرزدق يهدِّد الشمردل ويدّعي بيتاً ويجعله في قصيدة]

حَدَّثني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حَدَّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي سهيل قالا: وقفَ الفرزدق على الشَّمردل وهو ينشد قصيدة له فمرَّ فيها هذا البيت: [الطويل]

وما بينَ مَنْ لم يُعْطَ سَمْعاً وطاعةً وبينَ تَمِيمٍ غَيْرُ جَزِّ الحَلاَقِمِ[5]

فقال له الفرزدق: واللَّه يا شمردل لتتركنّ لي هذا البيت، أو لتتركن لي عِرْضَكَ. فقال: خذه لا بارك اللَّه لك فيه. فادّعاه وجعله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أوّلها: [الطويل]

تَحِنُّ بِزَوْرَاءِ المَدِينَةِ نَاقَتِي حَنِينَ عَجُولٍ تَبْتَغِي البَوَّ رَائِمِ[6]

حَدَّثنا هاشم قال: حَدَّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال: رأى الشّمردل فيما يرى النائم كأنَّ سِنان رمحه سقط، فعبَره على بعض مَنْ يَعْبُرُ الرُّؤيا، فأتاه نعيُ أخيه وائلٍ، فذلك قوله: [الطويل]

وتَحْقِيقُ رُؤْيَا في المَنَامِ رَأَيْتُها فَكَانَ أَخِي رُمْحاً تَرَفَّضَ عَامِلُهْ

---

(١) الغوائل: جمع الغائلة: الداهية. والأداني: الأقارب.
(٢) الحرب العَوَان: الشديدة التي قوتل فيها مرة بعد أخرى.
(٣) الخَفِرات: جمع الخَفِرَة: المرأة الشديدة الحياء. والجَنان: القلب.
(٤) اغتمزوا لياني: استضعفوني وأحسّوا اللّين بي.
(٥) الحلاقم: جمع الحلقوم.
(٦) الزَّوراء: موضع عند سوق المدينة. والعجول: الناقة الشديدة الحزن لفقد ولدها. والرّائم: الشديدة العاطفة.

حَدَّثنا هاشم قال: حَدَّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان الشَّمردلُ مُغْرَماً بالشَّرابِ، وكان له نديمان يعاشِرانه في حانات الخمَّارين بخراسان، أحدهما يقال له دَيْكَل من قومه والآخر من بني شيبان يقال له بيصة، فاجتمعوا يوماً على جَزور ونحروه وشرِبُوا حتّى سَكِروا، وانصرف قبيصةُ حافياً وترك نعلَه عندهم، وأُنْسِيَها من السُّكرِ، فقال الشَّمردل: [الطويل]

شَربْتُ ونَادَمْتُ المُلُوكَ فلم أَجِدْ ... على الكَأسِ نَدماناً لها مِثْلَ دَيْكَلِ
أَقَلَّ مِكَاساً في جَزورٍ وإنْ غَلَتْ ... وأَسْرَعَ إنْضَاجاً وإنْزَالَ مِرْجَلِ[١]
تَرَى البَازِلَ الكَوْمَاءَ فَوقَ خُوانِهِ ... مُفَصَّلَةً أَعْضَاؤُها لم تُفَصَّلِ
سَقَيْناهُ بَعْدَ الرِّيِّ حَتَّى كَأَنَّمَا ... يَرَى حِينَ أَمْسَى أَبْرَقَيْ ذَاتِ مَأْسَلِ[٢]
عَشِيَّةَ أَنْسَيْنا قَبِيصةَ نَعْلَه ... فَرَاحَ الفَتَى البَكْرِيُّ غَيْرَ مُنعَّلِ

حَدَّثنا هاشم قال: حَدَّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال: مدح الشَّمردلُ بن شريك هلالَ بنَ أحوز المازنيَّ واستماحه، فوعده الرِّفْدَ[٣]، ثم ردّده زماناً طويلاً حتى ضجر، ثم أمر له بعشرين درهماً فدفعها إليه وكيلُه غَلَّة فردّها، وقال يهجوه:

[الطويل]

يَقولُ هِلالٌ كُلَّمَا جِئْتُ زَائِراً ... ولا خَيْرَ عِنْدَ المَازِنِيِّ أُعَاوِدُهْ
ألاَ لَيْتَني أُمْسِي وبَيْنِي وبَيْنَه ... بَعِيدُ مَنَاطِ المَاءِ غُبْرٌ فَدَافِدُهْ[٤]
غَدَا نِصْفُ حَوْلٍ منه إنْ قالَ لي غَداً ... وبَعْدَ غَدٍ منه كَحَوْلٍ أُرَاصِدُهْ
ولو أَنَّني خُيِّرْتُ بين غَدَاتِهِ ... وبَيْنَ بِرَازِي دَيْلَمِيّاً أُجَالِدُهْ
تَعَوَّضْتُ مِنْ سَاقِيَّ عِشرينَ درهماً ... أَتَاني بها مِنْ غَلَّةِ السُّوقِ نَاقِدُهْ
ولو قِيلَ مِثلاً كَنْزِ قارونَ عِندَه ... وقِيلَ الْتَمِسْ مَوْعُودَهُ لا أُعَاوِدُهْ
ومِثْلُكَ مَنقوصُ اليَدَيْنِ رَدَدْتُهُ ... إلى مَحْتِدٍ قد كان حِيناً يُجَاحِدُهْ[٥]

---

(١) المِكاس: إنقاص السعر في البيع أو الشراء.
(٢) الأبرقان: تثنية أبرق، وأبرق ذات مأسل: موضع (معجم البلدان ١/ ٦٧).
(٣) الرِّفد: العطاء.
(٤) المناط: موضع التعليق. والفدافد: جمع فدفد: الفلاة والمكان الصلب.
(٥) المَحْتِد: الأصل في النَّسب، الطَّبع.

[الضَبيّ يشمت بمصرع أخوي الشمردل فيهجوه]

حَدَّثنا هاشم قال: حَدَّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أن رجلاً من بني ضبّة كان عدوّاً للشمردل، وكان نازلاً في بني دارم بن مالك، ثم خرج في البَعْث الذي بُعِثَ مع وكيع، فلمّا قُتِلَ إخوةُ الشّمردلِ وماتوا، بلغه عن الضّبيّ سرورٌ بذلك، وشماتةٌ بمصيبته فقال: [البسيط]

يَا أَيُّها المُبتَغِي شَتْمِي لأَشْتُمَهُ ... إنْ كَانَ أعمى فَإنِّي عَنْكَ غَيْرُ عَم
ما أَرْضَعَتْ مُرْضِعٌ سَخْلاً أَعَقَّ بها ... في النَّاسِ لا عَرَبٍ منها ولا عَجَمِ[1]
مِنِ ابْنِ حنكلةٍ كَانَتْ وإنْ عَرِبَتْ ... مُذَالَةً لِقُدُورِ النَّاسِ والحُرَمِ[2]
عَوَى لِيَكسِبَها شَرّاً فَقُلْتُ له ... مَنْ يُكْسِبِ الشَّرَّ تُذْيَيْ أُمّهِ يُلِمِ
ومَنْ تَعَرَّضَ شَتْمِي يَلْقَ مَعْطِسُهُ ... مِنَ النَّشُوقِ الَّذي يَشْفِي مِنَ اللَّمَمِ[3]
مَتَى أَجِئْكَ وَتَسْمَعْ ما عُنِيتَ به ... تُطْرِقْ على قَذَعٍ أو تَرْضَ بِالسَّلَمِ[4]
أَوْلاً فَحَسْبُكَ رَهْطاً أَنْ يُفِيدَهُمُ ... لا يَغْدِرونَ ولاً يُوفُونَ بالذِّمَمِ
لَيْسُوا كَثَعْلَبَةَ المَغْبُوطِ جَارُهُمُ ... كَأَنَّه في ذُرَى ثَهْلاَنَ أو خِيَمِ[5]
يُشَبَّهُونَ قُرَيشاً مِنْ تَكَلُّمِهِمْ ... وطُولِ أَنْضِيَةِ الأَعْنَاقِ والأُمَمِ[6]
إذا غَدَا المِسْكُ يَجْرِي في مَفَارِقِهِمْ ... رَاحُوا كَأَنَّهُمُ مَرْضَى مِنَ الكَرَمِ
جَزُّوا النَّوَاصِيَ مِنَ عَجْلٍ وقد وَطِئُوا ... بِالخيلِ رَهْطَ أَبِي الصَّهْباءِ والحُطَمِ[7]
ويوم أَفْلَتَهُنَّ الحَوْفَزَانُ وقَدْ ... شَالَتْ عليه أَكُفُّ القَومِ بِالجِذَمِ[8]
إنّي وإنْ كُنْتُ لا أَنْسَى مُصَابَهُمُ ... لم أَدْفَعِ المَوْتَ عَنْ زِيقٍ ولا حَكَمِ[9]

---

(١) السَّخل: المولود، أو هو الضعيف الرَّذْلُ.

(٢) الحنكلة: السوداء الدميمة من النساء. وعَرِبَتْ: توددت إلى زوجها وحرصت على اللهو. والمُذَالة: الأمَة المهانة.

(٣) المعطس: الأنف والنَّشُوق: ما يُشَمُّ ويُستنشَق.

(٤) القَذَع: الخنى والفحش. والسَّلَم: الاستسلام.

(٥) ثهلان: جبل ضخم في العالية أو هو في بلاد بني نمير (معجم البلدان ٢/ ٨٨) وخِيَم: جبل من عماية على يسار الطريق إلى اليمن (معجم البلدان ٢/ ٤١٣).

(٦) الأنضية: جمع النَّضِيّ هو عظم العنق والأُمَم: جمع الأُمَّة: القامة.

(٧) النواصي: جمع الناصية: شعر مُقدَّم الرأس إذا طال. والرَّهط: الجماعة.

(٨) الحوفزان: لقب الحارث بن شريك. وشالت: ارتفعت. والجِذَم: جمع الجِذْمة: السَّوْط.

(٩) زيق بن بِسطام بن قيس بن مسعود الشيباني (جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٦).

لا يَبْعُدَا فَتَيا جُودٍ ومَكْرُمَةٍ ... لِدَفْعِ ضَيْمٍ وقَتْلِ الجُوعِ والقَرَمِ(١)
والبُعْدُ غَالَهُمَا عَنِّي بِمَنْزِلَةٍ ... فيها تَفَرُّقُ أَحْيَاءٍ وَمُخْتَرَمِ
وما بِنَاءٌ وإنْ سُدَّتْ دَعَائِمُهُ ... إلاّ سَيُصْبِحُ يوماً خَاوِيَ الدِّعَمِ
لَئِنْ نَجَوْتَ مِنَ الأَحْداثِ أو سَلِمَتْ ... مِنْهُنَّ نَفْسُكَ لم تَسْلَمْ مِنَ الهَرَمِ

[رثاؤه لعمر بن يزيد الأسيدي]

حَدَّثنا هاشم قال: حَدَّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال: كان عمر بن يزيد الأسيديّ صديقاً للشّمردل بن شَريك، ومحسناً إليه كثير البرّ به والرِّفد له، فأتاه نعيه وهو بخراسان، فقال يرثيه: [الكامل]

لَبِسَ الصَّبَاحَ وأَسْلَمَتْهُ لَيْلَةٌ ... طَالَتْ كَأَنَّ نُجُومَهَا لا تَبْرَحُ
مِنْ صَوْلَةٍ يَجْتَاحُ أُخْرَى مِثْلَهَا ... حَتَّى تَرَى السَّدَفَ القِيامُ النُّوَّحُ(٢)
عَطَّلْنَ أَيْدِيَهُنَّ ثمَّ تَفَجَّعَتْ ... لَيْلَ التَّمَامِ بِهِنَّ عَبْرَى تَصْدَحُ(٣)
وحَلِيلَةٍ رُزِئَتْ وأُخْتٌ وابْنَةٌ ... كَالبَدْرِ تَنْظُرُهُ عُيونٌ لُمَّحُ
لا يَبْعَدِ ابنُ يَزِيدَ سَيِّدُ قَوْمِهِ ... عِنْدَ الحِفاظِ وحَاجَةٍ تُسْتَنْجَحُ
حَامِي الحَقِيقَةِ لا تَزَالُ جِيادُهُ ... تَغْدُو مُسَوَّمَةً به وتُرَوَّحُ(٤)
لِلحَرْبِ مُحْتَسِبُ القِتَالِ مُشَمِّرٌ ... بِالدِّرْعِ مُضْطَمِرُ الحَوَامِلِ سُرَّحُ(٥)
سَادَ العِرَاقَ وكانَ أَوَّلَ وَافِدٍ ... تَأْتي المُلوكَ به المَهَارِي الطُّلَّحُ(٦)
يُعْطَى الغِلاءَ بِكُلِّ مجدٍ يُشْتَرَى ... إنَّ المُغَالِيَ بِالمَكَارِمِ أَرْبَحُ(٧)

حَدَّثنا هاشم قال: حَدَّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان الشَّمردلُ صاحب قنص وصيد بالجوارح، وله في الصقر والكلب أراجيز كثيرة، وأنشدنا له قوله: [الرجز]

قد أَغْتَدِي والصُّبْحُ في حِجَابِهِ ... واللَّيْلُ لم يَأْوِ إلى مَآبِهِ

(١) القَرَم: شدّة الشهوة للّحم.
(٢) السَّدَف: الضوء والظُّلمة وهي من الأضداد.
(٣) ليل التّمام: أطول ليالي الشتاء.
(٤) المُسَوَّمَة: المُعْلَمَة.
(٥) مضطمر: ضامر. والحوامل: الأرجل.
(٦) الطُّلَّح: المتعَبَة.
(٧) الغِلاء: المغالاة.

وقد بَدَا أَبْلَقَ مِنْ مُنْجَابِهِ بِتَوَّجِيٍّ صَادَ في شَبَابِهِ[1]
مُعَاوِدٍ قد ذَلَّ في إِصْعَابِهِ قد خَرَّقَ الضِّفَارَ مِنْ جِذَابِهِ[2]
وعَرْفَ الصَّوْتِ الَّذي يُدْعَى به ولَمْعَةَ المُلْمِعِ في أثوابِهِ
فَقُلْتُ لِلقَانِصِ إذ أَتَى به قَبْلَ طُلوعِ الآلِ أو سَرَابِهِ[3]
وَيْحَكَ ما أَبصرَ إذ رأى به مِنْ بَطْنِ مَلحُوبِ إلى لُبَابِه[4]
قَشْعاً ترى التبَّتَ من جنابِهِ فَانْقَضَّ كالجُلْمُودِ إذ عَلاَ به[5]
غَضْبانَ يَوْمَ قِنْيَةٍ رَمَى به فهُنَّ يَلقَيْنَ مِنِ اغْتِصابِهِ
تحتَ جَدِيدِ الأَرضِ أو تُرَابِهِ مِنْ كُلِّ شَحَّاجِ الضُّحَى ضَغَّابِهِ[6]
إذ لا يزالُ حربه يَشْقَى به مُنتزِعِ الفُؤَادِ من حِجَابِهِ
جَادَ وقد أَنْشَبَ في إِهَابِهِ مَخالِباً يَنْشِبْنَ في إِنْشَابِهِ[7]
مِثْلِ مُدَى الجَزَّارِ أو حِرَابِهِ كَأَنَّمَا بِالحلقِ مِنْ خِضَابِه
عصفرةِ الفُؤادِ أو قضابِه حَوَى ثمانينَ على حِسَابِهِ
مِنْ خَرَبٍ وخُزَرٍ يعلَى به لِفِتْيَةٍ صَيْدُهُمُ يدعى به
وَاعَدَهُمْ لِمَنْزِلٍ بِتْنا به يطهى به الخِرْبَانُ أو يُشْوَى به[8]
فقامَ لِلطَّبْخِ ولاِخْتِطَابِهِ أروعِ يهتاجُ إذا هِجْنَا به

أخبرنا هاشم قال: حَدَّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشَّمردل، فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة، فرصده ليلة حتى جاء لعادته، ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه: [الرجز]

هَلْ خُبِّرَ السِّرْحَانُ إذْ يَسْتَخْبِرُ عَنِّي وقد نَامَ الصِّحَابُ السُّمَّرُ[9]

(١) الأبلق: الذي في لونه بياض وسواد. والمنجاب: اسم مكان من انجاب: انكشف. والتَّوَّجيّ: صقر منسوب إلى توّج: وهو موضع في البادية تنسب إليه الصقور (معجم البلدان ٢/٥٦).
(٢) الضِّفَار: ما يُشَدُّ به الجمل أو نحوه من شعر مضفور.
(٣) الآل: السَّرَاب.
(٤) ملحوب: اسم ماء لبني أسد (معجم البلدان ٥/١٩١).
(٥) كذا ورد البيت.
(٦) الشَّحاج: ذو الصوت الغليظ. والضَّغاب: المُفْزِع بصوته.
(٧) الإهاب: الجلد.
(٨) الخِربان: جمع خَرَب: ذَكَر الحبارى.
(٩) السّرحان: الذئب.

لَـمَّـا رَأيـتُ الـضَّـأنَ مـنـه تَـنْـفِـرُ نَـهـضْـتُ وَسْـنَـانَ وطَـارَ الـمِـئْـزَرُ(١)
ورَاعَ مــنــهــا مَــرِحٌ مُـشْـتَـيْـهِـرُ كَـأَنَّـهُ إِعْـصَـارُ رِيـحٍ أَغْـبَـرُ(٢)
فـلـم أَزَلْ أَطْـرُدُهُ ويـعـكُـرُ حَـتَّـى إذا اسْـتَـيْـقَـنْـتُ أَلاَّ أَعـذُرُ
وإنَّ عَـقْـرَى غَـنَـمِـي سَـتَـكْـثُـرُ طَـارَ بِـكَـفِّـي وفُـؤادِي أَوجَـرُ(٣)
ثُـمَّـتَ أَهْـوَيْـتُ لـه لا أُزْجَـرُ سَـهـمـاً فَـوَلَّـى عـنـه وهْـوَ يَـعْـثُـرُ
وبِـتُّ لَـيْـلِـي آمِـنـاً أُكَـبِّـرُ

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ قال: حَدَّثنا الرّياشيّ قال: حَدَّثنا الأصمعي قال: قال الشَّمردل بن شريك ـ وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها، ويقول: إنها لمن ظريف الكلام ـ [الكامل]

ثـمَّ اسْـتَـقَـلَّ مُـنَـعَّـمَـاتٌ كَـالـدُّمَـى شُـمُـسُ الـعـتَـابِ قَـلِـيـلَـةُ الأَحْـقَـادِ(٤)
كُذْب الـمَـوَاعِـدِ ما يَـزَالُ أَخُـو الـهَـوَى مِـنْـهُـنَّ بَـيْـنَ مَـوَدَّةٍ وبِـعَـادِ
حَـتَّـى يَـنَـالَ حِـبَـالَـهُـنَّ مُـعَـلَّـقـاً عَـقْـلَ الـشَّـرِيـدِ وَهُـنَّ غَـيْـرُ شِـرَادِ
والـحُـبُّ يَـصْـلُـحُ بـعـدَ هَـجْـرٍ بِـيـنـنـا ويُـهِـيـجُ مَـعْـتَـبَـةً بِـغَـيْـرِ بِـعَـادِ

صوت

[الطويل]

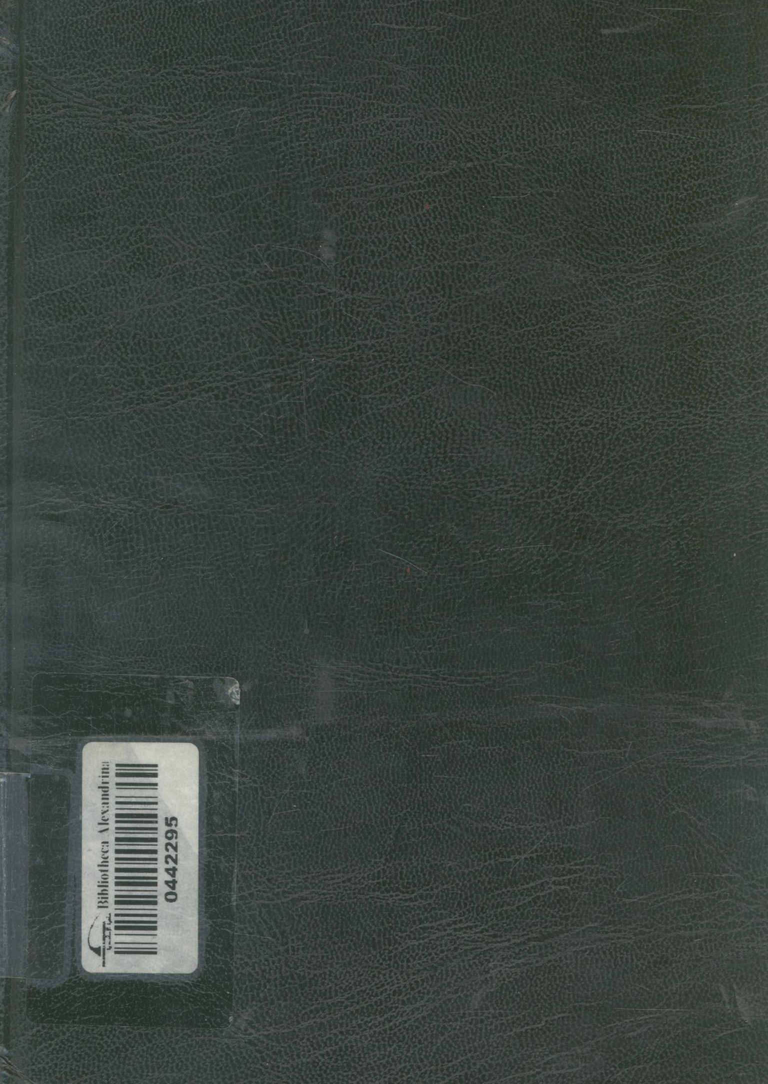
خَـلِـيـلَـيَّ لا تَـسْـتَـعْـجِـلا أَنْ تَـزَوَّدا وأَنْ تَـجـمَـعـا شَـمْـلِي وتَـنْـتَـظِـرا غَـدَا
وإِنْ تَـنْـظُـرَانـي الـيـومَ أَقْـضِ لُـبَـانَـةً وتَـسْـتَـوجِـبَـا مَـنـاً عَـلَـيَّ وتُـحْـمَـدَا

الشعر للحصين بن الحمام المريّ، والغناء لبذل الكبرى ثاني ثقيل بالبنصر، من روايتها ومن رواية الهشامي.

إلى هنا تم بحمد الله الجزء الثالث عشر
من الكتاب ويليه الجزء الرابع عشر
وأوله أخبار الحصين بن همام ونسبه

---
(١) الوَسَن: النعاس.
(٢) المستيهر: الذاهب العقل.
(٣) العَقرى: جمع العقير: الجرحى. والأوجر: الخائف.
(٤) الشُمُس: جمع الشَمُوس: النافرة.

الفهرس


Bibliotheca Alexandrina
04442295